

الأعمال الكاملة عبد الله مصطفى تنرف الدين

(نقيب المحامين الليبيين سابقا)

رئيس المنظمة الدولية لمناهضة جميع أنواع التمييز العنصري

طرابلس - ليبيا

مغامرات مخلوق
من أيها الناس
الطريق الطويل
الطريق إلى وحدة البشرية
السلطة المطلقة
فساد مطلق
لماذا هذا الكون
تطلعات بشرية

دار الرواد

□ الأعمال الكاملة

عبد الله مصطفى شرف الدين

الطبعة الأولى 1441 هـ / 2020 م

رقم الإيداع : 485 / 2019 دار الكتب الوطنية بنغازي

ردمك : ISBN 978-9959-919-30-4

© جميع حقوق الطبع والإقتباس والترجمة محفوظة للناسر



ذات العماد برج 4 - طرابلس - ليبيا

هاتف : 00218 21 3350332

E-mail : sales@dararrowad.ly



المقدمة

إلى الذي ..

كلما عدت حاملة دفاتري في يدي ..
وفي اليد الأخرى قلب يترنح .. لا يهتدي ..
أبصرته جالسا يرقب عودتي
بقفظانه الأبيض وعطره الندي
في هدوء البراري وشغف صبي ..
ومن لى سواه .. ذاك حبيبي وأبى .

في حجرته أجلس وأسبح في بحر من الذكريات بلا أول ولا آخر ..
أسمع من أعماق هذا البحر الهادئ صدى صوته يقول ان "النجاة في
الصدق" !

تتلاطم أمواج الأفكار والمعاني في هذه الرؤية العميقة البعيدة لأهم أسباب
وجود الإنسان منذ قديم الأزل . منها أهمية إكتشاف الذات والسمو بها إلى ما هو
أفضل ليصب في ملاحم تاريخ التطور البشري .
فكيف نكون صادقين مع غيرنا بدون القدرة على ان نكون صادقين مع
أنفسنا !

"النجاة في الصدق" تبدأ في الصدق مع النفس ، في البحث عن الذات .
وطالما غرقت في صبايا في تلك المتاهات فأمسك صاحبنا بيدي قائلاً أن الشك هو
الطريق إلى اليقين . كلمات تعيش معي لأن روحه تحيا فيها .
الصدق مع النفس يعتمد على الشجاعة أكثر حتى من الشجاعة المعنوية في
الصدق مع الآخر . لأن الصدق مع النفس هو الخطوة الأولى في طريق الصدق
مع الغير .

كلما إزداد صدق الإنسان مع نفسه إزدادت قدرته على صدقه مع غيره .
فالصدق ينبع من قوة ذاتية .. من إنسان يفهم نفسه وما يريد لذلك لا يقول
ما لا يعنيه ولا يقول ما لا يعنيه .

ولأنه واع ومدرك فهو لا يخدع نفسه وبالتالي لا يخدع غيره فالخداع
صفة في المقام الأول من صفات الكذب على النفس والكذب على الغير لذا فإن
النجاة كل النجاة في الصدق .

قال تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه : 114] . فطريق الصدق قد يبدو
لأول وهلة شائك وطويل مع انه في الغالب أقصر الطرق في عالم يزداد فيه
الكذب والنفاق والخداع والعنف .

كتب نجيب محفوظ "إنهم كذابون .. ويعلمون أنهم كذابون ، ويعلمون أننا
نعلم إنهم كذابون ، ومع ذلك فهم يكذبون بأعلى صوت .. ويتصدرون القافلة"

وقال آخر "يكذبون بمتتهى الصدق .. ويغشون بمتتهى الضمير .. وينصبون بمتتهى الأمانة .. ويخونون بمتتهى الإخلاص ويدعمون أعداءهم بكل سخاء .. ويدمرون بلدانهم بكل وطنية .. ويقتلون إخوانهم بكل إنسانية" .

قطاع الطرق من النفوس الضالة أو الضعيفة تستسهل الأساليب والطرق الملتوية بلا نهاية . لكن في المدى القريب أو البعيد ، القصير أو الطويل ، الطريق السليم ، طريق النجاة الوحيد ، للنفس وللشعوب ، هو الصدق .

ولقد فتح الله هذا الطريق على مصراعيه ، طريق الصدق مع النفس والغير ، أمام الغني والفقير ، والله أعلم من منهم أكثر حظا ونعمة . فهناك مبادئ كونية كم تأمل فيها صاحبنا المرحوم مرارا وتكرارا ومنها هذا التساؤل بقلمه :

"في كثير من الأحيان يفوتنا إدراك ما في هذا الكون من قواعد كونية ذات أهمية عظيمة بالنسبة لحياتنا ، وضعها الخالق جل وعلا في هذا الكون ، لو أدركناها وأدركنا ما فيها من أعماق لقل الكثير من الصراع والمشاحنات والحروب ، التي سادت وتسود هذا العالم ، فمن الواضح ان أكثر هذا الصراع ، بل كل هذا الصراع - كما يبدو واضحا - قد اتخذ السبيل والوسيلة الى السلطة . والسلطة في حقيقتها وأعماقها هي السيادة التي تأتي بالثروة ، ومظاهر هذه الثروة هي منزل مريح وغذاء فاخر وحياء باذخة . ولكن الإنسان الذي يعيش هذه الحياة الباذخة التي تتميز بالإسترخاء وبالراحة المستمرة لا يمكن ان يستشعر معنى الراحة الجسدية والنفسية ، بل ان الذي يستولى عليه هو نوع من الملل والكآبة ، فالراحة بمعناها الحقيقي التي تستولى على مشاعر الإنسان لا تأتي إلا بعد التعب والمشقة ، فالعمّال الذين يعملون في الزراعة او في الاسواق أو في البحر ، والنساء العاملات في مختلف شؤون الحياة واللائي يكددن في منازلهن من طبخ إلى غسيل إلى رضاعة والعناية بأطفالهن . ان هذه المخلوقات التي تشقى وتكدّ وتعب من الصباح إلى المساء هي التي تستشعر معنى الراحة بكل ابعادها ومعانيها . هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخرى فان الذي يوضع أمامه كل يوم صباحا ومساءلا ذلك الطعام الفاخر من المشويات والمقليات وغيرها من المأكولات المغرية ، ومع

استمرار هذا الوضع ، يفقد الإنسان الشهية إلى الطعام ولا يتذوقه كما يتذوق الطعام ذلك الفقير الجائع الذي ربما استلذّ في غذائه بتناول رغيف ساخن مع قليل من الزيت والملح أكثر من ذلك الذي توضع أمامه كل يوم تلك المائدة من المشويات والمقليات . هذه هي القاعدة الكونية التي تفوت على الكثيرين . أن الغنى ليس في كل الأحوال نعمة يستهدفها الإنسان ، وان الحياة المتواضعة أو الفقر ليس في كل الاحوال نقمة كما هو المفهوم عند أغلب الناس. نخرج مما تقدم بالتساؤل الذي يفرض نفسه ، إذا كانت هذه القاعدة الكونية الإلهية الواضحة يمكن ان يدركها أغلب سكان هذا الكوكب فما الداعي إلى هذا الصراع والحروب والمشاحنات التي عمّت الأرض كل هذه السنوات والقرون !!؟؟"

التفاؤل أن نرى الإيجابيات حتى في السلبيات وهذا المخلوق من أيها الناس كان رجل متفائل لأبعد الحدود رغم انه عانى من الظلم لأبعد الحدود . فإيمانه كان الإيمان المطلق ان "حتى لو حكم القاضي والناس ظلما فالحقيقة مع الله نصرا" ، ولم ينفك على لسانه ذلك التسامح الذي لا يعرف الحدود بقوله "إلتمس لأخيك من عذرا إلى سبعين عذرا ، وإن لم تجد عذر ، قل لعل له عذرا لا أعرفه" .

ظل صاحبنا صادق مع نفسه وصادق مع الآخرين أثناء الهجرة رغم إرادته عن وطنه . قصة حياته تروي قصة وطن تم تشويه صورته ومحو إنجازاته . فعندما أرادت الانقلابات العسكرية في البلاد العربية تعظيم إنجازاتها ، سلكت طريق الظلم لمن قبلها والإنتقام منهم ، فأدانت كل الرموز في الدولة والمجتمع وكل الحكام والملوك قبلها واعتبرتهم جميعا ضدها وضد الشعوب ، ثم سلبت أموالهم وممتلكاتهم وأراضيهم وعاثت في الأرض فسادا . فالإنقلابات العسكرية ، باختصار شديد ، ككل إناء بما فيه ينضح .

وللإنصاف لم يكن عصر الملكية بذلك السواد الذي تعلمناه في المدارس من الحاقدين عليهم . ففي ذلك العهد كان هناك إنجازات ، أهمها أدت إلى ظهور قادة الفكر والثقافة والفن والأدب ومن بينهم صاحبنا ، ولا يمكن أن يظهرُوا في بيئة لا تتيح فرص المشاركة وتحقيق الذات والإبداع والنجاح واسع النطاق .

"فالتاريخ ليس أسود فقط ولا أبيض فقط ، والمساحات الصادقة لها الغلبة ، إذا تم تحريرها من الإنتقام السياسي ، فتقدم الدول يقوم بالبناء فوق البناء ، وليس البناء فوق الهدم" .

وهذا ما حاول أن يفعله صاحبنا طوال حياته ، البناء فوق البناء ، الحجرة فوق الحجرة .. في سبيل الإرتقاء بأفاق الإنسان الليبي وتوسيع أبعاده حتى بعد أحداث 17 فبراير 2011 ، كتب بعنوان أفكار دستورية واجتماعية المنشور التالي :

أفكار دستورية واجتماعية

السلطة المطلقة فساد مطلق والحل هو البحث عن الطريقة لتداول السلطة

الأخ الفاضل والأخت المحترمة

تحية الحق والعروبة وبعد....

أيها الأخ العزيز والأخت المحترمة ، هذه بعض الأفكار الدستورية والإجتماعية يمكن ان تكون الوسيلة الى خطوات بناء لمستقبل الوطن العزيز ، وتفادي هذه الصراعات المجنونة على السلطة التي انتشرت في الوطن العربي من تقتيل وتدمير لا يكاد يصدقه العقل ، وهي على أي حال قابلة للحوار والتصحيح :-

إن الدوائر الانتخابية في العهد الملكي السابق يمكن أن نجعل منها مجالس محلية تنتخب قياداتها من ثلاثة أفراد ، أمين المجلس ونائبه وسكرتيرا ، ينتخبون في هذه الدائرة وكل الدوائر الأخرى انتخابا سريرا عن طريق صندوق الانتخاب وتحت الإشراف القضائي ، وهذه القيادات في كل الدوائر الانتخابية يكونون البرلمان (مجلس الأمة) الذي ينتخب من بينه عن طريق صندوق الانتخاب السري وتحت الإشراف القضائي أيضا رئيسا للجمهورية ، وعلى رئيس الجمهورية ان يختار مجلسا للوزراء ورئيسهم من أعضاء البرلمان (مجلس الأمة) أو من أوساط المثقفين في الوطن ، وعندما يتم هذا الاختيار يعرض على البرلمان للموافقة عليه ، الذي له الحق دائما في نزع الثقة من هذا المجلس .

إن قيادة المجالس المحلية في دوائر الانتخاب المذكورة تجتمع بأفراد الدائرة كل شهر لمدة ثلاثة أيام مسائيا .

أن البرلمان (مجلس الأمة) يجتمع كل سنة مرتين لمدة شهر أو أكثر ليقرر القوانين واللوائح التي تحتاج إليها الأمة كما تجتمع عندما تقتضي الظروف ذلك .

إن رئيس الجمهورية يعاد انتخابه كل خمس سنوات ، وكذلك القيادات في كل المجالس المحليّة يتم انتخاب قياداتها كل خمس سنوات أيضا .
لا يعاد انتخاب نفس رئيس الجمهورية وكذلك نفس قيادات المجالس المحليّة أكثر من مرتين ، وهذه القاعدة يجب أن تنفذ تنفيذا صارما مهما كانت الأحوال والظروف ، ويجب أن ينصّ في الدستور على أنها غير قابلة للتغيير ، وأن أي مخالف لها يعتبر خائنا لشعبه وأمته ، وان للشعب الحق كل الحق في الثورة على من يحاول المساس بها او تغييرها . فهي القاعدة الأساسية لمنع قيام السلطة المطلقة التي هي السبب في كل فساد في المجتمع .

إن اختيار قيادات المجالس المحليّة من ثلاثة أفراد (أمين اللجنة ونائبه والسكرتير) واجتماعهم بأفراد الدائرة كل شهر لمدة ثلاثة أيام مسائيا ، فيه تطوير للنظام البرلماني القائم في العالم الغربي ، ذلك أن وجود ثلاثة أفراد في القيادة تمنع أمين اللجنة من استغلال مركزه ، كما أن اجتماع قيادة اللجنة بأفراد الدائرة كل شهر يجعل القيادة على اتصال مستمر بأفراد الشعب ، الأمر الذي يخلق اتصالا شعبيا مستمرا بمجلس الأمة ، وهذا ما يفتقده النظام الديمقراطي القائم الآن .

أما بالنسبة للأحزاب وتكوينها ، فمن رأيي أن القيادات الحزبية يجب أن تنتخب من أعضاء الحزب تحت الإشراف القضائي كل خمس سنوات ، ويجب ألا يتعدى عددها عن ثلاثة أحزاب ، حزب ذو طابع قومي وآخر ذو طابع إسلامي وآخر ذو طابع وطني ، وهذا الأخير يمكن أن يضم اليساري واليميني والعلماني ، ولا شك أن انتخاب القيادات الحزبية كل خمس سنوات سوف يبلور الاتجاه الحزبي الصحيح . وهذه الطريقة تمنع تعدد الأحزاب التي تصل إلى عشرين وثلاثين حزبا في بعض دول العالم ، الأمر غير العملي منطقيًا وعقليًا. إن وجود الأحزاب الثلاثة هو الوسيلة المثلى ليراقب الشعب بعضه بعضا .

إن الدولة في رأيي هي التعليم والقضاء ، فإذا أردنا تطوير وطننا التطوير الصحيح المنتج والخروج بأقصى سرعة من هذا التخلف الذي نعيشه فيجب

الاهتمام بالمعلم والقاضي ، فالمعلم في رأبي يجب تكريمه إلى أبعد الحدود (كاد المعلم أن يكون رسولا) فيجب أن يكون مرتبه ثلاثة أضعاف مرتب الموظف العادي ، وإذا أردنا أن تأخذ العدالة مجراها الصحيح فيجب أن تكون مرتبات القاضي وأعوانه خمسة أضعاف مرتب الموظف العادي ، وتحت إشراف مجلس القضاء الأعلى وليس للسلطة التنفيذية او التشريعية اية نفوذ عليه ، فهذا الذي كان سائدا في مصر وليبيا قبل الانقلابات العسكرية .

إن البطالة هي إحدى الآفات التي تواجه الدول والمجتمعات البشرية ويمكن معالجة هذا الموضوع كما عاجلته بعض الدول منذ حوالي عشرين سنة فنجح مشروعها نجاحا باهرا كان موضوع إعجاب العالم كله ، وذلك بان تخصص الدولة مؤسسة اقتصادية يوفر لها ميزانية ضخمة فتقوم بتوجيه الشباب العاطل إلى المشروعات الصناعية والاقتصادية الصغيرة مع الإرشاد والتزويد بالمال الكافي لهذه المشروعات عن طريق القروض .

إن الشباب الذي استشهد أو جرح في معركة الشرف ضدّ الوضع الدكتاتوري يجب تكريمهم ماديا ومعنويا ، فمن الناحية المادية يجب تكريم أسرة كل شاب استشهد أو جرح جرحا بليغا في ميدان المعركة بمبلغ لا يقلّ عن ألف دينارا ليبيا شهريا ، أما من الناحية المعنوية فيجب إطلاق أسماء هؤلاء الشهداء على شوارع القطر الليبي ومؤسساته الهامة .

يجب إرجاع جميع القوانين واللوائح التي كانت قائمة في العهد الملكي السابق ما عدا تلك التي تتعارض مع الوضع الجمهوري الجديد ، كما يجب إلغاء جميع القوانين واللوائح الصادرة في العهد الدكتاتوري والتي تتعارض مع الوضع الدستوري الجديد .

إن أي بادرة أو خطوة يخطوها أي مجتمع من المجتمعات بالرغم ما فيها من إيجابيات مفيدة إفادة حاسمة لهذا المجتمع او ذاك فلا بدّ ان تشوبها بعض السلبيات ، والحكمة هي كيفية الإستفادة بإيجابياتها الكثيرة وتفادي ما لابسها من السلبيات .

فإذا رأيت أخي العزيز وأختي المحترمة أن ما في هذه الاقتراحات ما يمكن أن يرتضيه الشعب الليبي فأرجو إعادة طبعها وتوزيعها على أوسع نطاق وإبلاغها إلى الجهات المختصة لعلها تنشرها وتوزعها بطريقة واسعة ولمدة كافية ثم الاستفتاء عليها ، فإذا كانت نتيجة الاستفتاء ستين في المائة من الأصوات فيجب تحويلها على اللجنة التي سوف تكلف بصياغة دستور المستقبل . وأهمية النشر الواسع والاستفتاء على هذا المشروع يجعل جميع أفراد الشعب ملّمين بحقوقهم الأساسية وبالتالي سوف يصرون على التمسك بها ويتعدّر استغفاهم أو خداعهم بالخصوص .

تحياتي وتمنياتي ، وعيشوا لأخيكم عبد الله شرف الدين
طرابلس في 18- 8- 2011

وفارق صاحبنا الحياة قبل أن يطمئن على وطنه الذي ضحى من أجله بكل ما لديه . عقود من الدكتاتورية زرعت الخوف والسلبية في قلوب الناس ولكنه كان أسدا ومات أسدا . أجمل ما فيه ذلك الكيان والوجدان الإنساني والروح المثالية التي كانت تسعى مع كل أنفاسه العطرة إلى الحق المطلق والخير المطلق والجمال المطلق .

لم أرى عنيد مثله في الدفاع عن الحق ليس لأغراض شخصية بل لأهداف معنوية سامية تمس مستقبل الوطن والأمة العربية والإسلامية والإنسانية جمعاء . إختلفنا في وجهات نظرنا من حين إلى آخر في بعض الأمور لكن ليس في جوهرها ، فعندما يشتد غضب أسرته من الإنتهاكات للحقوق التي نعيشها والإستيلاء الغوغائي على أملاكنا وبيتنا ومزروعاتنا ذات الأربعين هكتارا التي غرسها شجرة شجرة يرد قائلا لقد ضاع وطن بأكمله على أيدي عصابة ومن يتبعهم من زبانية النظام وبقية اللصوص والمتسلقين والضباط المفترض فيهم حماية البلاد والعباد فما بالنا ان نهبوا ما نهبوه واستباحوا ما استباحوه مني أو منك !!! ولقد تطرق إلى هذا في الفصل السابع عشر بعنوان : هل لهذا الليل من آخر - بقلمه :

"لقد اختلطت مأساة صاحبنا بمأساة هذه الأمة ، فقد بقى له الآن ونحن في مايو 2008 مدة ثماني وعشرين عاما بعيدا عن وطنه وأهله وأصدقائه ، متشردا في بلاد العالم ، وقد استولى زبانية النظام في وطنه ، من الجهلة والمتسلقين ، على بيته ومزرعته ومكتبه وأمواله ، إن آلام الغربية هي آلام قاسية مهولة لا يعرف قسوتها وجروحها العميقة إلا من جربها ، إن هذا الإحساس الأليم والشعور بالقهر والظلم الفادح عندما تهاجمك تلك الذكريات المريرة من ساعة إلى ساعة بأن هناك من يستولى ، ظلما وعدوانا ، على بيتك الذي بنيتة حجرا حجرا بسهر الليالي والعمل المتواصل لخمسة عشر ساعة يوميا ، وهناك من يستولون على مزرعتك التي غرستها شجرة شجرة وتابعت نموها حتى أزهرت وأثمرت ثم تجدها قد قسمت بددا بين هؤلاء اللصوص ، وأنت لا حول لك ولا قوة في مواجهة هذا الشر المستطير فليس هناك محاكم ولا قانون ولا عقل ولا منطق ، وإنما هي

الغابة التي تعيث فيها العصابات ، التي تسمى بالثورية ، فسادا وظلما ، ومع ذلك فان هذه المشاعر المريرة والآلام القاسية لا تعد شيئا يذكر بالنسبة لآلام شعبنا في وطننا المقهور وفي فلسطين والعراق المغدور بهما .

للأسف في ليبيا الأمر لم يتوقف عند حد الأخطاء الجسيمة بل أصبحت الجريمة مبرجة في شتى المجالات مما أدى إلى إهدار آدمية الإنسان وعدم قدرة المجتمع الإنتقال إلى المرحلة الحضارية حتى يومنا هذا. وكم كان يحتد النقاش بين صاحبنا وبيننا أحيانا . هو يدافع عن الشعوب العربية بما فيهم الشعب الليبي وأنا أذكره ببعض الجرائم التي ترتكبها ضمن سلسلة لا تعد ولا تحصى . هو يقدم التحليل والبرهان لبراءة هؤلاء بسرد أحداث التاريخ ، وأنا أصر "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" . هو يضع المسؤولية على كاهل العشرة بالمائة (أتباع السلطة والنظام) ممن يقودون بقية المجتمع لمعاني الخير والشر ، وأنا أضع اللوم على روح القطيع التي تنصاع إلى أسوأ أنواع التدمير والتخريب . ومن أقبح الأمثال ما جاء من وراء "البيت لساكنه" على لسان جاهل في ليبيا وما نجم عن إطلاق العنان للجموع الهادرة التي تملكته غريزة الغابة لتتلاهب على إنتهاك حقوق بعضهم البعض .

الأخطر من الخراب الذي حل هو خراب النفوس في عصر يكاد الظلام يغمسه كله وفي بيئة مغلقة لأجيال طوال عقود لم تخرج منها وتعرف الجانب الآخر من الدنيا كما عرفها وحكى عنها وعاصرها صاحبنا قبل الإنتقالات العسكرية .. أجيال أدارت ظهرها لكل ما يمكن أن ينقذ بلادنا من هذا الدرك الأسفل من الطباع والأخلاقيات . ولا أحد يدري إلى أين سيصل بنا المستقبل بسبب هذا النقص الحاد في الإدراك وعدم الصدق مع النفس والغير أو حتى القدرة على التمييز بين الحق والباطل .

وكان رد صاحبنا دوما :

انه وطننا

سواء كان على حق أو على باطل

فإن كان على حق فيجب التمسك بهذا الحق

وإن كان على باطل فيجب بذل التضحيات لردّه للحق

وهذا ما ظل نصب عينه عبر فصول حياته وجعله مثل أعلى يقتضى به . فلا بد ان يكون جزء من رسالتنا في الحياة كأفراد وشعوب وأوطان إتجاه الإنسانية جمعاء تطويع الواقع والسمو به إلى ما هو أفضل . فهل يسعنا تطويع الواقع والسمو به إلى ما هو أفضل ما لم يكن هناك صدق مع الذات كالصدق المطلوب في البحث والسعي والعمل والمعاملة!!!

كانت بعض تساؤلاتي له جامحة وكان صبورا متواضعا يستمع ويروض صراع الأفكار والعواطف الثائرة في صدري ويوجه بحكمته وبعد نظره وتجاربه لرؤية البعيدة للأمور ولما فيه الخير والصلاح . احدى التناقضات الموجهة التي طالما طلبت منه لها تفسير كيف انه كإنسان لم يتردد في النضال الوطني والقومي حتى في غياب السجون والمعتقلات قد أهدرت حقوقه من هؤلاء القوم . وهو من الجانب الآخر ، من واقع التجربة والممارسة ، لا زال يكرس حياته في الدفاع عن حقوقهم في شتى الميادين ، بما فيها الدفاع في الأمم المتحدة ومجلس حقوق الإنسان عن أرض فلسطين المحتلة ، في حين ان أرضه التي زرعتها وكل ما يملك تم إغتصابه من بنو وطنه . فالمؤلم في جوهر هذا الموضوع ليس المأساة على المستوى الفردي والصراعات الشخصية ولكن مأساة إنعدام الصدق مع النفس والغير في تقييم الخير والشر الذي وصل بمجتمعاتنا إلى الهاوية .

وهنا كنا أحيانا نواسي بعضنا البعض في حيرة مما يدور حولنا في غربتنا "فالمآسي والآلام لها شجون ويجر بعضها بعضا ، والإنسان المغبون الذي لا يجد لهذا الغبن سببا معقولا ، لا بد أن يتساءل ويلح في السؤال" ، كما جاء في الفصل التاسع عشر بعنوان : السؤال المحير - بقلمه :

"كان هناك تساؤل يراود صاحبنا بين يوم وآخر وباستمرار ملح منذ حوالي ربع قرن وكان صاحبنا لا يجد الإجابة الشافية المقنعة عن هذا التساؤل ، وكان في حيرة دائمة مما يدور حوله في هذا المجتمع وتقييم هذا المجتمع لمعاني الخير والشر .. ، حتى فاجأته ابنته في هذه الأيام الأخيرة بترديد نفس هذا التساؤل المحير والذي ربما أخرج أي إنسان عن هدوئه وتوازنه وربما دفعه ضعفه البشري

نحو التراجع عما آمن به من مبادئ كانت سلاحه الخلقى في رحلة هذه المغامرات التي تعرض لها في حياته...» .

لأنه كان صادق في إيمانه بالعدل المطلق كان يعلم علم اليقين أن في مثل هذه الحالات لا مكان إلا للعدل الإلهي حيث تكون فيه الإجابة عن تلك الأسئلة . قد يعتاد البعض علي إرتكاب الأخطاء الشائعة حتى يعتقد في صحتها ولكن تاريخ التجربة الإنسانية يؤكد أن "الألف لا ينفي الزيف" . وفي طريقنا الطويل لتحقيق مجتمع الحق والخير والعدل والجمال ، النجاة حتما في الصدق ومن أعلى العبادات أعمال العقل الذي قد حثنا القرآن عليه بالنظر والتفكير قائلا : ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس : 68] . ونعى الله عز وجل من عطلوا عقولهم عن التفكير خصوصا في مسائل الأخلاق فقال تعالى : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان : 44] ، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت : 43] ، ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر : 14] ، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۗ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام : 50] . وقال تعالى أيضا : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الزمر : 9] ، ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ [النجم : 40 - 39] ، ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة : 11] ، ﴿فَأَقْصِبْ قَلْبُكَ لِغُلَامِكُمْ الَّذِي يَبْتَغِي حِلْيَةً ۖ لَّيْسَ بِهَا شَيْءٌ ۚ وَتُكْفَرُ بِهَا وَيَكْفُرُ بِهَا ۚ وَلَمَّا طَوَّافًا عَلَيْهَا وَكُنَّ غُلَامًا فَأَخَذُوا مِنْهَا مَثَلًا خَيْرًا ۚ﴾ [التكاثر : 1-5] ، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَلَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَلَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَلَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ أَخْرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ﴾ [البقرة : 177] .

في الصفحات التالية لنتمتع ولنتعلم الأجيال القادمة من تفاصيل قصة الكفاح الرائعة لمغامرات هذا المخلوق من أيها الناس . بعد رحلته الحافلة بالأحداث والمواقف العظيمة في الحياة ، لينام صاحبنا في أحضان الملائكة مظلوم فهو لم ينم في حياته أبدا ظلما . وهذا ما أراه و ما أوصانا به . فلماذا أكتب عن الأوقات في حياته التي عانى فيها من الظلم والظلام الفادح ؟ هل لأن هذه هي الأشياء التي تطاردني ؟ هل أتمسك بتلك الأوقات والأحداث لأنها وسام شرف

لهويتي بعد رحيله ؟ تبقى لحظات إنتصار المبادئ الإنسانية والمثالية والتفائل معي ولكن يصعب سماعها وحتى التحدث عنها أو عن وطن كرامة وقيمة الإنسان فيه لم تصبح موضع أي اعتبار .

طوال فترة المعاناة حافظ صاحبنا على تلك الروح والأفكار السامية ولم يستسلم لواقع الظروف المريعة ، بل إزداد سعياً في نضاله الوطني والقومي والإنساني . هذه المثالية التي أنحو إليها بكل كياني جعلته حتى لفظ آخر أنفاسه العطرة يطلب إنشاء مدرسة بكل ما تبقى لديه لتربية الطفل اللببي على الصدق في القول والعمل والمعاملة . ولقد تبرع في الماضي بجزء من مزرعته لإنشاء مدرسة لأطفال الجيران ولا زالت هذه المدرسة أبوابها مفتوحة حتى لأبناء وبنات من إغتصبوا بيته ومزرعته . كما قال تعالى : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة : 269]. هنا يبرز فضل الحكمة والرشد في أن "اليد العليا خير من اليد السفلى" وأهدافه الموضوعية النبيلة لبناء مجتمع الحق والخير والجمال لا يمكن المساس بها من بعيد أو قريب تصرفات الآخرين الذاتية المتفجرة للقيم الإنسانية الأصيلة .

كان صاحبنا يحب المشي على الأقدام في مزرعته ظهر كل يوم بعد تناول وجبة الغداء مع أسرته وقبل عودته إلى مكتبه للعمل حتى ليلاً . وبعد عقود من الزمن في الغربة ، من الطابق السادس والعشرين ، لا تزال عينايا على كورنيش النيل تبحث عن أبي الذي استمر كعادته على المشي على الأقدام ظهراً حتى الأيام الأخيرة من نهاية حياته ، ولا زالت أذني تسمع غناؤه " يا دنيا يا غرامي .. يا دمعي وابتسامي .. مهما كانت آلامي .. قلبي يجبك يا دنيا "

إبتك التي تحبك للأبد في الله

د. حنان عبد الله شرف الدين

2019-4-5

مغامرات مخلوق من (أيها الناس)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مغامرات مخلوق من (أيها الناس)

مقدمة :

في كثير من الأحيان يتردد الإنسان في اتخاذ خطوة ما ، هل هذه الخطوة تستحق الذكر والإقدام عليها ، أو من الأوفق تركها ونسيانها؟؟؟ وهذا هو الذي حصل لكاتب هذه المغامرات ، والسؤال الذي كان يلح عليه ، هل هذه المغامرات جديرة بالتدوين؟؟ وهل يمكن الاستفادة من هذه التجارب؟؟ ألا يمكن أن يكون تقدير صاحبنا لهذه التجارب والمغامرات وتقييمها من حيث الجودة أو التفاهة هو غير تقدير وتقييم القارئ لها؟؟ أليس من الممكن أن يرى بعض القراء في صاحب هذه المغامرات نوعا من الغرور أو الادعاء أو حتى الإسفاف وبالتالي فإن لم يكن محل ازدراء فربما كان محل إشفاق ، الأمر الذي لا يرتضيه أي إنسان لنفسه؟؟ لقد فكر صاحبنا ألا يذكر اسمه في هذه المغامرات أو الإشارة إليه ، باعتبار أن هذه المغامرات هي ، على أي حال ، تجارب أي مخلوق في فترة معينة من التاريخ ، ويمكن الاستفادة منها لمن أراد الاستفادة ، ولا يهم ذكر من قام بها أو زاولها ، ولكن الحوادث والملابسات والوقائع ستسفر عن وجهه حتما شاء ذلك أم أبى ، الأمر الذي يجعل مثل هذه المحاولة مصيرها الفشل ، علاوة على ما يحيطها من مظاهر التواضع الذي مهما حسنت النية ، سوف يكون محل شك عند المتشككين .

والذي كان يقلق صاحبنا بصفة بالغة هو أن له أقارب متعددين في عائلة واسعة ، وهؤلاء الناس يتكوّنون من أنماط مختلفة ، ففيهم المتعلم الواسع الأفق وفيهم قليل التجارب ضيق الأفق ، كما فيهم المتشدّد الذي يرى كل حركة أو بادرة تبدر من البشر هي محل شك وقد يتهمها بان فيها مساسا بالدين والأخلاق ، وفيهم متفتح الذهن يتفهّم جوهر الدين وقواعد الأخلاق الصحيحة

مما ينتمون إلى الوسطية وروح التسامح ، وهؤلاء وهؤلاء جميعا سيتأثرون سلبا أو إيجابا ، بما كتب في هذه المغامرات باعتبار أن صاحبها قد تعرض للعديد من الحوادث والمشاكل في رحلة الحياة ، وقد عاجلها وخرج منها حسب تقديره واجتهاده ، وهذا الاجتهاد مهما كان صادقا ومخلصا فان الآراء ستختلف بشأنه حتما ، فما يراه بعض الناس خيرا وصالحا ، قد يراه البعض الآخر تهورا وفسادا ، وهنا تكمن الإساءة غير المقصودة لبعض هؤلاء الناس . وصاحبنا يحرص كل الحرص ألا يظلم أحدا من الناس سواء كان قريبا أو بعيدا . فما العمل؟؟؟

على أي حال فان الذي يعزي أي مخلوق بشري في هذه الحياة هو أن تصرفاته وأقواله مهما كانت صادقة ومخلصة ويراد بها الخير والصالح لا بد أن تلبسها بعض السلبيات ، قلت أو كثرت ، حسب الظروف والأحوال ، والبشر الذين لا يخطئون أبدا هم الذين لا يقولون أو يفعلون شيئا أبدا ، وهذا لا ينطبق إلا على الجماد أو الأموات ، وصاحبنا يعتقد أنه ليس هناك أي إنسان سوي يرضى لنفسه أن يكون جمادا أو ميتا وهو حي ، والله قد خلق المخلوق البشري حراً يختار قراراته وتصرفاته كما يشاء ، وكل ما في الأمر أن عليه أن يكون صادقا ويهدف إلى خير البشرية جمعاء ويتحمل مسؤولية ونتيجة قراراته وتصرفاته دنيا وآخره ولا يرمي بها على غيره ويترك جزاءه عند عدل السماء . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فان هذه الفترة التي زامنت هذه المغامرات والتي امتدت من أوائل القرن العشرين إلى أوائل القرن الحادي والعشرين قد لابستها الكثير من الآراء والأفكار والاجتهادات خصوصا فيما يتعلق بالمنطقة العربية ، التي يسمونها زورا وهبتانا ، منطقة الشرق الأوسط ، ومن الطبيعي أن يكون لصاحبنا أفكاره وآراؤه واجتهاداته في هذا الخصوص ، ربّما تعارضت أو حتى اصطدمت مع آراء واجتهادات الآخرين ، وهنا يجب لصاحبنا أن يقرر أنه لم يضم ولن يضم أيّ حقد أو شر لمن اختلف معهم في الرأي أو الاجتهاد إلا إذا كان هذا المخالف ينطلق من غايات شريرة للبشرية جمعاء ، فقد كان صاحبنا ينطلق دائما من ذلك المبدأ المضيء الذي قاله الإمام أبو حنيفة ، على ما يذكر ، طيب الله

ثراه ، وهو : "علمنا هذا رأي فمن جاءنا بخير منه قبلناه" ، والآخر الذي يقول :
"رأينا صواب يحتمل الخطأ ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب" . والذي يحزّ في
النفس ويؤلمها ويدميها أن الكثير من الناس في منطقتنا العربية أصبحت لا تطبق
الرأي الآخر ، بل هو القتل والتعذيب والتشريد ، الآتي خصوصا من حكامنا
وقادتنا ومن يدورون حولهم من منافقين ومتسلّقين وغوغاء ، ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم .

القاهرة في صيف 2005

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مغامرات مخلوق من (أيها الناس)

قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ .

الفصل الأول

مرحلة الطفولة

أنه أحد ملايين الملايين الملايين من الناس ، أخبرته والدته أنه عندما بلغ السنة الثانية كانت تضع مادة مرة على ثديها لتروضه على الفطام وعدم الاستمرار في الرضاعة ، وهو يذكر جيدا أنه كان يمسح بيده تلك المادة المرة لكي يستمر في الرضاعة ، هل يمكن لإنسان أن يتذكر حوادث حصلت له وهو في سن الثانية؟! الحادثة الثانية التي يذكرها أنه كان في حوالي السنة الثالثة من عمره وفي جلسة عائلية بالمربوعة يبدو أنه قام بحركة غير لائقة فنهره أبوه بشدة فخرج إلى وسط المنزل وهو يبكي ممسكا بشباك الدار الشرقية ، كما يذكر ذلك جيدا ، وكان يتوقع أن يلحق به أحدهم لاسترضائه ، واستمر في البكاء بشدة إلى حد الصراخ ، وبالرغم من الألم الشديد الذي كان يشعر به في حلقه من هذا الصراخ المتواصل ، فانه لم يتوقف عن هذا الصراخ حتى اضطرت أمه أخيرا لاسترضائه ، هل يدل ذلك على العناد الشديد الذي كان في تكوينه؟؟؟! والحادثة الثالثة التي يذكرها وهو في هذه السن كانت بمناسبة عيد الفطر حيث كان الأطفال يلبسون الملابس الجديدة ويلعبون ويمرحون ، ولا يدري كيف خطر لأطفال ثلاثة هو من بينهم أن يلعبوا لعبة العريس والعروس ، وبالرغم من سذاجة الطفولة وبراءتها فقد وبخ توبيخا شديدا من والده على هذا التصرف!! وفي هذه السن أيضا يذكر جيدا أنه كان يلعب لعب الأطفال أمام دكان والده ، وكان الوقت بعد العصر وقبل المغرب ، حيث حضر أحد البحارة من أصدقاء الوالد يقال له علي دمة ،

بالرفع والنصب ، كان معروفا في زاوية الدهماني بطيبته ورجولته ، ويبدو أن علاقة هذا البحار بالوالد علاقة وثيقة تسمح بأن يأخذ هذا الطفل في غمره ويذهب به في اتجاه منطقة سيدي بن جابر مسافة حوالي أربعمئة متر حيث توجد خمارة في مرتفع قرب ذلك الولي الصالح يقال لها خمارة "ديقورو" وهناك جلس ذلك البحار المشهور وأجلس الطفل بجانبه وطلب لنفسه كأسا كبيرة ضخمة يسمونها "الشراوية" من عصير النخيل يقال له "اللاقي" كما طلب وهو يضحك في سرور بالغ كأسا أخرى لضيفه الصغير الذي كان مبهورا بما يجري حوله في هذه الخمارة وهؤلاء الناس المنتشرين في أركانها ، بعضهم يغني بتلك الأغاني اللبسية السائدة في ذلك العصر السحيق ، والبعض كان يرددش مع رفاقه في حيوية ومرح وسرور ، وتلك الكؤوس الضخمة بين أيديهم وشفاهم ، وصاحبنا يذكر جيدا أنه اخذ أكثر من رشفة من تلك الكأس الكبيرة ولكنه لا يذكر الآن ما كان أثر ذلك عليه عندما أرجع إلى دكان والده وهو في غمر ذلك البحار العظيم . على أي حال عندما شبّ هذا الطفل قد تعرّف على "علوابة ديقورو" وكان يزورها أحيانا إحياء لذكرى عمّه دمة !!!

في سن حوالي الرابعة ادخل إلى الكتاب الذي يبعد عن بيته ببضع خطوات هو كتاب الفقيه الصادق زغوان كان رجلا وقورا في سن حوالي الخمسين يزين مكان جلوسه في صدر القاعة ، الفلقة وعدة عصي بأحجام مختلفة منها القصير ومنها متوسط الحجم ومنها الطويل الذي يلاحق بها الأطفال البعيدين عن مجلسه ، أما الفلقة فهي عبارة عن خشبه غليظة مستديرة متوسطة الطول بها حبل قصير في الوسط ، توضع أقدام من ترمي به الأقدار وسوء الحظ في غضب وقسوة سيدنا الفقيه ويقوم صبيان بامسك طرفي الفلقة و ليها حتى تمسك بأقدام ذلك التعس بشدة ويقوم ذلك المربي الصارم بضربه بإحدى تلك العصي المكوّمة خلفه من عشرة إلى عشرين ضربة وفي بعض الأحيان يصل الضرب إلى الخمسين !!! المهم أن هذا الطفل أعطي لوحا في حجم الكف مرتين وكتب له فيه ذلك الفقيه الصارم ، بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، ليحفظها طول اليوم ويكررها للفقيه في المساء ، وفي اليوم التالي يكتب الرحمن الرحيم .. وهكذا حتى إتمام السورة .

وفي أيام الكتاب حصلت حادثة يذكرها جيدا ولا يدري لماذا بقيت عالقة في ذهنه حتى الآن . تتلخص هذه الحادثة هو أنه كان يجلس في قسم الأطفال الصغار ولا يدري كيف وجد نفسه يعبث بعضوه التناسلي وكأنه في غيبوبة ، ربما كان يزيل آثار نهشة من نهشات حشرة من الحشرات التي يمتلئ بها ذلك الكتاب ، وفجأة وجد كل من في الكتاب ينظر إليه ، كبارا وصغارا ، ومن حسن حظه أن فقيه الكتاب كان غائبا في ذلك الوقت ، حيث من الممكن أن يتعرض للضرب المبرح ، المهم أنه شعر بالخجل الفظيع ، وربما كان هذا الحادث المؤسف أحد الأسباب لانقطاعه عن الكتاب وانتقاله إلى المدرسة .

هو لا يذكر إذا كان انتقاله بعد هذا الحادث المؤسف مباشرة أو بعد سنة أو أكثر ، كل ما يذكره هو أن شقيقه الذي كان يكبره بثلاث سنوات أخذه من يده إلى مبنى كبير يبعد عن بيتهم بحوالي ألف متر ، وقيل له هذه هي المدرسة التي ستتظم فيها ، مبنى كبير نظيف به الكثير من الشبابيك ، وجد نفسه في ذلك الصباح في حجرة مستطيلة حوالي سبعة في خمسة أمتار وبها شباكان كبيران وبها حوالي عشرين طفلا من سنه ، إستوحش الموقف في بادئ الأمر ثم سرعان ما انسجم مع رفاقه الجدد . وكان معلم هذا الفصل هو الشيخ أو الأستاذ أحمد علي المجرب ، يلبس البدلة الإفرنجية والطربوش ، لا زال يذكره جيدا حتى الآن ، إنسانا تتمثل فيه روح الإنسانية وبهاؤها وطبيعتها وهو يحقق معنى المعلم والمربي بجميع أبعادها ، حنونا ودودا مع الأطفال في غير ضعف وشديدا في غير عنف ، فكانت عبارة التعنيف الوحيدة التي يرددها باستمرار هي كلمة "كوباك ؟!!" لعلها كانت كلمة تركية المنشأ ، المهم أن هذا الطفل لا يذكر الآن إن كان أحب أو كره هذه المدرسة في ذلك الوقت ولكنه يذكر جيدا أنه أحب هذا المعلم ، ولم يلبث إلا بضعة أيام حتى أعطى كتابا جديدا فيه الكثير من الصور التي حركت خياله المتحفز ، فكان لقاءه بأول كتاب لقاء محبة وصداقة استمرت معه حتى يومنا هذا . كان سنه في ذلك الوقت حوالي الخامسة في سنة 1931 وكان يدرك ما يدور حوله بحاسة محللة ناقدة ، وبالتالي فقد لفت نظره أن زميله في المقعد ويقال له عز الدين البسكري ، كان يأتيه والده كل يوم من شباك الفصل

حوالي العاشرة أو الحادية عشر حاملا معه سندويشا من التونة أو الجبن ، إن والد هذا الطفل كان أحد مبشري المدرسة وبالتالي فمن السهل عليه أن يأتي إلى ابنه كل يوم بالسندوتش ، والمقارنة التي لاحظها صاحبنا ليس في الحضور إلى شباك الفصل بالساندويتش ولكن في هذا الحنان والاهتمام الذي يبديه والد زميله نحو ابنه الصغير ، الأمر الذي كان يفتقده صاحبنا من والده خصوصا أنه قد لاحظ أن أكثر زملائه من الأطفال كانوا يحضرون معهم في الفصل بعض المأكولات الخفيفة أو الفاكهة وهو لا يملك إلا أن ينظر إليهم ويتحسر على نفسه حيث عليه أن يبقى يتضور من الجوع حتى رجوعه إلى البيت بعد منتصف النهار ، وأحيانا كثيرة يكون الغداء ليس جاهزا وعليه الانتظار بعض الوقت ، فإذا طلب من السيد الوالد قطعة خبز من الدكان كان التوبيخ نصيبه والإشارة إليه بأكل التمر !!! حادثة أخرى لها ارتباط بهذا الخصوص وهي أن أفراد الأسرة كانت تجتمع في الصباح الباكر على كأسين صغيرين من كؤوس الشاي الأحمر مع قطعة صغيرة من خبز المنزل ، وهذا ما تعارفت عليه هذه العائلة الكريمة بإفطار الصباح ، فالقهوة والحليب شبه محرمة علينا حسب تعليمات الوالد العجيبة ، وصاحبنا لا زال يذكر ، وهو في هذه السن ، أنه إذا انتهى من الكأس الثاني المخصص له من الشاي ولا زال في يده بقية قطعة خبز فطلب إلى شقيقته الكبرى التي تتولى تهيئة الشاي وتوزيعه ، بإعطائه كأس آخر ليكمل به قطعة الخبز الباقية في يده ، رفضت هذه الشقيقة بإصرار تزويده حتى بقطرة واحدة أخرى من الشاي!!! ولا شك أن ذلك حسب التعليمات الصارمة التي يصدرها الوالد العظيم !!! وصاحبنا الآن يملؤه الاستغراب كيف أننا الآن نبذل المجهودات وجميع الإغراءات لكي نقنع أطفالنا بشرب الحليب المحلى وأكل البسكويت وأنواع المأكولات الأخرى المغربية والمتنوعة ، وهم يرفضون ما نقدمه لهم بإصرار عجيب !!! مما لا شك فيه أن هذه المواقف التي نعيشها الآن وتلك المواقف التي عشناها في ذلك العصر السحيق لها دلالتها ومعناها لمن أراد أن يتدبر الأمور ، فمعاملة الأطفال بشيء من الحزم والصرامة في الحدود المعقولة هل هو الأصوب في تربيتهم من هذا التذليل الذي يفوز به أطفال اليوم والذي يؤدي بهم في الغالب

إلى الرخاوة وإلى عدم المبالاة؟؟ وهل هذه المواقف من الوالد وتعليماته الصارمة ليس بخلا أو عدم اكتراث أو حنان ، بل هي قواعد تربوية لصالح أطفاله كما يعتقد أو كما تعلمها من أبيه وجده؟؟ لعلماء النفس والتربية أن يجيبوا على هذا السؤال .

انتهت السنة الأولى من الدراسة وسلم صحيفته وكانت أرقامها جيدة جدا ، ولكنه لم يلتفت إلى هذا وكذلك الوالد والأسرة لم يشعر أن الأمر يعينهم لهذه النتيجة . لا يدري كيف قضى الإجازة الصيفية ، وفي أول أكتوبر 1932 وجد نفسه في السنة الثانية المدرسية . المدرسة قد تغير مكانها ، بعد أن كانت في الظهرة مقابل كنيسة الظهرة تحولت إلى منطقة فندق دورار أي قرب سيدي ابن الإمام ، وفي السنة الثانية أعطي كتبا جديدة ، عربيّة وإيطالية ، فرح بها إنما فرح خصوصا كتاب القراءة الذي يسمونه القراءة الرشيدة ، هذا الطفل وجد نفسه يقرأ بسهولة في هذا الكتاب ، كان معلمه في هذا الفصل هو الشيخ الدهماني ، يرتدي اللباس الوطني ، مربوع القامة مع ميل إلى السمنة ، ابيض البشرة ، مع احمرار ظاهر في الخدين ، وكان أكثر شدة من معلمه الأول الشيخ احمد علي المجرب ، ولكن على أي حال لا ينقصه الحنو والرفقة بالأطفال . وكان صاحبنا قد تميز تميزا ظاهرا في إتقانه للقراءة ، وقد لقي كل التشجيع من هذا المعلم الأمر الذي دفع بهذا الطفل إلى حبه للقراءة ، وكان أول لقاء له بغير كتب المدرسة هو كتاب الله ، فكثيرا ما كان يمسك المصحف ويبدأ في تلاوة بعض السور بصوت عال الأمر الذي لفت إليه نظر والده فصار يناديه إلى الجلوس في ركن من أركان الدكان ويطلب إليه تلاوة سورة يوسف ، فصار هذا ديدانه ، الجلوس في ذلك الركن وتلاوة سورة يوسف ، وكان صوته رخيما حنونا باعتباره صوت طفل من الأطفال ، الأمر الذي لفت إليه بعض جيران الدكان يستمعون إلى هذه التلاوة الحنونة ، وكان ابرز هؤلاء السيد الحاج بشير زغوان ، من أثرياء زاوية الدهماني ، فكان يحضر للاستماع وكثيرا ما كان يصلح لهذا الطفل بعض أخطائه في التلاوة ، ولكن لم يكن يغيب عن هذا الطفل أن من يستمعون إلى تلاوته سواء والده أو أفراد أسرته أو الجيران ، كانوا يستمعون بكل قلوبهم وأرواحهم ،

ولا شك أن مثل هذه المواقف زادت في تشجيعه على القراءة لكتب أخرى غير المصحف القرآني ، وأول ما وقع في يده لا يدري كيف ، هو قصة الحسن والحسين . وهنا يجب أن يذكر أن أكثر جلوس العائلة كان في المربوعة التي تفتح على دكان الوالد ومنه إلى داخل المنزل بحيث يكون الوالد في دكانه وهو في الوقت نفسه مع الأسرة في المربوعة . كانت اغلب جلسات الغداء في هذه المربوعة بحيث يجتمع أفراد الأسرة على إناء كبير يأكلون سوياً ، أما الوالد فله إناءه الخاص يوضع له على منضدة صغيرة وهو يجلس على كرسيه عند فتحة المربوعة على الدكان ، وبعد الغداء تقوم شقيقته صالحة التي تكبره بحوالي عشر سنوات بتهيئة الشاي من ثلاثة أدوار للوالد والأسرة ، وهنا يقوم صاحبنا بقراءة قصة الحسن والحسين ، وكانت هذه القصة مثيرة جداً وبها الكثير من المآسي والآلام وما تعرض له الحسين وأسرته في كربلاء على يد يزيد بن معاوية وجنوده ، فكان هذا الطفل يقرأ ودموعه تبلل خديه وكذلك كل من في المربوعة يبكي لهذه المأساة الأليمة المحزنة ، الإنسان الوحيد الذي لم يكن يبكي هو والده ، ربما لكونه أكثر عمقا وتفهما للحياة من الجميع ، وعلى أي حال إن هذا الطفل لم ير والده يبكي طوال حياته ، مرة واحدة وهي عندما اشتد به مرض الشلل وقبل وفاته بأيام قليلة عندما لم يستطع الحركة وجاء هذا الابن لنقله من مكان إلى آخر ، في هذه اللحظة غلبت على هذا الرجل الشامخ نفسه فطفت دموعه ، وكان لهذا الموقف تأثير فظيع على هذا الابن . عندما انتهت قصة الحسن والحسين ، وفي نفس جلسة المربوعة قرأ هذا الطفل للأسرة قصة الحسن البصري أو مغامرات هذا العراقي من مدينة البصرة وتعرضه لمؤامرة ذلك الدجال الفارسي ثم وقوعه في حب جنية الجزيرة ، إلى آخر تلك الخرافة المثيرة !!! ثم قصة رأس الغول وهي تتحدث عن فتح الإسلام لأراضي اليمن ، ثم قصة علمية ظريفة هي قصة الجارية تودد ، وتغلبها ، علما وثقافة وذكاء ، على علماء وفطاحل ذلك العصر العجيب ، ثم كتاب ألف ليلة وليلة ، وهكذا الكتاب وراء الكتاب .

في أثناء تواجد صاحبنا في الفصل قبل انتهاء السنة الثانية بقليل لاحظ أن أحد زملائه وكان يكبره بسنة أو سنتين كان يحمل ساعة في جيبه الأمر الذي أثار

فضوله ، آلة صغيرة معقدة تدق دقات رتيبة وبها ريش يسمونها عقارب تتحرك باستمرار ، فأعجبت هذه الآلة الصغيرة وتمنى أن يكون له مثلها . والصدف العجيبة جعلته وهو في دكان أبيه يعثر على مثل هذه الآلة بين الأشياء التي يحتفظ بها الوالد في الدكان .

كان من اللازم أن يذكر أن أكثر أوقات فراغه كان يقضيها في دكان والده لإحساسه الغامض أن والده كان يؤثره بشيء من التقريب الخاص ، حتى أنه في كثير من الأحيان عندما يذهب هذا الوالد إلى المدينة يطلب إلى الوالدة أن تلبسه ملابس نظيفة ليذهب مع والده إلى المدينة ، وكان هذا الأمر يحصل باستمرار . المهم أن هذا الطفل قد طلب إلى والده أن يعطيه هذه الساعة ، وتشبّث بهذا الطلب بطريقة عجيبة ، فقال له الوالد ، وربما ليصرفه عن هذا التشبّث والإلحاح ، انك إذا حفظت جزءا من القرآن سأعطيك هذه الساعة أو ساعة مثلها ، وبالتحديد لو حفظت جزء عمّ فهي لك . إن الرغبة العارمة للحصول على الساعة جعلته يترك كل شيء ، لعب الأطفال أو أي مشاغل أخرى وعكف على جزء عمّ ليلا نهارا السورة وراء السورة ، ولم يمض إلا أسبوعين أو ثلاثة إلا وقد أتم حفظ ذلك الجزء عن ظهر قلب وإتقان ، وجاء إلى والده لامتحانه ، وقد تم هذا الامتحان بنجاح باهر ، سئل في عدة سور وفي أجزاء من السور من فاتحة الكتاب إلى سورة عمّ ، وانتظر أن والده يوفي بوعده ويعطيه تلك الساعة ، وأجبر أمّه أن تحيط له جيبا صغيرا في السديري الليبي الذي كان يلبسه ليضع فيه الساعة الموعودة ، ولكن الوالد لسبب أو لآخر صار يسوف في تنفيذ وعده ، ربما لان الطفل صغير ولا يعرف كيف يستعمل الساعة أو حتى كيف يحافظ عليها ، وصار التسويف من يوم إلى يوم ومن أسبوع لأسبوع علّ هذا الطفل ينسى ، ولكن هذا الطفل لم ينس أبدا ، وصدمة صدمة كبيرة مزلزلة ربما قلبت حياته رأسا على عقب ، وهو في تلك السن المبكرة. كيف يوعد من والده هذا الوعد المقدس ويخلف الوالد وعده؟!؟؟ هذه الحادثة كانت لها آثار وأبعاد عميقة في حياته وربما كانت لها تفاعلاتها السيئة وربما المدمرة في نفسيته ، رحم الله الوالد ، بالتأكيد أنه لو كان يدرك هذه النتائج المدمرة على مخالفة الوعد وآثارها السلبية على نفسية اقرب الناس إليه لما وقع في هذا الخطأ الخطير .

نحن الآن في صيف 1933 وقد اعتاد الوالد أن يأخذ أولاده كل صيف في رحلة طويلة على شواطئ البحر ، يسمونها زردة الصيف ، هذه الرحلة تستمر من أسبوعين إلى ثلاثة ، يأخذ أولاده وبعض أصدقائه منهم الشاعر الشعبي أحمد زريقات والوجيه محمد بن زقلام في قارب متوسط الحجم حوالي سبعة أو ثمانية أمتار يسمى الصندل أو الدغيسة ، نرحل بالشرع في طريق الشواطئ الغربية من مدينة طرابلس ، وذلك بعد أن نجتاز فتحة صغيرة في الجزء الغربي من ميناء طرابلس تسمى "عين البيرة" - وقد سميت بهذا الأسم لضيقها ، فهي عبارة عن نفق في البحر تحت مباني الميناء خصّصت لخروج أو دخول قوارب الصيد من الميناء - وهكذا السفر بالشرع ، نبيت كل ليلة في مرسى من المراسي ، شاطئ الغردقة ثم جنزور ثم شاطئ الزاوية الذي يقال له مرسى ديلة حيث "الرقوبة" وهذه المرسى يقع مدخلها بين جبلين كل جبل منهما يزيد ارتفاعه عن المائة متر ، والمدخل من الضيق بحيث لا يمكن أن يمرّ خلاله أكثر من قارب واحد ، أما "الرقوبة" الواقعة أعلى أحد الجبلين فهي عبارة عن غرفة دائرية مكونة من الأحجار الضخمة وبها فتحة صغيرة للمراقبة ، تقع في مدخل المرسى المذكور ، كان يستعملها الجيش العثماني لمراقبة البواخر الحربية المعادية ، والذي يبدو أن هذه المرسى كانت إحدى المراكز الحربية للبحرية العثمانية ، ثم بعد هذه المرسى الخطيرة تقع مرسى الميدة أو الحرشة ، وهكذا من مسافة إلى أخرى والتي يسميها البحارة "الحملة" وهي مسافة بحرية تصل إلى حوالي خمسة كيلومترات ، بأسماء غريبة من مثل الرأس الأحمر ، وهو عبارة عن خروج أرضيا في البحر من الرمال الصحراوية الحمراء ، ثم الرأس الأسود وهو خروج أرضي من الجبال السوداء ، ثم "اقصاع البازين" وهي عبارة عن جزر صغيرة على الشاطئ كل واحدة منها تشبه قصعة البازين ، ثم "ملعب العبيد" عبارة عن نتوءات متعددة في الجبل يجبل للرائي كأنها مجموعة من السود يلعبون ويرقصون ، وهكذا وهكذا... حتى نستقر في شاطئ صرمان الذي يقال له جزيرة الماء الحلو ، حيث أن بئرها يستحق هذه التسمية ، وأمام هذه المرسى توجد جزيرة صخرية صغيرة حوالي عشرين في عشرين مترا ، وبالتالي سميت هذه المرسى باسمها ، وهذا الشاطئ صخريّ

الطابع في جانبه الشرقي ويتميز بوفرة سمك الفروج الصخري ذو اللون الأحمر البني المتميز الطعم والذي يسميه المصريون الوقار ، هذا وأن للوالد صديق يعيش في هذه المنطقة وله مزرعة كبيرة بها ، هو الحاج عبد الجليل العقبي ، المهم إننا نعيش في هذه المرسى عيشة شبه بدائية ، نجعل من شراع القارب شبه خيمة ونفترش الرمال ونلتحف بنجوم السماء ، وأكلنا هو ما نصطاده من أسماك وهي في الواقع كميات كبيرة وضخمة ، عيشة بدائية ولكنها لذيذة ورائعة وفيها كل المعاني العميقة للإنسان العادي ، وصاحبنا لا زال يذكر وهو طفل صغير كيف ينزل إلى البئر الكائن في تلك المرسى بثلاث أو أربع درجات لي جلب الماء من ذلك البئر الذي بالرغم من حلاوة مائه تسود صفحته الصراير والخنافس الميتة ، وهو يستغرب الآن كيف لا يصيب القوم أي نتائج مضرّة من هذا التلوث الضار والظاهر للعيان في الماء الذي يتناولونه يوميا من ذلك البئر !!! ، وصاحبنا لا زال يذكر أيضا أنه كان يجوب ذلك الجزء من الشاطئ الجانب الغربي الرملي منه الممتد لمسافات طويلة تزيد على الألفي متر بمفرده فشهد ما يشبه الجثة المتحللة على الشاطئ فخيّل إليه أنها جثة غريق متحللة ، فأسرع إلى والده يخبره بذلك ، الأمر الذي دعي القوم إلى أن يهرعوا إلى المكان ، ولكن تبين أن ذلك الجسم المتحلل هو بقايا سمكة كبيرة متحللة وغارقة في رمال الشاطئ ، على أي حال فإن هذه الرحلات الصيفية العجيبة هي بالنسبة لنا كأطفال نفرح بها وننتظرها بالرغم ما بها من مخاطر أحيانا ، خصوصا عندما تشتد الرياح ويهيج البحر ، وما نعانيه أحيانا من دوار البحر وآلامه المبرحة أثناء رحلات القارب الشراعية ، هذا الطفل لا يدري إن كان والده يقصد أن يمر أولاده بهذه التجارب وما فيها من أبعاد عميقة ودروس قيمة أو أن الأحداث تفرض نفسها والسلام؟؟ ذلك أنه ليس من الطبيعي أو المعتاد في الأوساط الليبية أن يقفل إنسان دكانه ومحل تجارته لمدة أسبوعين أو ثلاثة أسابيع كل صيف لمجرد الفسحة والترفيه على النفس ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن هذا الدكان باعتباره محلا لبيع التبغ لا يجوز له القفل كل هذه المدة إلا بترخيص من مؤسسة تجارة التبغ الحكومية ، وبالتالي فلا بد للوالد أن يتحصل على هذا الترخيص قبل القيام بهذه الزردة السنوية الخطيرة .

في هذا الصيف ، صيف 1933 ، وفي هذه الرحلة أو الزردة وقبل الرجوع بيومين أو ثلاثة أصيب هذا الطفل بمرض في عينيه ، وبدل أن يأخذوه إلى الطبيب ، حاولت الأسرة علاجه بطريقتهم بالأدوية الشعبية المعروفة لديهم ولكن دون جدوى ، وفي آخر الأمر رأت الأسرة والوالد لا بد من العلاج بالنار وكما يقولون آخر الدواء هو الكي ، وهي طريقة كانت معروفة في الأوساط الشعبية في ذلك الوقت ، إذ يصفون هذا المرض بمرض النباتة الذي لا علاج له في نظرهم إلا بان تكوى جاني العين بالنار!! المهم احضروا هذا الطبيب الشعبي إلى المربوعة حيث أوقد الفحم في الكانون حتى صار حمرا احمر ووضع فيه سيخا صغيرا من الحديد حتى صار احمر والمفروض أن يوضع هذا السيخ الأحمر في جوانب العين من اليمين ومن الشمال وبهذا التصرف المهول يتم العلاج . هذا الطفل رفض هذه العملية الخبيثة ، حاولوا معه بجميع الطرق والإغراءات ولكنه رفض بكل شدة ، وعندما شعر أنهم سيجبرونه على ذلك هرب من البيت ولم يعثروا له على اثر ، ولم يرجع حتى اقساموا له بالأيمان المغلظة أنهم لن يجبروه على هذه العملية الخطيرة . في اليوم التالي أو الذي بعده أخذه والده إلى أحد الأطباء المشهورين بعلاج العيون ، كان يسمى الطبيب عريف ، وشاءت الصدف العجيبة أو الأقدار الحاكمة أن يكون هذا الطبيب غائبا في ذلك اليوم وربما قيل أنه مسافر ، لا يدري هذا الطفل لماذا لم يكرر والده المحاولة مرة أخرى بعد يومين أو ثلاثة لعل يكون هذا الطبيب قد رجع من سفره إلى عيادته . المهم أن هذا الطفل قد شفي من مرضه بعد أيام قليلة ، ولكن هذا المرض خلف له غمامة صغيرة بيضاء على عينه اليسرى بحيث لم يعد يرى بها شيئا ، لا شك أن الأسرة جميعها قد تأثرت تأثرا بالغا لهذه النتيجة المأساوية ولكن أحدا لم يفعل شيئا لمتابعة هذا الموضوع واستمرت مع هذا الطفل مأساته التي كانت لها ردودها الخطيرة لسنوات وسنوات ، حيث أصبح يشعر أنه صار إنسانا آخر ينادونه أطفال الجيران بتلك العبارة المدمرة التي تشير إلى عينه المشوهة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

نحن الآن في أوائل سنة 1934 وكانت السلطات الإيطالية الحاكمة في البلاد تستعد للهجوم على الحبشة . كان هذا الطفل في السنة الثالثة الابتدائية ، وكما

يقرأ العربية جيدا كان يقرأ الإيطالية جيدا أيضا باعتبار أن جميع المدارس في ذلك الوقت تدرس اللغتين العربية والإيطالية ، وحيث أن بعض الجيران كانوا من الإيطاليين فكان هذا الطفل يختلط بأطفالهم ، وبالأخص هذه الأسرة الإيطالية العجيبة ، فالأب والأم والأولاد ، الكل يتكلم اللهجة الليبية كما يتكلمها الليبيون ، والأولاد كما يذكرهم صاحبنا جيّدا ، لوتشانو وأرماندو ، وكارلو الذي كنا نناديه باسم ميلود ، لا يختلطون إلا بالأطفال الليبيين ، وصاحبنا لا يذكر لماذا أخذ كارلو أو ميلود ، هذه التسمية الليبية ، ربّما لأنه يوجد بزقاق الكعامي ، حيث هذه الشلّة الطفولية ، طفل ليبي يشبه إلى حد ما صديقنا كارلو ، وأمّ هؤلاء الأطفال الإيطالية كان إسمها جيّمّا ولكن أهل الحيّ كانوا يسمونها إسما ليبيا هو انجيما وهي لا تزور إلا جاراتها الليبيات ، وكانت هذه الأسرة هي أوّل من كان له راديو في بيته في منطقة زاوية الدهماني ، وصاحبنا لا زال يذكر كيف أن ربّ هذه الأسرة الكريمة يفتح الراديو بصوت عال علي محطة القاهرة عند تلاوة الشيخ محمد رفعت ، فكان الصبيان والرجال يتجمعون تحت شبّك هذه الأسرة للاستماع إلى هذه التلاوة ، حتّى إن بعض أهالي المنطقة يتشككون أن ربّ هذه الأسرة الإيطالية قد أسلم ويخفي إسلامه ، والواقع المعروف عن هذا الرجل الذي يدعى المارشال تركيا أي الصول تركيا كان قد أسره المجاهدون الليبيون عند الغزو الإيطالي ليبيا وقد بقى في الأسر عند المجاهدين بضع سنين فتعلم اللغة العربية واللهجة الليبية بالذات فنشرها بين أسرته ، ويبدو أن القوم قد أحسنوا معاملته فكان يحمل لجيرانه الليبيين هذا التراحم وهذه المودّة . وكانت هذه الأسر الإيطالية تزود أطفالها ببعض المجالات المخصصة للأطفال وهي تحتوي على قصص مثيرة بالرسوم والألوان ، فكان صاحبنا يستعير هذه المجالات الخطيرة من أصدقائه الأطفال الإيطاليين ، وهو يذكر أن من بين هذه الروايات رواية جوردن تتحدث عن شخصية علمية تقتحم الفضاء والكواكب بصواريخ عجيبة ومغامرات رائعة وهو ما يسمى الآن بالخيال العلمي ، كذلك بعض هذه المجالات تتحدث عن الساحر مندراكي ، أو مغامرات الفار توبولينو أو مغامرات الصبيين اتشينو و فرانكو في أفريقيا

أو مغامرات الكابوي في تكساس ، وهكذا وهكذا ... ، هذا الطفل كان غارقا في هذه المغامرات المختلفة ، وهذا ما جره بعد ذلك إلى السينما. كان أحد أبناء عمه الكبار قد اخذ بعض أطفال العائلة وهو من بينهم إلى السينما ، ومن ذلك الوقت ارتبط ارتباطا كاسحا بهذا الجو السينمائي الذي يتفق مع تغذية خياله الجامح شديد الإتساع وما سوف يجره عليه من مغامرات يكاد لا يصدقها العقل !! هو يرغب رغبة طاغية في الذهاب إلى السينما متجاهلا صغر سنه وعدم إمكانية ذهابه بمفرده بدون راع لطفولته ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن السينما في ذلك العهد لا تفتح أبوابها إلا بعد المغرب ، والقاعدة في الأسرة أن جميع الأطفال يجب إن يكونوا في البيت عند المغرب ، فما هو الحل؟؟

أنه لو طلب الإذن من والده أو من الأسرة فليس هناك من يستمع إليه ، بل يمكن أن يعتبروه مجنوناً أو أضحوكة يستهزأ بها ، وإذا غامر وذهب بدون إذن أو حماية ، فمن يحميه في شوارع وليل المدينة؟؟ وكيف يمكن أن يرجع إلى البيت والفيلم السينمائي لا ينتهي إلا بعد صلاة العشاء حيث تكون الأسرة قد هيأت نفسها للنوم؟؟ وكيف يفلت من عقاب والده الصارم الذي ليس فيه أي شفقة أو رحمة؟؟ ولكن في الوقت نفسه كيف يستطيع أن يقاوم هذه الرغبة الملحة الطاغية التي تكاد تهزه هزاً؟؟ كيف يمكن أن يفوته مشاهدة فيلم طرزان ومغامراته في الأدغال والغابات مع رفيقته جين والقرودة شيتا ، أو أفلام تومكس وصراعه مع الخارجين على القانون في تكساس واللعب بالمسدسات والانشوطة وجر الأعداء بها؟؟؟

كان هناك فيلم من الأفلام التي يحبها ويعشقها معلن عنه وهو فيلم طرزان ، وبالتالي قرر أن يغامر ، وذهب إلى السينما متناسيا كل العواقب والأحوال التي يمكن أن يتعرض لها بسبب هذه المغامرة ، صرف التذكرة ببعض القروش التي لديه ، وأطفأت الأنوار شاهد الفيلم واستمتع به كل الاستمتاع ، ولكن الفيلم انتهى وأشرقت أنوار القاعة وخرج إلى الشارع الذي يسوده الظلام ولا بد له أن يقطع المسافة إلى زاوية الدهماني التي تتجاوز الثلاث كيلومترات على قدميه يحيطه الظلام والأفكار السوداء فيما سوف يواجهه بعد حين ، وصل إلى

البيت ، كان دكان والده مقفلا ، فالوقت بعد صلاة العشاء بما يزيد عن النصف ساعة ، وقف أمام باب المنزل يفكر كيف يخرج من هذا المأزق؟؟!! كانت إحدى الآمال أنه لو طرق الباب طرقا خفيفا ربما خرجت والدته لفتح الباب دون أن يعلم الوالد ، ولكن هذا الأمل مستبعد استبعادا تاما ، ففي هذا الليل لا يخرج لفتح الباب إلا الوالد ، وهنا الكارثة ، وقف أمام الباب مترددا فترة تزيد عن الربع ساعة ، ومرور الوقت ليس في صالحه ، إذ بذلك تزداد ضخامة الجرم ، أين يذهب في هذا الليل وفي هذه الساعة المتأخرة نسبيا حسب تقاليد البلاد في ذلك الوقت؟؟ هل يذهب إلى بيت خالته أو بيت أحد أعمامه؟؟ إنهم في هذا الوقت لا بد أن يكونوا نائمين ، ما العمل؟؟ ما العمل؟؟ وأخيرا قرر أن يتلقى الضربة القاسية الماحقة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . طرق الباب بيد مرتجفة ، وفي بضع ثواني انفتح الباب عن صورة والده القاسية المزججة واخذ من الضرب على وجهه وعلى أنحاء جسمه مالا يمكن تصويره إلا لمن جربه وقاساه ، ذهب إلى فراشه يلملم آلامه ودموعه دون أن يجد من يرحمه أو يشفق عليه ، والذي يبدو أن هذه القسوة والمغالاة فيها في معاملة الأطفال هي الروح السائدة في أصول التربية في ذلك الوقت عند بعض عائلات المجتمع ، وكان والد هذا الطفل أشدهم تنفيذا لهذا الأسلوب البدائي الممقوت .

مر أسبوعان أو ثلاثة على تلك الحادثة وبدأ ينسى آلامها ومآسيها ولكن الرغبة في الذهاب إلى السينما لا زالت ملحة وشديدة الإلحاح خصوصا وقد علم أن فيلما لطرزان يعرض على الشاشة ولا بد له من مشاهدته ، كان يتمنى أن تفتح السينما نهارا فيتفادى مشكلة الرجوع إلى البيت بالليل ، ولكن ما باليد حيلة ، أن السينما في ذلك الزمان لا تفتح أبوابها إلا بعد المغرب . تردد كثيرا ، يذهب أو لا يذهب ، قرر أخيرا أن يغامر بالذهاب وليكن ما يكون . شاهد الفيلم وتمتع بهذه المشاهدة متناسيا كل ما يمكن أن تجره عليه من المآسي والآلام التي لا بد من مواجهتها ، وهذا ما حصل عندما انتهى الفيلم ورجع إلى زاوية الدهماني ، وقف أمام الباب يفكر كيف يخرج من هذا المأزق ، استبعد القبول بالضرب المبرح الذي قاساه في المرة السابقة ، ولكن ما هو الحل؟؟ فكر أن يطلع

إلى سطح المنزل ثم النزول إلى وسط المنزل دون أن يشعر به أحد ، هذه العملية تحتاج إلى خطوتين هامتين ، الأولى أن يتسلق حائط المنزل إلى السطح ، وهذه يمكن تحقيقها لعلمه أن الجدار الشمالي للمنزل يقع في أرض مرتفعة قليلا وبشيء من المجهود والحيلة يمكن الوصول إلى ذلك . أما الخطوة الثانية هي كيفية النزول إلى وسط المنزل ، وهذه يمكن تحقيقها إذا حالفه الحظ ووجد السلم الخشبي المستعمل للركوب إلى سطح المنزل مسندا على الحائط وليس مسندا على الأرض . توكل على الله ونفذ هذه الخطة ، استطاع بمجهود جبار مع الاستعانة ببعض الأحجار الكبيرة أن يتسلق الجدار ويكون فوق سطح المنزل ولكنه ويا للهول وجد أن السلم مسندا إلى الأرض الأمر الذي يستحيل معه النزول إلى وسط المنزل ، فلا بد أن والده فكر في هذا الأمر أيضا وأراد أن يجرمه تنفيذ هذه الخطة فانزل السلم إلى الأرض . ما العمل؟؟ ما العمل؟؟ بقى فوق السطح ما يزيد عن النصف ساعة ، وكان البرد شديدا في ليل شهر نوفمبر . فلا بد له من النزول إلى الشارع والتفكير في حل آخر . نزل إلى الشارع وبدأ يفكر من جديد ، وهده تفكيره أخيرا أنه يمكن أن يبيت في أحد قوارب الصيادين الراسية في شاطئ سيدي الشعاب ، أنه يعرف هذه القوارب وهي مكان آمن لا يعلم أحد بوجودك فيها ، ولكن كيف الوصول إلى هذه القوارب وللوصول إلى الشاطئ لا بد من اختراق الجبانة والمشى بين القبور والوقت بدا يقترب من منتصف الليل؟؟ إنها كارثة حقيقية ، إما المغامرة والطرق على الباب وقبول الضرب المبرح والمرمطة والبهدة ، أو البقاء في عرض الشارع متعرضا للبرد القارص وللمجرمين واللصوص أو اختراق هذه الجبانة ، أي المقبرة ، للوصول إلى الشاطئ ، وأخيرا اختار الحل الأخير . ليس لأي قلم يمكن أن يصور الرعب الذي قاساه هذا الطفل في اجتيازه هذه المقبرة في منتصف الليل تقريبا ، المهم أنه وصل أخيرا إلى الشاطئ وجذب حبل أحد الصنادل الراسية ودخل داخل بروة الصندل المغطاة وحاول أن ينام ركبتيه في رأسه من شدة البرد ، حاول أن يتغطى بفرشاة الصندل ولكن هذه مصنوعة من الليف الثقيل أي من نوع الفرشاة التي توضع أمام الشقق في العمارات الأمر الذي يتعذر معه الاستفادة بها كغطاء .

لا يدري إن كان قد استطاع أن ينام أو لا ، وفي الصباح الباكر قبل أن يأتي البحارة إلى صندلهم قام هذا الطفل وبدأ يدور في أزقة وشوارع زاوية الدهماني متشردا جائعا لا يدري ماذا يفعل بنفسه ، لم يفكر في الذهاب إلى المدرسة وهو بتلك الحالة المزرية البائسة ، بدأ يحوم متلصصا حول البيت عله يرى أخته الصغيرة فتزوده بقطعة من الخبز يسد بها رمقه . لاشك أن الأسرة قد انزعجت لغيابه تلك الليلة خصوصا بعد ما تأكدوا أنه لم يذهب إلى بيت خالته أو أحد أعمامه ، وبالتالي عندما رأته أخته فرحت فرحا شديدا وذهبت تجري تبشر أمه بوجود هذا الطفل بسلام ، أحضرت له أخته قطعة الخبز الذي التهمه بشرائه وصاروا يفأوضونه بالرجوع إلى البيت ، ولكنه كان خائفا من الضرب ، واستمرت المفاوضات حتى أقسموا له أنه لن يتعرض للضرب هذه المرة ، وهكذا انتهت هذه المسألة الأليمة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

هذه الحادثة كانت لها نتائجها المدمرة لنفسية هذا الطفل أو الصبي فهو قد تجاوز السابعة من عمره الآن ، حيث أنه أحس بفطرته أنه قد تغلب على جبروت والده ، فالوالد حفاظا على كبريائه تواري خلف تجاهله للموضوع تجاهلا تاما ، فهو لم يناقش هذا الصبي أو يوبخه أو حتى يلومه عما حصل ، الأمر الذي دفع بهذا الصبي إلى الإحساس بقوة إرادته وبالتالي دفعه بشدة إلى التمرد على القواعد الأساسية لمعاني التربية ، فأصبح لا يتردد في الذهاب إلى السينما متى أعجبه فيلما من الأفلام ، كل ما في الأمر أنه كان يحتاط لنفسه في ذلك اليوم بان يضع السلم على الحائط قبل الذهاب حتى إذا جاء في الليل تسلق جدار المنزل من الخارج إلى السطح ثم النزول إلى وسط المنزل ومن ثم الذهاب إلى فراشه ، وفي المرات التي لا يجد فيها السلم للنزول إلى وسط المنزل يجتاز المقبرة ويذهب للمبيت في إحدى الصنادل ، وهكذا استمر الوضع بهذا الشكل المنحدر للحضيض ، والمأساة لم تقف عند هذا الحد بل تجاوزته لما هو أسوأ واشد انحطاطا ، ذلك أن هذا الصبي المتمرد لا يجد باستمرار النقود الكافية للدخول إلى السينما ، فكان في بعض الأحيان يغافل حراس أبواب السينما ويتسلل للدخول ، ولكن هذه العملية ما كانت تنجح باستمرار ، فكم من مرة تعرض للضرب أو الإهانة من

الحراس ، وقد وصل به الأمر في مرة أو مرتين أن يقف أمام باب السينما ليتسول ثمن التذكرة !!! .. وأخيرا حصلت الطامة الكبرى إذ امتدت يده إلى نقود والده . كان ما زال باستمرار يدخل إلى الدكان وكان الوالد في بعض الأحيان يتركه فيه ويذهب لقضاء بعض شأنه الأمر الذي أتاح له الفرصة لفتح درج النقود والاستيلاء على بعض القروش منها . إن هذه الحادثة قد مرت عليها عشرات وعشرات السنين ولكن هذا الإنسان عندما يتذكرها يهتزّ كل ما فيه ويسأل الله أن يغفر له المرحوم الوالد هذه الزلات الفظيعة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

في بادئ الأمر كانت قروشا بسيطة تافهة ولكن الموضوع تطور فما دام يستطيع الحصول علي القروش ففي إمكانه الحصول على ما هو أكثر من ذلك ، وبالتالي فكر أن يقتني الساعة التي وعده والده بالحصول عليها لو حفظ جزء عامّ وخالف الوالد وعده ، وعليه لم يتردد في شراء هذه الساعة ، وربما دفع فيها أضعاف ثمنها لصغر سنه وعدم خبرته في الشراء ، ثم تنفيذ رغبته في اقتناء ذلك القلم العجيب !! وقصة هذا القلم هو أن هذا الصبي قد شاهد معلمه في الفصل له قلم جيب كان يخرج من جيبه عند رغبته في الكتابة ويرفع غطاءه ويضعه أسفل القلم ثم يدير هذا الغطاء فتخرج الريشة من داخل القلم !! ربما هذه الحركة العجيبة هي التي حركت تلك الرغبة الطاغية في الحصول على مثل هذا القلم ، وقد بقى لأكثر من أسبوع يدور في الأسواق يبحث عن مثل ذلك القلم الساحر ، وأخيرا عثر عليه ولم يتردد في شرائه بأي ثمن ، فالموضوع أصبح سهلا بالنسبة له ، فالأمر لا يعدو مغافلة الوالد والوصول إلى درج النقود وسحب ما هو في حاجة إليه . الساعة والقلم كان يخفيهما عن الجميع ، واستمر الوضع هكذا لعدة أسابيع ولكن في آخر الأمر اكتشفت الأسرة ومن ثم الوالد ما كان يخفيه هذا الصبي ، وابتدأ التحقيق ، من أين لك هذه الأشياء؟؟ والوالد كان قاسيا صارما في محاولته استخراج الحقيقة ، وربما له الحق في ذلك ، وكانت له كلمة يرددها باستمرار أثناء التحقيق هي "النجاة في الصدق ... النجاة في الصدق !!"، كان ذلك الصبي وهو في صباه المبكر لا يدرك أعماق هذه الكلمة وأبعاد معانيها ولكنها بقت تتجاوب في عقله ووجدانه حتى كبر وتعلم وأدرك أعماق وأبعاد

هذه الكلمة ، وانه لو آمن بها المجتمع البشري لانتهت كل مشاكله وآفاته . المهم أن هذا الصبي وهو واقع تحت هذا التحقيق الصارم القاسي ، كان يذكر بعض الحقائق في كيفية حصوله على الساعة والقلم ويخفي البعض الآخر ، ولكنه في جميع الأحوال لا يسلم من الضرب المهلك ، وهو لا يدري إن كان هذا الضرب نتيجة إقراره ببعض الحقيقة أو لأنه لم يقل كل الحقيقة .

إن الوالد كانت له طريقة معينة في الجزاء والتربية في مثل هذه الأحوال . كانت توجد في المربوعة آلة يسمونها "المكاراة" وهي عبارة عن قطعة خشب ثقيلة بها جرارتين تثبت في السقف وينحدر منها حبال تنتهي إلى قطعة خشب أخرى بها جرارتان أخريان وفي آخرها قطعة حديد معقوفة ، كانت هذه الآلة العجيبة مخصصة لوزن الأثقال مثل زكائب القمح أو الدقيق أو غيرها من الأثقال ، حيث يربط ما يراد وزنه من هذه الأثقال في قطعة الحديد المعقوفة ويشد الحبل الرئيسي فيرتفع الثقل بسهولة فائقة ثم يوضع ميزان الرمانة في ذلك الثقل ليتم الوزن . هذه المكاراة هي التي يوضع فيها هذا الصبي مربوط اليدين إلى فوق ثم يرفع إلى حوالي مسافة نصف متر عن الأرض ثم يبتدئ الضرب بجبل غليظ إلى ما شاء الله . بالتأكيد هذا الوالد يجب أولاده ، ومحبه لهم هي التي هدته لاستعمال هذه الطريقة الوحشية في تربيتهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وللحقيقة يذكر هذا الصبي أن والده بالرغم من قسوته وصرامته فهو يتصرف في كثير من الأحيان بطريقة تتناقض تماما مع هذه القسوة والصرامة ، فهو لا يطيق مشاهدة طير من الطيور يجلس أو يعذب ، فعندما كان عندنا ببغاء احضر له من كانو نيجيريا تركه طليقا في البيت ولم يضعه أبدا في قفص كما يفعل الآخرون ، وعندما كان هذا الصبي يصطاد بعض العصافير بالفخ سرعان ما يصرّ هذا الوالد على إطلاقهم ، وقد شوهد أكثر من مرة عندما يعثر على عقرب في البيت ، وهي من الحشرات السامة ، لا يقتلها بل يأخذها بماشة الفحم ويضعها في كأس ثم يلقي بها في الجبابة . هذه الروح الرحيمة الطيبة قد شاهدها هذا الصبي في والده في معاملته لرفيقة حياته ، حيث كانت الوالدة شديدة الانفعال في بعض الأحيان ، وكان يرتفع صوتها في مثل هذه الأحوال

الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى شجار عنيف بين الطرفين ، ولكن الوالد بالرغم من شدته وصرامته تغلب عليه حكمته ورحمته وينسحب من الموقع بدون رد أو كلام ، وبالتأكيد أن هذا ليس ضعفا من الوالد بل حكمة ورحمة وبعد نظر ، والواقع أن هذين الرفيقين يعتبران نموذجا رائعا للحياة الزوجية ، فالوالدة بالرغم من أعصابها المنفلتة وشدّة انفعالها بسبب بعض تصرفات الوالد لم تترك البيت أبداً إلى بيت شقيقتها أو بيت أحد الأقارب للتعبير عن غضبها حتى يتم استرضائها ، والوالد يترفق بحكمة ورأفة تجاه الجانب الضعيف التي هي زوجته وأم أطفاله . وهذا الصبي لا زال يذكر وهو في هذه السن المبكرة أن الوالد قد اعتاد في فترة معينة من كهولته واقترابه من الشيخوخة ، أن يخرج بعد منتصف الليل من البيت ولا يرجع إلا بعد صلاة الفجر ، ويبدو أن الوالدة قد راودتها بعض الشكوك ، ففي مرة من هذه المرات أيقظت الوالدة هذا الصبي بعد منتصف الليل وطلبت إليه أن يتبع الوالد ليعرف إلى أين يذهب ، وفعلا سار هذا الصبي في أثر الوالد من بعيد وكانت الليلة مغمرة فكان في إمكانه مشاهدته من بعيد بلحافه الأبيض ، فاجتاز هذا الرجل الجبانة ثم جلس متكئا على جدار سيدي سليمان الفيتوري في مواجهة البحر ، ولا يدري حتى وقف عليه هذا الصبي فرفع رأسه ونظر إليه بحنان ورحمة وابتسم ابتسامة لم تفارق مخيلة هذا الصبي طوال حياته ، وقال ارجع إلى أمك أنى بخير . فرجع الصبي إلى الوالدة واخبرها بما حصل .

هذا الصبي وهو في السنة الثالثة الابتدائية وهي من السنوات الدراسية التي تحتاج إلى نوع من الاهتمام في العناية بالدروس والمذاكرة الجادة حيث أنها من السنوات التي تنتهي بامتحان في آخر السنة ، ولكن صاحبنا بدل أن يهتم بدروسه ومذاكرته غرق في خيالاته وأجوائها الساحرة ، فكان كل همه هو قراءة كتب الخيال من ألف ليلة وليلة إلى رأس الغول وأشبه ذلك ، ثم استغراقه في مجلات الأطفال الإيطالية ، مغامرات قوردين ورحلاته بين الكواكب ، ومغامرات الصبيين اتشينو وفرانكو في أفريقيا ، وغير ذلك من الروايات المثيرة المصورة ، ثم السينما وطرزان وأبطال تكساس والمسدسات والانشطة ، فنسي الدروس والمذاكرة وتاه في هذا الجو الخيالي الرهيب حتى صارت كل اهتماماته وألعابه

الطفولية مرتبطة بهذه الأجواء الساحرة المبهرة ، فكان يصنع المسدسات من الخشب ويبدل مجهودا فائقا في اتقانها حتى تكون مثل المسدسات التي يراها في الأفلام ومجلات الأطفال ، ويضع حزاما في وسطه ويضع مسدساته الخشبية أحدهما في هذا الجانب والآخر في الجانب الآخر ثم يضع منديلا ملونا في رقبته مقلدا بذلك أبطال تكساس ، كما أنه أفنى الجبال التي في البيت لتكراره عمل الانشطة التي صار يلويها فوق رأسه ويرميها على من يصادفه من إخوته أو أخواته ، كما كان يقضي الساعات يصنع سيوفا ورماحا من خشب ويجبر شقيقته التي هي أصغر منه سنا على ملاعبته بهذه السيوف والرماح . إن هذا الجو المبهر الذي عاش فيه هذا الصبي الأسبوع بعد الأسبوع والشهر وراء الشهر كان له ثمن باهظ هو رسوبه في هذه السنة ، السنة الثالثة الابتدائية ، فكانت الكارثة الثانية التي تحيق به بين صيف 1933 وصيف 1934 ، الأولى فقدانه لعينه في الصيف الأول ثم رسوبه في المدرسة في الصيف الثاني ، وقد قيل أنه قد أصابته عين ، والعين حقّ ، كما هو متواتر عند الجميع ، لقد أصيب هذا الصبي في تلك الفترة بانهايار نفسي خطير كاد يدمر حياته تدميرا كاملا لولا لطف الله .

ربما زردة الصيف المعتادة التي تمتد حوالي ثلاثة أسابيع على شواطئ البحر قد خففت قليلا من أزمته النفسية ، وجاء أكتوبر 1934 ووجد نفسه في نفس الفصل مع رفاق جدد لا يعرفهم ، فرفاقه الذين انتقل معهم من الأولى حتى الثالثة قد صاروا في السنة الرابعة وقد بقى هو قابعا في الثالثة يعاني الندم والبؤس عن تفريطه السابق . وقد قضى هذه السنة الدراسية في كآبة ونفس هابطة ، ولكنه اجتاز السنة على أي حال ، وفي أكتوبر 1935 وجد نفسه في السنة الرابعة ، والذي أفرحه ورفع من معنوياته وكانت مفاجأة رائعة بالنسبة له هو أن أستاذ هذا الفصل هو أستاذه في الفصل الأول الذي كان يحبه الشيخ محمد علي المجراب ، ذلك الإنسان الطيب الحنون من النوع الذي تشعر كأن ربنا خلقهم للقيام بهذه المهمة الصعبة والخطيرة في حياة البشرية والذي قال فيهم الشاعر العظيم شوقي "كاد المعلم أن يكون رسولا" ، فهذا النوع من المعلمين هم رسل البشرية بحق وجدارة . على أي حال فإن هذا المعلم العظيم يتولى تدريس اللغة والنحو

والدين وبعضاً من التاريخ العربي ، أما الحساب والهندسة والطبيعة والجغرافيا وتاريخ أوروبا واللغة الإيطالية ، فكان المعلم فيها هو مدير المدرسة ذاته ، ذلك الأستاذ العظيم كارديلا جوزيبي ، طويل القامة بشوش الوجه نشيط الحركة ، يمتاز بالمقدرة الفائقة في أصول التربية . المهم أن هذا الصبي قد استطاع بمساعدة هذين المعلمين العظميين اجتياز السنة الرابعة ، وفي أكتوبر 1936 وجد نفسه في السنة الخامسة ، وهذه السنة تنتهي بها الدراسة الابتدائية ، وهي تحتاج إلى مجهود خاص للامتحان التحريري والشفوي الصارم الذي يواجه التلاميذ في آخر السنة ، وعلى كل فمن حسن حظ صاحبنا أن مدرسي هذا الفصل هما معلميه في الفصل السابق ، الأستاذ أحمد علي المجراب والأستاذ كارديلا جوزيبي ، وبالتالي فإن الدراسة في هذه السنة قد سارت بتوفيق وانسجام ، شيء واحد كان يقلق هذا الصبي قلقاً وصل إلى درجة العقدة هو خطه المزري الذي لا يكاد يقرأ ، فهو سواء في كتابته للإملاء أو للإنشاء أو لحسن الخط كانت كتابته مأساة من المآسي و كارثة من الكوارث التي عجز عن إصلاحها بالرغم من المجهودات التي بذلها لإصلاح هذه الآفة الخطيرة الموجهة التي ظلت تلاحقه لسنوات طويلة ، والكارثة الأخرى التي هي اشد من كارثة سوء الخط هو أنه كان يعتقد ولسنوات طويلة أن التفوق مرتبط بحسن الخط ، وبالتالي كان يعتبر نفسه تلميذاً فاشلاً ، وعليه فإنه بالرغم من حبه وإجاده للدروس الأخرى من مثل القراءة والتاريخ والجغرافيا وبقية المواد فقد كره الدراسة والمدرسة واعتبر نفسه أنه لا يصلح للدراسة بسبب هذا الخط ، وقد كان لهذه العقدة نتائج مدمرة في السنوات اللاحقة لإنهاء دراسته الابتدائية ، ولم يخرج من هذه العقدة الخطيرة إلا بعد أن وقعت في يده أعداد من مجلة الرسالة في أواخر سنة 1943 حيث عرف أن كتابها الكبار من أمثال توفيق الحكيم وأحمد أمين والمازني وغيرهم كانوا يعانون سوء الخط مثله ، كما سنتعرض للحديث عن هذا الموضوع فيما يأتي من الكلام في المراحل القادمة . على أي حال فإن الذي عوضه عن مأساته هذه بعد إنهاء دراسته الابتدائية هو استغراقه في القراءة فكل كتاب يقع في يده يقرأه خصوصاً القصص والروايات وملاحم التاريخ وكل ما يتعلق بالمغامرات والخيال ، هذا علاوة على ارتباطه بالسينما ومجلات الأطفال الإيطالية .

من المسائل التي يذكرها والتي مرت عليه في تلك الفترة والمرتبطة بخياله الجامح هي مسألة عجيبة جدا لا يمكن أن تخطر ببال صبي في مثل سنه لم يتجاوز سن الحادية عشر ، هذه المسألة مرتبطة بما يشاهده في أفلام طرزان وصراعه مع التماسيح في أعماق الأنهار ، كما هي مرتبطة بقصة قرأها عن الشاعر بايرون وكيف أنه اجتاز خليج بحر ايجة سباحة ليصل إلى الضفة الأخرى متمثلا لقصة يونانية قديمة بطلها حاول اجتياز هذا الخليج للوصول إلى حبيبته في الضفة الأخرى ولكنه في مرة من مرات هذا الاجتياز مات غرقا في منتصف المسافة ، وكانت هذه الحادثة تعبر تعبيرا رائعا عن تضحيات المحبين في سبيل حبيباتهم . فأحب هذا الصبي الغارق في خياله أن يمثل هذه الحادثة من زوايتها بطريقة لا يقدم عليها إلا المجانين ، فذهب إلى رأس المول خفية بدون أن يدري عنه أي مخلوق وخلع ملابسه وخبأها بين الأحجار ووضع شيئا يشبه السكين أو الخنجر في حزام ثبانه ونزل إلى البحر يريد اجتياز رأس المول من الضفة الجنوبية إلى الضفة الشمالية ، مسافة تزيد عن النصف كيلومتر هي الفتحة التي تمر منها البواخر للدخول إلى ميناء طرابلس ، وكان هذا الصبي المجنون قد وضع في ذهنه كأنه البطل اليوناني أو الشاعر بايرون أو طرزان ، كما أنه كان يتظر أن تقابله سمكة كبيرة ، لعدم وجود التماسيح في البحر ، فيتصارع معها بالخنجر الذي في حزامه كما تصارع طرزان مع التماسيح . المهم أنه قد وصل بسلام إلى الضفة الأخرى ، وربما أحس بسوء الحظ أنه لم يقابل السمكة الكبيرة للصراع معها . بعد استراحة دامت أكثر من ساعة رجع سباحة إلى الضفة التي جاء منها . لا شك أنه لو شاهدته الشرطة أو القائمون على الميناء لقبضوا عليه ولأدخلوه مستشفى الأمراض العقلية أو على الأقل إصلاحية الصبيان المتشردين . نجاحه في هذه المغامرة شجعتته على الإقدام علي مغامرة اشد هولاً وجنوناً ، فقد رأى أن الشجاعة الحقيقية تتطلب منه أن يصل إلى الفئار الأخضر سباحة ، مسافة تصل إلى حوالي الثلاث كيلومترات في بحر متلاطم الأمواج لكونه خارج الميناء ، وفعلا بعد حوالي أسبوع من المغامرة الأولى ذهب إلى رأس المول خفية وبدون أن يعلم بمشروعه أحد وخبأ ملابسه كالعدة تحت الأحجار وقفز إلى البحر وسبح حوالي نصف المسافة في أمواج عاتية وقبل أن تنهار قواه قفل راجعا ، وقد وصل إلى

الشاطئ شبه ميت من الإنهاك والتعب بسبب ارتفاع الأمواج والمسافة الطويلة التي اجتازها ، ومن هذه التجربة الفاشلة قاطع هذه المغامرات البحرية المتعلقة بالسباحة ، ولكنه وهو في هذه السن ، قام بمغامرة اشد هولا وأنكى جنونا ، وذلك عندما حضر إلى طرابلس أحد أبناء عمه الذي يقاربه في السن من الإسكندرية في الإجازة الصيفية ، واحتفاء بهذا الضيف العزيز الذي كان جميع أفراد العائلة يتبارون في ضيافته وتكريمه ، فكر صاحبنا أن يأخذ ضيفه في نزهة بحرية في أحد القوارب التي يملكها الوالد "الصندل أو الدغيسة" ، ولكن المشكلة أن هذه القوارب موجودة بالهنشير ، وهو مرسى من مراسي صيد السمك قرب شاطئ تاجوراء مسافة حوالي العشرين كيلومترا شرقي طرابلس ، حيث للوالد بحارة يعملون على هذه القوارب في هذه المنطقة ، فما كان من هذا الصبي المغامر إلا أن ذهب سيرا على الأقدام إلى هذه المنطقة واقنع "رايس" البحارة السيد رمضان عبد العزيز أو رمضان عزيز كما كانوا ينادونه ، بأن والده قد أرسله لإحضار القارب الصغير "الدغيسة" اليوم ، الواقع أن "الرايس" رمضان قد فوجئ بهذا الطلب وتردد كثيرا في تسليم القارب إلى هذا الصبي المغامر ، ولكن ما باليد حيلة ، فليس هناك وسيلة للتأكد ، وفي الوقت نفسه رأى في هذا الصبي التصميم والجرأة ، كما رأى أن الريح عذبة ومواتية ، وعليه أقام له الشراع في ذلك القارب وزوده ببعض نصائحه ثم تركه للأقدار !! لا شك أن هذا الصبي لكثرة ما عايش البحر والبحارة ، خصوصا في زردة الصيف ، كان يلم ببعض أصول قيادة القارب الشراعي وبالتالي قد تمكن _ مع بعض المشاكل والمتاعب التي كادت تؤذي بالقارب إلى الارتطام بأحجار رأس المول من إيصال القارب سليما إلى شاطئ سيدي الشعاب ، وأخذ ابن عمه العزيز في اليوم التالي في نزهة بحرية بذلك القارب ، ولكن كان من الممكن ، لولا لطف الله ، أن تشتد الرياح أو يتغير اتجاهها قليلا ، وهو في طريق توصيل القارب من الهنشير إلى مرسى الشعاب ، فيكون ذلك نهاية لهذا الصبي المغامر وقاره .

في هذه الفترة من حياة هذا الصبي كان هناك ثلاث شخصيات من الأقباط كان ينجذب إليهم ولهم في نفسه منزلة خاصة محترمة ومحبوبة جدا .

أولى هذه الشخصيات هي عمته فطومة ، كانت تكبر والده بحوالي العشر سنوات ، وهي في تلك الفترة في حوالي الخامسة والخمسين أو الستين من عمرها ، وهي بالرغم من هذه السن كانت تبدو لصاحبنا جميلة جدا ، حلوة التقاطيع نحيلة الجسم ، معتدلة القوام ، تبدو عليها الجدية باستمرار مع قوة في الشخصية الأمر النادر في نساء تلك الفترة ، وكان والده يحترمها احتراما منقطع النظير وكان تبدو عليه الفرحة الغامرة عند حضورها إلى بيت الأسرة ، وهي كثيرة التردد على هذا البيت الأمر الذي ينبئ أن المحبة متبادلة بينها وبين شقيقها . هذه السيدة العظيمة كانت تبدو عليها مسحة حزن ظاهرة ربما لوفاة زوجها وأولادها الثلاثة ، فقد كان زوجها الرئيس مصطفى البواب قبطانا لأحد مراكب السفر التجارية وقد توفي قبل إدراك هذا الصبي للحياة كما قد توفي أولادها الثلاثة الأمين وعبد اللطيف واحمد وهم في سن الرجولة ربما قبل ولادتي ، وقد كان لها بيت كبير في آخر زقاق الجامع وأول زقاق الفرنسيين به عدة حجرات وحيث أنها تعيش وحدها فكانت تقيم في إحدى الحجرات وتؤجر البقية لبعض العائلات المتواضعة ، وكان هذا الصبي كثيرا ما يرسل إلى بيت عمته حيث يقبل هذه المهمة بفرحة غامرة بالرغم أنها كثيرا ما كانت تعنّفه لسبب أو لآخر من مثل أنك حاف القدمين أو يديك غير نظيفتين إلى غير ذلك من التعنيف ، وقد كان هذا الصبي يتقبل ذلك بصدر رحب لإحساسه أن هذا التعنيف تغلّفه سحابة واضحة من العطف والحنان ، وكان بيت هذه العمة الرائعة به حديقة كبيرة تضم الكثير من أشجار التين والرمان والعنب كان لبيتنا النصيب الأكبر من ثمارها . ويبدو أنها قد ورثت عن أمها الحاجة سليمة مهلهل مزرعة أو سانية تسمى سانية مهلهل تقع جنوب شرقي جامع فشلوم أو وسعاية بديري ، وكانت في خصام مستمر مع بعض الذين يحتلونها أو يستأجرونها ، وقد توفيت هذه العمة الرائعة العظيمة في أوائل سنة 1941 ، وقد افتقدها هذا الصبي وبكائها بكاء مرا .

والشخصية الثانية التي يذكرها هذا الصبي هي شخصية خاله صالح ، عند بداية وعي هذا الصبي كان خاله في حوالي الأربعين أو الخامسة والأربعين تتمثل

فيه كل معاني جمال الرجولة مع طيبة منقطعة النظير ، عاش طول حياته أعزبا لم يتزوج وذلك بسبب مرض عضال أصيب به في ساقه حيث كانت باستمرار منتفخة تنز بمادة كريهة كان رحمه الله يخفيها بأربطة يلفها حول هذه الساق . كان هذا الخال يحضر إلى بيت الصبي مرة وأحيانا مرتين في كل أسبوع عند المساء ليتعشى عند شقيقته التي كانت ترحب به ترحيبا ظاهرا ، وبالرغم من أنه كان في الغالب ما يأتي تفوح منه رائحة الخمر فلم يكن الوالد ليعترض على ذلك مع العلم أن الوالد لا يتعاطى شرب الخمر في ذلك الوقت ، فقد كان هذا الخال لطيفا في تصرفاته وأقواله ، محبا في جميع إيماءاته وإشاراته ، وقد كان هذا الصبي يتألم لآفة خاله وما يعانيه من تشويه في ساقه بالرغم من أن هذا الصبي له أفته هو الآخر التي يعانها من فقدانه عينه اليسرى ، وبعد أن يتعشى هذا الخال المحبوب ويشرب شاي المساء مع الأسرة يذهب ليكمل السهرة والمبيت عند صديقه في المغازة المجاورة للبيت ، هي محل كبير تنزل إليه بعدة درجات وبها عدة أنوال لحياكة الأردنية ، كان هذا الصبي كثيرا ما ينزل إلى تلك المغازة للاتصال بخاله ومن ذلك تعرف على هذه الصناعة التي تأثر بها وترك الاستمرار في دراسته لمزاولة هذه المهنة كما سيأتي من حديث .

الشخصية الثالثة هو عمه احمد ، هذا العم كان يتولى الاهتمام بالسانية الغربية من أملاك عائلة شرف الدين فرع عبد الرحمن بعكس القسم الشرقي من هذه السواني الذي يتولاه علي ومصطفي فرع سليمان ، المهم أن العم احمد كان رجلا متواضعا في هيئته وفي ملابسه يكبر والد الصبي بحوالي السبع سنوات ، وكان رجلا شبه أُمي يمتاز بالتواضع والطيبة والحنان ، وكان هذا الصبي كثيرا ما يجالس هذا العم الطيب الذي يغمره بتواضعه وحنانه ، فهو لا يترفع عن الحديث مع هذا الصبي ويحدثه حديث الرجال الأمر الذي كان يفتقده عند والده . والواقع أن هذا العم هو الذي حدث صبينا عن جذور العائلة التي تنحدر من قبائل أولاد سليمان الوافدين من الحجاز ثم استقروا في كانهم بتشاد ثم بزليتن إلى أن استقروا أخيرا بهذه المنطقة في شواطئ زاوية الدهماني ، الأمر الذي استغرب له صبينا كيف أن عمه لديه كل هذه المعلومات ذات الخطورة الفائقة

وكيف أن والده لم يحدثه عنها أبدا بالرغم من أحاديثه الطويلة عن سفراته إلى كانو نيجيريا أكثر من مرة عن طريق القوافل ومغامراته في الصحراء والأدغال وما صادفته القافلة من حيوانات مفترسة في هذا الطريق العجيب ، ثم سفراته إلى إسطنبول وإلى مالطا ومصر والحجاز .

وبهذه المناسبة يذكر صاحبنا أن أملاك العائلة التي ينتمي إليها تمتد من قبات القرمالي أو ميناء القرمالي حتى نهاية انحدار شارع الظهرة أو ما يسمى بشارع البيرا أويا ، وكانت هذه الأراضي يجدها شمالا البحر ومن الجنوب شارع زاوية الدهماني وكانت كلها مزارع أو ما يسمونه بالسواني ، وصاحبنا لا زال يذكر أن هذه السواني كان بها أربعة آبار تشتغل ليلا نهارا وان بها ما لا يقل عن مائتي نخلة مثمرة ، علاوة عن الزيتون والرمان والتين وغير ذلك من الفواكه ، وصاحبنا لا زال يذكر أيضا أنه عندما يتحدد موعد جني ثمار هذا النخيل الذي يستمر لعدة أسابيع ، كان يستدعى مع شقيقه وهما طفلان للمساعدة في هذا الجني ، حيث يصعد أبناء العم الثلاثة وهم في مرحلة الشباب إلى النخيل بواسطة نوع من الحبال الغليظة تسمى "الوصلة" يجمعون الثمار في سلال تكون معهم ، وما يتساقط من الثمار يقوم صاحبنا وشقيقه بجمعه من الأرض ، ويذكر صاحبنا أن ما يتم جمعه من ثمار النخيل في ذلك اليوم كان يزيد في بعض أيام الجمع عن العشر قناطر ، يتم تقسيمه بين والد صاحبنا الذي له النصف والنصف الآخر يقسم بين اثنين من الأعمام ، وكانت هذه الكميات الكبيرة من التمور يقمن النسوة ، الوالدة والشقيقات وبعض نساء الجيران ، بتفكيك هذه التمور من بذورها ثم نشرها في الشمس لمدة يومين أو ثلاثة ثم رصها في زرائب من سعف النخل مخصصة لذلك ، التي يباع منها ما يباع والباقي يبقى مؤونة للعائلة طوال السنة . وصاحبنا لا زال يذكر تلك الأيام الجميلة التي كان في أيام صباه يستعمل تلك "الوصلة" لل صعود إلى النخيل الذي يبلغ ارتفاع بعضه أكثر من عشرين مترا ، وكان يسعده جدا أن يأكل تلك الثمار اللذيذة من عراجينها في أعلى النخلة .

هناك شخصية رابعة ربما تناقضت إلى حد ما من الشخصيات الثلاث السابقة ، فهي اقرب إلى شخصية والده ، فيها الكثير من الجد والقليل القليل من

العطف والحنان ، هي شخصية عمه مختار أو الشيخ مختار كما ينادونه ، كان رجلا ضريرا فاقد البصر ، ربما من أيام صغره ، وبالتالي استطاع أن يتفرغ لدراسة الفقه وشؤون الدين ، كان له محل بقالة في مدخل زقاق بالعيد ، والذي جعل هذا الصبي لا يميل كثيرا إلى هذا العم هو أنه في مرة من المرات أرسل إليه لإحضار بعض المواد إلى البيت الكبير ، نادى عمه عندما حضر إلى الدكان بقوله "عمي مختار!" فنهزه هذا العم بشدة وقال له قل "عمي" فقط ، ولا شك أن للعم الحق في هذا التوجيه ولكن كان في إمكانه أن يكون ذلك بطريقة أقل حدة وقسوة خصوصا بالنسبة لصبي لا زال يفتقر إلى إدراك مثل هذه الأشياء . ومع ذلك فان هذا الصبي كان يحمل لهذا العم الكثير من الاحترام والتقدير لسببين يذكرهما جيدا ، أولاهما أن هذا العم كان يجمع جميع أفراد العائلة في البيت الكبير في ليلة النصف من شهر شعبان المكرم ، حيث يدعو بهم دعاء النصف من هذا الشهر كما هو معروف في الأوساط الليبية المتديّنة ، وكان هذا الصبي يفرح بهذه الليلة حيث يجتمع بعدد كبير من الصبيان والصبابا من أفراد العائلة الذين في مثل سنه يلعبون ويمرحون بعد انتهاء هذا الدعاء الخطير . وثاني هذه الأسباب أن هذا العم قد جاء يجري إلى بيتنا وهو الضرير لانقاذ حياة شقيق هذا الصبي كما سيأتي من حديث .

نحن الآن في حوالي مارس أو أبريل من سنة 1937 ، كان هذا الصبي كثيرا ما يدخل إلى المغازة الملاصقة للبيت تقريبا ، وكان ينزل إليها بثلاث أو أربع درجات حيث أنها تكاد تكون تحت الأرض ، وكانت واسعة بها حوالي خمسة أو ستة أنوال للحياكة ، والذي كان يدفعه إلى هذه الزيارات المتكررة هي مشاهدة هذه الحركات الظريفة التي يقوم بها صناع الحياكة فوق أنوالهم الذين يسمونهم بالحوكية ، وكان بهذه المغازة العجيبة ثلاث شخصيات ملفتين للنظر .

أولهم صاحب خاله حيث أن هذا الخال كثير التردد على هذا الإنسان العجيب الذي كان يسمونه الفشكة!! رجلا قصير القامة مكعب الهيئة تجاوز سن الكهولة وهو في بداية سنوات الشيخوخة ، يجذبك إليه روحه المرحة الودودة ، وهو من اعز أصدقاء الخال ، كان هذا الإنسان يعمل طول يومه على نوله ،

وقرب العصر تقريبا يكون قد أتم حياكة الرداء الذي كان يصنعه ، فيقوم بتطبيقه بالطريقة المعروفة في هذه الصناعة ، ثم يرتدي ملابس الخروج ويذهب بهذا الرداء إلى السوق في قلب المدينة حيث يبيع الرداء بالطريقة المعروفة في سوق الأردية ، والنقود المتواضعة التي يتحصل عليها هذا الإنسان من هذه الصفقة يشتري بها القليل من الأكل المتواضع والباقي يشتري به خمرًا يعبه طول الليل في الخمارات إلى ما قبل منتصف الليل بقليل ، ويرجع إلى مقر مبيته في المغازة سكرانا ليكمل سكرته هناك ، وهكذا كل يوم ... يشتغل نهارًا ويسكر ليلا ، وعندما تشاهده راجعا ليلا لا تشعر بحالة سكره إلا إذا تقربت منه ، فهو على أي حال غير مؤذي وغير معرّب ، إذا كلمته أجابك بقفشات ونكاته الظريفة وإذا لم تكلمه ألقى عليك السلام وذهب في طريقه .

وثانيهما هو شقيق الشخصية الأولى ، أكبر سنا ببضع سنوات ، ويختلف عن أخيه اختلافا تاما ، إنسانا متدينا لا يشرب الخمر ، تبدو عليه مظاهر الجدية والوقار والحزم ، يقال له الحاج محمد بن الفقيه ، وهو يعتبر صاحب هذه المغازة ورئيسها ، يقوم بأعمال السدوة أي تحضير خيوط القطن التي توضع على الأنوال التي يعمل عليها صناع الحياكة ، وهي عملية طويلة ومعقدة لا يعرف دقائقها وأسرارها إلا المتخصصين في هذه المهنة . وكان هذا الرجل بالرغم من جديته ووقاره يرحب بصيينا عندما يدخل هذا المكان ، ولا يترفع عن الحديث والحوار معه ومناقشته فيما يتعلق بمدرسته ودروسه ، وكان هذا الصبي يحمل لهذا الرجل الكثير من الاحترام والتقدير والاعتزاز .

الشخصية الثالثة في هذه المغازة هو صبي يقارب لسن صبينا ، ربما يكبره بسنة أو سنتين ولكنه على أي حال يعتبر ندا له ، هذا الصبي يقال له "علي مازا" ، كان يعمل على نول من أنوال المغازة ، ولكنه متخصص فيما يتفق مع سنه ، فهو متخصص في حياكة الأردية للبنات الصغيرات ، لا يدري لماذا تسمى هذه الأردية بـ "السبعوي" ربما لأنه بطول سبعة أذرع بدلا من أردية السيدات التي بطول تسعة أذرع . المهم أن صبينا قد اعتاد الوقوف إلى جانب النول الذي يعمل عليه هذا الصبي العامل ، يتحدث إليه فيما يخص الصبيان أمثالهما

وخصوصا فيما يتعلق بهذه الصناعة التي أصبح صاحبنا ينجذب إليها بقوة القاهرة عجيبة ، وصار يقارن بين جلوسه طوال الصباح إلى ما بعد الظهر مكبلا في مقعد فصل المدرسة يحشون رأسه بالكثير من المسائل المملة ، حساب وهندسة وجدول ضرب وإملاء وإنشاء وغير ذلك من المسائل المعقدة ، بينما هذا الصبي الذي أمامه يعمل بيده في حركات لطيفة ينتج عنها أشياء جميلة ، وفكره حر ينطلق أينما شاء بدون قيود أو حدود ويستطيع أن يبدأ العمل متى شاء ويتوقف عنه متى شاء في حرية كاملة ، إن هذه الوضعية صارت تسيطر على تفكير صاحبنا وتجذبه شيئا فشيئا إلى هذا الاتجاه . وبالتالي عندما انتهت السنة الدراسية وهي السنة النهائية في الدراسة الابتدائية ، وقد نجح فيها وكان مهيبا لدخول المدرسة الإسلامية العليا حيث يدرس شقيقه الأكبر منه سنا ، رفض بطريقة متمردة عجيبة الاستمرار في الدراسة ، وأصرّ بكل ما جبل عليه من تمرد ، على أن يتعلم صناعة الحياكة ويزاول هذه المهنة التي سيطرت على تفكيره . المدرسة الإسلامية العليا تعتبر المدرسة الثانوية الوحيدة في طرابلس بل في ليبيا أجمعها ، وهي تدرس العربي والإيطالي بطريقة متقدمة ومركزة تكاد تصل إلى مستوى الجامعة ، وخرّيجو هذه المدرسة يهيئون للقيام بالوظائف الكبيرة في الدولة . هذا الصبي المنفلت من عقاله رفض بكل عنجهية وجهالة هذا المستقبل الباهر وفضل الارتقاء في هذه الأعمال الدنيا . هو لا يدري كيف أن أهله ، هذا الوالد الصارم وأمّه الحازمة ، لم يجبراه بالشدة المعروفة لديهما للانضمام إلى هذه المدرسة الموعودة بالمستقبل الزاهر؟؟ ربما لأنهم حاروا في مسايسة هذا الصبي المتمرد الذي أصبح خارجا عن نطاق المسايرة والملاينة ، وربما كانوا يحشون أن ينفلت الزمام ويخرج عن طاعتهم بالكامل وفي ذلك ما لا تحمد عقباه ، وربما إن دخول هذه المدرسة يحتاج إلى مصروفات فوق طاقتهم ، من بدلة إفرنجية جديدة وحذاء وغير ذلك من المصروفات اللازمة لهذه المدرسة . المهم انتهت السنة الدراسية الابتدائية ودخل الصيف وذهبوا إلى الزردة المعتادة وجاء أكتوبر ، شقيقه ذهب إلى مدرسته العليا ، أما هو فقد ذهب إلى مغازة عمه احمد التي بها أربعة أنوال وهناك جلس تحت أحد هذه الأنوال لتعلم هذه الصناعة الخطيرة ، وبعد حوالي الشهر

يمكن أن يقال أنه قد تعرف على الأصول الأساسية لهذه الصناعة وتعودت يده وأقدامه على الحركات اللازمة لها .

كان في أحد أركان البيت بعض أجزاء نول قديم صغير من النوع الذي يستعمل لحياكة الأحزمة القطنية المسماة "بالقشاطي" فطلب إلى والده أن يتم تركيبه وإقامته له في المربوعة إياها ، وقد تمت هذه العملية فوراً بعد أن استكملت بعض القطع الناقصة ، وتم تجهيز السدوة عند الحاج محمد بن الفقيه الذي سبق ذكره ، وهكذا أصبح هذا النول الصغير جاهزاً للعمل ، وبدا صاحبنا يعمل على ذلك النول بجدية ونشاط ورغبة عارمة ، فكان في كل يوم ينتهي من حزام من تلك الأحزمة التي يسمونها بالقشاطي كما سبق القول ، حيث تعرض في دكان الوالد للبيع ، والذي ساعد صبينا في هذا الإنجاز وسهل عليه العمل كمبتدئ في هذه الصناعة هو أن هذه الأحزمة قليلة العرض أي لا يزيد عرضها عن نصف متر بعكس الأردنية التي يزيد عرضها عن المتر والنصف ، وإن كان طول الحزام بطول الرداء أي حوالي الأربعة أمتار ونصف ، وفي أقل من شهر أكمل السدوة الأولى فجهزت سدوه أخرى أكبر من الأولى ، وهكذا استمر سعيداً في هذا العمل ، وانقطعت صلته بالدراسة والمدارس ، الشيء الوحيد الذي بقي له من هذا الحقل هو استمراره في قراءة القصص والروايات والمجالات الإيطالية المخصصة للأطفال .

من المعروف في منطقة زاوية الدهماني أن كل من يعملون على النول تقريبا ، والذين يسمون بالحوكية تراهم يعملون في البحر في زوارق أو صنادل صيد السمك ، حيث يذهبون في المساء ، أي بعد صلاة العصر لرمي الشباك خارج الميناء ثم يسحبونها صباحاً عند الفجر ومن بعدها يذهبون إلى أنوالهم يكدون إلى ما يقرب من صلاة العصر ، وهكذا ، وبالتالي فإن صاحبنا رغب أن يكون بحاراً أيضاً ، ولكنه في تلك السنة ، سنة 1937 كان لا يزيد عمره عن الحادية عشر ، فكان رياس الصنادل يرفضون أخذه معهم لصغر سنه ، فكان يتألم أشد الألم لهذا الوضع ، وكان يتردد كل مساء على الشاطئ حيث ترحل الصنادل إلى خارج الميناء لرمي شباكهم ، يستجدي الرياس لأخذه معهم ولكن

دون جدوى ، حيث استمر الرياس في رفضه بالرغم من أنه عرض عمله معهم بدون مقابل ، وأخيرا اكتشف أن له أحد الأقارب يعمل في البحر ، يقاربه في السن إذ لا يكبره إلا بثلاث سنوات فلجأ إليه يتوسل أن يتوسط له عند أحد الرياس ليقبله بحارا معهم ، وهذا الذي كان ، حيث قبل الرياس رمضان عريبي انضمامه إلى بحارة الصندل الذي يقوده هذا الرياس ، العظيم مقدره وأخلاقا ، وأصبح صبينا حينذاك حوكيا وبحارا في آن واحد . هذه الوضعية لم تدم طويلا ، فعندما تراكمت أعداد كبيرة من الأحزمة "القشاطي" المصنوعة في الدكان ، رفض والده الاستمرار في هذه العملية وامتنع عن عمل سدوة جديدة ، فتوقف صاحبنا عن النول والحياكة واتجه إلى العمل في البحر ، فسافر مع الرياس رمضان إلى ما يسمونه صيد "الكنار" وكان ذلك في صيف 1938 حيث ينتقلون بقاربهم أو صندلهم إلى أحد المراسي غرب مدينة طرابلس وكانت المرسى التي استقروا فيها هي مرسى الميدة أو الحرشة ، تبعد عن طرابلس بحوالي ستين كيلومترا ، شاطئ جميل مياهه زرقاء ورماله ناعمة ممتدة على طول الشاطئ لحاوي نصف كيلومترا أو أكثر . كانوا أربع بحارة والريس رمضان ، البحارة هم شقيق الريس ويقال له "الرايح" أي التائه ، ورجل عجوز لا يذكر اسمه وصبينا وقريبه المسمى "الحبيشي" ، كانوا يخرجون بشباكهم عند العصر إلى مسافة تزيد عن العشر كيلومتر في عمق البحر إلى درجة أن يبدو لهم الشاطئ كخيوط رفيع وهناك يلقون شباكهم ويتركونها طول الليل ويسحبونها في الصباح حيث تكون النتيجة في الغالب بين الستين أو المائة كيلو من السمك الممتاز وخصوصا "التريليا" التي يسمونها في مصر البربون غالية الثمن ، كانوا يستأجرون بهيمة من أحد المزارع المجاورة لحمل هذه الأسماك وليذهب بها صبينا و"الرايح" إلى سوق الزاوية الغربية الذي يبعد حوالي أربعة كيلومترات ، والذي يذكره صاحبنا أنه بعد أن يتم بيع السمك في السوق يقوم هو ورفيقه "الرايح" بشراء ما يلزم من مئونة ثم يأخذان طريق الرجوع إلى رفاقهم في شاطئ البحر ، وفي منتصف هذا الطريق يجب الأخ "الرايح" أن يمر على مزرعة صغيرة يبيع صاحبها الذي يسمى "شكبونا" لزواره مشروب عصير النخيل المخمر المسمى "اللاقي" وكان صاحبنا يساير رفيقه

"الرايح" في اخذ كأس أو كأسين معه ، وبعد تلك الجلسة الجميلة الرائقة ينقلبا إلى رفاقهم على شاطئ البحر . أما الريس وبقية البحارة فيهتمون بنشر الشباك في الشمس وترقيع ما تهتك منها وتهيئة الغداء من كميات السمك الكبيرة المحجوزة لهذا الغرض ، وتستمر رحلة الكنار هذه لمدة أربعة أو خمسة أسابيع ، وبعد انتهاء هذه المهمة والرجوع إلى طرابلس بيومين أو ثلاثة استدعاه الريس رمضان وسلمه مبلغا لا بأس به من المال هو حصته من رحلة "الكنار" وهذه الحصنة يسميها البحارة "ألبي" . والواقع أن بحارة صيادي السمك لا يتسلمون أجرا عن أعمالهم بل حصنة مما يتم صيده ، يتم تقسيمها على أساس حصتين للريس وحصتين للشباك وحصنة للقارب أو الصندل وحصنة لكل بحار ، وذلك بعد خصم مصروفات التغذية والشاي والصابون الخ .. وهي في الواقع قسمة اشتراكية تتمثل فيها العدالة بأوسع معانيها ، فالرايس يأخذ حصتين لخبرته الواسعة والمسؤولية الكبيرة التي على عاتقه ، وللشباك حصتين أيضا باعتبار أن الشباك غالية الثمن ومعرضة باستمرار للهلاك بالتمزق أو الضياع ، هذا علاوة على أنها في حاجة للتجديد كل سنتين أو ثلاث. أما القارب أو الصندل فانه لا يحتاج للإصلاح أو الدهان إلا كل خمس أو ست سنوات وغير معرض للهلاك مثل الشباك وبالتالي يعطى حصنة واحدة مثل البحارة .

بعد انتهاء رحلة "الكنار" ذهب صبينا مع قريبه "الحبيشي" للعمل في باب البحر عند رايس آخر له قرابة مع الرايس رمضان هو الرايس علي صالح ، لصيد السردين الذي موسمه في أشهر الصيف ، وهذا الصيد لا يتم إلا في الليل والليالي غير المقمرة بصفة خاصة ، ولا بد من استخدام قارين ، أحدهما يسمى قارب الضوء حيث توضع به الأنوار المبهرة التي تجذب إليها كميات السردين المسافرة ، والقارب الآخر هو قارب الشباك . فعندما يستقر السردين تحت الضوء يقوم هذا القارب بتحويله بشبাকে التي تكون كهيئة زكية أو شكارة كبيرة الحجم من الشباك ضيق العين ، ثم ترفع فتكون مليئة بالسردين ، أحيانا تكون الرمية الواحدة تملأ القارب بالسردين . استمر هذا العمل حوالي الشهر أيضا ، وكان الدخل منه مرضيا ومجزيا .

في أوائل خريف 1938 أي حوالي سبتمبر لم يجد هذا الصبي ما يعمل ، فأصحاب الأنوال الذين يستأجرون الصناع لم يقبلوا استخدامه لصغر سنه الذي يوحي بأنه لن يستطيع إتقان الأردية التي يطلبونها ، وهكذا بقي يدور في الشوارع حتى التقى بصبي من نفس الحي يقاربه في السن كان يعمل مع أخيه الكبير في إحدى شركات توزيع البترول في طرابلس فتوسل إليه ليتوسط له في العمل في هذه الشركة. تم قبوله بتدخل الأخ الأكبر الذي يبدو أن له مركز مرموق في الشركة واسند إليه عملية مرافقة سيارة النقل الضخمة التي تحمل خزانات نقل البترول ، وجعلوه يجلس أعلى هذه الخزانات وعندما تقف هذه السيارة تحت الباخرة الحاملة للبترول على رصيف الميناء يقوم هذا الصبي بوضع الخرطوم الضخم الآتي من الباخرة في فتحة خزان السيارة وتثبته بطريقة معينة ، وعندما يمتلئ الخزان يشير لرجل على الباخرة لإيقاف الضخ ويفك الخرطوم من خزان السيارة ، وهكذا الأمر في تفريغ ما بخزان السيارة في خزانات الشركة . هذه الوظيفة لم تستمر طويلا ، فعندما تم تفريغ الباخرة استغني عن خدماته وقالوا له سيطلبونه عندما تأتي باخرة أخرى . رجع إلى الدوران في الشوارع بدون عمل ، لفت نظره كثرة المباني التي تبنى في منطقته ، فتشجع وطلب إلى أحد رياسة العمل في أحد المباني لقبوله للعمل معهم ، ولكنه لم يستطع الاستمرار في هذا الشقاء ، إذ كانوا يطلبون إليه أن يحمل أثقالا فوق طاقته ، هذا علاوة على أن هذا العمل يغرقه ويغرق ملابسه بآثار الجير والأسمنت والتراب وبالتالي لم يلبث أن غادر هذه المغامرة القاسية حتى أنه لم يتسلم أجره الأيام القليلة التي عملها . ماذا يعمل؟؟ شاهد صبيا مثله يبيع البيض ، يدور بسلة مملوءة بالبيض على منازل الإيطاليين ، ففعل مثله اشترى كمية من البيض بسعر الجملة ووضعها في سلة مناسبة وبقي يدور على منازل الإيطاليين ، ولكن بسبب عدم خبرته في اختيار البيض المناسب وكيفية المساومة باءت تجارته المتواضعة بالفشل الذريع . كان في تلك السنة أعمال الميناء وتفريغ البواخر رائجة رواجاً كبيراً نظراً لاستعدادات إيطاليا للحرب المنتظرة في القريب "أواخر صيف 1938" ، فكان الطلب شديداً على عمال الميناء ، فرأى صاحبنا أن يعرض نفسه كعامل من عمال الميناء ،

ولكن رئيس العمال الذي يعطي التذاكر لدخول الميناء والذي يسمونه "الكبران" كان يرفض قبوله لصغر سنه ، فتشاور مع أحد رفاقه في هذا الأمر العسير ، فطرات عليهما فكرة العمل بالليل في الميناء حيث المنافسة بين العمال قليلة والرئيس الذي يعطي التذاكر لن يلاحظ صغر السن في ظلام الليل ، هذا علاوة إن عمل الميناء بالليل أجره أكبر وفيه ميزة أخرى وهو إمكانية العمال من فتح الصناديق المنقولة وبالأصح تكسيرها والاستيلاء على ما بها من مأكولات ومشروبات والتمتع بها دون أن يراهم أحد .

لم تدم طويلا أعمال الميناء في الليل ، وهو لا يدري لماذا تركها ، وعلى أي حال فان هذه التجارب أكسبت هذا الصبي ثقة بنفسه حتى أصبح يبدو كأنه في سن أكبر من سنه ، وبالتالي كان رياس قوارب الصيد لا يترددون في أخذه للعمل معهم ، فاستطاع في أواخر خريف هذه السنة أن يعمل في صيد الرزام والبلميظ والكحلة ، وهي من الأسماك المسافرة ، حيث أن الخريف وأواخره هو موسمها ، ثم عندما حل الشتاء برده وزوابعه تعذر عليه العمل في البحر ، فرجع إلى البحث عن عمل في الحياكة فعرض نفسه علي أصحاب الأنوال ، وسرعان ما وجد عملا عند الحاج محمد الشفلاك ، كان هذا الرجل الطيب له ثلاثة أنوال ، اثنين منهما يعمل عليهما أولاده ، عبد السلام وإبراهيم ، والنول الثالث كان الصانع الذي يعمل عليه قد غادر البلاد ، فاحتل صبينا مكانه ، وكان أولاد الحاج محمد الشفلاك من أعظم شباب حي زاوية الدهماني فعبد السلام أو الشيخ عبد السلام كما يسمونه ، كان من تلاميذ الشيخ محمد الكشيك في جامع القبطان حيث يدرسون كل ليلة الفقه والتوحيد وغير ذلك من الدروس الدينية ، وإبراهيم كان فنانا في المالوف الأندلسي ، هذا علاوة عن أخلاقيهما العالية المتميزة ، ونظرا للخبرة والتجارب استطاع صاحبا أن يكسب ثقة الحاج الشفلاك وأولاده الأمر الذي جعلهم يقدرونه تقديرا خاصا ، والواقع أنه كان ينجز عمله بالسرعة والاثقان الذي لا يقدر عليه إلا الصانع المتميزين ، فإذا كان اغلب الصانع يستغرقون في إنهاء الرداء من الصباح الباكر إلى ما بعد العصر ، فهو كان يتم هذا العمل عند صلاة الظهر وياثقان كامل الأمر الذي

جعل الحاج الشفلاك يقدره تقديرا خاصا ويتمسك باستمراره في العمل معه ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان هذا الصبي كان يرتاح إلى معاملة الحاج وأولاده الذين كانوا يتميزون بالطيبة والخلق الرفيع كما سبق القول ، وعليه فقد استمر صبينا في العمل مع هذه الأسرة الكريمة ما يزيد عن الستة أو السبعة أشهر. وبناء على هذا الوضع المستقر والمدخول المالي المناسب أصبح صاحبنا يقتني الملابس الأنيقة التي تستهوي المراهقين الذين في مثل سنه ، ويصرف على نفسه وعلى من حوله براحة كاملة مقتحما مرحلة الشباب المبكر بثقة صلبة غير هيابة ، وقد احترمت الأسرة استقلالته ، وهو لا يدري حتى الآن كيف أن ذلك الوالد الصارم قد ترك له الحبل على الغارب ؟ على أي حال فان هذا الشاب الصغير لم يلوث هذه الاستقلالية بما يخرجه عن تقاليد الأسرة أو الأخلاق الحميدة ، وكل ما في الأمر أنه كان كل خميس يذهب مع زميل له في الحياكة ومن مثل سنه ، يقال له علي الكويني ، إلى قلب المدينة فيدخلان أحد المطاعم المعروفة ثم بعد ذلك الدخول إلى السينما ، وفي مجرى هذه الحوادث كان هو وزميله في المطعم فشاهدا أحد رواد المطعم في المنضدة التي تجاورهما أمامه مشروبا لونه اصفر وتعلوه رغاوي بيضاء جميلة الشكل ، فسألا النادل عن هذا المشروب فقيل لهما أنها "البليلا" ، فطلبا إليه أن يزودهما بها باعتبار أن طعمها سيكون موازيا لشكلها الجميل ، ولكن للمفاجأة جدا طعمها مرًا ، وبالتالي تركاها كما هي ولم يطلبها مرة أخرى ، والمغامرة الأخرى التي وقعا فيها باندفاع المراهقة وما تجره على من هم في هذه السن ، هو كثرة سماعهما من زملائهما الحوكية الشباب حول تلك البيوت التي تقع خلف مدرسة "الأمير" الابتدائية في شارع سيدي عمران ، حيث يوجد النساء اللاتي يعرضن أنفسهن على الرجال مقابل مبلغ معين من المال ، فقرر هذان الصديقان زيارة هذه البيوت ، ولكنهما عند دخول أول بيت نظرت إليهما المشرفة على البيت - التي يسمونها "البدرونة" - شزرا وطردهما شرًا طردة ملاحقة إياهما بعضا غليظة كانت في يدها صائحة أن هذا ليس مكانا للأطفال ، فخرج الصديقان من المنطقة يجران أذيال الخجل والخيبة .

الفصل الثاني

مرحلة الصبا وبعض التقاليد والعادات في طرابلس

في هذه الفترة التي هي بين الطفولة والصبا ، كان للصبيان في كل حي فتواتهم ، وكان هذا الصبي يعتقد ، سواء عن حق أو باطل ، أنه فتوة زقاق الكعامي ، كما أن هناك في الزقاق الآخر القريب أي زقاق الجامع فتوة آخر يقال له عبد السلام بن بركة ، وكان الزقاقان في شبه تحدي مستمر ، وكان العبء الأكبر في هذا التحدي الصباني يقع على فتوات المنطقة ، أي على صبينا والصبي الآخر عبد السلام بن بركة ، فإذا التقى الصبيان من الزقاقين فلا بد أن يتحمل الفتوان نتيجة التحدي ولا بد أن يتصارعا أمام الجميع ، حيث يتم الهتاف والتصفيق من صبيان الزقاق لأي حركة يبدو فيها صاحبهم أنه قد أوشك على الانتصار ، وبناءا عليه فان الطامة الكبرى أن الهزيمة في هذا الصراع الصباني لا تقع نتیجته على المتصارعين فقط بل تنسحب على صبيان الزقاق كله ، وبالتالي فان المسؤولية ضخمة وذات أبعاد عميقة ، وعليه فان هذين الفتويين كانا يلجئان إلى اتفاق نفسي غير مكتوب وغير متفق عليه ، وهو أن تكون نتيجة هذا الصراع بلا غالب ولا مغلوب ، ولعل نتائج هذا الصراع الطفولي أو الصباني هو الذي دفع بهذين الفتويين إلى تكوين صداقة حميمة فيما بينهما استمرت لعدة سنوات سيأتي الحديث عنها فيما بعد .

وفي هذه الفترة أيضا أصبح صاحبنا يشعر بالجنس الآخر وينجذب إليه بقوة طاغية ، وكان يعتبر أن أجمل النساء في ذلك الوقت ، أواخر 1938 هما جنجر روجرز وإستر وليامز وأخيرا أيضا جاردنر ممثلات السينما المشهورات فكان يحتفظ بصورهم لديه ولا يكف عن مناجيتهن في أحلامه . وفي ما يتعلق بهذه القضية أنه كان يجب أن يستمع إلى نغمات الموسيقى ويزاولها أيضا ، وبناءا عليه فقد اشترى شبابه التي يسمونها في الشرق الناي وجعل ينغم عليها في خلواته خصوصا في الليالي الصيفية القمرية ، فكان يجلس في الحديقة التي وراء بيته ويزاول هوايته في التنغيم ، كانت هذه الحديقة قريبة من فندق المهاري الذي كان

قد أنشئ حديثاً في ذلك الوقت ، وفي ليلة من الليالي الصيفية القمرية المغمرة كان صاحبنا ينغم على شبابه في نفس المكان ، لا يدري حتى وقفت عليه فجاء أنسة إيطالية جميلة مثل فلقة القمر الذي كان يظللها وبقت تستمع إليه فترة ثم طلبت إليه أن يعيرها هذه الشبابة حيث حاولت أن تنغم عليها هي أيضاً ، ثم أرجعت إليه شبابه مع تربية حنون على خده وانصرفت ، هذا الطفل أو الصبي قد بقى مبهوراً لا يدري في أي مكان هو أفي الأرض أم في الجنة لمدة لا تقل عن عشر دقائق ، وعندما أفاق بحث عن تلك الحورية ولكنها كانت قد اختفت ، فقدر بينه وبين نفسه أن هذه الحورية لا بد أن تكون من نزلاء فندق المهاري الذي لا يبعد عن بيته بأكثر من بضع خطوات ، وبالتالي أصبح يحوم حول هذا الفندق مثل مجنون ليلي لعدة أيام ، ولم ينس طول حياته تلك الحورية التي نزلت إليه من السماء وتلك التربيئة الحنونة على خده .

نحن الآن في سنة 1939 ومنذ أوائل هذه السنة ابتدأت الحرب العالمية الثانية حيث دخلت إيطاليا هذه الحرب المدمرة في صيف هذه السنة وتأثرت بفظائعها ليبيا أيما تأثر ، ولكن قبل أن ندخل في تفاصيل هذه الحرب وما عاتته ليبيا من جرائها ربما يكون من المستحسن أن نعرض على ذكر بعض التقاليد والعادات السائدة في ذلك الوقت والتي يجب تسجيلها ، من ذلك كيف يستقبل اللييون ، والطرابلسية بصفة خاصة ، شهر رمضان والأعياد والمولد وعاشوراء ، وما هي تقاليدهم في الزواج والمآتم والسهرات والزرادي ، كذلك ما هي الألعاب التي كان يزاولها الأطفال من زربوط ، وبطش ، وزلزلات وزلزل ، ومفتاحي طاح ، والطبة أو التيرة ، وغير ذلك من الألعاب السائدة في طرابلس وضواحيها . سأعرض على كل ظاهرة من هذه الظواهر بكلام مختصر وبسيط ما أمكن ذلك .

بالنسبة لشهر رمضان المبارك ، فقد كان لهذا الشهر في ليبيا وطرابلس بصفة خاصة شتة ورثة كما يقول الطرابلسية ، إذ يستقبلونه بحفاوة ضخمة واستعدادات رائعة ، وبالرغم أن الراديو لم يكن شائعاً في ذلك الوقت للإعلان عن طريقه عن رمضان ، فقد كان الحكم الإيطالي يحاول أن يحترم التقاليد

الإسلامية فتنتطلق أحد وعشرون طلقة من مدفع السرايا يسمعا كل سكان طرابلس والضواحي معلنة دخول رمضان المبارك ، في بعض السنوات يتأخر الإعلان عن ثبوت هلال رمضان إلى ساعة متأخرة من الليل حيث يكون أغلب الناس قد اخلدوا إلى النوم ، ففي هذه الحالة يقوم بعض الجيران بالتطوع للاتصال ببيوت جيرانهم وإبلاغهم بثبوت الرؤيا ، الأمر الذي يدل دلالة واضحة جميلة على مدى الترابط والتكافل بين الناس في ذلك الوقت الجميل ، وكان من أشهر الأشخاص الذي يقوم بهذه المهمة الجليلة في منطقة زاوية الدهماني هو الحاج محمد الخافي ، كان صاحب مقهى متواضع في حيّ زاوية الدهماني ، رحمه الله وأثابه على أفعاله الجليلة . كان هذا الطفل أو الصبي يفرح فرحا غامرا بشهر رمضان المبارك لما ينبعث فيه من بهجة وأنوار وسهرات وتبادل زيارات ليلية وإحسان واسع إلى الفقراء والمساكين ، والذي يذكره صبينا عندما يحل رمضان يكلفه والده بمهمة رائعة ، طوال أيام رمضان ، وهي بإعطائه سلة صغيرة مليئة بالثمور الجيدة ليقف عند باب الجامع عند المغرب لتفريق تلك الثمار على الصائمين عند دخولهم إلى الجامع فكان هذا الصبي يفرح فرحا غامرا بهذه المهمة الجليلة ، وعندما كبر وتزوج وأنجب كلف أطفاله بنفس هذه المهمة . وكان هذا الصبي في طفولته يلح على والدته وشقيقته الكبرى أن يوقظوه عند السحور ليتسحر ويصوم في اليوم التالي ، ولكنه عند الظهر أو بعده بقليل تنهار مقاومته وتشعر شقيقته الكبرى بالمكابدة التي يعانيتها فتشجعه على الإفطار بإقناعه أنه في الإمكان بعد صيامه نصف اليوم التالي خياطة نصفي اليومين ليصيرا يوما كاملا من الصيام ، على أي حال فقد كانت آلام الجوع كفيلا لإقناعه بهذه الحيلة المريحة ، ومن جهة أخرى فهي طريقة جيدة لتعويد الأطفال على الصيام والمشاركة الفعلية في الاحتفاء بهذا الشهر المبارك والاندماج في جوه الجميل . في رمضان تتغير نوعية الأطعمة ، فاعلم العائلات والمتوسطة منهم بصفة خاصة لا يشتركون اللحم أو يأكلونه إلا مرة في الأسبوع في أيام السنة العادية ، ولا أحدا يعرف إن كانت هذه العادة قد أتت بها الدواعي الاقتصادية أو الصحية ، فقد ثبت في هذه السنوات الأخيرة أن كثرة أكل اللحم مضر بالصحة ، ولكن في

رمضان يتغير الحال مائة وثمانين درجة فاللحم أو السمك أو الطيور لا بد من تواجدها يوميا ، ولا بد من صنفين على الأقل من الأكل ، الشربة أولا ثم نوع أو نوعان آخران ، وفي هذا الشهر يكثر عمل الحلويات وتقديمها ، من مخلوفة وبسبوسة وزمالة القاضي ومبسم القاضي وأودينة القاضي وغير ذلك من الحلويات التي تتقنها بنات طرابلس ويتنافسن في التفنن في إجادتها وسبل تقديمها . في أواخر رمضان وعند اقتراب عيد الفطر المبارك تستعد العائلات لاستقباله بظاهرتين بارزتين : الحلويات وملابس العيد ، فكل العائلات حتى الفقيرة لا بد أن تصنع الحلويات ، الفقيرة تكتفي بالقليل من نوع واحد إما المقروض أو الغريبة ، أما العائلات المتوسطة والغنية فلا بد من الأصناف الثلاثة ، المقروض والغريبة والبقاوة وبكميات كبيرة للأكل والتوزيع على الأقارب والأصدقاء والفقراء ، فترى في أواخر رمضان الازدحام الكبير على فرن الحي ، حيث يلتقي الصبيان والصبايا بأعداد كبيرة في انتظار ما لهم عند الفران ، عمي "العويتي الفرزاني" فتراهم إلى ما بعد منتصف الليل يسمرون ويلعبون في جو مرح جميل . وفي هذه الفترة تمتلئ الأسواق بشراء ملابس العيد ، الفرملة والبدعية أو الزبون ، والحذاء وطاقيه البسكل والحولي ، أما القمصان والسراويل فإنها في الغالب تصنع في البيوت ، واغلب العائلات الفقيرة والمتوسطة وحتى بعض العائلات الغنية لا يعرفون شراء الملابس والأحذية إلا قرب العيد . وبهذه المناسبة يذكر صاحبنا ان والده يأخذه مع شقيقه إلى صديقه اليهودي حكيمون ذلك الرجل العجوز الطيب الودود الذي برع في صناعة الأحذية حيث يأخذ مقاسات اقدامهما ويصنع لهما أحذية العيد ، وفي نفس تلك المنطقة يوجد ما يسمى بسوق الفرامل حيث يقوم يهودي آخر من اصدقاء الوالد أيضا بأخذ المقاسات للشقيقتين ليصنع لهما الفرملة والبدعية أو الفرملة والزبون .

فإذا حلت العيد ، وهي إما أن تحل بالثلاثين يوما من رمضان فيكون يوم العيد معروفا وتمت التجهيزات اللازمة له ، أما إذا كان شهر رمضان تسعة وعشرين يوما فلا يعرف قدوم العيد إلا بعد صلاة العشاء وفي بعض المرات إلى ما بعد منتصف الليل ، وفي هذه الحالة لا بد من القيام ببعض الإجراءات اللازمة

حتى لو كان الوقت بعد منتصف الليل ، من ذلك إن يقوم الوالد إلى الدكان ويعمل قراطيس من الدقيق أو الأرز أو الحنطة بعدد أفراد العائلة ويلزمنا بتوزيعها على الفقراء قبل الفجر أو قبل صلاة العيد كما هي السنة المتبعة في زكاة الفطر ، كما أن الوالدة تقوم بعمل الفطيرة بالدقيق والسمن ، والقلاية من الكبادي والكلاوي ، وإذا كان هناك سمك وهو في الغالب يكون موجودا لهذه المناسبة فيعمل ما يسمى عند الطرابلسية بالحرايمي ، وهذه كلها مأكولات تقدم لأفراد العائلة وللضيوف صباح العيد .

في صباح العيد تقوم الوالدة أو الشقيقة الكبرى بإدخال هذا الطفل أو الصبي إلى الحمام وتنظيفه جيدا بالماء والصابون وإلباسه الملابس الجديدة للذهاب مع والده إلى الجامع لصلاة العيد ، وبعد الصلاة يذهب مع والده إلى المقبرة من غير الطريق التي ذهبا بها إلى الجامع لزيارة قبر الجد والجدة حيث يقرآن الفاتحة ومن ثم الرجوع إلى البيت ، وبعد تناول القليل من تلك المأكولات المجهزة في الليلة السابقة تبتدى الزيارات للأهل والأقارب ، فاغلب أيام العيد الثلاثة تفضى في مهمة هذه الزيارات ، وهي لا شك ظاهرة جميلة عميقة المعنى والدلالة . والمعنى العميق أيضا في هذه المناسبة وفي شارع زاوية الدهماني بالذات أنه كلما التقى شخصان في هذه الأيام المباركة فلا بد أن يسلما على بعضهما ويرددان عبارات التهاني بالعيد ، "كل عام وانتم بخير ومن العيدين الفائزين" . كما أنه بعد صلاة العيد لا بد لكل فرد في هذا الجامع أن يسلم على جميع الحاضرين ، فترى طوابير من الناس يصفحون بعضهم البعض والبشرى والابتسام على وجوههم يتبادلون التهاني والتحية والكلمات المبهجة المفرحة .

الشيء الجميل المبهج في هذه الأيام الرائعة انك ترى الأطفال من ذكور وإناث وقد ارتدى الجميع الملابس الجديدة المزركشة بألوان متعددة الأحمر والأخضر والأصفر والأزرق والبنفسجي يحومون كالزهور الجميلة حول المناضد الكثيرة المصطفة على طول شارع زاوية الدهماني لبيع الألعاب المتعددة من صفارات وبالونات وشكشكات إلى غير ذلك من الألعاب التي يقبل عليها

الأطفال بما لديهم من نقود قد تحصلوا عليها من العيديّة التي هي فرحة الطفولة في هذه الأيام .

بالنسبة لأطفال وصبيان ضواحي طرابلس مثل سوق الجمعة وسكرة وشارع الشط وزاوية الدهماني وقرقارش إلخ .. لا بد أن يذهبوا في هذه الأيام إلى وسط المدينة حيث " اللويذة والشقلبية والزندقاح" وغير ذلك من الألعاب التي يقبل عليها الأطفال من أمثال تأجير البهائم "الحمير والخيل" ، فترى الأطفال في فرحة عارمة تسر النفوس وتبهج القلوب ، إنها أجواء عظيمة الروعة والبهاء تنبئ بتمسك تلك الأجيال بمناسباتها الدينية والوطنية الأمر الذي ابتداءً يزول شيئاً فشيئاً في الوقت الحاضر أي في نهاية القرن العشرين .

هذا بالنسبة لعيد الفطر التي يسميها الطرابلسية العيد الصغيرة ، أما بالنسبة لعيد الأضحى التي يسمونها العيد الكبيرة ، فموعدها يكون معروفاً مقدماً لارتباطه بمواعيد الحج والوقوف بعرفات في اليوم السابق للعيد ، وبالتالي ترى الأسر من قبل العيد يجهزون الضحية من كباش وخراف ، وبقر وجمال في بعض الأسر ، والملاحظ في هذا الشأن أن الأسر غنيها وفقيرها لا بد من تحضير الأضحية ولو خروف واحد ، أما بالنسبة للأغنياء أو حتى الأسر المتوسطة فلا بد أن يكون عدد الأضاحي بعدد الأفراد الكبار في الأسرة ، فبالنسبة لأسرتنا في ذلك العهد "الثلاثينات والأربعينات" فلا بد من كبشين للوالد والوالدة وخروفين للشقيق الأكبر والشقيقة الكبرى . وبعد صلاة العيد وزيارة المقبرة كما هي العادة يتبدى الذبح وتسيل الدماء انهاراً في شارع زاوية الدهماني !!

لكل العائلات تقاليداً بهذه المناسبة ، بالنسبة لعائلة شرف الدين فإنهم في الغالب يجتمعون في البيت الكبير الكائن بزقاق العيد لكونه بيتاً كبيراً فعلاً كما أن به حديقة كبيرة ، حيث أن البيت يمكن أن يستوعب الأعداد الكبيرة من أفراد العائلة الذي يصل عددهم إلى العشرات رجالاً ونساءً وأطفالاً ، كما أن الحديقة يمكن أن تستوعب الأعداد الهائلة من الكباش والخراف التي تصل إلى العشرات أيضاً ، وكذلك عشرات الرجال والصبيان ، حيث يقوم الجميع بعمليات الذبح والسلخ والتقطيع ، فترى العالم في هرج ومرج ، هذا يذبح وذاك يسلمخ والآخر

يشوي اللحوم والكبادي وغيره يصنع الشاي . هذا الذي يجري في الحديقة ، أما الذي يجري داخل المنزل فشيء آخر ، حيث أن النساء جميعا والصبايا أيضا يقمن بغسل اللحوم والمصارين وتشويط الرؤوس وتهيئة الغداء الذي لا بد أن يكون كسكسى بالعصبان حسب تقاليد هذه العائلة العريقة . ومن تقاليد هذه العائلة أن أكتاف الضحايا اليمنى توزع على الفقراء والأكتاف اليسرى يعمل بها أكلة يسمونها "البازين" في اليوم الرابع من العيد ، أما بقية لحوم هذه الضحايا تتولى ربة البيت تقطيعه وإشباعه بالملح ونشره في الشمس ليومين أو ثلاثة ثم قليه في الزيت ثم تعبئته في أزيار وهو ما يسمونه بالقدّيد يكون مخزونا من اللحم طوال السنة أي من العيد الكبير إلى العيد الكبير ، وهناك من الأكلات الطرابلسية لا يمكن تهيئتها إلا بهذا القدّيد من مثل الشكشوكة والرشدة والمحمصّة .

إن عيد الأضحى المفروض أن يكون لها معنى عميق في نفوس المسلمين الأمر الذي يغيب عن الكثيرين منهم ، فهي في معناها العميق ذكرى للتضحية في سبيل الحقيقة والمبادئ المثلى ، فهي تمثل إقدام إبراهيم الخليل عليه سلام الله بمحاولة التضحية بابنه الوحيد إسماعيل إذعانا لأمر الله كما تصور ذلك في حلمه العجيب ، وكيف أن هذا الابن البار أذعن لإرادة والده المتمثلة في إرادة الله وطلب من والده تنفيذ هذه الإرادة الذي هو ضحيتها ، وكاد السكين ينفذ في رقبة ذلك الصبي الرائع لولا تدخل الرحمة العظمى من صاحب الرحمة الرحمن الرحيم بافتدائه بكبش عظيم . إن على تابعي هذه الرسالة العظيمة والملحمة الرائعة أن يتذكروا في عيدهم هذا هذه المعاني الجليلة ، وهي التضحية وبذل النفس والنفيس في سبيل الحق والخير والعدل .

وأحد الأعياد المهمة هو المولد النبوي الشريف ، والذي يجري تحضيره في هذه المناسبة الجليلة هي الخميسة بالنسبة للبنات والقنديل بالنسبة للصبيان ، الخميسة تتكون من هيكل خشبي يرتكز على قاعدة ارتفاعه حوالي المتر وأحيانا يزيد عن ذلك حسب إمكانيات رب الأسرة ، ويكون في قمة هذا الهيكل الخشبي شبه كف مفتوح الأصابع توضع فيه خمس شمعات ويزين هذا الهيكل بأوراق عديدة الألوان . أما القنديل فيتكون من مجموعة من الحبال القصيرة حوالي

النصف متر تروى بالقطران والغاز وتوضع في رأس قطعة جريدة نخل خضراء لا يزيد طولها على المترين ، وفي ليلة المولد النبوي حوالي صلاة العشاء توقد شمعات الخميسات والقناديل حيث يدور بها الصبايا والصبيان في شوارع الحي وأزقته ، الخميسات بيد الصبايا والقناديل بيد الصبيان مع ترديد العبارات الجميلة التي ترحب بمولد الرسول الكريم ، "هذا قنديل وقنديل ، فاطمة جابت خليل ، هذا قنديلك يا حوّا ، يشعل من المغرب لتوّا" يستمر هذا الوضع إلى ما بعد صلاة العشاء بقليل حيث ينسحب الصبايا والصبيان ويتصدر الموقف الشباب ، وهؤلاء يأتون برميل من الحديد يضعون فيه قليلا من القطران وقليلًا من الغاز حيث يصير ملتهب الفوهة ثم يتبارى هذا الشباب الجامح في القفز فوق هذا البرميل الملتهب .

في صباح اليوم التالي كل البيوت غنيها وفقيرها لا بد أن يقدموا لأهل البيت والزوار ما يسمى بالعصيدة ، وهي عبارة عن عجينة دقيق مطبوخة ويوضع حول قبة هذه العجينة إما الرّب - بضم الراء - ، والزيت أو السمن والعسل ، وهذه الأكلة العجيبة ، كما تقدم في صباح المولد النبوي فقد جرت العادة في طرابلس على تقديمها عند ولادة أي طفل أو طفلة .

من المسائل الغير عادية والتي تمتاز بها ربما مدينة طرابلس وضواحيها فقط هو أن الاحتفال بالمولد النبوي يستمر لأيام عديدة تصل إلى الأسبوعين أو الثلاثة عن طريق ما يسمونها بالحضاري التي يبرز فيها الفن الأندلسي الذي يسمى بالمولف . وهذه الحضاري تخرج في اليوم الأول من احتفالات المولد إلى الشوارع بأعلامها الملونة ودفوفها وأناشيدها الأندلسية الوجدانية الجميلة المؤثرة ، أما بقية الأسبوعين أو الثلاثة فتستقر هذه الحضاري ليلا داخل الزويّ ، ففي مدينة طرابلس هناك الزاوية الصغيرة في منطقة باب البحر ، والزاوية الكبيرة في مدخل المدينة القديمة ، وسيدي عبد الله الشعاب في شاطئ زاوية الدهماني ، وسيدي لندلسي قرب شواطئ تاجوراء ، ففي كل ليلة من هذه الليالي يبتدئ الاحتفال من بعد صلاة العشاء وينتهي ما قبل الفجر بقليل ، فأولا يقرأ الحزب من قبل المشايخ ورجال الدين ، وهذا يستمر حوالي الساعتين ، ثم يليه الذكر حيث

يجتمع رجال وشباب الحي في شبه دائرة كبيرة يذكرون أسماء الله بصوت عال وهم وقوف ويتحركون إلى اليمين والشمال على نغمات المنشدین الذين يتواجدون داخل تلك الحلقة ، ويستمر هذا الذكر حوالي ساعتين آخرين ، ثم تبدئ الحاضرة التي يزاوها شباب الحي في الغالب حيث يجتمعون في شبه دائرة أيضا وهم جلوس ويدهم الدفوف يضربونها بأكتفهم بطريقة جميلة جذابة وحوهم مجموعة كبيرة من الشباب ينشدون الأناشيد الأندلسية بصوت عال متعدد النغمات ، بقيادة رئيس الفن الذي كان في ذلك الوقت السيد حسن الكعامي ، إن هذه الأناشيد الأندلسية تتردد باستمرار في حضاري المولد النبوي وفي حفلات الزواج حيث جرت العادة في طرابلس بان يزف العريس بهذه الأناشيد الرائعة ، الأمر الذي جعل اغلب شباب طرابلس يحفظها عن ظهر قلب بكلماتها العميقة المعبرة ونغماتها الجميلة المؤثرة ، وبناء على ذلك فقد استطاعت ليبيبا أن تفوز عدة مرات في المسابقات الموسيقية في العالم العربي لإتقانها للفن الأندلسي .

وعلى ضرب الدفوف وهذه الأناشيد الرائعة يقوم في بعض الأحيان من يسمون بالعیساوية يجذبون ، أي يركون أجسامهم يمينا وشمالا على هذه الأصوات والنغمات ويأتون بتصرفات خارقة من مثل وضع أسياخ الحديد في أشداقهم أو في بطونهم أو وضع الثعابين السامة حول رقابهم إلى غير ذلك من الخوارق التي يستعصي فهمها ، ويقولون إنها تتحقق بقوة إلهية نتيجة تساييح معينة ، وهذا الصبي لا زال يذكر أن شيخ الحزب الشيخ علي أبو زربية ، في مرة من المرات ادخل سيخا من هذه الأسياخ الحديدية في شدة هذا الصبي حتى برز هذا الشيخ داخل فمه ولم يشعر هذا الصبي إذ ذاك بأي ألم الأمر الذي لا يمكن تفسيره بناء على الأوضاع العادية للأمور .

بهذه المناسبة حول الأشياء الخارقة التي يستعصي فهمها يذكر صاحبنا أنه في فترة من الفترات أثناء الإقامة بالمرعة تكاثرت الكلاب الضالة بالمرعة وحول البيت وحاول صاحبنا إبعادهم بكل الطرق تفاديا لخطرهم على الأطفال ولكن كل تلك المحاولات قد باءت بالفشل مما اضطره إلى استعمال بندقية الصيد التي لديه الأمر الذي أدى إلى قتل أحد هذه الكلاب ، فما كان من هذه العصابة من

الكلاب إلا أن صارت تهاجم كل ليلة حظيرة المواشي بالزرعة وفي كل ليلة تقتل خروفا أو خروفين ، وقد حاول صاحبنا أن يترصد هذه العصابة الكلابية ساهرا ببندقية حول الحظيرة ، ولكن دون جدوى ، فبعد السهر الطويل لا بد لصاحبنا أن ينسحب إلى البيت لينام ، وكأن هذه العصابة تنتظر هذه اللحظة لتواصل هجوماتها ، حتى كاد صاحبنا أن يصيبه اليأس من هذه الملاحقة ، وفي يوم من هذه الأيام الصعبة كان صاحبنا يتجول نهارا في أنحاء الزرعة وبندقيته في يده فصادف على بعد خطوات كلبا من هذه الكلاب فوجه إليه بندقيته ولكنه لم يطلق النار بل قال للكلب !! بصوت مسموع ، أن في إمكاني أن أقتلك الآن بهذه البندقية ولكنني أعتقك لوجه الله على أساس ألا أراك وعصابتك مرة أخرى في هذه الزرعة !!! إن الذي يكاد لا يصدق العقل وقد يكون مجرد وهم من الأوهام ، أو صدفة من الصدف . أن تلك العصابة من الكلاب قد انقطعت رؤيتها بالزرعة من ذلك اليوم !!!

وحادثة أخرى شبيهة بالحادثة السابقة وهي أننا عندما كنا نقيم في منطقة النزهة الجديدة بالقاهرة كانت هناك خرابة بجانب العمارة التي نقيم بها ، وبالتالي كانت الفئران تهاجم شقتنا ، فلا يمضي أسبوع دون أن نجد فأرا في الشقة ، ولا ندري كيف تمكنت هذه الفئران من الدخول إلى شقتنا ، الأمر الذي اضطرنا إلى شراء مصيدة فئران واستعمالها ، وكان شقيق زوجتي عندما يقع فأرا في المصيدة يضعه تحت حنفية الماء الساخن حتى يموت ، ولكن الفئران لم تنقطع أبدا ، وفي مرة من المرات بعد أن وقع فأر في المصيدة أخذتها إلى الشارع وخاطبت ذلك الفأر !!! أيها الفأر إني سأطلق سراحك على ألا تأتي ورفاقتك إلى هذه الشقة مرة أخرى ، وفتحت له المصيدة حيث انطلق يجري !!! الشيء والأمر المذهل أن الفئران قد انقطعت عن شقتنا تماما من ذلك اليوم !! هل هي الصدف؟؟؟ هل هي الأوهام؟؟؟ العلم عند الله والراسخين في العلم .

ان هذا الحديث يجرنا إلى تقاليد عائلة صاحبنا العجيبة حيث يعتقدون ، وربما عن تجارب متعددة ، أن أي فرد من أفراد هذه العائلة إذا قتل أي حشرة من هذه الحشرات السامة لا بد أن ترجع إليه في يوم من الأيام القريبة وتؤذبه ،

وصاحبنا يذكر وهو صبيّ أن والده لم يقتل العقرب التي وجدت في البيت بل أخذها بماشة الفحم في كأس وألقي بها في المقبرة ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في سابق القول . وقصة أخرى في نفس الفترة تقريبا ، وهي أن عائلة العم أحمد قد وجدت ثعبانا في ركن من أركان البيت فلم يقتلوه بل سايسو أمره حتى أدخلوه في كيس ثم ألقوا به في المقبرة ، بالمناسبة هذه المقبرة هي تابعة لضريح سيدي الشعاب وسيدي سليمان الفيتوري الذي قيل أنه جدّ هذه العائلة . وصاحبنا قد ترسّخت فيه هذه التقاليد فهو يحاول ، حتى في هذه السنوات الأخيرة ألاّ يؤذي أي حشرة من هذه الحشرات التي تصادف في البيت من حين إلى آخر من نمل أو ذباب أو غير ذلك من الحشرات بل يحاول إبعادها عن البيت بالطرق السلمية دون قتلها ، والله في خلقه شئون !!!!

لا زلنا في ذكر التقاليد السائدة في منطقة طرابلس وضواحيها في الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين ذلك ما جرت به العادة في ذكرى عاشوراء ، حيث تستعد لها العائلات في طرابلس قبل موعدها بعدة أيام بتنقيح الفول والحمص في أواني كبيرة لطبخه في الماء في أيام عاشوراء وتقديمه إلى الزوار وحيث يوزع على الفقراء في المقابر التي جرت العادة على زيارتها في يوم عاشوراء . والعادة العجيبة التي تجري قبل يوم عاشوراء بأسبوع أو أسبوعين هي المعارك الطاحنة بين الأحياء ، وصاحبنا لا زال يذكر المعارك التي كانت تجري بين حي زاوية الدهماني وحي الظهرة ، حيث يلتقي صبيان وبعض الأحيان حتى شباب هذين الحيين في مكان فاصل بين المنطقتين هو المنطقة المعروفة بالدمر ومقطع الحجر أو مقطع "يب" ، وهناك تحمى المعارك بين الفريقين بقذف الطوب باليد أو بالمقلع وأحيانا عندما يلتحم الفريقان يسود ضرب الدبابيس ، وهذا الصبي لا زال يذكر اشتراكه في هذه المعارك حيث كان يصنع مقلعه من أسلاك الكهرباء الذي يخرج أصواتا مثل طلقات البنادق عند قذف الطوب به فيدخل به هذه المعارك العجيبة التي لا يدري سر إقباله عليها بهذا الحماس والإقدام ، بالرغم من المخاطر التي تحيط بها ، وقد شاهد أكثر من مرة صبيانا يتعرضون لجروح بليغة لإصابتهم بهذا الطوب الذي يقذف بالمقاليع حيث تندفع الطوبة بقوة مثل

الرصاصة الأمر الذي يتعذر معه تفاديها . وكان في هذه المعارك زعماء وأبطال يذكر من بينهم في ذلك الوقت ، الزقوزي والعلوش وعبد الجبار وغيرهم ، ومن العبارات التي تذكر في هذه الحرب الطاحنة!! "الدهماني يا ما أقواه اللي ما يعرف معناه ، دخلنا في قوسهم وطيحنا ناموسهم ، وبيا علّوش زودّ بينا عرب الظهره حاموا فينا الخ .. " .

الشيء العجيب أن هذه المعارك التي تستمر حوالي الأسبوعين قبل يوم عاشوراء تنطفئ انطفاء كاملا في صبيحة ذلك اليوم ولم يعد لها أي وجود حيث تبتدئ ، بعد زيارة المقابر ، أعمال "الشيشباني" ، إذ يجتمع الصبيان في يوم عاشوراء ويكسون أحدهم بليف النخيل من أعلي رأسه إلى أخمص قدمه ويعملون له عقودا من العظام والعلب الفارغة في رقبتة ووسطه تخرج أصواتا عجيبة عندما يتحرك أو يرقص رقصاته المعروفة ، ويضعون في يده عصا غليظة ويدورون في الشوارع والبيوت وهم يصيحون "شيشباني ياباني هذا حال الشيباني ، شيشباني بالقرعة جابت أمك ما ترعى" وغير ذلك من الأقوال ، ويدخلون من بيت إلى بيت وهم بهذا الصياح ، وفي بعض الأحيان يكون معهم طبلة يدركون عليها ، ومن واجب ربة البيت الذي يدخلونه أن تزودهم بشيء من الفول والحمص المنقوع يضعونه في سلة تكون معهم ، وإذا تأخرت ربة البيت قليلا عن تقديم المطلوب تراهم يصيحون "مشت تجيب كلاها الذيب" وإذا أحضرت المطلوب بسرعة يرددون "امشت تجيب أعطيها الصحة" وإذا امتنعت عن إعطائهم هذا العطاء التقليدي يخرجون من البيت وهم يصيحون "المرأ مطلقه والرحاء معلقة" وهي تعبيرات قاسية فيها دعوة سافرة إلى تطبيق ربة البيت واختفاء القمح والشعير الذي يرحى عادة بالرحاء التي أصبحت معلقة ، لا ادري كيف كان أهل الحي يتقبلون هذه الدعابات المتطولة برحابة صدر ، وأحيانا بكثير من الضحك والفرفشة ، ولكنها على أي حال هي العادات والتقاليد التي مع الأسف قد اندثرت في أيامنا هذه أي في نهاية القرن العشرين ولم يعد لها وجود .

هذه العادات والتقاليد ، طبخ الفول والحمص واكله وتوزيعه على

الفقراء والمساكين ، وزيارة المقابر ، والشيشباني ، والتحديات والصراعات بين أحياء المدينة وغير ذلك مما كان يجري في أيام عاشوراء وما قبلها ، لا يمكن أن يكون قد أتى صدفة ، إذ لا بد أن يكون له جذوره وأعماقه في تاريخ هذه الأمة أو على الأقل في تاريخ منطقة طرابلس وضواحيها ، إذ الواقع أني لم أجد لمثل هذه التقاليد والعادات وجود في البلاد التي زرتها وعشت فيها مثل مصر والعراق والمغرب . أما في ليبيا أو في طرابلس بالتحديد فالأمر له رواية يتحدث بها الناس ، فيقال إن يوم عاشوراء له علاقة بقصة سيدنا نوح عليه السلام ، حيث أنه عندما انتهى الطوفان ورست مركبه على جبل قيل أنه جبل ارارات في شمال تركيا ، واغلب الظن أنه جبل عرفات كما سيأتي من حديث ، في ذلك اليوم البعيد قيل أن نوح عليه السلام ورفاقه عندما نزلوا على الأرض طبخوا ما تبقى لديهم من حبوب وأكلوها حامدين الله على نجاتهم من الطوفان فكان هذا يوم عاشوراء . ولكن هذه الرواية لا تشمل كل العادات المعتادة في عاشوراء من مثل زيارة القبور وصراعات المناطق والشيشباني وغير ذلك من التقاليد المزاولة في تلك الأيام ، وعلى أي حال فإن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة وبحوث متعمقة لمعرفة أصول هذه التقاليد والعادات ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن ما يشاع على أن سفينة سيدنا نوح قد رست عند انتهاء الطوفان على جبل ارارات ، ففي رأيي أن هذه الدعوى غير صائبة ، والأقرب إلى المنطق ومجريات الأمور أن السفينة قد رست على جبل عرفات ، فهي المنطقة التي تركزت فيها بدايات تجمعات سكانية جديدة التي أدت إلى نشوء الحضارات القديمة ، كما جاء في كتب التاريخ من أمثال كتابات المؤرخ المشهور توينبي والمؤرخ ويلز والمؤرخ جوستاف لبيون ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن تقاليد الحج وهو تقليد سائد قبل الإسلام ولا يعرف أحد متى بدأ هذا التقليد ، فلا بد أن يكون له علاقة برسو سفينة نوح على جبل عرفات ، فركاب تلك السفينة المقدسة بعد أن نزلوا على الأرض وصاروا يتكاثرون ويتشرون في نواحي المعمورة اهتدى زعماءهم وحكامهم إلى قاعدة اللقاء رأس كل سنة على هذا الجبل المبارك حيث رست سفينتهم ، ليصبح بعد ذلك تقليدا مستمرا باركه الله وجعله قاعدة

من قواعد الإسلام لما يتضمن من معاني جليظة تنشر الأخوة والوحدة بين البشر بوقوفهم في عرفات مرتدين لباس الإحرام بحيث لا تستطيع التفريق بين غنيهم وفقيرهم ولا بين خادمهم وأميرهم ، وهل هناك دعوة للأخوة البشرية أعمق وأعظم من هذه القاعدة الرائعة الجليظة ؟؟؟ ما أروعك وأعظمك أيها الخالق يا أعظم من كل عظيم .

من التقاليد السائدة في مدينة طرابلس ما يسمونه "بملعب العبيد" وبالرغم من أن هذه العبارة غير صائبة في الوقت الحاضر أي أوائل القرن الحادي والعشرين لما فيها من إشارة عنصرية ، فإن هذه العبارة هي التي كانت سائدة في الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين ، وهي تعبر عن احتفالات جميلة ورائعة يقوم بها إخواننا السود في فصل الخريف من كل سنة ، أو ربما كان ذلك في شهر رجب أو شعبان ، إذ كانوا يجتمعون كل يوم أحد بمجموعات كبيرة تصل إلى المئات رجالا ونساء ، يأتون من قلب المدينة إلى زاوية الدهماني وفي رحاب سيدي المكاري بالذات ، إذ يقال أن هذا الولي كان اسود اللون ، ويأتون في مجموعات كبيرة وهم يرقصون ويضربون دفوفهم وآلاتهم وهم يغنون بأغانهم السجية حتى يستقروا في رحاب ذلك الولي ، فينقسمون إلى قسم للنساء يغنين أغانيهن الخاصة ، وقسم للرجال يقومون بلعبة الكاسكا التي يسمونها "ليلة صوبة" وهي عبارة عن ضرب العصي ببعضها على نغمات الموسيقى وضرب الدفوف والرقص بالأقدام في رتم فائق الروعة والجمال ، ويستمر هذا الحفل الجميل من بعد صلاة الظهر إلى المغرب ، وهكذا كل يوم أحد ، لأربعة أو خمسة أسابيع . الشيء العجيب أن نفس هذه الاحتفالات قد شاهدها صاحبنا في البرازيل في مدينة ريو دي جانيرو بنفس الأسلوب والحركات ، كل ما في الأمر أنها أكثر تعدادا وتنسيقا واشد تنوعا في آلاتها الموسيقية ، يسمونها في البرازيل بالكرنفال ، أكثر أعضائها من السود وتقام خريف كل سنة لمدة تزيد عن الأسبوعين يوميا ، وهذه الاحتفالات الصاخبة والرائعة يحضر لمشاهدها السائحون من جميع أنحاء العالم .

إن تناسق هذه الاحتفالات التي يقوم بها الأخوة السود في خريف طرابلس

وخريف ريو دي جانيرو لا بد أنها تنطلق من جذور واحدة ، ولا شك أنه بالبحث والدراسة تجد لها أصولها في أعماق التاريخ لمن يدرس التاريخ .

بالنسبة لتقاليد الزواج في الثلاثينات ، المعروف أن البنت تحجب في سن الثامنة أو العاشرة على الأكثر ، فعندما تصل هذه السن تلتزم البيت ولا تخرج منه إلا للضرورات القصوى ولا بد أن تكون مغطاة بالكامل بما يسمونه الفرأشية وهي لحاف من الصوف الأبيض الجميل ، وبالتالي فإن الشاب الذي يريد الزواج ليس له من طريقة إلا الاعتماد على أمه أو أخواته في وصف العروسة جمالا وأخلاقا ، وأمه أو أخته هي التي تقوم بإجراء الخطبة في الغالب ، وليس على الشاب إلا أن يسلم بهذه الطريقة المتشددة في الحجاب التي تخالف حتى جوهر الدين الإسلامي حيث أوصي الرسول صلى الله عليه وسلم بالنظر إلى الفتاة التي يراد الزواج بها . والواقع أن هذا التشدد في الحجاب لم يأت عن طريق تقاليد عربية عريقة إذ لا يوجد مثله في الأرياف وعند البدو حيث المرأة أو الفتاة لا زالت بتقاليدها المتوارثة فهي لا تحتجب عن الرجل ، ومن تقاليد البدو أن المرأة يجوز لها أن تستقبل الضيف العابر في خيمتها حتى في غياب الزوج أو الأب ، والذي يبدو أن هذا الحجاب المتشدد قد تغلغل في مدينة طرابلس وفي أكثر المدن العربية نتيجة الحكم التركي الذي استمر لحوالي الأربعمئة سنة الذي ساد فيه وضع ما يسمى بالحريم ، ومما يؤكد هذه الفكرة أن البلاد العربية التي لم يصل إليها الحكم العثماني لم ينتشر فيها هذا الحجاب المعقد المتخلف ، من ذلك دولة المغرب ، وفي الريف والبادية كما سبقت الإشارة .

بناء على الظروف التي سبق ذكرها فإن الخطبة في مدينة طرابلس تتم في الغالب عن طريق الأم أو الأخت ، وإذا تم الاتفاق على المسائل الجوهرية ، يرسل أهل العريس إلى بيت أهل العروسة ما يسمونه "بالبيان" وهو عبارة عن هدية ذات قيمة ، في الغالب خاتم ذهبي أو أسورة أو غير ذلك من الحاجات الثمينة ومعها في الغالب خروف وبعض المواد الغذائية والمشروبات . وبناء عليه تعتبر الخطبة قد تمت وقامت العلاقة بين أهل العريس وأهل العروسة ، ويستمر هذا الوضع لمدة شهر أو شهرين ، وفي بعض الأحيان يستمر هذا الوضع لمدة سنة أو أكثر حسب ظروف العائلتين .

وعندما يتحدد موعد الزواج تبتدى الاحتفالات في الغالب يوم الاثنين في بيت العروسة حيث يقدم أهل العريس إلى أهل العروسة الهدية المتفق عليها من ملابس وأدوات بيتيه وخراف وحنة الخ .. ، في زفة كبيرة تنتقل من بيت العريس إلى بيت العروسة في الحناطير مع "النوبة والغيطة والزمزومات" ومجموعة كبيرة من النساء والرجال ، وهذا ما يسمونه بيوم "القفة" والقفة بمعناها العادي هي عبارة عن إناء من سعف النخل توضع فيه الأشياء المحمولة ، وفي هذا المقام هي تعبير عما يقدمه العريس لعروسه ، ويستمر اجتماع النساء في بيت العروسة يوم الثلاثاء الذي يسمونه النجمة الصغيرة ثم يوم الأربعاء الذي يسمونه النجمة الكبيرة ، وفي مساء هذا اليوم يلبس النساء المتزوجات ، خصوصا المتزوجات حديثا أشيك وأغلى ما عندهن من ملابس وحلي مع التزين بأنواع الزينة المعروفة في تلك الفترة ، ويجلسن على الكراسي في شبه دائرة كبيرة في وسطها الزمزمات يدربكن ويغنين الأغاني المعروفة في فترة الثلاثينات والأربعينات ، وتستمر هذه الحفلة الشيقة من بعد صلاة العصر إلى ما بعد منتصف الليل . أما يوم الخميس ويوم الجمعة فهي مخصصة لبيت العريس ، يوم الخميس هو يوم الدخلة حيث يدخل العريس على عروسه في زفة صاحبة من الرجال والنساء . بعد أن تكون العروس قد زينت بتلك الألوان الصاخبة المثيرة ، توضع في دارها انتظارا لقدم العريس . أما العريس فانه يكون مع مجموعة من أصحابه وبعض شباب الحي في أحد المنازل الذي يخصص لذلك طول أيام العرس وما بعدها بأسبوع على الأقل ، وهذا التجمع يسمونه "العراصة" ، وفي ليلة الدخلة لا بد للعريس أن يذهب وأصحابه المقربون قبل المغرب إلى حمام المدينة ومن بعد ذلك إلى حلاقها ، وبعد المغرب يتم إلباسه الملابس الجديدة الفخمة وعلى رأسها "الحولي المسلوت والبرنس الأسود" وبعد صلاة العشاء يحضر رجال الدين والمنشدون ، ينشدون قصة المولد النبوي في حضور العريس وكل شباب ورجال الحي ، وبعد تلاوة القصة النبوية وأناشيدها الرائعة التي تتم حوالي الساعة الحادية عشرة يقوم الجميع حيث يصل تعدادهم في بعض الأحيان إلى خمسمائة أو ستمائة يزفون العريس من بيت العراصة إلى بين العريس بأناشيد المالوف الأندلسي

بأصوات منغمة عالية في قمة الروعة والجمال تحلب الأسماع وتهز القلوب ، وعندما يصلون إلى باب بيت العريس يقوم أحد شيوخ الحي بقراءة الدعاء المعتاد في هذه المناسبة مع ترديد الحاضرين معه من مثل قوله "اللهم ألف بينهما كما ألقت بين آدم وحواء ومحمد وخديجة الكبرى ، وعلي وفاطمة الزهراء الخ .. " ثم تقرأ فاتحة الكتاب من الجميع ثم يدخل العريس إلى الدار التي بها العروسة بعد أن يكسر بين أقدامه كوز من الطين مملوء بالماء يسمونه البرادة ، وبعد دخول العريس يبتدئ شباب الحي في التهريج والصياح بعباراتهم المأثورة من أمثال العبارات التالية "سيدي فلان عليه باسم الله قفل جديد يريد يحلّه ، اللي جارحها اهو جي جاب قمجة وجاب ردي ... " وغير ذلك من العبارات الرمزية التي تدل على الحالة القائمة والتي لا تخلو من وقاحة الشباب . هذا خارج المنزل ، أما داخله فبتدئ الزمزمات من وقت دخول العريس إلى حجرة العروس وحتى خروجه منها والذي يستمر في بعض الأحيان لأكثر من ساعة وهم يدرّبكون على طبائهم ودفوفهم بأصوات عالية حتى لا يتركن مجالاً لسماح ما يجري بالداخل بين العريس والعروسة ، وعندما يخرج العريس - والعادة ألا يبيت العريس مع عروسه في ليلة الدخلة - لا بد أن يرمي بين النسوة اللاتي ينتظرن النتيجة ، بمنديل أو قميص به آثار دم فض البكارة ، وفي هذه الحالة تقوم النسوة بملاء الأسماع بالزغاريد الصاخبة دلالة على طهارة العروس !!!

الشيء الذي يجب ذكره أيضاً بهذا الخصوص هو الوليمة الكبيرة التي يقدمها العريس وأهله إلى أهل الحي الذي يقيم به ، فتدبج الذبائح التي قد تصل إلى العشرة خراف أو أكثر صباح يوم الخميس حيث يهياً الأكل الذي في الغالب من الكسكسى واللحم ، وحيث يستدعى أهل الحي جميعاً من الرجال والشباب وحتى الأطفال بعد صلاة العصر إلى تلك الوليمة التي قد يصل عدد ضيوفها إلى المئات ، وهذه الوليمة بمناسبة حفلات الزواج تعتبر من التقاليد الرائعة التي يتمسك بها سكان مدينة طرابلس .

هناك تقليد آخر أعجبنى جداً يجري بحفلات الزواج وهو أن العروس يوم الخميس قبل انتقالها إلى بيت العريس وقبل التزين ولبس لباس الدخلة ، تجلس

على كرسي في وسط بيتها مع تغطية رأسها ووجهها بلحافها مع منديل في يدها لتمسح الدموع المنهمرة لوداعها لبيتها وأهلها ، وهي في هذه الحالة تقوم النسوة من جيرانها الواحدة بعد الأخرى بوضع اليد على رأسها وتعداد مناقبها وأخلاقها الحميدة داعين لها بمستقبل سعيد في زواجها ، من مثل قولهن "أحضر يا زين وكدّس ، بتشديد الدال ، على عروستنا وقت تلبس ، ساعدتني في كذا وعملت لي كذا إلخ..." ذاكرين مناقبها الحسنة وكل الأعمال الجيدة التي قامت بها هذه الفتاة في حياتها لمن حولها من الأهل والجيران .

في يوم الجمعة وهو اليوم الأخير لحفلات الزواج يتم في بيت العريس وهو الذي يسمونه "المحضر" حيث يجتمع النسوة خصوصا المتزوجات بكامل زينتهن ويجلسن على الكراسي في شبه دائرة تتوسطها الزمزمات يغنين ويدربكن مثل يوم النجمة الذي سبق ذكره في بيت العروس ، والمحضر يختلف عن النجمة بأنه يبدأ من بعد الظهر بقليل وينتهي عند صلاة العشاء ، كما أنه في هذا الحفل تشارك العروس وهي بزيتها الكاملة جلسة تلك الدائرة ، وقبل نهاية الحفل بقليل أي بعد صلاة المغرب بقليل يقام ما يسمى بتجلية العروس وتدرجها ، وذلك بان تقف العروس في وسط الدائرة على أداة عالية من مثل صندوق أو منضدة وهي بكامل زينتها وترفع يديها كأنها في حالة دعاء ، ثم تدور حول نفسها ببطء شديد سبع دورات مع الزغاريد وضرب دفوف الزمزمات مع ترديد بعض الأناشيد التي اذكر منها قولهن "جلّي يا كورابا جلّي ونيجليك يا مريود فضة ما ريينا فيك" ثم تدرج العروس إلى حجرتها بخطوات بطيئة جدا مع ضرب الدفوف والزغاريد والتصفيق والأناشيد بالصلاة على النبي في جوّ فائق الروعة والجمال ، من مثل قولهن ، "صلى الله عليه ، الملائكة تتباشر به ، صلى الله عليه ، صلى على الأزهر أبو فاطمة أبو علام اخضر يحضر لي وقت الزر ، صلى الله عليه" . وبهذا تكون قد تمت حفلات الزواج ، إلا أن العريس يبقى في بيت العرّاسة مع أصحابه المقربين لمدة سبعة أيام لا يفارقهم إلا بعد صلاة العشاء حيث يذهب إلى عروسه حتى الصباح ، والعريس في العرّاسة يسمى بالسلطان ولا بد أن يكون له وزير هو اقرب أصحابه وما يأمر به السلطان لا بد أن ينفذه الوزير

بما في ذلك الضرب بالعصي أو بالخف على اليد أو الأرجل على من يخطئ في اللعب أو يخالف أوامر السلطان !!! وهكذا تمضي أفراح وحفلات الزواج في مرح وانبساط وتقدير وتعميق المعاني الجميلة الرائعة في المجتمع .

من التقاليد الجميلة السائدة في ليبيا وفي طرابلس بوجه الخصوص هو ما يسمونه "بالرغاطة" والرغاطة هي نوع من التعاون الاجتماعي الرائع ، ويحصل عندما يريد أحدهم إن يبني بيتا أو يزرع حقلا جديدا أو يحفر بئرا في القرية أو أي شأن من الشؤون العامة ، ففي هذه الحالة يجتمع عدد كبير من أهل القرية للعمل في هذا الشأن بدون أي مقابل ، كل ما في الأمر أن صاحب الشأن يقدم لهؤلاء المتبرعين بعملهم الطعام والشاي ، وإذا كان العمل يحتاج لعدة أيام ترى أهل القرية يتبادلون الأدوار في صورة لها دلالتها الجميلة الرائعة في معنى التعاون والود بين الجيران .

في حالات الوفاة تسود التقاليد السيئة والحسنة في آن واحد ، فمن التقاليد السيئة هو أن بيت المتوفى يسوده الصراخ والعيويل من نساء المتوفى وأهل الحي بأصوات عالية مزعجة تستمر لمدة ثلاثة أيام أو أكثر ، فكل امرأة تدخل بيت المتوفى للعزاء تدخله بالصراخ العالي ولا بد أن يشاركها النسوة الموجودات في البيت هذا الصراخ ، وفي كثير من الأحيان يضع هؤلاء النسوة صندوقا أو منضدة في وسط البيت يخبطن عليها بالعصي مع الصراخ وترديد أقوال يشيرون فيها على مأساة أهل المتوفى . أما التقاليد الحسنة في هذه الظروف المأساوية هو أن بيوت جيران أهل المتوفى وبيوت الأقارب يقومون جميعا بتقديم الطعام إلى المعزين في بيت المتوفى ، كل بيت يأتي بإناء من الكسكسى أو البازين أو غير ذلك من الأكلات الشعبية ، وذلك حتى لا يضطر أهل المتوفى إلى تهيئة الطعام إلى المعزين وهم في تلك الظروف السيئة . ومن التقاليد الحسنة في هذا الشأن أنه إذا مرت جنازة في شارع الحي فلا بد للجميع أن يشارك فيها ، فمن العيب الكبير أن تمر عليك جنازة ولا تشارك فيها . فالذي لاحظته في شارع زاوية الدهماني وهو يضم ما لا يقل عن عشرين دكانا لبيع الخضر والمواد الغذائية ، كل أصحاب هذه الدكاكين عندما تمر الجنازة من أمامهم كل واحد منهم يضع كرسيًا أو شيئا ما أمام باب دكانه للدلالة على غيابه ويتبع الجنازة ولو لعدة خطوات .

في الليل يجتمع الرجال في أحد البيوت لتقبل أقرباء المتوفي من الرجال العزاء ، تضم إحدى الحجرات مجموعة من القراء يقرؤون القرآن ومجموعة أخرى تقوم بعمل الشاي وتقديمه إلى المعزين ، ويستمر هذا الوضع لمدة ثلاث أو أربع ليالي .

هذه بعض التقاليد التي كانت سائدة في الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين ، من الطبيعي أن هناك غيرها الكثير ، من أبرزها ألعاب الأطفال المتعددة التي مع الأسف الشديد أن أكثرها قد اندثر وليس له وجود الآن في أوائل القرن الحادي والعشرين ، وكان في نيتي تسجيل كل ذلك ولو بإشارات بسيطة على أساس أن البعض في المستقبل يهتم ببحثها ومتابعة جذورها تفصيلاً ، ولكن بالصدفة وقع في يدي كتاب نشر في سنة 1982 مؤلفه أحد إخواننا الليبيين هو الأستاذ سالم شلابي بعنوان تذكرة إلى عالم الطفولة وقد سجل في هذا الكتاب القيم معظم التقاليد وألعاب الأطفال ، وبالتالي رأيت أنه ليس هناك داع لتكرار هذا التسجيل ، وعليه أتوقف عند هذا الحد وارجع إلى حديثي الأصلي الذي توقفت عنده في السيرة التاريخية ، حيث كنا في أواخر صيف سنة 1939 حيث وصلت الحرب العالمية الثانية إلى منطقتنا إلى ليبيا ، وكانت البداية في أوروبا منذ ستة أو سبعة أشهر . ففي أحر أغسطس أو أوائل سبتمبر أعلنت إيطاليا الحرب على فرنسا وإنجلترا ، وتحالفت مع ألمانيا في هذه الحرب المدمرة .

قبل هذه الأيام بأسابيع قليلة كان الجميع يتوقع أن إيطاليا ستدخل الحرب إلى جانب ألمانيا ، فكان الناس وخصوصاً الإيطاليين يجتمعون حول الراديو - الذي كان أداة حديثة في ذلك الوقت - في المقاهي يستمعون إلى آخر الأخبار المتعلقة بالحرب .

الذي يذكره صبينا أنه في ذلك الوقت أي حوالي أحر أغسطس أو أوائل سبتمبر كان يسبح في شاطئ الصيادين تحت سيدي الشعاب بزواوية الدهماني وكان والده جالسا في الكشك الخشي الذي كان يملكه في هذا الشاطئ إذ سمع أزيز الطائرات ثم فجأة دويّ إلقاء القنابل في الميناء الرئيسي وانطلاق الرشاشات والمدافع المضادة ، فحاول هذا الصبي الإسراع بالرجوع إلى الشاطئ ولكن والده

كان قد رأى خشبة بين أمواج البحر وبالرغم من الوضع الخطير السائد في تلك اللحظة طلب من هذا الصبي ملاحقة الخشبة العائمة وإحضارها إلى الشاطئ الأمر الذي يدل على أن الناس لم يعرفوا بعد مخاطر الغارات الجوية وما سببته وتسببه من هلاك .

بهذه الغارة الجوية الفرنسية التي حصلت بين العصر والمغرب ، في حوالي أوائل سبتمبر أو منتصفه من سنة 1939 تأكد للناس أن إيطاليا دخلت الحرب إلى جانب ألمانيا ، ولكن الذي كان يبدو عندئذ أن الناس لم تتأثر كثيرا بهذه الحادثة لعدم تجربتهم ومعرفتهم ما تجره هذه الخطوة من أهوال وما يلحق البلاد من تدمير وهلاك . في المساء اجتمع الناس حول الراديو في المقاهي المتابعة ما يجري من أخبار وتأكد للجميع دخول إيطاليا للحرب وأنها تطالب بالاستيلاء والهيمنة على المغرب والجزائر وتونس ومصر وفلسطين ولبنان ، إذ أن النظام الفاشي بقيادة موسوليني يعتقد أن كل هذه البلاد المذكورة التي تطل على البحر الأبيض المتوسط هي جزء من الإمبراطورية الرومانية القديمة التي كانت سائدة في عهد يوليوس قيصر في أوائل القرن الأول الميلادي والتي يجب رجوعها لإيطاليا من جديد .

بالمناسبة أن الراديو في هذه الفترة كان شيئا نادرا سواء بالنسبة للعرب الليبيين أو بالنسبة للإيطاليين ، فالذي يريد أن يسمع الأخبار لا بد له أن يذهب إلى أحد المقاهي ، وأول مرة شاهد هذا الصبي الراديو واستمع إليه كان في حوالي ديسمبر 1939 حيث أحضره أحد الأقارب من الذين لهم علاقة بتسريح البضائع من الميناء ، إلى بيته فاجتمع عليه كل أفراد الأسرة يشاهدون ويستمعون إلى هذا الجهاز العجيب الذي تحرك مؤشره قليلا فتسمع إلى البلاد المختلفة الأمر الذي جعل بعض النسوة يستعيذون بالله من الشيطان ومن الجن الذين يسرون هذا الجهاز !!!

بعد الغارة السابقة بمحاولة أسبوعين تقريبا وبين صلاة المغرب والعشاء هاجمت الطائرات الإنجليزية طرابلس فسمع الناس عواء صفارات الإنذار وأطفئت الأنوار ثم زلزلت الأرض بدوي إلقاء القنابل في الميناء ووسط المدينة ،

كما أقيت بعض القنابل الحارقة على مخازن البترول الكائنة قرب منزل هذا الصبي بزواوية الدهماني حيث لا تبعد هذه المخازن عن البيت بما لا يزيد عن ثلاثمائة متر فقط فاشتعلت النيران الضخمة الهائلة ، وانزعج الناس إنما انزعاج خصوصا والد هذا الصبي وجميع أفراد الأسرة .

وبسبب هذه الغارة المريعة التي ذهب ضحيتها بعض الأشخاص في قلب المدينة ، والحريق الهائل الذي اندلع في منطقة زاوية الدهماني ، رأت أغلب العائلات الخروج من المدينة وضواحيها القريبة إلى الضواحي البعيدة مثل جنزور وتاجوراء وسوق الجمعة ، وقد انتقل أغلب أقارب هذا الصبي إلى مزرعة كان يعمل بها أحد الأقارب تبعد حوالي ثلاثين كيلومترا جنوب طرابلس هي مزرعة الإيطالي بياشتيني بفندق الشريف ، أما بالنسبة لأسرة صبينا فإنها انتقلت للإقامة في البيت الكبير الذي يبعد عن مخازن البترول التي احترقت بحوالي نصف كيلومترا خصوصا أن البيت الكبير أصبح خاليا بانتقال ساكنيه إلى فندق الشريف كما سبق القول . واستمرت الغارات الجوية تنطلق ليلا كل يومين أو ثلاثة ، وكان صاحبنا وشقيقه يخرجان إلى سطح المنزل أثناء الغارة ليشاهدا تلك الأنوار المختلفة من فرقة المدافع والرشاشات المضادة والأنوار الكاشفة التي تحاول كشف الطائرات المغيرة ، وكانت شظايا المدافع المضادة تقع هنا وهناك حول الشقيقين المتطلعين وهما يجهلان خطورتها ، إذ أنه إذا وقعت إحداها على رأس أحدهما لأودت به في الحال .

بعد حوالي شهر من هذه الحوادث حصلت غارة ضخمة على طرابلس من الأسطول البريطاني .

وكانت هذه الغارة شديدة للغاية حيث استمرت لمدة تزيد عن الثلاث ساعات وكان دوي مدافع الأسطول المهاجم دويا شديدا يهز جدران المنازل كما يهز القلوب رعبا ، وكانت نتيجة هذه الغارة الوحشية عددا ضخما من الضحايا والكوارث التي لحقت المنازل والعمارات . بناء عليه اضطرت أسرة هذا الصبي أن تنتقل أيضا إلى فندق الشريف والالتحاق ببقية العائلة في مزرعة بياشتيني . عندما تقوم أسرة بمثل هذا الانتقال لا بد من اخذ بعض أدوات المطبخ وكذلك

بعض المراتب والأغطية الصالحة للنوم ، وبالتالي فلا بد من استئجار العربة التي يجرها الحصان التي يسمونها "بالشريول" وهي الأداة الصالحة لمثل هذه الأغراض في ذلك الوقت .

ذهبت الأسرة وبقي هذا الصبي وشقيقه الأكبر للحراسة فالشقيق يحرس بيت الأسرة ، وصبينا بقي لحراسة البيت الكبير ، ولتسهيل هذه المهمة الصعبة اضطر الشقيق أن يكون "سهريه" في بيت الأسرة تؤنسه ليلا كما اضطر صبينا أن يقوم بنفس الفعل في البيت الكبير ، هذه السهرية العجيبة الذي يذكره صاحبنا من تفاصيلها ، ابن عمه سالم الذي يقوم بعمل الشاي من ثلاثة أدوار ، والأخ أبو بكر بن صوفيا ، شاب من الحوكية مثل صاحبنا وان كان يكبره في السن بحوالي أربع أو خمس سنوات من الشباب النظيف الأنيق عندما يخرج في المساء بعد انتهاء عمله بذلك اللباس الوطني الذي يشعّ جمالا وبهاء ، يحبّ الفن بطريقة عجيبة ملفتة للنظر ، وكان يعشق إلى حدّ الهوس الفنان الراحل سيد درويش ، وبعض الشباب الآخرين ، وتستمر هذه السهرة إلى حوالي الساعة الحادية عشر .

بعد حوالي أسبوع من انتقال الأسرة إلى فندق الشريف رأى هذا الصبي وشقيقه زيارة الأسرة هناك حتى يتم الاطمئنان من الطرفين ، ومن الطبيعي ، كانت وسيلتهما الوحيدة في هذه الرحلة الطويلة التي تبلغ عما يزيد عن الثلاثين كيلومترا هي السير على الأقدام ، وبعد تعب مرّ ومشقة شديدة وصلا إلى مزرعة بياشتيني فوجدا أسرتهما محشورة مع ست أو سبع أسر أخرى في اصطبل للبقر مساحته حوالي العشرين في العشرة أمتار ، وبعد أن تم تنظيفه انزوت كل أسرة من هذه الأسر في ركن من أركانه ، ولكن هذا الحشد الكبير من الرجال والنساء والأطفال في مكان واحد وان كان يخلق نوعا من التآلف الجماعي المحبب ، فانه يخلق في الوقت نفسه الكثير من الخصومات والصراعات خصوصا بين الأطفال والنساء ، الأمر الذي جعل تلك الإقامة الجبرية التي فرضتها الحرب والرعب من الغارات الجوية والقنابل الفتاكة ، إقامة مأساوية لا تطاق ، وعليه فبعد أن قضى الشقيقان يومين مع هذا الجمع الغفير رجعا إلى زاوية الدهماني لاستئناف مهمتهما في الحراسة ، كما سمعا أن أسرتهما لم تطق الاستمرار مع هذا الحشد وما يعتوره

من سلبيات وفضّلت الانتقال إلى جنزور ، حيث أن أحد خدم عائلة الوالدة في العهد العثماني في ليبيا ، وهو من السود العمالقة ، كان يشرف في جنزور على أملاك عائلة الخادم التي تنحدر منها الوالدة ، وعندما انقرضت هذه العائلة لوفاة جميع أفرادها تقريبا بمرض الكوليرا عند هجوم إيطاليا على ليبيا في سنة 1911 استولى هذا الإنسان على هذه الأملاك ، ولكن جوانب الخير في أعماقه جعلته يبحث عن الوالدة عندما بدأ الناس يهجرون مدينة طرابلس اتقاء الغارات الجوية ، وعرض عليها الإقامة في بيته الواسع في جنزور وهكذا تم انتقال عائلة هذا الصبي للإقامة في بيت "الحاج بندي" بجنزور .

الفصل الثالث

بداية مرحلة الشباب ومحاولة الدخول معترك الحياة

نحن الآن في ربيع سنة 1940 هذا الصبي بدأ يطرق أبواب الشباب ، وفي هذه الفترة ، ونظرا لإجادته اللغة الإيطالية ، تحصل على عمل مراسل لدى إحدى شركات المقاولات الإيطالية الكبيرة في طرابلس هي شركة "لولاطو للمقاولات" كان من مهامه أن يرد على الهاتف في غياب موظفي الشركة وان يهتم بشئون البريد علاوة على استقبال المترددين على الشركة ، وقد فرح بهذه الوظيفة المتميزة نظرا لمرتبتها المجزي ، والذي هو أهم من ذلك أنه أعطى دراجة للقيام بمهامه علي الوجه الأكمل ، وقد ساعدته هذه الدراجة في الذهاب إلى جنزور مساء كل يوم للالتحاق بالأسرة هناك ، فكان يقوم في الصباح الباكر عند الفجر للحاق بوظيفته عند الساعة الثامنة في طرابلس ، وعند الساعة الخامسة مساء عندما ينتهي العمل يمتطي دراجته ويتجه إلى جنزور فيكون هناك قبل حلول الليل . الواقع أن صاحبنا قد ارتاح إلى هذه الوظيفة وتوطدت علاقته بالموظفين الإيطاليين كما أن صاحب الشركة السيد انطونيو لولاطو كان يحمل لصاحبنا تقديرا خاصا ، ربما لنشاطه وحيويته وإقباله على العمل بجدية وإخلاص . وفي هذه الفترة وهو يزاول هذه الوظيفة المريحة ، ارتكب صاحبنا خطأ فاحشا ، بل هي جريمة منكرة ، وبالرغم من أن أحداث هذه الواقعة قد مرّ عليها حوالي السبعين سنة فان ذكراها لا زالت تنغص ضمير صاحبنا وتألمه أشد الألم . والواقعة تتلخص في أن صاحبنا كان يحضر إلى مكتب الشركة قبل الموظفين وكان المكتب في جزء منه يقيم به مدير الشركة السيد انطونيو لولاطو ، وفي مرة من المرات دخل صاحبنا إلى حجرة نوم السيد لولاطو في غيابه فعثر على ساعة جيب ذهبية هي من مخلفات والد انطونيو استهوت هذه الساعة صاحبنا فاستولى عليها ، وصاحبنا له عقدة الحصول على الساعات كما سبق ذكر ذلك في حكايته مع والده ، المهم أنه عندما افتقد السيد لولاطو هذه الساعة اجري تحقيقا واسعا وتركزت التهمة في تلك العجوز الإيطالية التي تقوم بشئون النظافة الأمر الذي

أدى إلى طردها من العمل . إن الحادثة قد مرّ عليها حوالي السبعين عاما كما سبق القول ولكن ذكرها المؤلمة تطارد صاحبنا باستمرار لا فكاك منه ، وكم تمنّى صاحب هذه الجريمة النكراء أن يعثر على السيد لولاطو في إيطاليا بعد هجرته من ليبيا ، ليقرّ له بالحقيقة ويعوضه بما شاء من التعويضات ، ولكن هذه المحاولات قد باءت كلها حتى الآن بالفشل .

في هذه الفترة كان له ثلاثة أصدقاء عبد السلام بن بركة الذي سبق ذكره ، وعجال الجبالي ، وناديه بالمزيغ ، وهو يعمل في إحدى الشركات مثل العمل الذي يقوم به صاحبنا ، ومحمد الكابوتي الذي يمتاز بالطيبة الفاتحة ، وهو شاب أمّي ويعمل بالميناء . والصدف العجيبة التي تحقق رسالة صاحبنا باعتباره رئيسا للمنظمة الدولية لمناهضة العنصرية ، كما حصل فيما بعد ، أن هؤلاء الأصدقاء الثلاثة كان أحدهم من السود والثاني من المزيغ البرابرة والثالث من العمال البسطاء الأمويين ، المهم أن الحاج عبد السلام كان يعمل في مطعم الشرطة الفاشية وهي من الشرطة التي أقامها الحزب الفاشستي وهي غير شرطة "الكرابينيري" التي تعتبر شرطة ملكية . المهم أن الصديق عبد السلام جاء مرة إلى صاحبنا وقال له ما رأيك أن يكون لك مسدس؟؟

هذا السؤال لا يحتاج إلى جواب . المهم اتفق مع صديقه حيث ذهب إليه في مكان عمله في وقت محدد وادخله إلى ركن بجانب المطبخ وفتح صندوقا كبيرا كان مليئا بالمسدسات القديمة ولكنها صالحة للاستعمال فاخترارا منها خمسة مسدسات وحوالي ثلاث كيلو من العمارة الصالحة لهذه المسدسات ، ووضع الكل في كيس ورجع بها إلى بيته حيث أخفاها في مكان أمين . كان اهتمامه بهذه المسدسات كبيرا حيث كان يخرجها بين وقت وآخر ويقوم بتنظيفها وتزييتها ، كما أنه صار عندما يجد الفرصة والمكان المناسب يقوم بالتدرب على الرماية بها ، حتى أتقن الرماية ، وكان في خياله دائما ما كان يشاهده في الأفلام الأمريكية لرعاة البقر .

في هذه الفترة تعرف صاحبنا على شايبين من سنه من سكان المدينة القديمة هما أبناء المرحوم الشيخ محمود بن موسى ، كانت عائلتهما قد انتقلت للإقامة في

العمر وس من ضواحي منطقة سوق الجمعة ، كانا يحضران يوميا إلى زاوية الدهماني لشراء الخبز ببطاقات التموين التي لديهما ، وكان هذان الشابان يعملان عملا مؤقتا ببلدية طرابلس في كتابة وتوزيع بطاقات التموين على سكان طرابلس ، حيث يتم ذلك كل ستة أشهر ، فتوظف البلدية مجموعة كبيرة من الشباب الذين يلمون بالقراءة والكتابة للقيام بهذه المهمة ، وعن طريق هذين الشابين استطاع صاحبنا لكونه حاصلا على الشهادة الابتدائية أن ينضم إلى هذه الوظيفة المؤقتة ، بعد تركه وظيفته مع شركة لولاطو ، ومن هنا تعرف على أهمية هذه البطاقات في الحصول على كميات من الخبز بأسعار البطاقة الزهيدة والتي تباع بعد ذلك بأضعاف ثمنها مرتين أو ثلاث في السوق السوداء .

الشعب الليبي بصفة عامة يكره الحكم الإيطالي الفاشستي ويتمنى هزيمته في الحرب الدائرة مع بريطانيا ، فقد قاوم هذا الشعب الغزو الإيطالي لمدة تزيد عن الخمس والعشرين سنة ، أي من سنة 1911 إلى سنة 1932 ، ولما دخلت إيطاليا الحرب مع ألمانيا ضد بريطانيا وفرنسا كان كل أمل هذا الشعب أن تخسر إيطاليا الحرب لعل يكون في ذلك فرصة لاستعادة استقلاله ، وبالتالي كان الليبيون يعتقدون أن أي عمل مضاد للسلطة الإيطالية يعتبر عملا وطنيا يستحق عليه المواطن الليبي التحية والتكريم ، هذه الفكرة هي التي اتخذت أساسا للمغامرة التي قام بها هذا الصبي وصديقه الحاج عبد السلام بن بركة للحصول على كمية كبيرة من هذه البطاقات التموينية ، وزع بعضها على الأهل والأقارب والأصدقاء ، واستغل الباقي في الحصول على كميات ضخمة من الخبز والزيت والدقيق والسكر ، استفاد الصديقان بفارق الثمن كما استفادت منطقة زاوية الدهماني بتوافر هذه المواد في السوق السوداء الأمر الذي جعل أسعارها تهبط إلى أقل من النصف ، واعتبر ذلك - خطأ أو صوابا - خدمة للشعب الليبي ضد مصالح الحكم الإيطالي الفاشستي .

في سنة 1941 وصل الجيش الألماني والإيطالي إلى العلمين داخل مصر وبالتالي فقد ابتعد الصراع عن مدينة طرابلس وعليه قُلت الغارات الجوية عن مدينة طرابلس ، ومن ثم رأت أكثر العائلات الرجوع إلى بيوتها وإنهاء حالة

الهجرة التي قاسوا ويلاتها لمدة زادت عن الستين ، ومن هذه العائلات عائلة هذا الصبي الشاب التي استقرت في البيت الكبير بزواية الدهماني .
 الغارات الجوية قد قلت ولكنها لم تنته ، وعليه رأت أكثر العائلات نحت مغارات في الجبل يلجئون إليها وقت الغارة الجوية ، فكان هناك في زاوية الدهماني مقطع للحجر قديم استغله الأهالي في نحت المغارات ، فتكوّن فيه حوالي عشرين مغارة ، منهم مغارة لعائلة صاحبنا ، يلجئون إليها عند صفارات الإنذار بهجوم الطائرات المغيرة على البلاد اتقاء لقنابل هذه الطائرات . في هذه الفترة توفت العمّة فطومة التي حزن عليها الجميع حزنا عميقا ، وبالتالي رأت العائلة الانتقال للإقامة في بيت هذه العمّة ، أولا لكي لا يترك هذا البيت مهملا ، وثانيا لكونه اقرب إلى المغارة السابق الإشارة إليها ، حيث لا يزيد بعده عن مائة متر تقريبا .

في صيف 1942 بدأ هجوم الحلفاء ، بريطانيا وأمريكا وروسيا ، على المحور ، ألمانيا وإيطاليا واليابان ، فقد دخلت أمريكا الحرب إلى جانب بريطانيا في أوائل هذه السنة ، فبدأ الهجوم الأمريكي من الغرب ، فانزل قواته في شواطئ المغرب متجها شرقا ، كما أبتدأ الهجوم البريطاني بقيادة مونتجمري على الجيش الألماني والإيطالي بقيادة رومل في العلمين متجها غربا ، كما بدأت الغارات الجوية يزداد أوارها بطريقة جديدة ، إذ كانت الغارات تتم في ضوء النهار ، فكانت الطائرات الأمريكية المغيرة تأتي على ارتفاع شاهق بحيث لا تطولها المدافع المضادة ، وعليه فهي ليست في حاجة أن تتسربل بظلام الليل ، كما كان الأمر في السابق ، وقد كثرت الغارات الجوية النهارية في هذه الأشهر الأخيرة ، حيث كادت أن تكون يوميا ، وفي يوم من أيام شهر يوليو من هذه السنة صرخت صفارات الإنذار حوالي الساعة الثانية بعد الظهر فاسرع الجميع إلى المغارات أو المخابئ كما هي العادة ، بما في ذلك صاحبنا وأسرتة ، لم تمض أكثر من عشر دقائق من بداية الغارة حتى اهتزت الأرض في المنطقة وانطبقت المغارة على الجميع ، ظلام دامس وسكون مثل سكون القبور ، صاحبنا كان واقفا قرب باب المغارة عندما انطبقت ، كان التراب يغطيه بالكامل ولكنه لم يشعر بثقل التراب فوق رأسه وبالتالي قدر ان المغارة لم تنهار بالكامل بل جزء منها هو الذي تم

انهياره ، وعليه بدأ يحاول بصعوبة تحرير يديه ، وعندما تمكن من ذلك بدأ في إزالة التراب من فوق رأسه ، وعندما تحرر رأسه تفتحت عينيه على ظلام كامل ، كما شعر أن التراب لا زال ينزل من سقف المغارة وان كان بكميات خفيفة ، بدأ يعالج التراب الذي يغمره من كل جانب ، وشيئا فشيئا استطاع أن يحرر نفسه بالكامل ، ليس في إمكانه الوقوف فالسقف المنهار قريب جدا كما أن أي حركة منه كانت تجعل التراب ينهال بغزارة فائقة ، فجعل يسعى بيديه ورجليه كالطفل الصغير ولكنه كان لا يدري إلى أين يتجه ، وهو في حيرته هذه سمع أنينا كأنه يأتي من بعيد فاتجه إلى مصدر ذلك الأنين وعرف أخيرا أنه صادر من شقيقته الصغرى فبدأ يزيل التراب حول مصدر الأنين حتى ظهر بين يديه رأس هذه الأخت ولكنه لم يستطع تحريرها بالكامل ، وهو في محاولته تلك سمع أنينا آخر فاتجه إليه وصار يزيل التراب حول مصدر الأنين حتى خرج له رأس شقيقه الأصغر أيضا وكان المسكين يعاني أشد حالات الرعب ، كل هذا كان يجري في ظلام دامس لا يمكن أن ترى فيه أي شيء حتى يدك التي تعالج بها التراب ، وبينما كان يعالج تحرير رأس شقيقه رأى بصيصا من النور لا يكاد يرى لصغر حجمه فهو لا يزيد عن حجم عين الإبرة ، اتجه إلى هذا البصيص وهو يسعى على يديه ورجليه مثل السلحفاة ، وعالج هذا البصيص بيده وأصابه ، وبعد جهد جهيد اتسع هذا البصيص قليلا مما مكنه أن يرى من خلاله سكان المغارة المجاورة وفرق الإنقاذ تحاول إخراجهم من المغارة من فتحة صغيرة تؤدي إلى الخارج الواحد بعد الآخر حيث أن تلك الفتحة لا تتسع لأكثر من شخص واحد ، وشاهد في نفس الوقت شابا من سنه يعتبر أحد أصدقائه ، حيث أنه من سكان نفس الزقاق الذي يقيم به صاحبنا ، فجعل يناديه باسمه ، ولكن الصوت كان يخرج ضعيفا إلى المغارة المجاورة ، فلم يسمع هذا الصديق النداء في بادئ الأمر ، وعندما سمع ذلك الصوت الخافت بعد لأي لم يستطع أن يعرف من أين يأتي ذلك الصوت ، وأخيرا اهتدى إلى مصدر الصوت وعرف أن المنادي هو جاره وصديقه في المغارة المجاورة الذي يطلب إليه أن يوسع ذلك البصيص حتى يمكن الخروج منه ، - كان في كل مغارة فأس صغير لاستعماله عند الحاجة -

فأخذ ذلك الجار الشجاع الفأس المشار إليه وبدأ يحفر حول ذلك البصيص ، وعندما شاهدته النسوة اللاتي لم يخرجن بعد من المغارة حاولن منعه من القيام بهذه المهمة لخشيتهن من انهيار مغارتهم بسبب ذلك الحفر ، فنحنن جانباً بغضب وشدة واستمر في الحفر حتى خلق فتحة صغيرة ناول صبينا من خلالها ذاك الفأس الصغير وكان هو آخر من خرج من مغارتهم ، بذل صاحبنا مجهوداً مضاعفاً في الحفر حتى كون فتحة تمكنه من إخراج رأسه إلى المغارة المجاورة وجعل يصيح على جماعات الإنقاذ الذين هروا إليه وسحبوه إلى الخارج حيث أعلمهم بان المغارة المنهارة التي كان فيها بها أناس لا زالوا أحياء ولكنهم لا يستطيعون التحرك لكونهم مغمورون بتراب المغارة المنهارة ، لا بد لصاحبنا أن يعترف أنه عندما كان يحاول فتح منفذ للخروج كان شقيقه وشقيقته يصيحان من الرعب ويرجوانه بعد أن حرر رأسيهما أن يزيل التراب المتراكم من حولهما ويحررهما بالكامل الأمر الذي يستحيل عليه تنفيذه وحتى إذا حاول ذلك لا بد أن يستغرق وقتاً طويلاً ومجهوداً جباراً حالته النفسية والبدنية لا تساعد على ذلك ، فطلب إليهما أن يقوموا بنفسيهما بهذه المحاولة كما فعل هو في تحرير نفسه ولتفرغ هو لمحاولة إيجاد المخرج ، الواقع أنه كان تحت تأثير صراع قوي في الاختيار بين الموقفين ، الاهتمام بصرخات المستنجدين أو الاهتمام بإيجاد المخرج والاستنجاد بالخارج؟! إن الموقف الأول فيه الاستجابة للعاطفة القوية التي تجذبه إلى روح النجدة الفورية نحو أصالة الجذور الأخوية وطمأنة الشقيقتين المرعوبين ، والموقف الثاني فيه البرود العقلاني الذي يتجاهل ذلك الجو العاطفي الذي يهز النفس البشرية ويسعى بجدية لخلص الجميع وان بدا فيه نوع من الشدة والقسوة . إن صاحبنا لا زال حتى اليوم عندما يتذكر هذه المأساة والتجربة القاسية يقارن بين الموقفين ويتساءل بينه وبين نفسه إن كان مصيباً أو مخطئاً في ذلك التصرف ، وهو لا يمكن أن ينسى أبداً ذلك الاستجداء المفعم بالرعب والرجاء ، ولكن من الواضح جداً أنه إذا لم يسعى صاحبنا للخروج واستدعاء فرق الإنقاذ لما عرفت هذه الفرق بوجود أناس أحياء تحت المغارة المنهارة .

على أي حال استطاع شباب الحي الذين تولوا الإنقاذ أن يصلوا بعد

حوالي الساعتين إلى إنقاذ الشقيق والشقيقة ، أما والدتهما فلم يتم إنقاذها إلا بعد أربع أو خمس ساعات وكانت على وشك الوفاة ، ولم تستطع فرق الإنقاذ الوصول إلى بقية أفراد الأسرة إلا بعد أن أرخى الليل سدوله وقد فارقوا الحياة ، منهم زوجة الأخ الأكبر شكرية وابنها صدقي البالغ من العمر ستة أشهر وأمها الحاجة فاطمة الترقية وابنة الأخت الكبرى زهرة البالغة من العمر خمس سنوات وابنة عم صبينا الضريرة الحاجة عائشة وأمها الحاجة زينوبة وسيدة وابنتها من الجيران ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . وهناك أربع أو خمس مغارات أخرى قد دمرت بالكامل ، وكانت نتيجة هذه الكارثة حوالي خمسين ضحية رجالا ونساء وأطفالا ، فبعض العائلات فقدت بأجمعها ، وبعض الجثث لم يعثر عليها أبدا . إن الكارثة جعلت الجميع في شبه ذهول وحزن عميق سيطر على المنطقة بكاملها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون . وصبينا مهما حاول فلن يستطيع أن يصف موجة الحزن والألم والذهول التي عمت هذه الأسرة المنكوبة .

انتقلت الأسرة مرة أخرى إلى جنزور يعمها الوجوم والحزن والتعاسة ، الشقيق الأكبر الذي فقد ابنه وزوجته كان مذهولا واستمر ذهوله هذا لبضعة أشهر ، وامتنع عن الزواج مرة أخرى إلى أن وافاه الأجل وهو في سن السابعة والثمانين ، أما الشقيقة الكبرى التي فقدت ابنتها طفلة الخامسة الزهرة الرائعة جمالا وذكاء ، فقد كانت مسحة الحزن لا تفارقها أبدا حتى توفاه الله .

استمرت الغارات الأمريكية ليلا ونهارا طوال خريف وشتاء 1942 وكان الجيش البريطاني بقيادة مونتجمري يتقدم من الشرق إلى الغرب بينما كان الجيش الأمريكي يتقدم من الغرب إلى الشرق ، وكلما تقدمت الجيوش ازدادت الغارات الجوية شدة وتكرارا ، وفي 23 يناير 1943 دخل الجيش البريطاني مدينة طرابلس ، وقد تمت هزيمة الجيش الإيطالي والألماني تماما في أفريقيا ، حيث انتقلت الجيوش المهزومة من شواطئ تونس إلى شواطئ إيطاليا في حالة تشردم وخسائر رهيبة في العتاد والأرواح ، وكما يقولون أن في السماء عدلا .

قبل ما يدخل الجيش البريطاني إلى طرابلس بثلاثة أو أربعة أيام كانت الإدارة الإيطالية قد غادرت المدينة والمدن المجاورة حيث انتقلت إلى تونس

وبالتالي فقد بقيت البلاد بدون إدارة ولا أمن ولا شرطة ، ومن أُلطاف الله أن الناس في هذه الظروف الخالية من الأمن لم تعتد على بعضها ، كما أنه لم يحصل أي اعتداء علي الإيطاليين المدنيين المقيمين في البلاد ، وكل الذي حصل أن الجماهير اندفعت نحو مخازن الجيش والحكومة ونهبت كل ما فيها من مواد غذائية أو ملابس أو بطاطين إلى غير ذلك مما تقع عليه هذه الجماهير العارية الجائعة . ومن أطرف الأشياء وأحزنها التي حصلت في منطقة زاوية الدهماني ، إن بها مؤسسة ضخمة لصناعة النيذ يقال لها "كتينا سوشالي" قد هاجمتها تلك الجماهير الجائعة وصاروا ينهبون ما بها من كميات ضخمة من النيذ ، وقد كان في هذه المؤسسة أحواض كبيرة من النيذ استعدادا لتعبئته ، وفي أثناء ازدحام تلك الجماهير المهاجمة وتدافعهم سقط احدهم في أحد الأحواض الضخمة مما أدى إلى موته غرقا في ذلك الحوض ، فكان هذا الحادث المؤسف من المضحكات المبكيات ، أن يموت إنسان غارقا في النيذ !!!

من نافلة القول أن نذكر أن الشعب الليبي كان سعيدا جدا بهزيمة الجيش الإيطالي وانتصار الجيش الثامن البريطاني ، فالشعب الليبي عانى الكثير من الحكم الإيطالي الفاشستي ، فهو قد قاوم الاجتياح الإيطالي مقاومة جبارة استمرت لأكثر من ربع قرن من سنة 1911 إلى 1932 كما سبق القول ، فكانت المقاومة مستمرة طوال هذه السنوات من مدينة إلى مدينة ومن قرية إلى أخرى ، فكانت دماء ومشاق وإلقاء من الطائرات إلى البحر الخ ... ، فكانت الحرب الإيطالية الليبية قاسية جدا ، إذ فقد الشعب الليبي في هذه الحرب ما يقرب من نصف عدده ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان الاستعمار الفاشستي كان أفسى استعمار عرف في العالم ، فالشعب الليبي عانى الكثير وتعب كثيرا وتألّم كثيرا من هذا الاستعمار القاسي فقد كان الإيطاليون يعاملون الشعب الليبي معاملة كلها سوء وجبروت وغطرسة ، صحيح أن إيطاليا قد خططت وبنّت المدن المنظمة على أحدث الطرق كما خلقت المزارع الواسعة وغرست ملايين الأشجار وربطت المدن بالطرق المسفلتة الجيدة ، كما ربطت بعضها بالسكة الحديدية ، إلى غير ذلك مما تقتضيه سبل الحضارة والتقدم ، ولكن كل ذلك كان لصالح أبنائها

الإيطاليين إذ كانوا يأملون البقاء في هذه الأرض إلى ما لا نهاية ، وكانوا يتوافدون إلى ليبيا كل سنة بالآلاف حسب التخطيط الفاشستي لهذه البلاد التي كانوا يسمونها الضفة الرابعة (quarta sponda) ، أما المواطن الليبي فانه يعتبر من الدرجة الثانية محتقرا مهانا فهو ليس مسموحا له ركوب الدرجة الأولى في الباصات أو القطارات مع الإيطاليين ، وكان الموظف أو العامل الليبي يتقاضى نصف المرتب الذي يتقاضاه زميله الإيطالي في نفس الوظيفة أو المركز !! إلى غير ذلك من المظاهر الغارقة في العنصرية المقيته . الشيء الغريب والذي يجب ذكره بهذا الخصوص ، إن الجيش الألماني عندما حضر إلى ليبيا أثناء فترة الحرب كان جنوده وضباطه يجمون أفراد الشعب الليبي من غطرسة الإيطاليين وقسوتهم ، فعندما يعتدي الإيطالي على الليبي يندفع الألماني سواء كان ضابطا أو جنديا إلى نجدة الليبي ، وقد تكررت هذه الحوادث عشرات المرات الأمر الذي خلق نوعا من التفاهم والصدقة الحميمة بين الشعب الليبي والألمان طوال فترة إقامتهم في ليبيا ، ولا يدري أحد أن كان هذا التصرف من الجنود والضباط الألمان تلقائيا أو بناء على تعليمات من القائد الألماني العظيم رومل . ولكن للإنصاف لا بد أن يذكر صاحبنا أن هناك بعض الإيطاليين الذين يتمتعون بالطابع الإنساني الرفيع الذين شاهدناهم في شارع زاوية الدهماني من أمثال عائلة الصول تركيا وعائلة لولاطو وعائلة ذي جئس وكانت هذه العائلة الأخيرة تحب البحر ولها قارب شراعي جميل جدا جدا ، فتراهم يبادلون جيرانهم الليبيين المودة وحسن المعاشرة .

إن الشعب الليبي كان يعقد الآمال الكبار على انتصار الجيش البريطاني وسيطرته على أرجاء ليبيا باعتبار أن بريطانيا سوف توفي بوعودها إلى الشعوب المستعمرة من الحكم الفاشي ومنها الشعب الليبي فيظفر بحريته واستقلاله كما كانت تردد الإيذاعات البريطانية ليلا نهارا ، وانه سيخرج من حالة الجوع والحرمان التي كان يعانيها أثناء الحكم الفاشي البغيض ، ولكن بعد أن استقرت الإدارة البريطانية في البلاد أصيب الشعب الليبي بخيبة أمل كبيرة خصوصا في السنوات القلائل الأولى إذ لم يتحقق شيء من تلك الآمال الوردية التي حلم بها الشعب الليبي بناء على وعود بريطانيا .

إن شعوب العالم القديم جميعها قد تضررت من ظروف الحرب بافتقار المواد الضرورية للحياة العادية التي تعودتها ، وخصوصا الشعب الليبي باعتبار أن إحدى المعارك الكبرى في هذه الحرب كانت تدور رحاها على أرضه ، وهو وإن كان قد استعاض عن الدقيق الأبيض والأرز بدقيق الشعير فإنه لم يجد ما يعوضه عن الشاي والسكر ، فهذا الشعب قد تعود أن يجلس للشاي جلسات خاصة ثلاث مرات في اليوم ، وبالتالي فقد كان افتقاده للشاي مشكلة كبرى بالنسبة إليه ولم يربدا من الاستعاضة عن الشاي ببعض الأعشاب منها "عشبة الكليل" فساد في طول البلاد وعرضها ما عرف بشاي الكليل الذي زاوله الناس طوال فترة الحرب . كان الناس يعتقدون أنه بدخول بريطانيا البلاد كما سيأتي الاستقلال والحرية سيأتي معها بواخر الشاي والسكر والدقيق والمكرونة !!!

ولكن كل ذلك لم يحدث وعليه أصيب الناس بنجبة مؤلمة ، واستمر هذا الوضع لأشهر طويلة ، ولكن الأمور صارت تتحسن شيئا فشيئا باقتراب نهاية الحرب .

السلطات الإيطالية استعدادا للحرب ابتدأت تجند مجموعات كبيرة من الليبيين لهذا الغرض ، وصاحبنا يذكر أن شقيقه الأكبر قد طلب للتجنيد سنة 1938 ولكنه رفض ذلك وعليه تم اعتقاله وبقي معتقلا مع بعض أصدقائه الراضين ، لمدة ثلاثة أشهر ، كذلك طلبت السلطات في سنة 1939 تجنيد شقيقه التالي لصف الضباط باعتباره أتم الابتدائية ودرس سنتين في المدرسة الإسلامية العليا ، ولكنه رفض هو أيضا هذا التجنيد فوضع في السجن لمدة ثلاثة أشهر ، أما صاحبنا ، بالرغم أن سنه لا تزيد عن الرابعة عشر ، فقد استدعي في سنة 1940 هو أيضا ولكن بين الكشف الطبي أنه غير صالح للتجنيد بسبب عينه ، وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا .

والواقع إن إيطاليا قد جندت أعدادا كبيرة تصل عشرات الآلاف من الليبيين ودفعت بهم إلى أتون الحرب ، بل إن القيادة الإيطالية كانت تدفع بهم في مقدمة الجيش ليكونوا ستارا للجنود الإيطاليين ، ولكن هؤلاء الجنود علاوة عن كراهيتهم للحكم الفاشي ، كانوا يشعرون بنوايا القيادة الإيطالية بوضعهم في

مقدمة الجيش وبالتالي فإنهم عند التقائهم بالجيش البريطاني سرعان ما يستسلمون وينضمون إليه ، الأمر الذي جعل أعدادهم تتكاثر إلى الآلاف كأسرى عند القوات البريطانية ، واغلب الظن أن هذا الوضع هو الذي دفع الأمير إدريس السنوسي المقيم في ذلك الوقت بمصر والمعروف بصداقته لبريطانيا إلى التفكير بتكوين الجيش السنوسي من هؤلاء الأسرى الليبيين ومن الطلبة الليبيين الذين كانوا يدرسون بمصر والذين كان أكثرهم من المنطقة الشرقية ، وقد شارك هذا الجيش المشاركة الفعالة في هجوم الجيش البريطاني على الجيوش الألمانية والإيطالية في معركة العلمين التي أدت إلى الانتصار الحاسم لبريطانيا في كل شمال أفريقيا ضد جيوش المحور .

وقد كافأت بريطانيا ، بعد استقرارها في ليبيا ، إدريس السنوسي على هذا الموقف بان اعترفت له بوضع خاص في برقة وذلك بإعطائه بعض السلطات الإدارية في هذه المنطقة ، وقد كان لهذا الوضع آثاره السياسية السلبية باعتبار أن هذه السلطات حتى وان كانت محدودة فهي لم تشمل كل القطر الليبي ، وسنأتي على هذا الموضوع الشائك بكل تفصيلاته فيما يأتي من حديث .

في صيف 1943 الأسرة لا زالت في جنزور ، المدينة الصغيرة المجاورة لطرابلس من ناحية الغرب ، وحيث أن المعارك الحربية قد انتقلت إلى أوروبا فان الغارات الجوية التي أصبحت ألمانية صارت تضعف شيئاً فشيئاً حتى انقطعت تماماً وشعر سكان ليبيا وطرابلس بالخصوص بالهدوء النسبي . في هذه الفترة فكر صاحبنا وقد صار له وضع مالي لا بأس به بناء على تجارة السوق السوداء وبطاقات التموين ، أن يقوم ببعض الإصلاحات في بيت العائلة الرئيسي بزواوية الدهماني الذي كان قد بقى أكثر من سنتين مهملاً فأصابه الكثير من الخراب ، فاحضر بمساعدة ابن عمه سالم احمد كل الأسطوانات وفنبي البناء حيث تم وضع دورات مياه حديثة وغيرت الشبابيك وغيرت الأبواب وادخل أحد الدكاكين التابعين للمنزل إلى داخل المنزل فأصبح بأربع حجرات ومربوعة بشباك حديث كما تم تبييض المنزل وحجراته ودهانه بالأبيض والألوان ، باختصار تم تجديد ذلك البيت بالكامل ، ونظرا لانقطاع الغارات الجوية بانتقال المعركة الحربية إلى

أوروباً رأت الأسرة الرجوع من جنزور إلى طرابلس والاستقرار في ذلك البيت الذي أصبح مهيباً ومغرباً للإقامة به خصوصاً أنه يقع على الشارع الرئيسي لزاوية الدهماني .

في خريف هذه السنة انتهت مدة بطاقات التمويل ، وكما هي العادة رأى صاحبنا وصديقه الحاج عبد السلام محاولة الحصول على كمية من البطاقات الجديدة ، ولكن المحاولة فشلت وأصبح صاحبنا مطارداً من الشرطة الأمر الذي دعاه إلى الفرار إلى صرمان والاختباء عند أحد أصدقاء والده هو الحاج عبد الجليل العقيبي حيث بقى ملازماً لأولاده علي وخليفة وأبو عجيبة ، يذهب معهم كل فجر إلى الحرث يحرثون لزراعة القمح والشعير في منطقة قريبة من مزرعتهم ولا يرجعون إلا عند المساء . قد بقى صاحبنا على هذا الوضع حوالي أربعين يوماً ، وأخيراً رجع إلى منزله في طرابلس وبقى محتبباً به لا يخرج إلى الشارع ولا يختلط بالناس لمدة زادت عن الأربعة أشهر .

الواقع أن البقاء في البيت هذه المدة الطويلة بدون عمل وبدون أي نشاط قد اثر في نفس صاحبنا تأثيراً عميقاً وكانت بداية جديدة في حياته لها أبعادها الغائرة طوال مستقبله البعيد وذلك من زاويتين أساسيتين:

الناحية الأولى هي اتجاهه الديني ، فهذا الفراغ جعله كثير التأمل في الكون والحياة وبالتالي هداه قلبه ووجدانه إلى خالق هذا الكون وما يوحى به من خفايا وأسرار وكانت وسيلته إلى ذلك هي الصلاة فكان يصلي مع كل وقت الأوقات الخمسة ، علاوة على استغراقه في الأدعية وقراءة الأوراد المختلفة وكانت دموعه تتساقط أثناء ذلك مثل المطر خشوعاً وتعبداً ، واستمر هذا الوضع معه لأشهر عديدة ، وتكونت له في هذه الفترة علاقة وطيدة بالحاج احمد التركي شيخ تلاوة أوراد الحزب في سيدي الشعاب وهو إنسان مبارك ، يعتقد البعض في ولايته ، ويذكر صاحبنا أنه في مرة من المرات وهو في هذا الجو الروحي التعبدي أن كان في حلقة الذكر في سيدي الشعاب ، وفي غمرة تلك الحالة الروحية التي لا يمكن وصفها أو تحديدها أحس صاحبنا ، لا يدري كيف ، أنه لم يعد جسداً مادياً بل روحاً منطلقاً ، وفي هذه اللحظة الروحية السامية صار الشيخ الحاج احمد

التركي ، الذي كان في حلقة الذكر أيضا ، يصيح ويصرخ بطريقة أهاجت جميع الحاضرين في ذلك الذكر ، لا يستطيع الإنسان تفسير مثل هذه المسائل الغامضة إلا قولنا أن الله في خلقه شئون . في أواخر هذه الفترة اشتد المرض بالوالد ، الذي كان مريضا بالشلل كما سبق القول ، وكان صاحبنا ملازما له ليلا نهارا محاولا التخفيف عنه وعن مأساته التي طالت به ، وفي حوالي أواخر فبراير 1944 عند الضحى جاءت الوالدة ، وهو يقرأ أوراده ، تبلغه أن الوالد في حالة احتضار ، فأسرع إليه وصار يحاول مواساته ، كان في شبه إغماء ، وعندما أفاق نظر إلى ابنه نظرة طويلة وأشار كأنه يطلب توجيهه إلى القبلة فأخذه صاحبنا على صدره موجها إياه إلى القبلة وجعل يقرأ له سورة يس ، وكلما أكمل السورة كرر قراءتها وفي المرة السابعة أو الثامنة اسلم الوالد الروح بعد أن نظر إلى ابنه نظرة عميقة فيها كل معاني الحب والامتنان ، رحمه الله تعالى وجزاه عنا كل خير ، اجتاحت صاحبنا موجة من الألم والارتباك ، وعلى أي حال حضر الإخوة وجهاز الوالد حيث أودع مقره الأخير عصر ذلك اليوم ، فكان لا بد لصاحبنا أن يمشي مع الجنازة ، وكانت المرة الأولى التي يخرج فيها إلى الناس بعد فترة اختباء استمرت حوالي ستة أشهر .

الفصل الرابع

المرحلة الحاسمة ومعركته في سبيل العلم والمعرفة

الزاوية أو الناحية الأخرى التي كان لها الأثر في حياته بسبب هذه الإقامة الجبرية الطويلة ، هي أنه أثناء هذه الإقامة وقع في يده مجموعة كبيرة من مجلة الرسالة ، حوالي أربعين عددا كان يحتفظ بها شقيقه الأكبر عبد الرحمن ، أي من سنة 1936 وما بعدها . بدأ يتصفح هذه الأعداد ، في بادئ الأمر كان يقرأ تلك القصص الغربية الرائعة المترجمة إلى العربية ، فهو كما سبق أن قلنا جامع الخيال ويجب القصص والروايات ، إلا أن الأمور تغيرت ، فكان في السابق يقرأ ألف ليلة وليلة ورأس الغول والحسن والحسين الخ .. أما الآن فهو يقرأ الإلياذة والأوديسا واحداً نوتردام وكوخ العم توم وبين مدينتين ، المهم إن قراءة هذه الروايات والقصص جذبته إلى قراءة المقالات التي تفيض بها هذه المجلة الرائعة ، فتعرف على مقالات الزيات والرافعي وطه حسين والعقاد واحمد أمين والمازني والحكيم وعلي الطنطاوي وغيرهم من فطاحل كتاب وأدباء العشرينات والثلاثينات والأربعينات الذين جمعهم مجلة الرسالة ، هذه المجلة التي كان لها دور كبير في المجالات الأدبية والثقافية في العالم العربي . المهم أن صاحبنا قرأ كل هذه الأعداد من الصفحة الأولى إلى الأخيرة بإقبال بل بنهم شديد . وفي حوالي مارس أو أبريل من هذه السنة أي 1944 تدخل أحد الأشخاص من أصدقاء والده ، له علاقة بالسلطة البريطانية في رفع التهديد عنه وبالتالي خرج إلى الشارع من جديد ، وكان أول شيء فعله هو الذهاب إلى محلات بيع الصحف والمجلات ليقتني الأعداد الجديدة من مجلته المحبوبة أي مجلة الرسالة ، وهكذا تعرف على مجلة الرواية التي كانت تصدر من نفس الدار ، كما تعرف على مجلة المختار وهي عبارة عن ترجمة عربية للمجلة الأمريكية الشهيرة "ريدرز دايجست" وكانت تصدر كل شهر ، وقد تعلق بهذه المجلة أيضا فكان لا يفوته أي عدد من أعدادها .

وفي هذه الفترة ومع اندفاعه في هذا الاتجاه الجديد تعرف على مكتبة الأوقاف وصار يجلس الساعات في قاعتها يلتمس كتب الكتاب الذين تعرف عليهم

من مجلة الرسالة ، طه حسين والرافعي والعقاد والمازني واحمد أمين والطنطاوي وتوفيق الحكيم وغيرهم ، وقد لاحظ أمين هذه المكتبة في ذاك الوقت الشاعر السيد احمد قنابة ، إقبال هذا الصبي على القراءة فشجعه على استعارة الكتب والذهاب بها إلى بيته ، الأمر الذي زاد في إقباله على الاطلاع ومحاوله تثقيف نفسه ، ومع ذلك كان صاحبنا يشعر بنوع من النقص الذي يؤلمه ويؤرقه ، فهو كان يتمنى أن يجيد الخطابة كما يجيدها الخطباء ، ويكتب كما يكتب هؤلاء الكتاب ، ولكنه كان يشعر بالعجز ، ولا بد له من مواجهة هذا العجز والتغلب عليه ، وليس هناك من حيلة سوى استئناف الدراسة من جديد . لبيبا لم تخرج بعد من دوامة الحرب التي لا زالت قائمة في أوروبا وبالكاد فتحت بعض المدارس الابتدائية في البلاد ، وهو لديه شهادة إكمال الدراسة الابتدائية منذ سنة 1937 فما العمل؟؟ وهو في دوامة هذا البحث والتفكير وفي أكتوبر 1944 سمع بافتتاح فصل يقبل من لديهم الشهادة الابتدائية للدراسة لمدة سنة تؤهلهم ليكونوا معلمين في المدارس الابتدائية .

أسرع صاحبنا بتقديم نفسه إلى هذا الفصل ، وعندما ابتداء الدوام ودخل الفصل مع حوالي ثلاثين طالبا لم يكن يدرك أن مشكلته الكبرى في الكتابة وخصوصا الإملاء و الخط المزري الذي كان السبب الرئيسي في عدم متابعته الدراسة في المدرسة الإسلامية العليا بعد نيله الشهادة الابتدائية ، أن هذه الآفة سوف تلاحقه بعد سبع سنوات ، في هذا الفصل ، إذ سرعان ما قرر مدير ذلك الفصل ، ساعده الله ، رفض قبوله من الاستمرار في الدراسة مع بقية التلاميذ ، بدعوى أنه لن يستطيع متابعة تلاميذ ذلك الفصل لتخلفه في الكتابة والإملاء . وكانت صدمة كبيرة كادت تحطم كل آماله وطموحاته وتغرقه في بحور اليأس والانهيار . ولكنه كان يعلم عن يقين أن ثقافته ووعيه العلمي الذي استمده من مجلة الرسالة وكتابها العظام هو أحسن بكثير من زملائه الذين قبلوا للاستمرار في الدراسة ، وبالتالي استطاع أن يصمد لهذه الصدمة العنيفة ، خصوصا أنه قد علم عن طريق نفس مجلة الرسالة أن كثيرا من الكتاب والأدباء العظام لا يملكون خطأ جميلا بل إن خطهم في الكتابة في منتهى السوء وأنهم كثيرا ما يخطئون أخطاء

فاحشة في قواعد الإملاء ، إذ أن الخط وقواعد الإملاء ليست مسألة جوهرية في التعلم والتعليم وثقافة الإنسان .

هذه الأفكار جعلته يتشبث بهدفه تجاه العلم والمعرفة ، وفي هذه الأيام تعرف على أحد طلاب جامع احمد باشا الديني ، هو الأخ محمد نبيل يكبره بحوالي سنتين أو ثلاث ، كان يعمل كمعاون لأحد أصحاب الدكاكين في زاوية الدهماني ، فكان يزوره في هذا الدكان ويناقشه في بعض قواعد الإملاء والنحو من مثل أين تقع الهمزة في أول الكلمة وفي وسطها وفي آخرها وما هو المبتدأ وما هو الخبر وكان وأخواتها وان وأخواتها وغير ذلك من القواعد الإملائية والنحوية ، والأمر الثاني الذي ساعده في معركته هذه هو أنه تعرف على مجلة الصباح إذ بها صفحة مخصصة للتعارف ، بها عناوين الشباب العربي الذي يريد أن يتعرف على إخوانه في الوطن العربي ، فصار صاحبنا يكتب بعض هؤلاء الشباب ، فكان ذلك تدريبا له على الكتابة ، وكان يفرح أيما فرح بالردود التي تصله من هؤلاء الأصدقاء ، وصاحبنا لا زال يذكر أن أحد هؤلاء الأصدقاء من مدينة نابلس يقال له جمال النابلسي استمرت المكاتبة بينهما لعدة سنوات ، منه تعرف على الكفاح الفلسطيني ضد الزمرة الصهيونية . من الذين كان يكتبهم أيضا ، ابن عمه عبد القادر الذي يقيم مع والده الحاج محمد الحاج علي ، في كانو نيجيريا ، فقد استمرت الكتابة بينهما لعدة سنوات وكان الحوار يدور بينهما في عدة مواضيع خصوصا في ما يتعلق بمستقبل ليبيا وقد كان لعبد القادر دور كبير في تشجيع هذا الصبي في اندفاعه نحو العلم والتعلم. من الأمور التي ساعدت في اندفاعه إلى هذا الاتجاه أنه كانت لشقيقه الأكبر الحاج عبد الرحمن سهريه في المربوعة التابعة للبيت يحضرها الحاج محمد الزقعار وكان إذ ذاك مدرسا في إحدى المدارس الابتدائية والحاج محمد تمالا وكان قبطانا للبوأخر ومديرا للميناء طرابلس ومجموعة كبيرة من المثقفين ، وكان النقاش يدور طوال السهرة حول مستقبل ليبيا السياسي والعلمي والاجتماعي ، فكان هذا الصبي يستفيد أيما استفادة بهذه المناقشات والحوارات التي كانت تجري أمامه كل مساء ، فمن المعروف أن الإدارة البريطانية الحاكمة إذ ذاك في البلاد لن تستمر في هذا الحكم ولا بد للبلاد من

استقلالها في القريب ، من زاوية أخرى أن هذه الحوارات والمناقشات والقراءات المستمرة أصبحت شيئاً فشيئاً تبلور شخصية هذا الصبي وبدأ يكون لنفسه آراء خاصة فيما يدور حوله ، من ذلك أنه قد شاهد أن الناس عندما يأتون لصلاة الجمعة لا بد أن يستعملوا غطاء للرأس حتى أولئك الذين يلبسون البدل الإفرنجية يضعون منديلاً على رؤوسهم عندما يدخلون الجامع فرأى هذا الصبي أن ذلك ليس واجبا حسب قراءاته واطلاعه على سيرة الرسول والصحابة وبالتالي قرر أن يدخل الجامع عاري الرأس وكان هذا التصرف تحدياً ملفتاً للنظر ولكنه لم يأبه لذلك واستمر في تحديه ، الشيء العجيب أنه بعد فترة أسابيع أو أشهر وجد أن الكثيرين يقلدونه في هذا التحدي .

في اكتوبر 1945 سمع أن فصلاً آخر قد افتتح لمن عندهم الابتدائية للدراسة لمدة سنة لتخرجهم كمعلمين للمدارس الابتدائية ، فأسرع إلى هذه المدرسة وكان كل هممه أن يتقن نفسه ولم يكن يهتم أن يكون مدرسا أو لا ، المهم أنه قابل مدير المدرسة ، وكان ضابطاً سودانياً عظيماً يسمى عبد الحكيم جميل وكان من أعظم المربين الذين عرفتهم طوال حياتي ، ويا ليت العالم العربي الآن يجد موجهاً للتعليم في العالم العربي مثل هذا الرجل العظيم . المهم أن هذا الرجل قد اعترض عن قبول الصبي بدعوى أن الدراسة قد ابتدأت منذ أكثر من أسبوعين وان تلميذاً جديداً لا يستطيع أن يلحق بمجموع التلاميذ الذين تقدموا شوطاً بعيداً ، ولكن صبينا صار يرجو ويلح في الرجاء وقد طفرت الدموع من عينيه الأمر الذي استثار عطف هذا المربي العظيم فقبل دخول صبينا على شرط أن يكون موضع تجربة لمدة خمسة عشر يوماً ، فإذا استطاع أن يساير بقية التلاميذ فيكون قبوله النهائي وإلا يقرر عدم قبوله ، وقد قبل صبينا هذا التحدي ونجح فيه نجاحاً باهراً ، إذ كان يبذل مجهوداً كبيراً في التغلب على المسافة الشاسعة بينه وبين زملائه في الفصل الذين تخرجوا حديثاً من الابتدائية فمعلوماتهم الدراسية في جميع فروع التعليم لا زالت تشع في أذهانهم ، أما هو فقد ترك الدراسة منذ حصوله على الابتدائية سنة 1937 فقد مرت حوالي الثماني سنوات على ذلك التاريخ ، هذا علاوة على أن الفصل قد ابتدأ الدراسة منذ أسبوعين ، ولكنه

صار يضاعف مجهوده للحاق بهؤلاء الزملاء وقد وفق إلى ذلك بالاستعانة بصديقه محمد نبيل الذي كان يزوره كل يوم في دكانه عند الخروج من المدرسة فيناقشه في جميع المعلومات من إملاء ونحو وتاريخ وجغرافيا وحساب وجبر إلى آخره .. وكان يخرج بنتائج طيبة من هذا النقاش ، ومع ذلك كان يشعر باستمرار بالفارق الشاسع بينه وبين زملائه وكان هذا الشعور يعذبه عذابا شديدا ، واستمر هذا الشعور المضني إلى حوالي الثلاثة أسابيع إلى أن حصلت حادثة كانت هي الإنقاذ . كان صاحبنا ينفذ تعليمات المدرسين في تحضير الواجبات البيتية بكل الدقة والوفاء ، وكان الأستاذ عبد الحكيم جميل يدرس الجبر والهندسة واللغة الإنجليزية وكان الأستاذ محمود فرحات يدرس التاريخ والجغرافيا والطبيعة أما الأستاذ مسعود فشيكة كان يدرس اللغة العربية من نحو وصرف وإنشاء . وفي مرة من المرات كان الأستاذ مسعود قد طلب تنفيذ واجب في البيت في اللغة بطريقة وتنسيق معين ، وكان صاحبنا قد نفذ هذه التعليمات بصورة رائعة مبهرة ، وعندما كان الأستاذ يمر على التلاميذ يتفحص كراساتهم اخذ كراسة صاحبنا ورفعها إلى فوق ليشاهدها كل الطلبة وقال لهم أني أريد منكم أن تقلدوا زميلكم فلان فقد أجاد في كل شيء ، الله يفتح عليك يا ابني . لقد كانت هذه الكلمات التي نطق بها الأستاذ مسعود فشيكة هي البلسم الذي رفع معنويات هذا الصبي إلى عنان السماء ، ومن ذلك اليوم صار تقدمه مطردا قويا حتى نهاية دراسته الجامعية ، كما اعتبر ذلك إيذانا بقبوله كطالب منتظم في هذه الدراسة .

كان الفصل يضم حوالي ثلاثين طالبا قد اختار منهم صاحبنا ثلاثة طلبة كانوا يعتبرون الأوائل في الفصل هم سليمان تومية وعمران العزاي وطاهر دهان فصار يتقرب إليهم حتى صاروا من أصدقائه الحميمين . إذا كانت البداية هذه الكلمة المشجعة التي فاه بها الأستاذ مسعود فشيكة ، فرحم الله هذا الأستاذ الجليل فقد كان نعم الأستاذ ونعم المربي الذي سيبقى تاريخه فترة مضيئة في مجال التربية والتعليم ، وبعد إتمام دراستي ورجوعي من مصر كلما قابلته لا بد أن أقبل يده الكريمة ، وقد حاولت مع بعض الأصدقاء منهم الأستاذ خليفة التليسي في أواخر حياة الأستاذ مسعود أن نقيم له حفل تكريم يستحقه عن جدارة ولكن

حال بيني وبين تنفيذ هذا الواجب المقدس خروجي من البلاد في أوائل سنة 1980 كما سيأتي من حديث .

قبل أن استمر في ذكر موضوع الدراسة وما جرى فيها من أحداث وحوادث أحب أن أعرج على واقعة حصلت في أواخر 1944 وأوائل سنة 1945 ، إذ بالرغم من عدم قبول هذا الصبي أو الشاب للدراسة في الفصل الذي أنشئ في أكتوبر 1944 والآلام التي تكبدها بسبب ذلك ازداد إقبالا على القراءة والاطلاع والزيارة المستمرة لمكتبة الأوقاف ، وفي هذه الأثناء لا يتذكر كيف جمعته الظروف مع مجموعة من الأصدقاء الواحد بعد الآخر هم الأخ خليفة الخافي أحد حفظة القرآن من زاوية الدهماني والأخ محمد الشريف أحد خريجي مدرسة أو مشروع سير سيليان التابع للأمم المتحدة بأحد أقاليم مصر ، والأستاذ إبراهيم الفلاح كان موظفا كبيرا في إدارة التربية والتعليم ، والشيخ عبد الرحمن ددق أحد خريجي الأزهر الشريف الوافدين حديثا من مصر ، والأخ عبد المجيد المشيرقي من التجار المعروفين ، والأخ فريد سيالة كاتب صحفي ، كان صاحبنا يلتقي بهذه المجموعة باستمرار لا يدري كيف حصل هذا ، وربما كان ذلك عن طريق نادي الاتحاد الذي كان أكثر الشباب يؤمه في ذلك الوقت ، وكانت هذه المجموعة تناقش باستمرار التقاليد السيئة المتفشية في البلاد وتأثيرها المعرقل والمحبط لوسائل التقدم والازدهار ، من أمثال غلاء المهور في الزواج والنفقات الباهظة في الأفراح والمآتم ، وهذا الصراخ والعيول المزعج في المآتم الأمر الذي لا نشاهده في العالم الغربي ، وكذلك هذه الزمزمات والنوبة والغيبة التي نشاهدها في الأفراح الخ... وبناء على هذه الحوارات المستمرة انتهت هذه المجموعة إلى التفكير في تكوين جمعية إصلاحية تحارب هذه العادات والتقاليد السيئة ، وبعد مجهودات جبارة ومستمرة استطاعت تكوين ما عرف إذ ذاك بجمعية الإصلاح الاجتماعي . كانت تبحث عن مقر لها فسمحت لهم الإدارة البريطانية بان يأخذوا أحد المواقع في معرض طرابلس الدولي ، ولكن هذا المعرض كان مهجورا منذ بداية الحرب وأكثره مههدما ، فحاولت المجموعة اختيار الموقع الأقل تههدما وبذلت مجهودات لإزالة الركام والتراب وتنظيفه ، ولكن حتى

بعد أن أتمت ذلك بعد متاعب جمة لم تجد الأثاث المناسب ، فصرفت النظر عن الموقع وصارت تجتمع في نادي الاتحاد أو في أي مقهى من المقاهي ، فكانت الجمعية تعد المنشورات بأرائها أو تكتب في بعض الصحف التي تتفضل بقبول آرائها وهكذا ، والذي يذكره صاحبنا أنه عندما توفي أحد أقاربه حاول التدخل لمنع السيدات من الصراخ في المآتم ، كما أن شقيقته الصغرى عندما تزوجت ابن عمها في هذه الفترة حاول صاحبنا أن يمنع النوبة والغيبة ، والغريب أن الأهل كانوا يسايرونه ولا يصطدمون معه ، والآن عندما يعيد التفكير في هذه المحاولات يجد أكثرها تشويها السذاجة ومراعاة التفكير وربما ندم على بعض تصرفاته مع أهله بالخصوص . المهم أن هذه الجمعية لم تعش طويلا فصارت اجتماعاتها تقل شيئا فشيئا حتى بهتت وذابت وبذلك انتهت هذه الجمعية العتيقة !! الذي كان لصاحبنا دور بارز في تكوينها وإدارتها .

نعود إلى الفصل الدراسي الذي انضم إليه صاحبنا ، كان مقر هذا الفصل بمبنى المدرسة الإسلامية العليا بالظهرة فندق دورار ، هذه المدرسة كان قد كونها العهد الإيطالي حوالي سنة 1935 لتستوعب خريجي الابتدائية ممن يرغب منهم في مواصلة الدراسة لمدة خمس سنوات كدراسة عليا في اللغة الإيطالية والعربية وبقية العلوم الأخرى . وكان لهذه المدرسة سمعة طيبة ولكن قفلت أبوابها بعد السنة الأولى من الحرب أي حوالي سنة 1940 وقد بقيت هذه المدرسة شاغرة حتى حول إليها هذا الفصل ، هي مدرسة واسعة واسعة من طابق واحد بها حوالي عشرة فصول وقسم داخلي وباحة واسعة وجنينة متوسطة الحجم . وكما سبق أن قلت إن هذا الفصل مكون من حوالي ثلاثين طالبا قام مدير المدرسة الأستاذ عبد الحكيم جميل هذا الضابط السوداني العبقري الطويل القامة العريض المنكبين سمته خفيفة وجهه بشوش دائما وهو الذي كنت أتمنى أن يكون هو أو مثله بتولي شئون التعليم في العالم العربي بأجمعه ، قام هذا الأستاذ بتقسيم طلبة هذا الفصل إلى خمس لجان ، لجنة للصحافة ومن مهمتها إصدار صحيفة حائط كل أسبوعين ولجنة الثقافة تقوم بتشجيع الطلبة على إلقاء محاضرات في الفصل أو في باحة المدرسة كل أسبوع على الأقل ، ولجنة المحكمة والنيابة حيث تقدم النيابة بناء

على طلب المدرسين أو الطلبة المضورين أي طالب إلى هذه المحكمة للحكم بالعقوبة المناسبة التي تكون في الغالب تكليف الطالب المعاقب القيام ببعض الأعمال لصالح المدرسة من مثل تنظيف زجاج الشبايك إلى غير ذلك من الأحكام التي كان الطلبة ينفذونها بترحاب عظيم ، ثم لجنة الجنيئة ومهمتها العناية بحديقة المدرسة من غرس بعض الشجيرات والزهور والعناية بالسقي والتشذيب الخ .. ثم لجنة النظافة ومهمتها كل ما يتعلق بالنظافة ، نظافة المدرسة أو نظافة الطلبة ، وكان مدير المدرسة والمدرسون أعضاء في هذه اللجان ولكن رئاسة اللجنة تكون دائماً لطالب من الطلبة ، وللطالب أن يشترك في أكثر من لجنة واحدة ، وكان نشاط هذه اللجان قد جعل الطلبة بروح المنافسة والتفوق يتواجدون في المدرسة طول اليوم ، فبعد أن ينتهي الدوام وفترة الغداء ترى أكثر الطلبة يرجعون إلى المدرسة في فترة العصر والمساء لزواله نشاطهم اللجاني . وكان صاحبنا قد انتخب لرئاسة لجنة الصحافة التي كان من أعضائها الطالب عبد الواحد رجب كرسام والطالب عبد الرحمن بن عامر رحمه الله ككاتب والأستاذ محمود فرحات كمنسق وطالب آخر من الجبل يقيم بالقسم الداخلي لا اذكر اسمه الآن ككاتب ورسام أيضا ، وكانت هذه اللجنة تجتمع عصر كل يوم وفي أقل من عشرة أيام استطاعت أن تصدر أول عدد من صحيفة الحائط في ورق مقوى بطول متر وعرض نصف متر باسم شعلة الحرية ، بمقالة لرئيس التحرير وبعض مقالات مختصرة لبعض الطلبة ومقالة لمدرس اللغة العربية الأستاذ مسعود فشيكة وبعض التوجيهات من مدير المدرسة ، هذا علاوة عن الكثير من الصور الكاريكاتورية من رسم الطالب عبد الواحد رجب والطالب الجبلي وبعض الاقتباسات من مجلة المختار وبعض المجالات الأخرى . هذه الصحيفة الحائطية علقت بجانب مكتب الإدارة وقد اقبل عليها الطلبة إقبالا شديدا ، كما إن المدرسين كثيرا ما يقفون عليها يقرؤون تعليقاتها المضحكة خصوصا فيما يتعلق بهم في أدائهم للدرس فكانوا يضحكون من هذه التعليقات الأمر الذي خلق نوعا من الترابط الأسرى المحبب بين الطلبة والمدرسين ، هذه الروح الرائعة التي سادت المدرسة كان الفضل فيها لتخطيط مدير المدرسة الأستاذ

عبد الحكيم جميل ، المهتم أن هذه الصحيفة استمرت في الصدور كل ثلاثة أو أربعة أسابيع طول السنة الدراسية . الشيء الآخر الذي كان يدور في هذه المدرسة علاوة عن النشاطات الثقافية والرياضية والاجتماعية الأخرى كان صاحبنا يلتقي مع حوالي عشرة من زملاء لقاء شبه يومي في غير أوقات الدوام بعد الظهر وفي أيام الجمعة والإجازات في حديقة المدرسة يساعدون لجنة الحديقة ويهيئون الشاي ويتناقشون في ما يتعلق بالدراسة والمستقبل ، وكان الأستاذ عبد الحكيم جميل كثيرا ما يحضر هذه الجلسات الشيقة وكان بأسلوبه الرائع غير المتكلف الذي يبدو فيه كأنه يتحدث إلى أصدقائه يبت فينا روح التعاون وقوة الإرادة والإصرار على النجاح ، وأعود القول يا ليت هذا الإنسان كان موجها للتعليم في جميع العالم العربي . لا يفوتني أن اذكر مجموعة هذه اللقاءات ، أتذكر منهم عبد الواحد رجب وشقيقه عبد الرحمن وشعبان القبلاوي والمرحوم عبد الرحمن بن عامر وعمران العزابي وطاهر دهان وسليمان تومية وفوزي البغدادي وصاحب هذه الرواية كنا مجموعة تكاد لا تفترق طوال اليوم وحتى إذا لم نلتق في المدرسة مساء لا بد أن نلتقي بنادي الاتحاد الذي كان لنا به أدوار ثقافية رائعة كما سيأتي من حديث .

بعد أن خرج الإيطاليون من ليبيا بقيت كثير من العمارات خالية ومنها عمارات جيدة جدا ، من ذلك العمارات الكائنة بزواوية الدهماني قرب سيدي الشعاب وفندق المهاري المعروفة إذ ذاك بعمارات صندوق التوفير ، ونظرا لخلوها من السكان بعد خروج الايطاليين تعرض البعض منها لنوع من التخريب البسيط في الأبواب والأدوات الصحية الأمر الذي دفع بالإدارة البريطانية الإسراع بتأجيرها بأسعار رمزية ، وبناء على ذلك تحصل الشقيق الأكبر الحاج عبد الرحمن على ثلاث شقق مواجهة للبحر مباشرة ، شقتين في الدور الاول مفتوحتين على بعض وشقة في الدور الثاني ، والثلاث شقق بباب رئيسي واحد ، كانت شقق جميلة في منتهى الروعة والجمال ، عندما تقف في الشرفة الواسعة أو الشبايك المظلة على البحر تشاهد ذلك المنظر الجميل الساحر لكل ميناء طرابلس وما بعده كما تشاهد جميع البواخر الداخلة أو الخارجة من الميناء ،

لقد تمتعت الأسرة بهذه السكنى الرائعة من أوائل 1945 إلى أواخر 1947 ثم طالبت الإدارة البريطانية باستردادها فسلمناها بسداجة طائعين ، الشيء الغريب أن الكثيرين أمثالنا من المستأجرين الذين رفضوا الإذعان لطلب الإدارة لا زالوا حتى هذه الكتابة يحتلون تلك الشقق الرائعة التي أصبحت بمضي الزمن من أملاكهم بصفة نهائية ، والله في عباده شئون !!!

كما سبق أن قلت إن هذه الشقق الثلاث لها باب رئيسي واحد كما أن بها طابق تحت الأرض أو ما يقال له البدروم ، وفي حجرة من حجراته القريبة من الجراج أي المربأ ، نصب صاحبنا النول الذي كان يعمل عليه الأردية القطنية النسائية ، فكان يذهب إلى المدرسة في الصباح أو بعد الظهر أحيانا ، ولكن في المساء يتفرغ لعمل النول ، ولكي لا يفوته مطالعة دروسه كان يضع الكتب أو دفاتر المراجعة أمامه وهو يعمل ويطلع ما عليه من واجبات أو حفظ أو غير ذلك ، واستمر في هذه الحالة حوالي سنتين أو سنتين ونصف . وفي صيف 1946 استعد الطلبة للامتحان ، وفي حوالي منتصف يونيو اجري الامتحان وكان امتحانا صعبا للغاية حتى أن الخمسة والثلاثين طالبا لم ينجح منهم سوى عشرين طالبا وكان صاحبنا ترتيبه الرابع في الناجحين كما تصدرت شهادته كلمات رائعة تحيي مجهوده العظيم في الدراسة وتخطي العقبات والمثابرة والتعاون والأخلاق العالية وتنبأ له باطراد التقدم والنجاح . هذه العبارات الرائعة التي وردت في شهادته ملأته فخرا واعتزازا كما ملأته بالثقة في مستقبل باهر في هذا الاتجاه .

بعد انتهاء الامتحانات ، تفرغ في الإجازة الصيفية لعمل النول ، والواقع أن الأسرة في حاجة إلى هذا العمل فالوالد كان قد توفي منذ سنتين واغلب الأشقاء لا يعملون فاغلب الحمل قد وقع عليه وعلى الوالدة التي كانت تبذل مجهودات الجبارة لتوفير لقمة العيش للأسرة ، ففي الربيع تقيم "قطار" زهرة الليمون والبرتقال "الشفشي" وفي الصيف تشتغل ماكينة الخياطة فتخيط أغطية الرأس "المعارق" وفساتين الأطفال بما لديها من أقمشة قديمة وكان شقيقي الأصغر الحاج علي هو الذي يتولى بيعها في سوق الظهره وشراء ما يلزم من خضراوات ومواد غذائية من ذلك السوق ، وفي الشتاء تبذل هذه الأم المجاهدة كل طاقتها

مع الشقيقتين في أعمال الصوف ، فيشترتون جلود الخراف ويقومون بفصل الصوف منها بطريقة خاصة ثم يغسلون هذا الصوف غسيلا متكررا حتى يصير أيضا كالشمع ثم يصبغون بعضه بألوان مختلفة ثم يغزلونه باليد إلى خيوط رقيقة متينة للسدوة وخيوط غليظة نوعا واكل متانة للرمي ، فترى الوالدة والشقيقتين يقمن بهذا الغزل طوال ليالي الشتاء الطويلة ، ثم يدفع بهذه الكمية الضخمة من الغزل رقيقه وغليظة إلى الأسطى المتخصص في هذا العمل لتسديته وجعله أعبية ذات ألوان متعددة يلبسها النساء الطرابلسيات في الشتاء ، حيث تقوم الوالدة ببيعها بأسعار مجزية ، إنها ملحمة سيمفونية رائعة تعطي صورة مقدسة مضيئة للجهاد في سبيل الحياة . إن هذه السيدة العظيمة المكافحة ، الحاجة خديجة الخادم ، تستحق عن جدارة أن يقام لها تمثال ضخم في أحد ميادين مدينة طرابلس يتمثل فيه معنى كفاح المرأة في سبيل أسرتها وبالتالي في سبيل المجتمع الذي تعيش فيه .

وكان صاحبنا من جهته وهو يشاهد كفاح هذه الوالدة العظيمة وتضحياتها في سبيل الأسرة لا يدخر وسعا في كفاحه على ذلك النول القابع في البدروم ، وفي أيام إجازة الصيف ، يقوم الخامسة وبعد أن يصلي الفجر يبدأ عمله وفي الساعة الواحدة يكون قد أتم الرداء ، وأثناء عمله في النول كانت يديه وقدميه تعملان ولكن ليس هناك ما يشغل عقله وذنه وبالتالي اخترع فكرة حفظ الشعر وهو يعمل على النول ، فكان كل يوم يضع مجموعة من أبيات الشعر أمامه ويقوم بحفظها وهو يعمل ، وعن هذه الطريقة المبتكرة استطاع أن يحفظ أغلب المعلقات من الشعر الجاهلي والكثير من شعر المتنبي وشوقي والشابي ، كما استطاع أن يحفظ مجموعة من مقامات الحريري التي أوسعت معلوماته وإدراكه للغريب في اللغة العربية .

كان المتوقع كما قيل في البداية أن تكون الدراسة سنة واحدة يتحول الخريجون فيها إلى معلمين للمدارس الابتدائية ولكن أعلمنا أن الدراسة ستستمر وفتحت السنة الثانية حيث كنا عشرين طالبا وهو العدد الذي نجح من الخمسة والثلاثين طالبا الذين كانوا في السنة الأولى ، كما بقيت السنة الأولى التي ضمت المتخلفين وانضم إليهم مجموعة من خريجي الابتدائية .

كان صاحبنا وقد استشعر تفوقه وتمكنه في الدراسة صار يبذل مجهودا أكبر فأكبر وتفتحت طموحاته للدراسة الجامعية ، كان يلتقي بزملائه الأصدقاء الذين سبق ذكرهم ، في اغلب الأيام بعد الظهر في المدرسة أو مساء في نادي الاتحاد وكانوا يتذكرون المستقبل ، كانت هناك إشاعات وأخبار غير أكيدة أن الطلبة الذين يتخرجون من السنة الثالثة بتفوق سوف يرسلون في بعثة دراسية عليا في بريطانيا ليكونوا موظفين في إدارة بلادهم الأمر الذي لا يروق لأكثر هؤلاء الأصدقاء ، وبالتالي فقد هداهم تفكيرهم أن يخططوا لأنفسهم لإتمام دراستهم في مصر ، ولكن من أين لهم الوسائل المالية للوصول إلى ذلك ؟ بعد مباحثات مطولة في هذا الشأن استقر الرأي على محاولة زيارة أغنياء مدينة طرابلس الذين لهم اهتمامات سياسية بمستقبل الوطن ، وعليه فقد قاموا بزيارة الحاج محمد الكريكشي ومحمد الزقعار وغيرهم . كانوا يتصلون بالهاتف لتحديد موعد الزيارة وفي الموعد ، الذي في الغالب ما يكون في المساء ، وبعد مشروب الضيافة يقوم المتكلم عنهم وهو في الغالب عمران العزابي بشرح الفكرة وسبب الزيارة وهي حث هؤلاء الأغنياء المهتمين بمستقبل بلادهم إلى تكوين بعثة من هؤلاء الطلبة للدراسة في مصر . كانت هذه المحاولات والمقابلات تلقى ترحيبا كبيرا ووعودا ضخمة ولكن بدون أي خطوات تنفيذية . من الحوادث المأساوية المضحكة التي صاحبت هذا المجهود أننا قمنا بزيارة والد أحد زملائنا باعتباره أحد أغنياء طرابلس ، وكما هي العادة قام زميلنا عمران العزابي بعد تناول الشاي وألقى خطبته المعتادة ، وعند إتمام خطابه وجلوسه ، نظر إلينا والد زميلنا المذكور يمينا وشمالا وكان جوابه الوحيد على هذه الخطبة العصماء هي قوله - ربنا يجيب المطر !!! - خرجنا بعدها نجر أذيال الخيبة وأصبحت هذه العبارة نكتة نتداولها بيننا كلما واجهنا أمر يستحيل تنفيذه فنقول ، ربنا يجيب المطر . والواقع أن ما نطق به هذا الرجل المخضرم له دلالاته العميقة في المجتمع الليبي ، ذلك أن المطر هو كل شيء في مجتمع يعيش على الزراعة كالمجتمع الليبي . إن فكرة البعثة إلى مصر بالرغم من أنها لم تجد التشجيع الكافي ومحاولة التنفيذ فقد بقيت مستقرة في أذهان هؤلاء الرفاق السبعة أو الثمانية ، كانوا باستمرار يتداولون هذه الفكرة في جلساتهم العصرية في جنينة المدرسة أو جلساتهم المسائية في النادي ،

واستمرت هكذا الحياة حتى موعد الامتحانات في آخر مايو 1947 حيث أدى الامتحان وخرجت النتيجة وكان الناجحون ثمانية من جملة الفصل الذي هو عشرون طالبا ، والشيء العجيب أن الناجحين هم مجموعة لقاءات مشروع البعثة ، كما إن صاحبنا كان في هذه المرة ترتيبه الأول بين الناجحين وقد ملئت شهادته بكل عبارات التشجيع والتأييد والإطراء التي تبعث الفخر والاعتزاز في النفوس .

كانت سنة 1947 سنة صعبة على جميع سكان ليبيا إذ خلا الشتاء السابق من الأمطار وبالتالي ساد القحط والجوع أرجاء الوطن ، ومن دلالات هذا الوضع المتأزم أن صاحبنا وقد كان مستمرا في جهاده على أعمال الحياكة والتزامه لنوله مساء كل يوم ، أنه عندما أراد تهيئة سدوة جديدة للعمل كان قد احضر شيئا من الدقيق لتنشية خيوط الغزل ، وكان في العادة أن يطبخ هذا الدقيق في الماء حتى يصبح نشاءا تغمر فيه تلك الخيوط ، ولكن الأسرة نظرا للحالة التي هي بها وضعت قليلا من الملح والزيت وأكلت ذلك النشاء . إني اذكر هذه الحادثة للدلالة على الحالة التي تعيشها ليبيا في تلك الفترة القاسية ، فإذا كانت أسرنا التي تعتبر من الأسر المتوسطة وصلت بها الظروف إلى هذه الحالة فماذا يكون وضع الأسر الفقيرة والمعدمة؟؟

في هذه السنة اشتد أيضا الصراع السياسي حول الوضع في ليبيا وما يخطط لها من مستقبل مظلم ، فقد كان العالم الغربي يخطط لتقسيم ليبيا إلى ثلاث مناطق ، ولاية طرابلس وتبقى تحت الإدارة الإيطالية ، وولاية فزان وتبقى تحت الإدارة الفرنسية ، أما ولاية برقة فتحظى بحكم ذاتي بقيادة أمير برقة إدريس السنوسي تحت الرعاية البريطانية . كان الشعب الليبي وخصوصا في منطقة طرابلس يزخر حماسا وغضبا ضد هذه المخططات ، فكانت مدينة طرابلس وأقاليمها لا تهدأ ليلا ولا نهارا من المظاهرات والاجتماعات السياسية أو المنشورات التي توزع في كل الأقاليم ، والذي كان يبدو أن إقليم برقة كان راضيا بهذا التخطيط ما عدا جمعية عمر المختار في برقة التي كانت تعارض بكل قوة متمسكة بوحدة ليبيا ووحدة مصيرها ، والذي كان يرأسها في ذلك الوقت رجل وطني ومناضل عظيم هو الأستاذ مصطفى بن عامر .

في هذه الفترة صدر قرار من الأمم المتحدة بإرسال لجنة تابعة لها إلى ليبيا لتحقيق حول رغبات الليبيين لمستقبل بلادهم . وفي هذه الفترة أيضا حضر من السعودية الوطني والمناضل المعروف السيد بشير السعداوي إلى ليبيا بتوجيه ومساعدة وربما بتمويل من السعودية والجامعة العربية ، وحيث أن هذا الرجل كان معروفا بجهاد الطويل ضد الغزو الإيطالي أيام الحرب العالمية الأولى وما بعدها فقد التفّ حوله الشعب الليبي خصوصا في المناطق الغربية من ليبيا طرابلس وما حولها ، وكان الشعار الذي رفع أمام اللجنة المشار إليها في كل مكان في هذه المناطق هو وحدة ليبيا واستقلالها والانضمام إلى الجامعة العربية .

في أكتوبر 1947 بدأت الدراسة من جديد وكنا في الفصل الثالث ثمانية طلبة هم عمران العزاي وطاهر دهان وعبد الواحد رجب وشقيقه عبد الرحمن وسليمان تومية والهادي الغنودي وشعبان القبلاوي والعبد العاجز ، وكان المدرسون لهذا الفصل والفصول الأولى والثانية الأساتذة عبد الحكيم جميل ناظر المدرسة ومسعود فشيكة ومحمود فرحات والهادي عرفة وفؤاد الكعبازي ومظفر الأمير وعمر الباروني . الفصل كما سبق أن قلت به ثمانية طلاب فقط ، بالتالي كانت الدراسة على أعلى المستويات في اللغة والأدب والجبر والهندسة والتاريخ والجغرافيا واللغة الإنجليزية والفرنسية وكان التنافس على أشده بين هذه المجموعة ، كما أنه في الوقت نفسه أن هذه المجموعة تكاد لا تفترق ليلا أو نهارا إلا في ساعات النوم ، كانت الاجتماعات مستمرة في نادي الاتحاد ، والذي كان يشغل بال هذه المجموعة هو الوسيلة إلى استمرار الدراسة في مصر أو في أي مكان آخر ، كانت هناك إشاعات غامضة ربما كان مصدرها الأستاذ عبد الحكيم جميل أن الذين يتخرجون من السنة الثالثة سيرسلون في بعثة إلى بريطانيا ، ولكن هذه الإشاعات ليس هناك ما يؤكدتها .

في أبريل 1948 وقد أوشكت السنة الدراسية على الانتهاء ، حصل اجتماع سياسي كبير في مسرح الميراماري بزعامة السيد بشير السعداوي هوجمت فيه السياسة البريطانية تجاه ليبيا هجوما عنيفا ، نحن جميعا حضرنا هذا الاجتماع ولكن كان الزميلان عمران العزاي وسليمان تومية من المتكلمين في هذا الاجتماع

وقد شاركا مشاركة فعلية في الهجوم على بريطانيا ، وعند انتهاء هذا الاجتماع الصاخب خرج المجتمعون في مظاهرات مهولة في شوارع طرابلس تندد بالسياسة البريطانية وأهدافها المشبوهة إزاء مستقبل ليبيا . "بيفن .. بيفن .. يسقط بيفن" .

بناء على هذا الهجوم على بريطانيا وسياستها في ليبيا ومشاركة الزميلين عمران العزابي وسليمان تومية في هذا الهجوم صدر قرار من مدير المعارف وهو ضابط بريطاني ، بفصل الزميلين المذكورين عن الدراسة ، وكان من الطبيعي أن يتضامن الفصل وهو لا يضم أكثر من ثمانية طلاب ، مع الزميلين المفصولين وبالتالي قرر كل الفصل الإضراب عن الدراسة ، كنا نذهب إلى المدرسة ولكن نمتنع عن الدخول إلى الفصل . استمرت هذه الحالة حوالي الأسبوع ، وفي آخر الأمر استدعانا الأستاذ عبد الحكيم جميل إلى مكتبه وحاول إقناعنا بالرجوع إلى الفصل واستئناف الدراسة وان موقفنا هذا في غير صالحنا ، ولكننا ناقشناه كأصدقاء إلى صديقهم أننا لن نتراجع عن موقفنا إلا إذا رجع الزميلان معنا إلى الفصل ، وأخيرا ابلغنا الأستاذ عبد الحكيم جميل أن القرار ليس بيده وإنما بيد مدير المعارف البريطاني ووعدا بأنه سيرتب لنا لقاء معه .

وفعلا حدد موعدا لهذا اللقاء في إدارة المعارف وقابلنا مدير المعارف وجرى النقاش معه بكل هدوء وروية حيث حاول إغراءنا بالبعثة إلى بريطانيا قائلا أن الامتحانات لم يبق على حلوها إلا شهرا وان الناجحين سيرسلون في بعثة إلى بريطانيا على حساب الدولة ، ولكننا تمسكنا بوجهة نظرنا أن لا رجوع إلا إذا رجع الزميلان معنا ، وتمسك كل طرف بموقفه ، وعند نهاية النقاش ونحن بسبيل مغادرة مكتب مدير المعارف ، اقترح أحدنا اقتراحا أخيرا أيدناه جميعا وهو أننا نقبل بفصل الزميلين بقية السنة الدراسية ولكن يسمح لهما بالمشاركة في الامتحان ، ولكن حتى هذا الاقتراح لم يقبل ، وعليه خرجنا من هذه الإدارة مصممين على الاستمرار في الإضراب وليكن ما يكون .

الفصل الخامس

المغامرة الكبرى والسفر إلى مصر للدراسة

كنا نجتمع يوميا في نادي الاتحاد نناقش الموضوع من جميع جوانبه ، ما العمل؟؟ ليس هناك أماننا إلا حلا واحدا وهو الذهاب إلى مصر لاستئناف الدراسة هناك . اخترت هذه الفكرة في أذهاننا وصممنا عليها ما عدا زميلين هما شعبان القبلاوي والهادي الغنودي ، وكذلك عبد الرحمن رجب الذي كان مرتبطا بفريق الكرة في نادي الاتحاد ، بقينا خمسة ولكن انضم إلينا الزميل فوزي البغدادي الذي كان قد تخلف في السنة الثانية .

استقر الرأي على السفر وتحدد له موعد ، ولكن رأينا قبل القيام بذلك زيارة السيد بشير السعداوي علنا نجد بعض المساعدة لديه ، وحدد موعدا لذلك وقد زودنا ببعض نصائحه وإرشاداته وطلب إلينا عند الوصول إلى مصر زيارة السيد منصور بن قدرة بالبنك العربي بالقاهرة ليتولى مساعدتنا إذا أمكن .

قام صاحبنا بإبلاغ شقيقه الأكبر عبد الرحمن بنية السفر وموعده فزوده بنصائحه وأعطاه خمسمائة (مال) وهي العملة السائدة في ذلك الوقت وتساوي حوالي خمس جنيهات مصرية ، رتب حقييته وسلم على الوالدة والأخوة والأخوات والتقى بالزملاء في موقع باص الذهاب إلى بنغازي الذي تحرك بنا في هذا الاتجاه صباح يوم في أوائل مايو 1948 ، وقد تخلف الزميلان طاهر دهان وفوزي البغدادي على أن يلحقا بنا فيما بعد ، اذا كنا أربعة عمران العزابي وسليمان تومية وصاحبنا وعبد الواحد رجب . في الطريق قبل الخمس بقليل طلب صاحبنا من سائق الباص بالوقوف قليلا أمام المدرسة التي كان يدرس بها شقيقه الحاج عثمان فسلم عليه ثم انطلق الباص إلى بنغازي حيث نزلت الشلة بفندق شعبي يقال له فندق نجم ، وبقوا في هذا الفندق حوالي أسبوع للحصول على وثائق السفر حيث اتصلوا بجمعية عمر المختار بالخصوص وقد تفضل أحد أعضائها الأجاد هو الأستاذ محمود مخلوف جزاه الله كل خير الذي زود المجموعة

بوثائق الرعاة المخصصة للذين يصدرون الأغنام إلى مصر والتي تصلح لاجتياز الحدود المصرية ، والعجب العجيب في هذا الأمر هو أن لا هيئتنا ولا ما نرتدي يمكن أن يغطّي هذا التزوير الفادح ، فمن يرانا لا يمكن أن يخطر على باله أنه أمام رعاة غنم ، ومع ذلك فإن السلطات المصرية في الحدود لم تلتفت إلى هذا التزوير الواضح أمامها ، فكأن القوم قد اعتادوا على هذا الأمر باعتباره نوعاً من التسهيلات الجارية بين القطرين المتجاورين .

بعد الحصول على وثائق السفر بدأ التفكير في الوسيلة للوصول إلى مصر ، لقد صرف كل واحد من المجموعة حوالي ثلاثة جنيهات مصرية ، بين انتقال بالباص من طرابلس إلى بنغازي وإقامة في فندق نجم ومصاريف متناثرة أخرى ، فبالنسبة لصاحبنا لم يبق له في جيبه سوى جنيهين اثنين ، وهذا المبلغ لا يكاد يكفي كأجرة انتقال من بنغازي إلى القاهرة ، فما العمل؟؟... الصدفة الطيبة المباركة هو أنه في هذه الفترة كان هناك العشرات من المتطوعين الذاهبين من المغرب والجزائر وتونس وليبيا للدفاع في أرض فلسطين وكانوا يتجمعون بأعداد كبيرة في بنغازي حيث تتولى شؤونهم جمعية عمر المختار ورجالها الأبرار ، وكانت هناك مجموعة من حوالي مائتي متطوع بسبيل التحرك من بنغازي إلى مرسى مطروح فاقترح الأستاذ محمود مخلوف على صاحبنا وزملائه السفر مع هؤلاء المتطوعين الأمر الذي قبلناه بترحاب شديد ، وفي صباح اليوم المحدد ركبت هذه المجموعات الضخمة في سيارتين من السيارات الكبيرة المسماة باللوري بالمقطورة ، وتحركت في طريقها إلى مرسى مطروح حيث يتجمع المتطوعون ويتم تدريبهم من ضباط الجيش المصري ثم إرسالهم إلى جبهات القتال في فلسطين ، الشيء الرائع في هذه الرحلة الشاقة هو أن جماهير الشعب في ليبيا تستقبل هذه السيارات بالأهاجيز وزغاريد النساء والإصرار على ضيافة هؤلاء المتطوعين على الأقل بالمشروبات . وصاحبنا لا زال يذكر حادثة معبرة في هذه الرحلة وهي أن هذه المجموعة الكبيرة من المتطوعين عند وصولها إلى منطقة بين مدينة درنة وطبرق قام أهالي هذه المنطقة بدعوتهم إلى غداء كانوا قد هيئوه قبل الوصول هو عبارة عن أرز مطبوخ باللحم ، والذي يذكره صاحبنا ولا ينساه أبداً هو أن

القصة التي جلس حولها مع رفاقه وثلاثة أشخاص آخرين ما كادت توضع أمامهم حتى مسحت في لحظات بالرغم من سخونتها التي تكاد تحرق الفم والأصابع حتى أن البخار كان يخرج من سطح القصعة بعد أن أفرغت من محتوياتها ، وهذا يدل على الجوع الذي كان مسيطرا على المجموعة . استغرقت هذه الرحلة العجيبة من بنغازي حتى السلوم ثلاثة أيام ، حيث انفصلنا عن هؤلاء المتطوعين ، وانتهت هذه الرحلة العجيبة التي رأينا فيها الويل من الجوع والتعب والإرهاق والافتقار إلى النظافة حتى قال أحدنا ، وهو يمزح ، أنه لو وضعت ملابسنا على الأرض لرأيتهما تتحرك وتمشي من كثرة الحشرات التي بها !! وبقينا ليلة في السلوم لإتمام إجراءات الدخول إلى مصر ثم أخذنا واسطة حتى مرسى مطروح ومنه أخذنا القطار إلى الإسكندرية ومنها إلى القاهرة في نفس اليوم ، وكان هذا اليوم على ما اذكر هو من الأيام التي لا تنسى 18/5/1948 ، طلبنا إلى سيارة من سيارات الأجرة أن يأخذنا إلى فندق متواضع في وسط المدينة حيث أننا لا نعرف أي معلم من معالم القاهرة ، ويبدو أن صاحب التاكسي من الناس الذين يخشون الله أو يبدو أنه رأف بمحالتنا فلم يذهب بنا بعيدا وأنزلنا في لوكنده البرلمان في قلب ميدان العتبة ، فندق متواضع جدا وأجرة الإقامة الليلية سبعة قروش ، بعد أن وضعنا حاجياتنا وغسلنا وجوهنا نزلنا نتفقد معالم المدينة بمنطقة العتبة والأزقة التي حولها ، وفي أثناء ذلك أحسنا بالجوع فاقترح أحدنا أن ندخل ذلك المطعم الشعبي الذي صادفناه أمامنا ، وعندما حضر إلينا صبي المطعم لم نكن نعرف ماذا نطلب فتفضل ذلك الصبي بذكر ما يقدمونه ، وأثناء سرده لبضاعته لم يعلق بذهنتنا إلا كلمة "عجالي" فخیل لنا أنه طعام يقدم على عجل وبالتالي لا بد أن يكون رخيصة وبناءا عليه طلبنا العجالي !! بعد دقائق قليلة حضر ذلك الصبي أو النادل كما يقولون ، أمام كل واحد منا فنجانا كبيرا وغويطا به مادة سائلة تميل إلى الاصفرار وصحنا فارغا وملعقة ورغيف من الخبز البلدي!! لم ندر كيف نتعامل مع ما حضر لنا ، وبقينا ينظر بعضنا إلى بعض في حيرة ودهشة!!!

وبقينا هكذا في هذه الدهشة والحيرة إلى أن طلب أحد شاغلي الموائد

المجاورة نفس الطلب ، وعليه بقينا نراقبه بتلصص لمعرفة ماذا سيفعل بهذه الأكلة العجيبة؟؟ ولدهشتنا اخذ الملعقة ووضعها في ذلك الفنجان الضخم واخرج منه قطعة عرفنا بعد ذلك أنها قطعة من أرجل العجل ووضعها في الصحن الفاضي ثم فتت رغيف العيش في الفنجان ذي المياه الصفراء ، ومنها بدا يأكل بملعقته ومن حين إلى آخر يأخذ قضمة من رجل العجل ، وهكذا عملنا مثله خطوة بخطوة ، وكان أول درس تعلمناه في مصر !!!

رجعنا إلى الفندق وبدأنا نتفقد ما بقي لنا من نقود ، وجد صاحبنا الباقي في جيبه حوالي عشرين قرشا وكذلك الأخ عبد الواحد لا يزيد ما معه عن هذا المقدار ، أما الأخ عمران العزابي اخرج لنا حوالي الجنيه والعشرة قروش وضعها أمامنا ، ويبدو أن الأخ سليمان تومية هو أغنى واحد فينا ولكنه رفض أن يسوح بما لديه ، النتيجة هو أننا لا نستطيع البقاء في الفندق الذي يكلف كل واحد سبعة قروش يوميا ، فما العمل؟؟ كان الأخ عمران العزابي لديه اسم إنسان من الجبل يقال له بالقاسم الباروني من أعظم الرجال الذين قابلتهم في حياتي ، بحثنا عنه في الأزهر حتى وجدناه فرحب بنا وطمأننا ودعانا على كأس شاي في مقاهي الأزهر وأرشدنا إلى شخص آخر من الجبل أيضا من بلدة كباو اسمه عبد الله الفرستاني شابا يدرس في الأزهر من أعظم الشباب المكافح الملتزم ، كان يقيم في وكالة في منطقة طولون وهي منطقة غارقة في الشعبية يقال لها وكالة الأباضية ، وكالة متهدمة عبارة عن خرابه فكل حجراتها متهدمة ما عدا ثلاث حجرات في الطابق العلوي تصل إليها عن طريق سلم متهدم ، إحدى تلك الغرف يقيم بها الأخ الفرستاني والأخرى يقيم بها أحد الطلبة التابعين للمذهب الاباضي يقال له الشنقيطي من المغرب والأخيرة أعطيت لنا للإقامة بها. الأخ سليمان والأخ عبد الواحد لم يطبقا هذه الإقامة القاسية ، فاستطاع سليمان أن يلصق نفسه مع أحد طلبة الأزهر المقيم بالموسكي هو محمد البوصيري وأما عبد الواحد فاستطاع أن ينضم إلى طالب آخر في نفس مبنى الموسكي لا اذكر اسمه الآن ، المهم بقي صاحبنا وعمران العزابي في هذه الوكالة وقد نفذت النقود أو كادت وبدأ الجوع يهددهما الأمر الذي دفعهما إلى ما يشبه السرقة لغدائهما عندما يشتد بهما

الجوع ، كان الطالب المغربي يضع شيئاً من الطبخ على نار هادئة ويذهب للقراءة في دار الكتب فيقوم صاحبنا ورفيقه عمران بأخذ شيء قليل من حلة ذلك الطبخ ومع الاستفادة من بواقي الخبز الذي لدى الأخ عبد الله الفرسطاني يغذيان نفسيهما في ذلك اليوم . بقى هذا الوضع إلى أكثر من أسبوعين ، يقوم الرفيقان في الصباح وفي الغالب ما يحصلان من الأخ الفرسطاني على كأس من الشاي ، ثم يرتديان ملابسهما وهي ملابس لائقة وممتازة ، من يراهم بهذه الملابس يظن أنهما من علية القوم ، ويذهبان إلى منطقة الأزهر سيرا على الأقدام مسافة خمسة أو ستة كيلومترات للالتقاء بالزميلين الآخرين للتباحث ولاتخاذ الإجراءات لحل مشكلتهم فكانت المجموعة تقوم بعدة زيارات لوزارة المعارف لقبولهم في إحدى المدارس الداخلية ، ذلك أنهم لن يستطيعوا إيجاد الوسيلة للعيش والإقامة في مدرسة عادية ، كما كانوا يزورون الجامعة العربية بحثاً عن مساعدة في هذا السبيل ، كما زاروا البنك العربي عدة مرات بحثاً عن السيد منصور بن قدارة حسب وصية زعيمنا السيد بشير السعداوي ولكن السيد بن قدارة كان غائبا باستمرار عن البنك وبالتالي تعذر الالتقاء به ، والله اعلم إن كان هذا الغياب حقيقي أو هو اعتذار مهذب لعدم المقابلة . المهم بقيت المجموعة على هذه الحالة لأكثر من أسبوعين ، في الصباح الهرولة بين هذه الدوائر الثلاث وفي المساء الذهاب إلى نادي طرابلس في شارع محمد علي ، وصاحبنا لا زال يذكر بألم كيف أنه يجلس في النادي بهندامه المتميز ولكنه لا يستطيع طلب كأس شاي بقرش من "حسبو" صبي المقهى بالنادي ذلك أن صاحبنا إما لا يملك ذلك القرش أو أن القرش أو القروش القليلة التي لديه يحفظها لشراء رغيف عيش . بقي هذا وضع المجموعة لمدة حوالي عشرين يوماً أو أكثر كما سبق القول ، وفي آخر الأمر دلنا الأخ الفرسطاني على إنسان من الجبل أيضاً كان يعمل موظفاً بسيطاً في البنك العربي ، وعن طريق هذا الإنسان الطيب استطاعت المجموعة مقابلة السيد منصور بن قدارة الذي بقي محتفياً طول المدة الماضية ، المهم شرحنا له وضعنا وما نعانیه فوعدنا خيراً وطلب إلينا الرجوع إليه بعد ثلاثة أيام ، وفي الموعد سلمنا خمسة عشر جنيهاً ، وفرحنا بهذا المبلغ ، وبما أن كل طلبة الأزهر من

الليبيين الذين نعرفهم كانوا يلحون علينا ألا نفترق وان نبقي مجموعة واحدة ، وبناء عليه أجرنا شقة بالدور الأرضي بروض الفرج بثلاثة جنيهات شهريا ، وتحصلنا على حصير وبعض أدوات الطبخ من حلة ووابور جاز وسخان شاي وبعض الكؤوس والمعالق ، البعض اشتريناه والبعض تحصلنا عليه من بعض طلبه الأزهر الليبيين . بقينا في هذه الشقة حوالي الشهر ثم رأينا أن مكانها بعيد بالنسبة للأزهر ودوائر الحكومة التي تتردد عليها ، وعليه بحثنا على شقة أخرى حيث تحصلنا عليها في عمارة جديدة في منطقة عابدين في زقاق يقال له زقاق شق الثعبان بإيجار ثلاث جنيهات شهريا أيضا .

في هذه الفترة لحق بنا الأخوان طاهر دهان وفوزي البغدادي ، وهكذا كل المجموعة في هذه الشقة ، نظمنا أنفسنا على أساس أن يتولى كل يوم واحد منا شئون البيت من تنظيف وغسل وطبخ إلخ .. والباقي ينقسمون إلى ثلاث فرق ، إحداها تذهب إلى منطقة الأزهر تنسم الأخبار حول إمكانية الدخول إلى مدرسة داخلية في أكتوبر القادم ، والأخرى تحاول مراجعة أحد المسؤولين في الجامعة العربية والفريق الثالث يتولى مراجعة وزارة المعارف ، وعند الظهر نلتقي جميعا على الغداء الذي هو دائما الأرز المطبوخ وهو عبارة عن كيلو أرز وقرش زيت وقرش طماطم وبصل ، نتغذى بثليه ونترك الثلث الباقي للعشاء لمن أراد أن يتعشى . في المساء البعض يذهب إلى النادي والبعض يتسكع في شوارع المدينة والبعض الآخر يلتزم الشقة ، أما فرشنا هو عبارة عن حصيرتين وعند النوم يتوسد كل واحد منا كتبه أو حدائه ، البعض منا كان يدخن ولكننا لا نستطيع توفير ثمن السجائر فكان الأخ فوزي البغدادي يتولى توفير هذه الآفة وذلك أنه في زيارته لوزارة المعارف يأخذ معه دائما كيس بلاستيك ، وهو في دورانه حول المكاتب يغافل الموظفين ويفرغ محتويات الطفيات التي على المكاتب في ذلك الكيس ، ثم أنه عندما يرجع إلى الشقة في المساء يقوم بفرتكة محتويات الكيس من أعقاب السجائر وتنظيف الهباب الذي بها ثم وضعها في الشمس يوما كاملا ثم لف تلك المحتويات في ورق رقيق مخصص لذلك ليستمتع الزملاء بالتدخين .

كان شهر رمضان في تلك السنة في حوالي شهر أغسطس وفي هذا الشهر فوجئنا بزيارة الأستاذ عبد الحكيم جميل إلى شقتنا ، كان في طريقه إلى السودان بعد أن ترك ليبيا مستقيلا من عمله ، وهناك إشاعة تقول أنه قد استقال بسبب موقف الضابط البريطاني منا ، هو لم يقل لنا ذلك ، وإنما سمعنا منه كلمات رائعة على مواقفنا الشجاعة متنبئا لنا بمستقبل باهر مع تزويدنا بنصائحه وحكمته في استمرارية كفاحنا ، ثم ودعنا وسافر ونحن سنبقى طوال حياتنا نذكر هذا المربي العظيم وإرشاداته الرائعة .

كانت حياتنا كما سبق إن قلت شديدة الصعوبة ، الأكل لا يكاد يسد الرمق والفرش هو الحصر وعند النوم نتوسد الكتب ، ولكي أعطى صورة من هذه الحياة اذكر مرة كان دوري لتولي شئون البيت أو الشقة وبعد أن أتممت التنظيفات اللازمة خرجت لاشتري لوازم الطبخ وكما هي العادة كيلو الأرز والقرشين أو الثلاثة للزيت والطماطم والبصل والفلفل ، وفي هذه المرة رأيت أن اختصر بعض الماليم لاشتري بنصف قرش فول نابت حيث طبخته مع الأرز فجاءت الأكلة لها طعم خاص متميز ، وبالتالي عندما وضعت للزملاء الغداء وكما هي العادة الثلثين للغداء والثلث يبقى للعشاء ولكن في هذه المرة عندما مسح الزملاء القصعة أصر البعض منهم تزويدهم بالثلث الباقي ، البعض رفض ذلك فأجري التصويت فرجحت كفة المطالبين بالقضاء على البقية الباقية من الأرز ، وعليه أحضرت الحلة لإفراغها في القصعة ولكن هجم البعض منهم على الحلة وصار يغرف بيده منها ويضع في فمه بطريقة همجية خارقة ، ثم هجم الأخ سليمان تومية على الحلة وهرب بها إلى شرفة الشقة ، بقيت أنا الوحيد الذي لم يحصل على شيء من هذه الإضافة فأسرعت خلف الأخ سليمان وهو منحني على الحلة في الشرفة وحاولت أن اغرف غرفة بيدي وأنا من ورائه وفي هذه اللحظة رفع جسمه ورفعني معه حتى صار نصف جسمي في الشارع خارج الشرفة الأمر الذي كاد أن ينهي حياتي واقعا من الدور الثالث !!!

هذه الظروف الصعبة القاسية كثيرا ما أشاعت اليأس والإحباط في نفوس بعض الزملاء ، فمثلا كان الزميل عمران العزاي كثيرا ما يردد أنه قد مل هذه

الأوضاع وهذا الظلام الذي يحيط بنا من كل جهة والذي لا يرى منه أي بصيص من النور في آخر النفق ، ولكننا كنا نجلس ونتناقش ويشجع بعضنا بعضا وننتهي بترديد شعر شوقي الذي تصدح به أم كلثوم ، "وما استعصى على قوم منال إذا الإقدام كان لهم ركابا ، وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا" ، إن هذه العبارات المضيئة كانت ترفع من معنوياتنا وتحفزنا على الاستمرار في الكفاح والنضال مهما كانت المشاق والمتاعب .

في إحدى زيارتنا لوزارة المعارف قيل لنا أنه لو سلمت الوزارة بأنكم كنتم في السنة الثالثة ثانوي حسب الشهادات التي لديكم فليس هناك ما يثبت أنكم امتحنتم ونجحتم إلى السنة الرابعة ، وبناء عليه لا بد لكم من دخول امتحان الإعادة للسنة الثالثة الذي سيجرى في أوائل سبتمبر والذي ينجح يدخل السنة الرابعة والذي يفشل في هذا الامتحان يبقى في السنة الثالثة ، كنا في أوائل أغسطس ونصحنا إخواننا طلبة الأزهر أن لا بد لنا من التقوية في اللغة الإنجليزية وفي الرياضيات الجبر والهندسة ، واختير لنا مدرسا في اللغة الإنجليزية واخر في الرياضيات كنا نواظب معهما ساعتين في الأسبوع لكل منهما في حجرة خصصت لنا لهذا الغرض بالنادي . وعند موعد الامتحان حولنا جميعا إلى مدرسة بنا قادن الثانوية ما عدا فوزي البغدادي الذي حول بواسطة أخواله محمد النجار وعبد العزيز النجار إلى المدرسة السعدية ، نحن امتحنا في جميع المواد ولم ينجح أي واحد منا ، أما الأخ فوزي فقد اجري له امتحان معادلة ونجح إلى السنة الرابعة ، وكانت مفارقة عجيبة ذلك أن الأخ فوزي لم ينجح إلى الثالثة في ليبيا بل أعاد السنة الثانية وهو يعتبر أضعفنا في المجال التعليمي ، ولكننا على أي حال لم نحسده على هذا النجاح بل فرحنا له وهنأناه بنجاحه ونحن تقبلنا مصيرنا على أن نعيد السنة الثالثة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

بقينا في هذه الشقة ، شقة شق الشعبان ، شهرين كاملين وعندما حل شهر سبتمبر لم نجد لدينا نقودا لتسديد إيجار هذا الشهر ، وبناء عليه رجع عمران العزابي إلى وكالة طولون وفوزي إلى أخواله وسليمان تومية إلى محمد البصري وعبد الواحد إلى طلبة الأزهر الذين كان معهم في السابق ، بقي صاحبنا والظاهر

دهان في الشقة ، وعندما حل الشهر كان الطاهر مريضا لا يغادر الحصر ، وجاء صاحب الشقة لتسديد الإيجار أو الخروج فأعلمته أن كل الزملاء قد غادروا وأنا وزميلي بسبيل المغادرة ولكنه كما ترى إن زميلي مريض لا يستطيع التحرك ، ولو استطاع أن يصبر علينا ثلاثة أو أربعة أيام حتى نستطيع تدبير أمرنا ، ويبدو أن الرجل قد أشفق علينا فوافق على بقائنا بالشقة لمدة أسبوع واحد. كان الوضع في منتهى السوء وسدت الأبواب من كل جهة فليس لدى هذين المنكوبين في هذه الشقة المعزولة حتى ما يشتريان به رغيف عيش يسدان به رمقهما ، أما بقية الزملاء فنظرا للظروف التي يعيشها كل واحد منهم وانه بالكاد وجد تلك الحماية المهزوزة المؤقتة عند أحد هؤلاء الإخوة الأزهرين فانه لا يستطيع بأي حال من الأحوال أن يمد يده لمساعدة غيره .

ما العمل؟؟ ما العمل؟؟ السيد بن قدارة قد اختفى تماما فهو دائما غير موجود!!!... طرأت في رأس صاحبنا فكرة ، فهو يعرف أن لشقيقه الأكبر عندما كان في كانو نيجيريا صديقا مصريا هو محمد أبو السعود ، عرف أن له مصنع صابون في منطقة شبرا فلماذا لا يزوره ويشرح له وضعه ، عله يجد لديه بعض المساعدة ولو بالعمل في هذا المصنع ، وهكذا ذهب إلى هذا الرجل في مصنعه بعد أن ارتدى حلته التي تظهره وكأنه من أصحاب الملايين ، وقد استقبله الرجل بترحاب كبير وتقدير فائق الأمر الذي اعجز صاحبنا أن يبوح بحالته وان الجوع يكاد يعصر جوفه ، واكتفى بكلمات المجاملة والترحيب وعبارات التقدير والاحترام التي أفاض فيها هذا الإنسان لشقيق صاحبنا ، وعند السلام والخروج أصر هذا الإنسان الطيب أن يعطي صاحبنا طردا محترما به ما لا يقل عن عشرين قطعة صابون وجه من أحجام وأنواع مختلفة تستعمل كوسيلة دعاية لهذا المصنع .

تقبل صاحبنا هذا الطرد بامتنان وذهب به فورا إلى صاحب دكان البقالة الذي اعتادت الجماعة أن تشتري منه لوازمها من زيت وأرز وغيره ، اخذ صاحب الدكان ذلك الطرد وأعطى صاحبنا حوالي خمسة عشر قرشا حيث قام بشراء بعض سندويشات فول وطعمية بقرشين أو ثلاثة وأسرع بها إلى صاحبه المريض بالشقة الحزينة .

مرت حوالي أربعة أو خمسة أيام بهذه الحالة سندويش فول بالظهر وسندويش طعمية بالليل ، وفي اليوم الرابع أو الخامس ونحن بهذه الحالة طرق باب الشقة وعند فتح الباب فوجئ صاحبنا بوجود الأخ عمران عرفة واحد أقاربه من قماطة لا اذكر اسمه الآن وطلبنا إلينا الذهاب للسكنى معهم في سوق السلاح ، لم نعترض على هذه الدعوة بل رحبنا بها كل الترحيب ، إن الظروف القاسية التي عشناها قد انتزعت ما بقي لدينا من مظاهر الكبرياء ، خصوصا أن الأسبوع الذي تفضل به صاحب الشقة قد انتهى . جمعنا ما بقي في الشقة من حاجيات قليلة وسلمنا المفتاح إلى البواب وذهبنا مع الأخوين الكريمين إلى مقرهما في سوق السلاح حيث يسكن العشرات من طلبة الأزهر الليبيين ، يبدو إن الأخ عمران عرفة وقريبه قد عرفا من الطلبة الذين استضافوا بقية زملائنا بالحالة التي نحن بها فقررا استضافتنا وهذه البادرة الرائعة لا يمكن أن ينساها صاحبنا أبدا وبقي طول حياته عندما يلتقي بهذا الإنسان الرائع يحمل له كل التقدير والاحترام ، وعلى أي حال فعمران عرفة هو شقيق أستاذنا الهادي عرفة الذي كان دائما عندما كنا في طرابلس يشجعنا ويث فينا روح الكفاح والنضال والمغامرة . كانت الغرفة التي يقيم بها الأخ عمران عرفة وقريبه في أعلى مبنى سوق السلاح أي في السطوح وتوجد بجانبها غرفة أخرى يقيم بها الشيخ الهادي انديشة وهو طالب بالأزهر في السنوات الأخيرة يبلغ من العمر حوالي الأربعين سنة ، الغرفة التي نزلنا بها غرفة واسعة حوالي خمسة أمتار في خمسة كان بها سريران للأخ عمران وزميله ووضع لنا حشيتين للنوم عليهما ف شعرنا براحة كبيرة بعد أن ودعنا النوم على الحصير ، وكان الجماعة يطبخون يوميا بالاشتراك مع الشيخ انديشة ، وفي الصباح يحضرون الفول بالزيت والعيش الساخن وصاحبنا لا زال يذكر حتى اليوم لذة وطعم أكلة ذلك الفول في صباح كل يوم ، والواقع الذي يبدو أن الجوع والحرمات هو الذي يخلق طعم الأكل ولذته حتى لو كان فول بالزيت أو حتى عيش حاف ، وهذه حكمة إلهية القليل من يدركها ، فهناك من يأكل اللحم ولا يستطعمه وهناك من ينام على الحرير ولا يستطيع النوم ، والله في خلقه شئون . المهم أن صاحبنا يستطيع أن يقول أنه قد عاش ورفيقه الطاهر مع هؤلاء

الأخوة الفضلاء اسعد أيامهم من يوم وصولهم إلى مصر ، كان الشيخ انديشة يتحفنا بقصصه ورواياته وقفشاتة كما كان يهيم لنا الحين بعد الحين أكلة البازين المحبوبة من الجميع .

الذي يجب أن أقوله في هذا الصدد أن مجموعتنا التي حضرت إلى مصر بالرغم من الظروف البالغة الصعوبة التي واجهتها فقد كانت متميزة في أخلاقها العالية ونظافتها وأناقته فيما يرتدونه من ملابس تتفق مع آخر ما وصلت إليه الأناقة الإيطالية فكل منا قد احضر معه من طرابلس بعض البدل التي كانت على آخر طراز ، وبالتالي كانت هذه المجموعة محل احترام وتقدير من الجميع .

إن ضيافتنا عند الأخ عرفة وزميله استمرت حوالي ثلاثة أسابيع في راحة واطمئنان كاملين . وفي أواخر سبتمبر أي حوالي عشرين سبتمبر جاءتنا البشري العظيمة ، حيث أننا في هذا التاريخ عند زيارتنا إلى وزارة التربية والتعليم ابلغنا بقبولنا في مدرسة داخلية فكانت فرحتنا عظيمة لا يمكن وصفها ولم يعكرها إلا أن هذه المدرسة كائنة في أقصى الصعيد في قرية من القرى التابعة لمدينة أسيوط . صرفت إلينا تذاكر القطار ولمنا حاجياتنا وأخذنا القطار المتجه إلى الصعيد ، استمرت الرحلة بالقطار حوالي اثنتي عشرة ساعة حيث كانت الرحلة طول الليل وفي الصباح وصلنا أسيوط ، سألنا على القرية التي بها المدرسة وهي قرية ساحل سليم فقيل لا بد لنا من اخذ الباص الذي يسمونه الحلزونة ، المسافة حوالي ثلاثين كيلومترا ، وصلنا القرية وهي قرية زراعية تحف بها المزارع من كل جهة وبها القليل من الدكاكين البدائية البسيطة ، ونزلنا بالمدرسة وهي مدرسة كبيرة واسعة جديدة لم تستعمل من قبل ، وجدنا بعض الطلبة الذين سبقونا ، البعض منهم من السودان والبعض من إريتريا والبعض من الصومال . استقبلنا نائب ناظر المدرسة مرحبا بنا وأخذونا إلى العنبر الذي سنقيم به وهو عنبر واسع به أسرة ودواليب صغيرة وكل شيء في هذا العنبر جديد ، المراتب والملاءات والوسائد وكل شيء يشعشع من النظافة ، تسلم كل منا سريره ودولابه وعلى وجوهنا الأمل والاستبشار والراحة الكاملة وشعرنا أن مأساتنا قد وصلت إلى نهايتها وأنا نزلنا بر السلامة كما كتب لي شقيقي الحاج عبد الرحمن عندما أخبرته

في إحدى رسائلي أن المدرسة التي قبلنا بها تقع في قرية يقال لها ساحل سليم فكتب لي في رسالته قائلاً قد وصلت بر السلامة . في المساء استدعينا إلى العشاء في صالة كبيرة بها مناظيد طويلة وحولها كراسي خشبية طويلة أيضاً ، وجلس كل ستة طلبة مع بعض وحيث أن مجموعتنا كانت بهذا العدد فجلسنا سوياً ، كان العشاء خضار وأرز وسلطة وفاكهة الموسم ، والخضار كان باللحم !! فخیل إلنا أن ذلك كان احتفاء بنا لأول ليلة نبيتها في هذه المدرسة ، ولكن علمنا بعد ذلك أن الطعام في كل المدارس الداخلية في مصر أربعة أيام من الأسبوع لحم ويوم سمك ويوم طيور وهذا في الغداء وفي العشاء ، هذا علاوة عن الإفطار الذي يتكون من الشاي والحليب مع الفول أو البيض ، وللحق قد فوجئنا بهذا الترتيب الذي لم نتعود عليه في بلادنا فحتى العائلات المتوسطة في طرابلس لا تأكل اللحم إلا مرة أو مرتين في الأسبوع!! المهم في المساء جلسنا نتسامر مع بعض الزملاء الوافدين من هذه البلاد المختلفة ، وكان هذا السمر على لمبة الغاز فالقرية لم تصلها خطوط الكهرباء بعد ، واستمر هذا الوضع أي الاستضاءة بلمبات الغاز لمدة سنة تقريباً .

نحن في أواخر سبتمبر من سنة 1948 ومدرسة ساحل سليم وهي مدرسة داخلية تعج بالطلبة العرب من سودانيين وإرتريين وصوماليين وليبيين وكل هؤلاء يدرسون وقيمون في هذه الداخلية مجاناً أي أنهم يأكلون وينامون ويدرسون على حساب الشعب المصري الكريم المعطاء ، وهناك عشرات بل مئات المدارس والمعاهد الدينية مثل الأزهر في طول وعرض هذه البلاد الكريمة التي تستضيف آلاف الطلبة من البلاد العربية والإسلامية والكل يدرس ويتخرج في المدارس والمعاهد والجامعات على نفقة دافع الضرائب المصري ، وهناك من يأخذ مصروف جيبه من بعض الجهات الحكومية أو من جهات الأوقاف أو كمجموعتنا التي قررت لها الجامعة العربية ثلاثة جنيهاً شهرياً . إن هؤلاء الطلبة مهما قدموا لمصر فإنهم سوف لا يوفونها حقها عليهم ، وربما هذه الأفكار هي التي جعلت صاحبنا يندفع إلى حد التهوّر في الدفاع عن مصر في حرب الاعتداء الثلاثي سنة 1956 ويضحّي بوظيفته العالية "رئيس قسم الجنسية

والشئون القنصلية" في وزارة الخارجية ، كما سيجيء ذلك تفصيلا فيما يأتي من حديث .

المدرسة كما سبق أن قلت تقع في قرية زراعية نائية عن العمران بها بعض الدكاكين البسيطة مبانيها القليلة المتناثرة من الطوب الني وليس فيها من المباني الحديثة سوى المدرسة وقصر رئيس وزراء سابق هو محمد محمود باشا وهو الذي كان له الدور الأكبر في إنشاء هذه المدرسة ، وقد استضافتنا هذه العائلة الكريمة في إحدى الأماسي في منتصف السنة الدراسية وهو شخصية محبوبة من جميع أهالي هذه المنطقة وهذه القرية التي تحيط بها المزارع والخضرة من كل جانب تقع في الضفة الشرقية لنهر النيل حيث تبعد عنه بحوالي كيلومترين أو ثلاثة ، المدرسة كبيرة وواسعة تتكون من دورين بها ما يزيد عن عشرين فصلا وثلاثة عنابر كبيرة بالقسم الداخلي كل عنبر يحتوي على حوالي الخمسين سريرا وتحتوي على ساحة واسعة تضم كل أنواع الملاعب تقريبا ومطبخ كبير ومطعم يمكن أن يضم مائتي طالب هذا علاوة على حجرات الإدارة وعيادة طبية وحجرات واسعة لهوايات الرسم والموسيقى الخ ..

في اليوم الثاني استدعينا لمقابلة ناظر المدرسة ، وهو رجل مهيب فسلم علينا واطمأن على أحوالنا وأعلمنا أن الدراسة ستبتدىء بعد ثلاثة أيام ، وللمفاجأة الكبرى والطامة العظمى أعلمنا أيضا أن المدرسة ليس بها إلا الصف الأول والثاني ، كيف يكون ذلك !!! إننا نستحق على الأقل الدخول إلى السنة الثالثة والأخ فوزي يستحق السنة الرابعة حسب امتحان المعادلة الذي نجح فيه !! خرجنا من ناظر المدرسة مذهولين وقررنا عقد اجتماع حالا أستمر فيه النقاش الصاخب لحوالي الساعتين ، البعض يقترح الرجوع إلى مصر وليكن ما يكون ، والبعض الآخر يقترح التطوع في فلسطين !!! ومن أصابه اليأس والإحباط يقترح الرجوع إلى ليبيا !!! وفي النهاية تغلب العقل فليس هناك من حل إلا القبول بالأمر الواقع ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وعسى أن تكررنا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا . إن الرجوع ستين إلى الوراء في المجال الدراسي لم يكن سهلا على نفوسنا بل كان كالصاعقة علينا ، فبدلا أن نكون في السنة الرابعة التي

نستحقها عن جدارة بدليل نجاح الأخ فوزي ، ترانا راجعين إلى السنة الثانية !! ولكننا تحملنا هذه الكارثة بشجاعة وصبر ، والواقع أنه لو اخبرنا قبل أن نخرج من القاهرة أن المدرسة التي قبلنا بها ليس بها إلا سنة ثانية لكان لنا موقف آخر وما كنا أتينا إلى ساحل سليم. وعلى كل حال فان هذا الموقف الذي اتخذناه كان له نتائج طيبة بالنسبة لعشرات الطلبة الليبيين الذين انضموا إلى هذه المدرسة في السنوات اللاحقة بسبب وجودنا وتفوقنا فيها كما سيأتي من حديث ، هذا كما أن الصدمة التي ابتلينا بها في بادئ الأمر قد خف أثرها بورود رسالة إلى المدرسة من الجامعة العربية في نفس الأسبوع بتخصيص مبلغ ثلاثة جنيهات شهريا لكل واحد منا ، وكانت الثلاثة جنيهات مبلغا محترما في ذلك الوقت .

بعد أقل من أسبوع من حادث الصدمة ابتدأت الدراسة ودخلنا فصل السنة الثانية الذي يضم حوالي العشرين تلميذا وكنا نحن الستة من بينهم بدون فخر ولا مبالغة مميزين في كل شيء ، في ملابسنا وهندامنا ذي الطابع الإيطالي الفاخر ، وفي أخلاقنا العالية تربية عبد الحكيم جميل ومسعود فشيكة والهادي عرفة وفؤاد الكعبازي ومظفر الأمير وعمورة الباروني ، وفي سننا أيضا حيث كنا ما بين الثامنة عشر والعشرين بينما كان زملاؤنا من المصريين لا يزيد سنهم عن الرابعة عشر ، هذا علاوة عن تفوقنا الصارخ في جميع المواد ، واذكر بهذه المناسبة أنه في الأسبوع الأول من الدراسة كان مدرس اللغة العربية قد كتب على اللوحة موضوع درس الإنشاء وقبل أن يأمرنا بكتابته في كراساتنا وضع بعض عناصر الموضوع في اللوحة وصار يطلب إلى التلاميذ الواحد بعد الآخر أن يتكلم في هذا الموضوع وكان من بين الطلبة الذين طلب إليهم الأستاذ الكلام الأخ طاهر دهان ، فبدأ الأخ طاهر يتكلم في موضوع الإنشاء وكأنه يقرأ من كتاب ، فبهت المدرس وقال للأخ طاهر يا بني لا أريد منك أن تردد محفوظات إنما أن تتكلم في الموضوع من إنشائك أنت وليس كلاما محفوظا ، فرد الأخ طاهر بهدوء بان الكلام الذي ذكرته في هذا الموضوع هو من إنشائي وكلامي الخاص وإذا كان أستاذنا غير مصدق فليطلب إلي الكلام في موضوع آخر وسيجد عندي نفس المقدرة والأسلوب ، فبهت الأستاذ ومن ذلك اليوم صار يعاملنا معاملة خاصة جدا .

وقد انتقل هذا التقدير والإعجاب إلى ناظر المدرسة وإلى جميع المدرسين وحتى إلى جميع أهالي قرية ساحل سليم ، وبالتالي صار أي طالب ليبي يطلب الانضمام إلى هذه المدرسة تتم الموافقة على قبوله في الحال ، وعليه لم يتت شهر أكتوبر من هذه السنة "1948" حتى انضم إلينا خمسة طلبة لبييون آخرون فصرنا أحد عشرة طالبا ليبيا في هذه المدرسة ، ووصلنا إلى خمسة وعشرين طالبا ليبيا في أكتوبر سنة 1949 فأصبح أكثرية الطلبة في القسم الداخلي من اللبيين الذين صاروا يمسون جميع قيادات اللجان الموجودة بالمدرسة بما في ذلك اللجنة الموكل إليها الإشراف على المطعم وقبول أو عدم قبول المواد الغذائية الواردة إليه من تجار التوريد ، في الدراسة الكل ناجحون والأوائل في جميع الفصول من اللبيين .

القسم الداخلي كان يحتوي على مجموعة من زملاء المصريين من سوهاج ومن قنا ومن البداري ومن أبو تيجي وبعض المدن الأخرى في الصعيد ، كما أن هناك مجموعة من زملاء الصوماليين والإرتريين والسودانيين ، اذكر بعض الأسماء من الطلبة اللبيين عمران العزاي ، طاهر دهان ، عبد الواحد رجب ، فوزي البغدادي ، سليمان تومية ، عبد الله شرف الدين ، عبد الرحمن الجنزوري ، إبراهيم حافظ ، عمر أبو سهمين ومحمد أبو سهمين ، محرم بن موسى وأنيس حبيب الله ، محمد الغرياني ، طاهر شنشني ، عبد العظيم الزقلعي ، طارق السراج ، بشير أبو روين ، إبراهيم المنتصر ، علي المريض ، ومجموعة أخرى لا تحضرن أسمائهم الآن . في الإجازة الصيفية كنا ننقل إلى مدرسة داخلية بالقاهرة ، بالنسبة للطلبة الذين لا يقضون هذه الإجازة في بلادهم ، أول سنة اذكر أننا نقلنا إلى مدرسة حلوان الداخلية وكان ذلك في صيف 1949 وفي صيف 1950 اذكر أننا نقلنا إلى مدرسة في جاردن سيتي لا اذكر اسمها الآن وفي صيفي 1951 و1952 نقلنا إلى مدرسة في الزمالك لا اذكر اسمها أيضا .

في السنة الأولى من تواجدنا بساحل سليم أي السنة الدراسية 1948-1949 كانت القرية خالية من الكهرباء ، فكان كل طالب لا بد له أن يشتري لامبة غاز ، وترى كل طلبة الداخلي بعد العصر الكل مهتم بتنظيف اللامبة

الخاصة به وتزويدها بالكبروسين ويحفف الفتيل بالمقص ، وبعد تناول العشاء يختلي كل طالب بلامبته وكتبه وكراساته في أحد الفصول وينكب على المذاكرة حتى الساعة العاشرة ليلاً أو الحادية عشرة وهناك من يستمر في المذاكرة حتى منتصف الليل ، والواقع أنه كانت هناك منافسة كبيرة جداً فالجميع ينافس الجميع خصوصاً في الهندسة والجبر والعمليات المعقدة وكيفية حلها ، فإذا كانت هناك مسألة من الجبر أو الهندسة مستعصية وصعبة يتنافس طلبة الداخلي من يفوز بحل هذه المعادلة ، فيصيح "أوريكا" أي وجدتها فيعبره إليه بقية الطلبة ليتحققوا من هذا الحل الذي اعجز الجميع . كان أكثر المدرسين يقيمون في نفس المدرسة وبالتالي كانوا يرعون تلاميذ القسم الداخلي ليلاً نهاراً ويشجعون هذه المنافسة ، وكان هناك انسجام وتفاهم بين الجميع من مصريين وسودانيين وصوماليين وارترين وليبيين يعيشون كأ أسرة واحدة برعاية هؤلاء المدرسين الأفذاذ ورعاية ناظر المدرسة ووكيله الذي يتقد حماساً ونشاطاً .

يوم الخميس أو الجمعة يذهب البعض منا إلى أبو تيجي وهي قرية أخرى أكبر من ساحل سليم تقع في الجانب الآخر من النهر وبها سينما ومحلات تجارية ، يلجأ إليها الطلبة لدخول السينما أو لشراء بعض حاجياتهم ، وللوصول إليها لا بد من ركوب القارب الذي يسمونه هنالك المعدية ، البعض الآخر يذهب إلى مدينة البداري التي تبعد حوالي الخمسة أو الستة كيلومترات ويذهب إليها بالحلزونة وهي أكبر من أبو تيجي ، القليل من الطلبة الذين يملكون المال الكافي يذهبون إلى أسبوط مساء الخميس ويبيتون هناك في أحد الفنادق المتواضعة إلى يوم الجمعة ، هذه حياة طلبة القسم الداخلي بساحل سليم حياة بسيطة فالقرية ليس فيها أي مكان يمكن أن تذهب إليه سوى المزارع التي تحيط بالقرية من كل مكان ، وبالتالي فالطلبة ليس لهم إلا أن ينكبوا على دروسهم ، وبدون فخر استطاع صاحبنا أن يفوز بالدرجة الأولى في امتحان الثانية إلى الثالثة ، وكذلك الأول في امتحان الثالثة إلى الرابعة ، أما في امتحان السنة الرابعة التي يسمونها البكلوريوس أو الثقافة فقد كان ترتيب صاحبنا السادس والأربعين من حوالي ثلاثمائة ألف طالب وفي السنة الخامسة التي يسمونها بالتوجيهية فقد كان ترتيبه الرابع والسبعين من حوالي عشرين ألف طالب .

عندما نجحنا من السنة الرابعة إلى الخامسة نقلنا إلى مدرسة أسيوط الثانوية لعدم وجود سنة خامسة بمدرسة ساحل سليم ، الأخ فوزي لم يوفق في الانتقال إلى السنة الخامسة وبالتالي بقى في ساحل سليم وعمران العزاي غادرنا نهائيا إلى ليبيا بعد نجاحه إلى السنة الرابعة ، وعليه فالذين انتقلوا إلى أسيوط هم عبد الواحد رجب وسليمان تومية و طاهر دهان وعبد الله شرف الدين . مدرسة أسيوط مدرسة كبيرة جدا بها ما لا يقل عن ألفي طالب ولكن قسمها الداخلي صغير جدا لا يضم أكثر من ثلاثين طالبا ، ناظر هذه المدرسة هو محمد النحاس من أعظم المربين الذين قابلتهم في حياتي وهو لا يقل حماسا وإخلاصا لرسالته عن الأستاذ عبد الحكيم جميل السابق الذكر ، وقد تستغرب كيف يستطيع إنسان أن يدير مدرسة بهذا العدد الضخم من التلاميذ ولكن إخلاصه وحماسه ساعده في التوفيق في أداء مهمته الصعبة ، وقد شاهدته أكثر من مرة في جناح الليل يتفقد فصول المدرسة وشبابيكها وأبوابها وحتى دورات المياه والحمامات والجناين هذا علاوة على أنه قليلا ما يستقر في مكتبه ، وكان هذا الرجل يشمل صاحبنا بعطف ورعاية خاصة فكان في تفقده الليلي للمدرسة كثيرا ما يجد هذا الطالب يذاكر في أحد الفصول فكان يربت على كتفه بحنان أبوي ويقول له ربنا يفتح عليك يا بني ، وهو الذي شجع صاحبنا في دخول المسابقة الأدبية التي تقررها وزارة التربية للمتفوقين في السنة الخامسة القسم الأدبي في كل القطر المصري وكان صاحبنا هو المرشح عن مدرسة أسيوط في هذه المسابقة - صاحبنا دخل القسم الأدبي بينما زملاءه طاهر دهان وسليمان تومية وعبد الواحد رجب دخلوا قسم علمي - وقد نجح صاحبنا في هذه المسابقة الأمر الذي يحوله الحصول على المجانية في الدراسة الجامعية .

قبل الحديث عن الدراسة الجامعية ودخول كلية الحقوق يذكر صاحبنا وهو في السنة الرابعة بساحل سليم وهو لا زال يكتب ابن عمه عبد القادر كما كان يكتب صديقه الفلسطيني جمال النابلسي إذ وصلته رسالة من عبد القادر وبها ورقة نقدية بمائة جنيه مصري تشجيعا لصاحبنا على دراسته وما تتطلب من تكاليف ، والواقع أن هذا المبلغ الضخم ويعتبر ضخما جدا في ذلك الوقت ، قد

أفاد صاحبنا فائدة كبيرة في مواجهة السنة الأولى من الدراسة الجامعية ، من تأجير غرفة للإقامة وشراء أثاث مناسب وما يلزم من غداء طوال تلك السنة .

هناك موضوع آخر وقع في هذه الفترة يستحق الإشارة إليه ، وهو أنه في الإجازة الصيفية في سنة 1951 اتصل بصاحبنا سائق زعيمنا بشير السعداوي ، الهادي السكلاني ، - لا يدري الآن كيف تم هذا الاتصال - يدعوه لمرافقته ، هو ومن شاء من رفاقه ، في توصيل سيارة الزعيم الآتية من السعودية المراد توصيلها من القاهرة إلى طرابلس ، كانت سيارة بويك فخمة وجديدة ، فلبى صاحبنا هذه الدعوة الكريمة التي لم تكن في الحسبان ، فهو لم تتح له الفرصة في السابق لزيارة أهله منذ غادر طرابلس في سنة 1948 وهكذا غادر القاهرة في اتجاه طرابلس برفقة السكلاني وكان معه في هذه الرحلة كل من ساسي خليفة ساسي وهو شاب دمتم الأخلاق من سكان الجبل تعرف عليه في نادي ليبيا ، وكذلك عبد الرحمن الجنزوري وطاهر دهان ، كانت الرحلة جميلة ومريحة واستمرت كذلك حتى وصلنا الحدود الليبية حيث تشكك رجال الأمن في أمرنا - طلبه من أيها الناس في سيارة فخمة بسائقها والسيارة تحمل اللوحة السعودية!! - الأمر الذي يثير الارتياح ، فحوّلنا أمن الحدود مخفورين إلى الإدارة البريطانية في بنغازي ، وبعد استجوابنا والإجابة على بعض الأسئلة أطلق سراحنا ، ووصلنا إلى طرابلس حيث استقبلت الأسرة صاحبنا بفرح شديد لا يوصف .

في هذه الفترة كان حزب المؤتمر الوطني بقيادة الزعيم بشير السعداوي يقوم بحملة دعائية لمبادئ الحزب في وحدة ليبيا وتحررها تحت تاج إدريس السنوسي مع الانضمام للجامعة العربية ، وقد انخرط صاحبنا في هذه الحملة فكان لا يفارق الزعيم في جميع رحلاته الدعائية ، هذا اليوم في غريان وآخر في يفرن وغيره في نالوت أو الزاوية أو سوق الجمعة ، وكان صاحبنا يشارك في الخطابة وفي النقاش والحوار مع الآخرين والتهاتف بمبادئ الحزب وأهدافه ، وكان الموضوع مشوقاً لصاحبنا ويثير مكامن النضال والكفاح والتضحية في سبيل الوطن في أعماق نفسه ، وكان هناك خطيب الحزب المفوه الأستاذ علي مصطفى المصراتي الذي كانت خطبه في ذلك الوقت تهزّ المنابر ، وقد ارتبط معه صاحبنا

بصدقة متينة استمرت لسنوات وسنوات . وكان صاحبنا يعتقد اعتقادا جازما وبكل الإخلاص والصدق أن المؤتمر الوطني هو الحزب المهياً لقيادة البلاد في المستقبل ، ويمكن القول أن أكثر من ثمانين في المائة من الشعب الليبي ينتمي ويشجع هذا الحزب بدليل أن محلة زاوية الدهماني بأجمعها مع هذا الحزب .

في هذه الفترة كانت هناك معركة صحفية بين جريدة الحزب الوطني التي تسمى الشعلة وبين جريدة الليبي التي يتولى رئاسة تحريرها الأستاذ علي الديب وكانت تؤيد اللجنة الطرابلسية التي كانت تجمع المجاهد الشيخ الطاهر الزاوي والشيخ محمد غويلة وبعض الشخصيات الطرابلسية الأخرى التي كانت تعيش في مصر ، وكانت هذه اللجنة مدعومة من الزعيم المعروف وأمين الجامعة العربية الأستاذ عبد الرحمن عزام باعتباره أحد المناضلين المشاركين في الدفاع عن ليبيا عندما هاجمتها الجيوش الإيطالية في سنة 1911 وما بعدها ، وكانت هذه المجموعة ضد الملكية وقيادة إدريس السنوسي وتنادي بالجمهورية بقيادة منطقة طرابلس باعتبارها الثقل السكاني في ليبيا والأكثر ثقافة وتحضرا ، هذا بعكس اتجاه حزب المؤتمر الوطني المتمسك بوحدة ليبيا والتي لا يمكن تحقيقها إلا بالتسليم بزعامة إدريس السنوسي وقبوله ملكا على ليبيا نظرا للنفوذ الكبير الذي تحظى به السنوسية في إقليم برقة علاوة على أنه يحظى بتأييد كامل من البريطانيين وان هناك خطورة كبرى بانفصال برقة عن طرابلس وفزان وتكوين حكومة منفصلة تحت التاج السنوس في إقليم برقة فقط ، والذي يبدو أن الأخوة أعضاء اللجنة الطرابلسية غير مدركين لهذه الأخطار السياسية المحيطة بالموضوع ، والواقع أنه لا بد من التسليم بالتاج السنوسي لمجابهة المؤامرة التي كانت تنسج خيوطها القوى الاستعمارية لتقطع ليبيا ثلاثة أشلاء ، قسم في برقة بتكوين دويلة ضعيفة تحت التاج السنوسي ، وقسم في منطقة طرابلس تحت الوصاية الإيطالية ، وقسم في فزان يتبع الإدارة الفرنسية . في هذا الخضم كتب صاحبنا أكثر من مقالة في شعلة الحرية يناقش هذا الموضوع ويرد على توجهات الأستاذ علي الديب وخطورتها على مستقبل ليبيا .

الواقع أن موضوع إدريس السنوسي تحيطه كثير من الملابسات والتعقيدات ، فصاحبنا حتى قبل أن يغامر بالسفر إلى مصر ورفاقه للدراسة كان

يزور مكتبة الأوقاف باستمرار وقد وقع في يده كتاب تاريخي هو حاضر العالم الإسلامي للأستاذ شكيب أرسلان وكان هذا الكاتب منحازا انحيازاً كاملاً للسيد احمد الشريف السنوسي ضد إدريس السنوسي والسبب أن السيد شكيب أرسلان واحمد الشريف كانا منحازين لتركيا في الحرب العالمية الأولى التي اشتعلت في سنة 1914 واستمرت حتى سنة 1918 بينما كان إدريس السنوسي منحازاً للثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين التي انبثقت في سنة 1917 والتي كانت ضد تركيا ومنحازة إلى بريطانيا وحلفائها ومن بينهم إيطاليا الأمر الذي جعل موقف إدريس السنوسي يبدو كأنه في خندق واحد مع إيطاليا ضد النضال الليبي الذي استمر حتى سنة 1932 ، وعندما سجن صاحبنا في سنة 1961 وقع في يده كتاب من مكتبة السجن من تأليف السيد الأشهب عن حياة إدريس السنوسي وفي صفحات هذا الكتاب صورة رسالة كان قد أرسلها إدريس السنوسي إلى الإمام يحيى أمير اليمن يناقش فيها الأوضاع الجارية في تلك الفترة والصراعات المحتدمة بين التوجه الإسلامي والتوجه القومي أي بين من لا زالوا يؤيدون الدولة العثمانية التي استعمرت كل البلاد العربية وتعتبر العربي مواطناً من الدرجة الثانية ، وبين التوجه القومي الذي أتت به الثورة العربية باعتبار أن الحكم العثماني هو حكم استعماري يجب التخلص منه والسعي إلى استقلال الأقطار العربية ووحدتها ، خصوصاً وان الحكم العثماني قد اشتد في اضطهاده للعرب والتنكيل بهم في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين والتاريخ لا شك يذكر المجازر الواسعة التي قام بها جمال باشا الحاكم العثماني في سوريا ولبنان الأمر الذي أثار الشباب العربي في كل مكان ضد الحكم العثماني ، وإدريس السنوسي كان من الشباب في تلك الفترة حيث انضم إلى هذه الموجة الحاقدة ضد العثمانيين الأتراك وما يفعلونه بإخوانهم العرب الأمر الذي جعله منحازاً انحيازاً كاملاً مع هذا الاتجاه ، وبناء على هذا الفهم بدأ صاحبنا يستوعب مواقف إدريس السنوسي ، وبحكم توجهاته القومية صار يجد الأعذار والمبررات لموقف الإدريس وان الحملة الموجهة ضده من شكيب أرسلان وعزام باشا واللجنة الطرابلسية ، محل نظر ، إذ لا تقوم على أساس متين ، والشيء

العجيب أن صاحبنا قد قرأ كتابا في هذه السنوات الأخيرة يتضمن مذكرات عزام باشا وفي هذه المذكرات يبدو بوضوح أن السيد عزام قد غير رأيه فيما يتعلق بموقف الإدريس أثناء الحرب العالمية الأولى .

بعد أن قضى صاحبنا حوالي الشهرين بين أسرته وبين نشاطه في المؤتمر الوطني وملازمته للزعيم بشير السعداوي رجع إلى أسيوط عند بداية السنة الدراسية حيث أتم التوجيهية في هذه المدرسة العظيمة وناظرها الأعظم الأستاذ محمد النحاس ، وكما سبق القول ، أن النتيجة الجيدة التي تحصل عليها في امتحانات التوجيهية وفوزه في المسابقة الأدبية السابق الإشارة إليها خولاه الحصول على المجانية في دراسته الجامعية حيث التحق بكلية الحقوق ، وكان لا بد له أن يبحث عن سكن يكون قريبا من الكلية التي ينتمي إليها بجامعة القاهرة ، وقد هداه بحثه على الحصول على حجرة واسعة وجميلة في سطوح فيلا الدكتور السبكي بالدقي شارع الخطيب بإيجار أربعة جنيهات شهريا ، وقد ساعده مبلغ المائة جنيه الواردة له من ابن عمه عبد القادر ، وكان هذا المبلغ يعتبر مبلغا ضخما في ذلك الوقت ، فاستطاع أن يشتري سريرا ولوازمه وبعض الأثاث المتواضع ويصرف على غذائه ولوازمه براحة تامة .

قد استهوت صاحبنا الدراسة الجامعية ودراسة الحقوق بالذات فهو بطبيعته يميل إلى دراسة القانون وشروحه وفلسفته ، فانغمس في هذه الدراسة انغماسا تاما ، فهو لا يغيب عن المحاضرات الثلاث اليومية ، وبالرغم من سعة الوقت فهو قليلا ما يذهب إلى النادي أو السنما ، فقد كرس كل وقته للمذاكرة القانونية وإذا بقي بعض الوقت يقضيه في القراءات الحرة الأدبية والتاريخية ، وفي هذه الفترة انجذب ، لا يدري كيف ، إلى قراءة سير عظماء التاريخ ، فقرأ سيرة الكسندر المقدوني ، كليوباترا ، زنوبيا ، يوليوس قيصر ، شيبوني افركانو ، حياة محمد هيكل ، جورج واشنطن ، أبراهام لينكون ، الملكة فكتوريا ، نابليون ، موحد إيطاليا كاميلو كافور ، تولستوي ، مونتسكيو ، وروبسبير إلخ ...

وفي هذه الفترة أي بين 1950 و 1952 في موعد يتعذر تحديده تماما لكونه قام بناء على إجراءات وملابس مطولة كان لها آثارها بالنسبة للطلبة الليبيين في

مصر وهو أن النادي الذي كان يؤمه هؤلاء الطلبة كان يسمى نادي طرابلس ومقره بشارع محمد علي وكان يدار من الأخوة الأزهريين الذين كان أكثرهم من المنطقة الغربية أي من طرابلس والبلاد التابعة لهذه المنطقة ، ولكن في هذه الفترة ازدادت أعداد طلبة الثانوية والجامعة وكان من بينهم أعداد لا بأس بها من إخواننا من منطقة برقة ، البعض منهم بل أكثرهم ينتمون إلى جمعية عمر المختار التي تدعو إلى وحدة ليبيا وضد انفصال برقة عن طرابلس كما أن صاحبنا وبعض زملائه من طرابلس كانوا ينتمون إلى حزب المؤتمر وموقفهم أكثر إصرارا على هذه الوحدة ، وقد لاحظوا أن زملاءهم من برقة كانوا محرجين من زيارة النادي وهو باسم طرابلس وليس باسم ليبيا ، فرأى صاحبنا وبعض هؤلاء الزملاء يذكر منهم الإخوة عامر الدغيس ومحمد نشوش ومفتاح الشريف أن يعملوا على تغيير اسم النادي من نادي طرابلس إلى نادي ليبيا ، الأمر لم يكن سهلا فهناك مقاومة كبيرة لهذا الاتجاه من إخواننا الطلبة الأزهريين الذين هم في الواقع مؤسسي هذا النادي ، ولكن صاحبنا وأصدقاؤه استمروا في مشاربتهم في هذا الاتجاه وكانوا يزورون الطلبة في محل سكنهم ويحاولون إقناعهم بهذا الغرض النبيل حتى تكاثرت أعدادهم واستطاعوا أن يجتمعوا في شبه مؤتمر في أحد مساجد شبرا لهذا الغرض تمهيدا للانتخابات القادمة السنوية للنادي التي كانت ستحصل بعد أسابيع قليلة ، حيث تم التصويت على هذا الهدف النبيل ، وهكذا استطاعت هذه المجموعة أن تغير اسم النادي إلى نادي ليبيا الثقافي ، وهكذا صار يؤمه إخواننا من برقة بدون حرج ولا حساسية .

قبل أن تبتدئ السنة الدراسية في أواخر يوليو 1952 أو في 23 لوليو بالتحديد قام الانقلاب العسكري في مصر بقيادة اللواء محمد نجيب في الظاهر ولكن في الواقع أنه كان بقيادة البكباشي جمال عبد الناصر ، حيث أطاح في آخر الأمر بالحكم الملكي في مصر ، والواقع أن جموع الطلبة في مصر وخصوصا الطلبة الجامعيين لم يستقبلوا هذا الانقلاب بارتياح ، بل باعتراض شديد فيما بعد وصل إلى حد الصدام خصوصا في أروقة الجامعة ، وكان هتاف الطلبة في هذه الفترة العصبية في مظاهراتهم المستمرة في الجامعة هي "المنخار والدولار !!!" إشارة إلى

منخار عبد الناصر وأن الانقلاب العسكري لا يخلو من شبهة المؤامرة كما جاء في كتاب لعبة الأمم لكوبلاند . واستمر هذا الصدام لعدة سنوات واشتد عندما انقلب عبد الناصر على محمد نجيب وحصلت معارك كبيرة بين النظام والفئات المثقفة وخصوصا الإخوان المسلمين ، حتى دبرت مسرحية محاولة اغتيال عبد الناصر بالإسكندرية ، وبناء عليها زج بألاف شباب الإخوان في السجون وأقيمت لهم تلك المحاكم الصورية برئاسة جمال سالم الذي كان محل امتعاض وسخرية من الجميع ، والواقع أن تلك المحاكمات في إجراءاتها وتداولها وأحكامها تعتبر مأساة بشرية يندى لها الجبين وتعتبر نقطة عار لا يمحو في تاريخ ذلك النظام ، المهم استمرت هذه المعارضة الشديدة القاسية من المثقفين والطلبة لهذا النظام العسكري حتى حصلت واقعة تأميم قناة السويس وكسر احتكار الغرب لبيع السلاح حيث استطاع النظام أن يشتري كميات ضخمة ومختلفة من الأسلحة المتطورة من الكتلة الشرقية بمساعدة الاتحاد السوفيتي ، هذه الحوادث الأخيرة خلقت ارتياحا كبيرا في الرأي العام المصري والعربي على حد سواء ، وبدأ ميزان الرأي العام يميل لصالح عبد الناصر ونظامه العسكري ، وبناء عليه صار صاحبنا يعيد النظر بتردد وشكوك شديدة تجذبه هنا وهناك في موضوع معارضته هذا النظام الأمر الذي أوقعه في مغامرة نضالية في سنة 1956 كادت أن تدمر مستقبله وحياته سيأتي ذكرها فيما يأتي من حديث .

الفصل السادس

الدراسة الجامعية والمشاريع الإنسانية والاجتماعية التي قام بها والطلبة الليبيون في طرابلس وضواحيها في الإجازات الصيفية

في أكتوبر 1952 ابتدأت السنة الدراسية ودخل صاحبنا سنة أولى حقوق وكان كما سبق القول منسجما في هذه الدراسة واقبل عليها إقبال المتشوق إلى أسرارها وأهدافها النبيلة ، وفي آخر السنة دخل الامتحان وكانت والحمد لله النتيجة طيبة ، وبعد الامتحانات وظهور النتيجة ، أي في صيف 1953 كانت الوالدة والشقيق الحاج علي قد حضرا إلى مصر في طريقهم إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وذلك بمعية الباصات الجزائرية لحجاج الجزائر ، حيث كانت للشقيق الحاج علي علاقات جيّدة وممتازة بالثوار الجزائريين ، وقد توقفت هذه الباصات قرب الأزهر للراحة والسياحة في القاهرة لمدة يومين ، وبالتالي سأل الحاج علي عن صاحبنا فدلوه الطلبة الليبيون الأزهريون عن مكان إقامته حيث زاره والوالدة في حجرة السطوح بفيلا الدكتور السبكي وبقي في ضيافته لمدة يومين كانت من اسعد أيام حياته ، ثم سافرا مع الحجاج ، وعند انتهاء مناسك الحج وفي طريق الرجوع عرجا على صاحبنا مرة أخرى لمدة يومين أيضا ثم ودعهما في طريقهما إلى طرابلس .

بناء على قرار من الأمم المتحدة تقرر استقلال ليبيا وفي أكتوبر 1952 تكونت الحكومة الليبية تحت التاج الملكي لإدريس السنوسي وصار لليبيا سفارة في مصر كان مقرها بمنطقة الدقي ، نفس المنطقة التي يقيم بها صاحبنا حيث استدعي إلى مقر السفارة في حوالي سبتمبر 1953 من قسم شؤون الطلبة الذي كان يتولاه الرجل الطيب المرحوم مبروك الجباني ، حيث ابلغ صاحبنا أن الحكومة الليبية قد قررت مساعدات للطلبة الليبيين الجامعيين الموجددين في مصر ، وقد تقرر مبلغ عشرين جنيها شهريا لكل طالب جامعي منتظم في دراسته ، وسلمه مبلغ عشرين جنيها عن شهر سبتمبر وعشرين جنيها لشراء الكتب وطلب إليه

الحضور كل نهاية الشهر لتسلم هذه المساعدة . الواقع أن صاحبنا قد تأثر تأثراً بليغاً بهذه البادرة الرائعة وكانت دموعه تنهمر وهو في طريقه إلى حجرته في السطوح وعاهد نفسه أنه سيبدل كل مجهدياته وحتى التضحية بحياته ليرد لهذا الوطن الغالي بعض فضائله .

في أكتوبر 1953 بدأ صاحبنا دراسته في السنة الثانية حقوق كله إقبال على الدراسة وليس هناك ما يخشاه مما قد يعترضه قى المستقبل من مشاكل مالية ، حامدا مولاه على ما تكرم به عليه ، وزادت نعماء الخالق وكرمه عندما سمع صاحبنا أن الجامعة العربية قد افتتحت بيتا لإقامة الطلبة العرب الجامعيين في آخر نفس الشارع الذي يقيم به أي في آخر شارع الخطيب ، كان مدير هذا البيت رجلا فلسطينيا فاضلا كريما اسمه الأستاذ الحسيني ، قدم صاحبنا طلبا للانضمام لهذا البيت وسرعان ما قبل طلبه ، فقام ببيع أثاث حجرة السطوح ويذكر أنه باعها إلى الزميل شعبان عريبي الذي كان يدرس الحقوق أيضا بجامعة عين شمس ، كما سوى إيجارات حجرة السطوح لأصحاب الفيلا أسرة الدكتور السبكي الذين أصروا على اخذ أجرة شهر الإنذار أي قيمة إيجار شهر بعد إخلائه الحجرة !!! وبهذا انتقل صاحبنا للإقامة في بيت الطلبة العرب التابع للجامعة العربية .

انتقل صاحبنا إلى بيت الطلبة العرب وهو عبارة عن فيلا كبيرة من طابقين تقع في آخر شارع الخطيب كما هي قرية جدا من فيلا زعيمنا بشير السعداوي ، وقد سعد صاحبنا بهذه الإقامة فالفيلا جميلة جدا وواسعة ، وبها حوالي عشرين طالبا منهم مصريون وجزائريون ومن تونس ومن السودان وهو الطالب الليبي الوحيد بهذا البيت حيث استقر في حجرة جميلة وواسعة وبها دورة مياه خاصة ويقوم معه فيها طالبان مصريان .

في السنة الدراسية الثانية كان صاحبنا يحرص على حضور جميع المحاضرات ، وكان يأتي إلى الكلية في وقت مبكر عن موعد المحاضرة وذلك للحصول على مكان في الصفوف الأولى من المدرج ، واصبحت هذه عادة له ، وفي أوائل السنة حصلت مصادفة أن كان بجانبه مكان خال فجاءت زميلة

واحتلت ذلك المكان ، ويبدو أنه قد تكون توافق نفسي بين الطرفين فتعودا إذا سبق هو في الحضور أن يحجز لها المكان بوضع كراسة أو كتاب به ، كما أنها إذا سبقته في الحضور أن تحجز له المكان بنفس الطريقة ، وشيئا فشيئا صارت تطوف بصاحبنا أنواع من المشاعر المبهمة لم يستطع أن يميزها هل هي تقدير أو إعجاب وهل هي عقلانية أو وجدانية ، هي ليست فائقة الجمال بل يمكن القول أنها تتميز بذلك الجمال الهادي المريح ولكنها كانت فائقة الخلق والأناقة والحشمة وكانت تعتبر بين كل زميلات الكلية نموذجا رائعا للطالبة الراقية الملتزمة ، ليس هذا فقط بل أنه في آخر السنة الدراسية اجري اختيار الفتاة المثالية في جميع كليات الجامعة ففازت هذه الزميلة بهذا اللقب وكانت تستحقه عن جدارة ، هو لا يدري مشاعرها نحوه ولم يحاول أن يعرف ذلك واكتفى بهذا التقدير المتبادل والاهتمام الرمزي والخفي بحجز الأمكنة ، بالنسبة له كان إعجابه وتقديره لهذه الزميلة ينمو يوما فيوما طوال سنوات الدراسة الجامعية حتى يمكن القول أنه كان يحمل في أعماق سويداء قلبه عاطفة جارفة تمثل الحب العذري النظيف ، وقبل نهاية السنة الدراسية الأخيرة تشجع وأرسل لها رسالة في محل سكنها تعبر عن تقديره وإعجابه واحترامه لها وقد قبلت هذه الرسالة تقبلا حسنا حتى أنها قبلت زيارته لها في محل إقامة أسرتها في مصيف الإسكندرية لوداعها عندما قرر السفر نهائيا إلى ليبيا ، فاستقبلته بترحاب كبير ووعده أنها ستعمل كل ما في وسعها لزيارته في طرابلس وللتعرف على هذه البلاد العظيمة ، فاعتبر صاحبنا أن هذا الوعد يحمل الكثير من الآمال التي تراود خياله الجامح . وتشاء الأقدار أنه بعد رجوعه إلى الوطن وتسلمه وظيفة كبيرة في وزارة الخارجية هي رئاسته لقسم الجنسية والشؤون القنصلية ، ولكن في هذه الفترة أي في الأشهر الأخيرة لسنة 1956 اندلعت الحرب العدوانية ضد مصر فاندفع صاحبنا وبعض أصحابه في حوادث ضد الجيش البريطاني ومصالحه في طرابلس الأمر الذي أدى إلى حبسه واعتقاله لمدة تزيد عن السنة ، وفي أثناء اعتقاله علم أن زميلته المذكورة قد تزوجت أستاذهما في القانون الدولي وهو إنسان رائع من جميع الوجوه ، وبالرغم من أن هذا الخبر قد أصابه بصدمة جارحة فإنه فرح لهذه الزميلة بهذا الاختيار الموفق وعندما خرج من الاعتقال بعث للزوجين تهانيه المخلصة مع هدية فضية ثمينة .

في سنوات الدراسة الجامعية كان صاحبنا يقضي الإجازة الصيفية في طرابلس اغلب تلك السنوات بين أهله وأسرته ولقاءاته مع عدد كبير من زملاء الدراسة في مصر التابعين للكليات المختلفة ، وكانت هذه اللقاءات تتم في الغالب في نادي الاتحاد . وفي إحدى هذه السنوات تعرفوا على شخصية رائعة من الليبيين الذين كانوا مهاجرين في سوريا هو الكشاف العظيم علي الزائدي الذي كان له دور كبير في تكوين الكشاف السوري وعندما تم استقلال ليبيا حضر إلى الوطن وتولى تنظيم وقيادة الكشاف في ليبيا . كان صاحبنا وزملاؤه دائمي الزيارة لهذه الشخصية الفذة في مقر قيادته في إحدى المزارع في ضواحي طرابلس وكان هذا الإنسان يرحب بهؤلاء الطلبة أيما ترحيب وكان يناقش معهم مشاكل البلاد ومحاوله اتخاذ المبادرات للمشاركة في نهضتها ومحاوله حل مشاكلها ، وقد أسفرت هذه المناقشات والحوار الخروج بمشروعين عظيمين قام بهما هؤلاء الطلبة بمساعدة علي الزائدي في سنتين متتاليتين من الإجازة الصيفية ، أحدهما الذي سميناه مشروع البر ، والثاني هو مشروع محو الأمية .

مشروع البر حصل في إجازة صيف 1954 حيث كان الشتاء السابق قليل الأمطار وليبيا تتأثر تأثرا بالغا بشح الأمطار ، ويترتب عن ذلك أضرار كبيرة خصوصا بالنسبة لسكان الأرياف الذين يعيشون على رعي الإبل والأغنام وما تنتجه من ألبان وأصواف كما يعيشون على إنتاج القمح والشعير الذي يزرعونه بكميات ضخمة في موسم الأمطار ، فإذا شحت الأمطار فسد ذلك الزرع ولم ينتج شيئا ويعم الفقر وحتى الجوع في المناطق البدوية ، وبناء على هذه الحالة المؤسفة التي حلت بالبلاد في ذلك الصيف فكر الزملاء بالتشاور مع قائد الكشاف علي خليفة الزائدي في التعاون والمشاركة مع الدولة في إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، فرسمت الخطة في كيفية جمع الأموال من الشركات والمؤسسات المالية والأغنياء لتوزيعها بعد ذلك على المتضررين من هذا القحط ، واخذ تصريح من الجهات المختصة بإجراء هذه العملية وسمي المشروع بمشروع البر ، بكسر الباء والشدة على الراء ، وانطلق الزملاء ، كل زميل معه أحد أفراد الكشاف يجوبون مدينة طرابلس والمدن المجاورة يجمعون الأموال من أهل الخير والنجدة ، وقد

تحمس الناس لهذا المشروع لكونه قائم على مجهود أبنائهم الطلبة كما تبارى الصحفيون في إطراء وتشجيع هذا المشروع الأمر الذي تحقق به النجاح سواء في جمع الأموال وفي توزيعها على المحتاجين والمتضررين ، وقد صادف هذا الصيف حلول عيد الأضحى المبارك فتعهد كل سكان طرابلس والمدن المجاورة الاحتفاظ بجلود الأضاحي وتقديمها للمشروع ، حيث جمعت كميات ضخمة من هذه الجلود وبيعت جملة لإحدى المؤسسات الصناعية بأسعار مرضية ، ولم تتدخل الحكومة في تسيير المشروع وكان دورها الوحيد هو الاستجابة لطلب أصحاب المشروع ببعض المساعدات من مثل توفير بعض سيارات لاندروفر لانتقال هؤلاء الطلبة إلى الجهات المختلفة في المدن والقرى القاصية لتوزيع هذه الأموال وكنا نطلب من محافظي المناطق تزويدنا بقوائم أسماء وعائلات المتضررين ونقوم نحن بفحصها والتأكد من سلامتها بواسطة معارفنا وأصدقائنا في القرى المختلفة ثم ننتقل بأنفسنا بواسطة سيارات لاندروفر التي توفرها الحكومة ونقوم بتوزيع هذه الأموال بأنفسنا ، وقد كونا في هذا السبيل ثلاث لجان ، لجنة اختصت بالمنطقة الشرقية حتى مدينة سرت ، ولجنة للمنطقة الجنوبية حتى نالوت وغدامس وغات ، كان صاحبنا أحد أفرادها ، ولجنة اختصت بالمنطقة الغربية حتى زوارة والحدود التونسية ، كان الاخ ابراهيم حافظ احد افرادها ، وقد كان هذا المشروع الخيّر والناجح في تنفيذه نقطة انطلاق رائعة في نفوس جميع الزملاء الذين شاركوا فيه ، أشعرتهم بالفخر والاعتزاز وأنهم جزء من هذا الوطن يتفاعلون مع أحزانه وآماله .

في إجازة صيف 1955 حرص صاحبنا وزملاؤه من الطلبة الجامعيين على الحضور إلى ليبيا لتنفيذ المشروع الذي كانوا قد فكروا فيه مسبقا وهو مشروع محو الأمية ، فاتصلوا فور وصولهم طرابلس بنقابة المعلمين وناقشوا معهم الموضوع حيث تحمس الجميع للمشروع ، وتم الاتصال بنظارة التربية والتعليم لولاية طرابلس التي رحبت بالفكرة وخصصت ثلاث مدارس بمدينة طرابلس للتنفيذ ، هي مدرسة الأمير بالمدينة القديمة ومدرسة شارع الزاوية ومدرسة الظهرة وحدد موعد لبدء الدراسة وأوقاتها التي كانت من الساعة السادسة مساء إلى التاسعة ،

ونشرت هذه المعلومات في الصحف كما تولى أئمة المساجد ومشايخ المحلات الإعلان عنها وقام هؤلاء الطلبة المتحمسون بالتعاون مع بعض المعلمين المتبرعين بالتدريس لمئات الوافدين من شيوخ وكهول وشباب وشابات ونساء من مختلف الأعمار طوال فترة ذلك الصيف ، وكانت النتائج مبهرة والحمد لله حيث أصبح هذا المشروع حديث المدينة واستفاد منه العشرات بل المئات الذين خرجوا من ظلمات الأمية إلى نور القراءة والكتابة .

لا شك أن مشروع محو الأمية كان من أعظم المشاريع التي قام بها هؤلاء الطلبة ، ولكن هذا الشباب المتحمس كان له نشاطات أخرى مختلفة من أدبية وسياسية واجتماعية سواء في مكان دراستهم في القاهرة أو في بلادهم في ولاية طرابلس من الأوفق محاولة التعرض للبعض منها . من ذلك أنه في أواخر الأربعينات واول الخمسينات كانت المنطقة العربية وخصوصا مصر والقاهرة بالذات تزخر وتموج بالتحرك الوطني والتيارات السياسية المختلفة وكانت مصر تضم أكبر عدد من الطلبة الليبيين الذين يدرسون في الخارج وقد عايش اغلب هؤلاء الطلبة وهم في مرحلة الصبا وباكورة الشباب بعد الحرب العالمية الثانية فترة النضال لتحقيق الاستقلال سواء تحت مظلة حزب المؤتمر الوطني في منطقة طرابلس وفزان أو جمعية عمر المختار في منطقة برقة وبحكم هذا الاستعداد من الطبيعي أن يجدوا أنفسهم مندفعين في خضم التيارات السياسية التي كانت تموج بها المنطقة والقاهرة على وجه خاص ، وكان إذ ذاك اشد التيارات حركة وإشعاعا هو التيار القومي الذي كان يمثله حزب البعث وحركة القوميين العرب ويأتي بعده التيار الإسلامي الذي كان يمثله على وجه خاص الإخوان المسلمون وأخيرا التيار اليساري والذي كان يمثله الحزب الشيوعي وحركة مصر الفتاة ، وقد توزع الطلبة الليبيون على هذه التيارات حسب ترتيبها السابق فكان معظمهم ينتمي إما إلى حزب البعث أو حركة القوميين العرب واقل من ذلك الذين ينتمون إلى حركة الإخوان المسلمين أما الأقلية الذين يسمون أنفسهم بالصفوة فقد اختاروا الخط اليساري الذي يمثله الحزب الشيوعي ، وكان معروفا في أوساط الطلبة الليبيين في الخمسينات أن الأستاذ عامر الدغيس كان على رأس جماعة

البعث ، وان الأستاذ إبراهيم الغويل على رأس جماعة الإخوان المسلمين ، وان الأستاذ علي أبو زقية كان على رأس المجموعة القليلة من اليساريين أو الشيوعيين ، وقد ظهر في أواخر الخمسينات أن الأستاذ عز الدين الغدامسي كان على رأس جماعة القوميين العرب . من الطبيعي أنه كان هناك عدد كبير من الطلبة الليبيين الذين لا ينتمون إلى أي من هذه الجهات أو التيارات ، البعض منهم كان مدفوعا بدافع الأنانية وعدم الإحساس والافتقار إلى الروح الوطنية ، أما البعض الآخر فكان مدفوعا بروح وطنية جياشة يستشعر المسؤولية ويرى في هذه الاتجاهات نوعا من الترف الذي لم يكن أوانه خصوصا وأن الوطن وأن فاز باستقلاله فهو لا زال مكبلا بالمعاهدات الاستعمارية الظالمة الأمر الذي يحتاج إلى تعاون وتضافر جميع الفئات والتيارات لتحرير الوطن من هذه المعاهدات ، ولعل صاحبنا كان من بين هذه المجموعة الأخيرة ، فهو بالرغم من احتكاكه بمعظم هذه التيارات فهو يذكر أن أحد أقطاب الإخوان المسلمين ومن الشباب الجامعي المصري المتحمس لهذا التيار هو الأستاذ محمود الأنصاري من أعظم الشخصيات أدبا وخلقا كان يزور صاحبنا في بيت الطلبة العرب ثلاث أو أربع مرات في الأسبوع وقد بذل هذا الشاب الراقى مجهودات جبارة لضم صاحبنا للإخوان المسلمين . وكذلك كان الأستاذ مفتاح الشريف من طلبة كلية الحقوق الليبيين من مدينة درنة وربما بنغازي كان يزور صاحبنا باستمرار مع إحضار بعض الكتب اليسارية محاولا ضمه إلى هذا الخط اليساري . وبالرغم من أن صاحبنا كما هو معروف لدى الجميع بميوله القومية فإنه يستشعر في كثير من الأحيان بميوله اليسارية ، كما يشعر في أعماق نفسه بتضامنه في الغالب من المناسبات مع الاتجاه الإسلامي ، وبالتالي كان يعتبر نفسه صديقا لجميع هذه التيارات ، ولكنه كان يرى أن الجميع الآن يجب أن يتخلى عن صراعاته الحزبية وان تتجه جميع المجهودات إلى تحرير الوطن من هذه المعاهدات والقواعد العسكرية التي تكبل استقلاله والوصول به إلى الديمقراطية الحقيقية ، وعليه كان صاحبنا على اتصال مستمر مع الأخ علي أبو زقية كما هو على اتصال بالاخوة عامر الدغيس وإبراهيم الغويل .

بناء على هذه الأفكار والمبادئ وعندما أتم الأستاذ علي أبو زقية دراسته في كلية دار العلوم وهو بسبيل الرجوع إلى الوطن نهائيا في صيف 1955 ، حرص صاحبنا على دعوة هؤلاء الإخوة زعماء هذه التيارات إلى اجتماع في بيته وطرح عليهم ما يدور في ذهنه وهو أن الذين سيتخرجون من الجامعات في العشر السنوات المقبلة وبيدءون العمل في أرجاء الوطن لن يتجاوز العشرات ولا شك أن هذا العدد القليل لن يستطيع أن يحقق شيئا من طموحاتنا إلا إذا استطاع أن يركز جهوده في هدف واحد لا يكون محل اختلاف من هذه التيارات الثلاثة وهو تحرير الوطن من المعاهدات الاستعمارية ووضع الأسس لمستقبل ليبيا السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، لم يعترض أحد على هذا الرأي واتفق الجميع على التعاون والتضامن في هذا السبيل . في هذه الفترة أيضا استطاع صاحبنا أن يجمع حوله مجموعة من الطلبة الجامعيين والثانويين حوالي العشرة الذين تعهدوا بالتعاون معه في هذه الخطوط الوطنية المحدودة ، وقد نشطت هذه المجموعة نشاطا ملحوظا في هذا السبيل .

كما سبق القول رجع الأخ علي أبو زقية إلى طرابلس واستلم عمله في نظارة التربية والتعليم لولاية طرابلس ، وقد حرص صاحبنا أن يقضي هذه الإجازة في طرابلس وابتدأ التعاون بين الطرفين ومجموعة لا بأس بها من الطلبة الذين يقضون إجازتهم في تراب الوطن فقاموا بنشاط رائع في عدة مجالات منها نشاطهم في مشروع محو الأمية الذي سبق ذكره والذي استقبل من المواطنين ومن السلطات الليبية استقبالا رائعا واستحق عليه الطلبة الدارسون في مصر الثناء والاستحسان من الجميع . المجال الآخر هو مساعدة وتأييد الثورة الجزائرية ، حيث تم اللقاء مع بعض أعضاء مجلس النواب الوطنيين يذكر منهم الأستاذ عبد العزيز الزقلعي والأستاذ محمود صبحي وبعض النواب الآخرين وبعض الشباب الوطني المتحمس حيث تم ترتيب عدة مهرجانات ليلية في بعض المحلات حيث تلقى الخطب الحماسية ويفتح باب التبرعات ، ولا زلت أذكر أنه في بعض هذه المهرجانات هناك من الشباب من خلع قميصه وتبرع به وهناك الكثير من الشابات من تبرعن بأقراطهن وأساورهن وهناك من قدم مجموعة من البيض

عرضت للبيع في مزاد بهذا المهرجان وصل ثمنها إلى العشرات من الدنانير .
ومجال آخر وهو اللقاء الذي تم ببعض المثقفين في البلاد منهم الأستاذ خليفة
التليسي والأستاذ فريد سيالة وغيرهم من الذين لهم اهتمام بالثقافة ، وتم تنظيم
عدة ندوات ومحاضرات بنادي الاتحاد ، وبناء على هذه اللقاءات الثقافية المكثفة
استطاعت المجموعة أن تكون ما سمي بجمعية الفكر الليبية التي انضوى بعد ذلك
تحت لوائها مجموعة كبيرة من المثقفين الليبيين في القطاع الغربي .

في صيف 1956 أتم صاحبنا دراسته الجامعية في كلية الحقوق ورأى قبل
الرجوع نهائيا إلى الوطن أن يقوم بزيارة إلى سوريا باعتبارها حاملة لواء الكفاح
الوطني القومي ، وكان قد علم أن زميلته سامية راشد قد اشتركت في رحلة
جامعية إلى هذه البلاد في السنة السابقة فرأى أن يسترشد بها في رحلته وقابلها
بالإسكندرية حيث زودته بما يفيد في هذه الرحلة من نصائح ، ومن الإسكندرية
أخذ إحدى البواخر المتجهة إلى بيروت ، ونظرا لوضعه المالي المتواضع ، وان هذه
الرحلة كانت صيفا وأنها لا تستغرق أكثر من يومين فقد اختار السفر على سطح
الباحرة حيث أن ثمنها متواضع جدا ، وعلى سطح هذه الباحرة جمعت صاحبنا
ومجموعة من الشباب اللبناني القادم من أمريكا إلى وطنه فاستمتع بالسهر معهم
على ذلك السطح وعلى ضوء القمر حيث كان هذا المجموع بشبابه وشاباته
يرقص ويغني ويخلق البهجة والسرور على سطح تلك الباحرة الرائعة . بعد
الوصول إلى بيروت وعن طريق خطوط المواصلات الأرضية انتقل إلى دمشق . قد
كان قد تعرف في السابق عن طريق المكاتبة عن شخصين ليبيين يقيمان بدمشق هما
محمد العالم وعبد الرزاق بن يزيد فاتصل بهما حيث ساعدها في حجز الفندق
المناسب لوضعه المالي ، وبالرغم من أنه لا ينتمي حتى ذلك الوقت إلى أي حزب
من الأحزاب فقد رغب أن يقابل بعض القيادات القومية ، وبالتالي فقد رتب له
هذان الصديقان لقاء مع الأستاذ أكرم حوراني الذي رحب به واعلمه بغياب
الأستاذين مشيل عفلق وصلاح الدين البيطار خارج البلاد ذلك الأسبوع ،
وعلى أي حال قد اعلمه أن الحزب مهتم بالوضع في ليبيا وسيساعد السلطات
القائمة والوطنيين في هذه البلاد المجاهدة في التخلص من هذه المعاهدات

الاستعمارية . بعد دمشق عرج صاحبنا على بيروت مرة أخرى حيث قابل السيد جورج حبش الذي كان لا زال طالبا في ذلك الوقت في الجامعة الأمريكية باعتباره يمثل حركة القوميين العرب ، وقبل أن يقفل راجعا إلى الإسكندرية استطاع صاحبنا الاتصال بالزعيم بشير السعداوي المقيم ببيروت في ذلك الوقت الذي زوده بنصائحه وإرشاداته . ومن جملة ما قاله هذا الزعيم الفذ الرائع ، عندما سأله صاحبنا هل هناك أمل في أن تتخلص هذه الأمة من الاستعمار وأذنا به ، فقال هذا الزعيم لصاحبنا: هل ترى يا ولدي هذا البلاط الذي بين أقدامنا ، هل يمكن أن يخرج حشيشا أو نبتا؟؟ طبعا لا ، وهذا هو الظاهر من حال امتنا ، وبالرغم من هذه الحقيقة القاسية المرة التي نشاهدها اليوم في حاضرنا المؤلم ، فان المستقبل البعيد لهذه الأمة هو مستقبل عظيم وباهر ، فلا بد لهذه الأمة أن تنتصر آخر الأمر على تخلفها وأعدائها ، ويكون لها دور عظيم في تقدم البشرية جمعاء ، فكل المؤشرات تدل على ذلك . فكانت هذه الكلمات المضيئة هي القبس الذي استقاه صاحبنا من هذا الرجل المجاهد العظيم ، فكانت النور الذي يستضيء به في أوقات محنه وأزماته .

الفصل السابع

بداية الحياة العملية واندفاعه في النضال الوطني والقومي وتجربة السجن والمعتقلات

بعد وصوله طرابلس بأسبوعين بدأ يخطط للطريق الذي سيتخذه لمستقبل حياته ، كانت معه رسالة من أستاذه الدكتور لبيب شقير موجهة إلى وزارة المعارف الليبية ينصح فيها بإتاحة الفرصة لهذا الطالب للاستمرار في الدراسات العليا لنيل الدكتوراه ، وكانت لهذه الرسالة أسباب ، وهي أن صاحبنا عندما زار ليبيا في صيف 1955 كان قد زار مؤسسة المصالح المشتركة التابعة للنقطة الرابعة ، ومنها تحصل على كل الدراسات ذات الطابع الاقتصادي التي قامت بها هذه المؤسسة في ليبيا ، وهي عبارة عن بحوث قام بها خبراء مختصون من أنحاء العالم للبحث عن إمكانيات ليبيا الاقتصادية لا تقل عن ست أو سبع دراسات كل دراسة تحتوي على أكثر من مائتي صفحة ، وقد اخذ صاحبنا هذه الدراسات معه إلى مصر وأثناء دراسة السنة الرابعة بالكلية حاول أن يكتب بحثا متواضعا من هذه الدراسات عن الوضع الاقتصادي في ليبيا وقدمه للدكتور لبيب شقير أستاذه في مادة الاقتصاد السياسي الذي أعجب بهذه المحاولة وسأل عن مصادرها فأخبره صاحبنا بدراسات الأمم المتحدة وسلمه إياها حيث فرح بها الأستاذ فرحا شديدا ، ومنها قامت علاقة حميمة بين الأستاذ وتلميذه أدت إلى أن يكتب له تلك الرسالة إلى وزارة المعارف السابق الإشارة إليها ، وعندما رجع صاحبنا إلى ليبيا بعد نيله الليسانس قد طلب إتاحة الفرصة له للاستمرار في الدراسات العليا مرفقة برسالة أستاذه الدكتور لبيب شقير ، ولكن هذا الطلب لم يصادف أي اهتمام من وزارة المعارف وقيل له أن البلاد الآن في حاجة إلى خريجين عاديين وليس إلى دكاترة !! وقد نصحه بعض الأصدقاء أن أحسن وسيلة لهذا الغرض أن يلتحق بوظيفة في وزارة الخارجية ومنها يطلب نقله للعمل في سفارة ليبيا في مصر حيث يتمكن من الاستمرار في دراسته العليا لنيل الدكتوراه ، فعمل صاحبنا بهذه

النصيحة وقدم نفسه إلى هذه الوزارة حيث قبل فوراً وعين في قسم الجنسية والشئون القنصلية الذي كان يرأسه الأستاذ فرج بن جليل ، وقيل له أن لا بد من قضاء سنتين في وظيفته هذه حتى يمكن نقله للعمل في الخارج ، وهكذا استقر في هذا القسم منتظراً ما تأتى به الأيام ، ولم تمض أكثر من ثلاثة أسابيع في وظيفته تلك حتى عين الأستاذ بن جليل في إحدى السفارات بالخارج وبالتالي سلمت رئاسة هذا القسم إلى صاحبنا . كانت التعليمات الشفهية من وكيل وزارة الخارجية ألا تعطى شهادات الجنسية لا إلى اليهود الليبيين ولا إلى الفلسطينيين حتى لو استوفوا الشروط القانونية المذكورة في قانون الجنسية ، وكانت هذه التعليمات تضيق صاحبنا بشدة ، وهو حتى لو استطاع أن يجد المبرر بالنسبة لمنع الفلسطيني من الجنسية حتى يحافظ على جنسيتهم الفلسطينية ، فهو لم يجد أي مبرر لحجب شهادة الجنسية عن اليهود الليبيين ، وبالتالي كتب مذكرة بوجهة نظره هذه إلى وكيل وزارة الخارجية وان دراسته القانونية لا تسمح له بالخروج على القانون ويعتذر أنه لا يستطيع الاستمرار في وظيفته إذا لم تحل هذه المشكلة .

قبل أن يغادر مصر كون صاحبنا حلقين من بين الطلبة الليبيين في مصر بالأهداف المحددة في التخلص من المعاهدات الاستعمارية والوصول إلى وحدة الوطن بالتخلص من الوضع الفيدرالي وتحقيق الديمقراطية والتعددية الحزبية ، كما أنه بعد استقراره في طرابلس كون ثلاث حلقات ، حلقتين في زاوية الدهماني ، الأولى تضم الخافي والصيد ونجاح والشريف والثانية تضم بن صوفية وقرواش الذي يقال له الزلفة وقدور ، كما كون حلقة من بعض طلبة ثانوية طرابلس يذكر منهم الأسطى و عون وفطيس .

في خريف 1956 قامت حرب السويس حيث هاجمت القوات الصهيونية مصر بالتعاون مع القوات البريطانية والفرنسية الذي سمي بالعدوان الثلاثي ، وقد قامت ردة فعل صاخبة ومزججة في العالم العربي نتيجة هذا العدوان الآثم ، واندفع صاحبنا في هذا الجو الصاخب اندفاعاً خطيراً بدون أي تردد أو وضع حساب للروية والتعقل ، فاتصل بالسفارة المصرية في طرابلس حيث قابل الملحق العسكري المصري السيد إسماعيل صادق وافهمه أن مجموعة من الشباب الليبي

يرغبون في الدفاع ضد هذه الهجمة الصهيونية الاستعمارية بمهاجمة مراكز القوات البريطانية في طرابلس ويحتاجون إلى السلاح لتنفيذ هذا الهدف ، فرحب السيد صادق بهذا الحماس الوطني ورتب مع صاحبنا موعدا في ضواحي المدينة حيث سلمه أربعة صناديق ، أحدهم مليء بالقنابل اليدوية والآخر به ست رشاشات كلاشنكوف والثالث به ذخيرة الرشاشات والرابع مرصع بمادة المتفجرات الجلجنيت ، وفي أقل من ساعة ارشد صاحبنا ورفاقه الصيد ونجح في كيفية استعمال هذا السلاح ، وعبئ كل ذلك في سيارة نجح ، وبعد أن أخذنا معنا بعض القنابل اليدوية وبعض المتفجرات تم إخفاء باقي هذه الذخيرة في كوخ الجنينة التابعة لمنزل قَدَّور الذي كان يقيم مع أخيه في ضواحي المدينة . وفي الأيام القليلة التالية فجرت أنابيب البترول الواصلة بين ميناء القرماني ومنطقة فشلوم ، كما فجرت شحنة من المتفجرات في نادي الضباط البريطانيين بمدينة فندق الودان ، كما ألقيت قنبلة يدوية على مخازن النفط بفشلوم ولكنها لم تنفجر ، كانت النية ميّنة لاستخدام الرشاشات في جعل كمين لسيارات الجيش البريطاني في منطقة النقيزة بالجبال القريبة من الخمس مع الاستمرار في تفجير ما يمكن تفجيرها من الممتلكات البريطانية والفرنسية ، والواقع أن الاعتداء الصهيوني البريطاني الفرنسي على مصر قد أشعل الغضب والحقد ضد هذه الفئة الباغية في نفوس جميع العرب والمسلمين في جميع أنحاء العالم وكان الشعب الليبي بوجه خاص مستعدا لعمل أي شيء ضد المصالح البريطانية والفرنسية في ليبيا وكان ذلك يعتبر دفاعا شرعيا بل واجبا مقدسا ، وبهذه الروح المتأججة أملى صاحبنا على الأخ نجاح وهو واقف في دكان زغوان مشروع منشور يتقد حرارة والتهابا يدعو المواطنين إلى القيام بمظاهرة تأييدا لمصر ، كما يدعو الجيش الليبي والشرطة إلى التمرد ومهاجمة المصالح البريطانية والفرنسية ، وطلب إلى الأخ الصيد الذهاب فورا إلى الأخوين محمود صبحي وعبد العزيز الزقلعي وكانا في ذلك الوقت عضوين في مجلس النواب ، لأخذ موافقتهما على المنشور وقيادة المظاهرة المزمع القيام بها ، ومن ثم طبعه وتوزيعه ، وقد تمكن الأخ الصيد من الوصول إلى الأخ محمود صبحي واخذ موافقته على المنشور ولكنه عندما كان في

طريقه إلى السيد عبد العزيز الزقلعي أوقفه أحد ضباط المباحث العامة وضبط منه مشروع المنشور . أن مشروع المنشور كان قد كتب في دكان زغوان كما سبق القول والذي تحقق بعد ذلك أن هذا اللئيم كان له علاقة غير معروفة بالمباحث العامة وهو الذي ابلى عن المنشور الذي حصل في دكانه ، وعليه فانه بعد القبض على الصيد لم تمض إلا ساعات قليلة حتى جاءت الشرطة للقبض على نجاح وتفتيش بيته ، ثم حضرت الشرطة إلى بيت صاحبنا وفتشوا كل ركن فيه ، ومن حسن حظ صاحبنا أنه لم يكن في البيت في ذلك الوقت ، وعليه فانه عندما سمع بكل هذه الحوادث اختفى في بيت جاره السيد احمد الدويبي وبقى مختفيا في هذا البيت لحاولي الأربعة أو الخمسة أيام ، ثم كتب رسالة إلى النائب العام يبرئ فيها ساحة المقبوض عليهما نجاح و الصيد وركز كل ما حصل على شخصه فقط ، حيث أنه هو صاحب فكرة المنشور وهو الذي كتبه وان المقبوض عليهما ليس لهما أي دور جوهرى بهذا الموضوع ، "والواقع أن الذي أثار السلطات الليبية ليس المنشور فقط بل تلك التفجيرات المتعددة التي حصلت في ذلك الأسبوع" ، ونظرا للزوبعة الضخمة التي نتجت عن هذا الموضوع فقد رأى صاحبنا ألا مناص له من ترك البلاد ، فاتفق مع أحد سائقي اللوريات التي تحمل الخضراوات إلى بنغازي ، ليذهب معه إلى بنغازي بصفة مساعد سائق ، وقد تم كل ذلك بمساعدة شقيقه عبد الرحمن الذي كان يعرف هذا السائق ويثق فيه . وحيث أن الهدف النهائي لهذه الرحلة المزمع القيام بها ليس تفادي القبض عليه فقط بل كان يهدف للذهاب إلى مصر للمشاركة والتطوع في تلك الحرب القائمة ، فقد رأى زيارة الملحق العسكري بالسفارة المصرية قبل القيام بتلك المغامرة ، ونظرا لكونه يعلم أن مدخل السفارة كان مراقبا من المباحث الليبية فقد دخل من خلفها قافزا فوق السور المحيط بها وكان ذلك باتفاق مع الملحق العسكري ، وفي هذه المقابلة ابلى صاحبنا هذا المسئول بنيتة الذهاب إلى مصر وطلب مساعدته في هذا الشأن مع تزويده بمسدس للدفاع عن نفسه إذا اقتضى الأمر ، وقد اعتذر السيد إسماعيل صادق تزويده بالسلاح وطلب إليه الاتصال بالملحق العسكري المصري في بنغازي السيد محمد المصري حيث سيساعده في هذا السبيل ، ثم قدم إليه ظرفا به

مبلغاً من المال الذي اعتذر صاحبنا عن قبوله وغادر السفارة وفي اليوم التالي بدأ رحلته مع السائق المذكور .

كانت الرحلة شاقة تحيظها الصعوبات والأخطار ، فارتدى صاحبنا رداء السواقين المسمى "القامجو" وشوه يديه ووجهه بقليل من زيت السيارات ، وكانت الطريق مليئة بمحطات المراقبة ، فكان لا بد له قبل الوصول إلى أي محطة من هذه المحطات أن ينزل من السيارة ويتفادى المحطة بالسير على الأقدام مسافة طويلة في الصحراء حتى يلتقي بالسيارة في الجهة الأخرى ، وهكذا حتى الوصول إلى بنغازي ، حيث سلمه الأسطى شعبان ذلك السائق الوطني الشجاع ذو الأخلاق العالية التي يندر وجودها ، إلى مجموعة من شباب تجار مصراتة كانوا يعيشون سوياً في إحدى الشقق حيث رحبوا به أيما ترحيب مقدرين تضحيته ووطنيته .

وفي بنغازي اتصل صاحبنا بالملحق العسكري السيد محمد المصري الذي لم يفده في شيء سوى أنه سيبليغ منطقة الحدود المصرية لتسهيل دخوله لمصر . وقد ساعده الشباب المصراقي باختيار سائق روميس وطني ليسافر معه إلى درنة ، ومن هناك يسلمه إلى سائق روميس موثوق به لإيصاله إلى الحدود المصرية ، حيث تم ذلك بدون صعوبات حتى الوصول إلى ما قبل الحدود في مساعد بجوالي خمسة كيلومترات حيث أوقف السائق سيارته أمام كوخ مهجور واخذ صاحبنا من يده وقال له عليك أن تنتظر يوماً أو يومين حتى يأتي صاحب الكوخ وهو الذي سوف يساعدك في اجتياز الحدود عن طريق الصحراء مقابل مبلغ عشر دنانير ، كان الوضع مؤسفاً ومؤلماً ومحيراً ، وفي أثناء الحوار مع السائق لاحظ شيخ مسن في حوالي السبعين من عمره حيرتنا وارتباكنا ، فنزل من السيارة وجاء إلى صاحبنا مباشرة وقال له أرى أنك تريد اجتياز الحدود أي "تقطع" فليس عليك أن تنتظر صاحب الكوخ حيث لا يعرف أحد متى يحضر وربما لاحظت الدوريات وقوفك في هذا المكان فترتاب فيك وتقبض عليك ، ولكني أنصحك أن تعتمد على نفسك وتغادر من وقتك في اتجاه الحدود ، كان الوقت عصراً أو قبله بقليل فقال ، ضع الشمس في ظهرك وامش مشياً عادياً وقبل غروب الشمس تكون قد

اجتزت الحدود ، قبل صاحبنا هذه النصيحة وسلم على السائق والرجل العجوز وتوكل على الله وسار في المجهول .

سار صاحبنا حسب توجيهات ذلك العجوز في قلب الصحراء لا يعرف يمينه من شماله ، وغربت الشمس واقبل الليل ولكنه لم يعثر على أي علامة تدله على أنه وصل الحدود أو اجتازها ، فأين هي الجبال الشائكة الموضوعة في الحدود أو ما يسمونها في تلك المنطقة "الشبردك"؟؟ اظلم الليل وظهرت النجوم في السماء وصاحبنا لا زال يسير ويسير تحيطه الأوهام والهواجس فالصحراء مليئة بالوحوش المفترسة والثعابين والأفاعي وربما الألغام الأرضية التي خلفتها الحرب العالمية الثانية ، ولكن ليس له إلا أن يستمر في السير ، يخيل إليه أحيانا أنه يسمع صدى صوت نباح كلاب فيقول بينه وبين نفسه لا بد أن يكون هذا الصوت صادرا من أحد النجوع فيتجه إليه ويسير ساعة أو أكثر ولكنه لا يصادف شيئا ، ويرى بهرة نور خاطف فيظن أنه نور سيارة مارة فيتجه إلى تلك الجهة لعله يعثر على الطريق المعبد ومنه يستطيع أن يعرف اتجاهه ولكنه بعد السير الطويل لا يعثر على شيء ، كان قد تعلم في قراءته موقع النجمة القطبية في السماء وأنها تدل على الجهة الشمالية فيرصد تلك النجمة ويسير في اتجاهها عله يعثر على شاطئ البحر ومنه يستطيع أن يكيّف اتجاهه ولكنه يسير ويسير دون أن يعثر على الشاطئ ، بقى هكذا تائها في هذه الصحراء الشاسعة وقد أنهكه التعب المضني والخوف المرعب إلى ما قبل الفجر بقليل حيث سمع شكشكة بندقية في الوقت الذي أحس بفوهة البندقية توضع في ظهره وصوت أجش يأمره بالوقوف ورفع يديه إلى أعلى ، خضع للأمر وتبين له على أشعة النجوم على هيئة جنديين يفتشانه بدقة ويتزعان منه ما في جيبه من نقود وجواز السفر وكتاب كان يحمله معه لا زال يذكر هذا الكتاب "سر تطور الأمم" للكاتب الفرنسي جوستاف لبيون ، وكان صاحبنا يأمل أن يكون هذان الجنديان من مصر فتنتهي مشاكله ولكن تبين له لسوء حظه أو حسنه ، الله اعلم بذلك ، أنهما لبيبان !! حيث قاداه أحدهما أمامه والآخر خلفه وفوهة البندقية في ظهره إلى مركز الحدود الليبية ، وقبل الوصول إلى هذا الموقع كان هذان الجنديان قد تاهتا عن الطريق أيضا ، إذ

قادهما سيرهما إلى مركز الحدود المصرية ولكنهما انتبها إلى خطأهما قبل الوصول إليه بمسافة شاسعة فتراجعا ، المهم وصل الجنديان بصيدهما إلى مركز الحدود الليبية عند بداية خيوط ضوء الفجر ، حيث تم إيقاظ ضابط المركز الذي عندما رأى صاحبنا قال له نحن في انتظارك يا أستاذ ، إذ تبين أن صورة صاحبنا كانت متصدرة أحد جدران المركز وكذلك جميع جدران مراكز الدولة كشخص مطلوب القبض عليه .

أودع زنزانة المركز ذلك اليوم ، وفي اليوم التالي قيد بالسلاسل من يديه ورجليه والقي في خلفية سيارة لاندروفر على جنبه كما تلقى الزكبة مع حراسة اثنين من الشرطة مزودين بالبنادق الرشاشة ، ولا شك أن القصد من كل ذلك هو مضاعفة إيلامه وتحطيم كبريائه ، وانطلقت السيارة بقيادة أحد الضباط في طريقها إلى بنغازي ، استغرقت الرحلة يومين مع أن المسافة لا تزيد عن سبعمائة كيلومتر ، وعند الوصول إلى بنغازي أودع زنزانة أحد المراكز ، ولتعجبه واستغرابه تغيرت معاملته تغيرا كاملا دون أن يعرف لذلك سببا !! ، فكان ضباط المركز يأتون إليه في زنزنته يعانقونه وينادونه بالبطل ويقدمون له ما شاء من مأكول ومشروب وصحف !! وبعد يومين حضرت إلى المركز سيارة لاندروفر تابعة للشرطة الاتحادية حيث كبل من يديه فقط واجلس في مؤخرة السيارة مع حارسين مسلحين ، وانطلقت السيارة في اتجاه طرابلس ، بعد خروج السيارة من مدينة بنغازي أوقف الضابط المسئول السيارة وفك قيود صاحبنا وطلب إلى الشاويش المرافق أن يجلس في الخلف واخذ صاحبنا إلى جانبه في كينة السيارة مع السائق وصار يهون عليه مأساته ويهدئ من روعه ، هذا الضابط العظيم ذو الأخلاق العالية المتميزة الذي يؤدي واجبه القانوني بإنسانية رائعة هو السيد بن شريدة جازاه الله على إنسانيته وخلقه الرفيع كل خير ، وكان تقريره عن صاحبنا في هذه الرحلة كله مدح وإشادة برجولته وذكائه كما علم بعد ذلك من أوراق القضية ، المهم أنه بعد يومين في هذه الرحلة المتميزة وصلت القافلة طرابلس وسلم صاحبنا رأسا إلى المباحث العامة الكائنة قرب فندق الودان حيث تسلمه ذلك الضابط المعروف بإجرامه وشروره السيد خشخوشة وبدأ معه التحقيق

حيث أصر صاحبنا أنه المسئول وحده عن مشروع المنشور وأن المقبوض عليهما نجاح والصيد ليس لهما أي دور جوهري في هذا الشأن ، ولكن ذلك الضابط الشرير كان يريد أن يصل إلى إلصاق تهمة التفجيرات التي حصلت في فترة ذلك المنشور ، وابتدأ في محاولة استعمال وسائل العنف والتعذيب ، ولكن من حسن حظ صاحبنا أنه عندما بدأ خشخوشة يلجأ إلى العنف رن التلفون وطلب إليه تحويل المقبوض عليه إلى رئاسة النيابة في مبنى المحاكم في شارع الاستقلال ، وبذلك كتب له النجاة من شرور وجرائم ذلك الوحش المفترس السيد خشخوشة .

كان رئيس النيابة في ذلك الوقت هو السيد عبد الحميد ضوء أحد الوافدين الليبيين من المهجر في سوريا من الذين حضروا بعد الاستقلال إلى ليبيا ، وكان هذا الإنسان قد زار صاحبنا في وزارة الخارجية قسم الجنسية عندما كان صاحبنا رئيسا لهذا القسم ، وكان يطلب إثبات جنسيته الليبية ، وللمعرفة السابقة فقد كان استقبال هذا الأخير لصاحبنا استقبالا طيبا وابلغه أنه قد حرص على استدعائه بسرعة من مركز المباحث العامة خوفا عليه من وحشية السيد خشخوشة ، وفتح له محضرا وسأله بعض الأسئلة ، وبعد أن قفل المحضر قال له يؤسفني أن لا بد لك من البقاء في السجن مع رفاقك حتى يوم المحاكمة ، وهكذا كان.

في السجن المركزي في باب بن غشير استقبله رفاقه استقبالا حارا ، كما أن جميع نزلاء السجن كانوا يتبارون في العناية بهؤلاء النزلاء الثلاثة باعتبارهم أبطال وطنيين ، ومن المفارقات العجيبة أن هذه العناية والتكريم ما كانوا ليجدوه خارج السجن !!

بعد بضعة أيام تحدد موعد الجلسة أمام محكمة الجناح الشمالية الكائنة بمبنى بلدية طرابلس ، وفي يوم المحاكمة غصت المحكمة وخارجها بمئات المواطنين ، ولا أبالغ إذا قلت أن العدد ربما فاق الألفي مواطن ، الأمر الذي أذهل الجميع وخصوصا السلطات الحاكمة .

كان القاضي هو الأستاذ المهدي بوحامد ووكيل النيابة هو الأستاذ الجالي هويسة ، وكان هناك ما لا يقل عن عشرة محامين متبرعين بالدفاع ، وبعد أن

بدأت الجلسة بدقائق قليلة دخل رئيس النيابة الأستاذ عبد الحميد ضوء مسرعا وطلب إلى المحكمة إحالة القضية إلى غرفة الاتهام لان رئاسة النيابة ترغب في تغيير وصف الاتهام من جنحة إلى جناية !!! كان الذهول عاما على الجميع ، المحكمة والمحامين والمتهمين والجمهور الحاضر الذي صدرت منه بعض المهممات وحتى بعض الصيحات !! لا شك أن هذا الزحام والتجمهر الفظيع كان السبب في تغيير موقف النيابة ، أو بعبارة اصح موقف السلطات الحاكمة . بناء على هذا الطلب المفاجئ كان لا بد للمحكمة حسب قانون الإجراءات الجنائية من إعادة القضية إلى النيابة لتقوم بإجراءاتها حسب الوصف الجديد ، ولكن ذلك القاضي العادل الرائع الذي فهم اللعبة الجديدة لم يترك الحبل على الغارب عند حكمه بإعادة القضية إلى النيابة بل أمر في الوقت نفسه بالإفراج عن المتهمين!!! ودوت قاعة المحكمة وخارجها بالتصفيق والصياح يحيا العدل !! يحيا العدل!!

حسب الإجراءات المتبعة في إدارة السجون لا بد من رجوع المحكوم لهم بالإفراج إلى السجن لتسلم حاجياتهم ثم الخروج إلى الحرية ، وهذا الذي حصل ، ففي أوج الفرحة الغامرة التي عمت الجميع اخذ الثلاثة من المحكمة إلى السجن حيث سلمت حاجياتهم الخاصة من ساعات ومحافظ وأحزمة ، - بالمناسبة إن الحزام يؤخذ من السجن عند أول دخوله السجن خشية أن يشنق به نفسه !!! - وكان المفروض بعد تسليم هذه الحاجيات أن يخرج فورا إلى الحرية المحكوم له بالإفراج ولكن أصحابنا الثلاثة طلبت إليهم إدارة السجن بالانتظار قليلا ، وكلما احتج صاحبنا على هذا الانتظار ، باعتبار أن الاحتفاظ بسجين مفرج عنه داخل السجن هو ضد القانون ويعتبر جريمة يحاسب عنه مأمور السجن كما يقرر ذلك دستور البلاد ، ولكن بالرغم من هذه الاحتجاجات المتكررة ، استمر هذا الانتظار إلى ما بعد المغرب !!! وقد علم صاحبنا بعد ذلك أن السبب في الاحتفاظ بالمفرج عنهم الثلاثة إلى ذلك الوقت المتأخر ، أن ما لا يقل عن ألف مواطن قد تجمهروا أمام السجن لاستقبال الأبطال الثلاثة !!! وقد فشلت الشرطة في تفريق المتجمهرين مما اضطرها إلى القبض على حوالي خمسين متجمهرا وأودعوا زنانات

مراكز الشرطة المختلفة في مدينة طرابلس ، أما بقية المتجمهرين عندما طال بهم الانتظار الذي استمر من الثانية عشرة ظهرا إلى الثامنة مساءً أصابهم اليأس وتراجعوا إلى بيوتهم .

قرب موعد صلاة العشاء سمح للمفرج عنهم بالخروج من أبواب السجن ، وعند الباب الأخير وهو باب حديقة السجن فوجئ أصحابنا بوجود سيارة لاندروفر في انتظارهم وبها ضابط وأربع من الشرطة المسلحين بالرشاشات حيث طلب إليهم ركوب السيارة بدعوى إيصالهم إلى بيوتهم وعندما رفض صاحبنا هذه الدعوة الكريمة هددهم ذلك الضابط باستعمال القوة إذا لم يذعنوا لهذا الطلب ، ففهمت تلك اللعبة القذرة وليس هناك أي سبيل للمقاومة وما لهم إلا الإذعان ، حيث اخذوا إلى مركز الشرطة المسمى بالمركز الأوسط حيث أودعوا أحد الزنانات وهم في حالة ذهول واستغراب!!؟؟

هذه التصرفات من السلطات الحاكمة التي عمها الارتباك والشذوذ والغرابة والاستهتار بالحقوق الدستورية والقانونية دفعت أصحابنا للتفكير في طريقة فعالة للاحتجاج على هذا الوضع ، وبالتالي قرروا الإضراب عن الطعام ، ومن تلك الليلة امتنعوا عن تناول أي شيء من تلك الأغذية التي قدمت لهم في زنانتهم .

لم تهتم السلطات لهذا الإضراب بل ربما استراحت لهذا العذاب الجديد الذي يزيد في آلامهم ، وعليه فقد بقي أصحابنا يومين كاملين في زنانتهم يتضورون جوعا ولا يأبه لهم أحد ، وفي اليوم الثالث اخذوا في سيارة لاندروفر التي اتجهت بهم نحو الجنوب في اتجاه غريان ، وعندما وصلت السيارة هذه المدينة لم تتوقف بل انحرفت إلى اليسار قليلا واستمرت في انطلاقها نحو الجنوب ، وبعد ثلاث أو أربع ساعات توقفت في بلدة صغيرة في قلب الصحراء هي بلدة مزده ، وهناك اخذوا إلى مبنى متهالك من القصور القديمة مكون من طابقين كل طابق به ست أو سبع حجرات ، هذا المبنى هو مركز شرطة مزده ، يشغل جزء منه إدارة المركز والحجرات الأخرى يقيم بها مجموعة كبيرة من الشرطة ، وفي إحدى هذه الحجرات الأرضية وضع أصحابنا الثلاثة ، واحضر لهم ثلاثة أسرة وبطاطين

وأدوات للطبخ وأدوات لعمل الشاي وقيل لهم إن السلطات قد خصصت لكل واحد منهم سبعة قروش في اليوم لمأكله ومشربه ولهم أن يذهبوا إلى سوق البلدة تحت الحراسة لشراء لوازمهم ، وأنهم سيقون في هذا المكان حتى تحدد جلسة غرفة الاتهام ، وخصص لهم شرطي لحراستهم ومرافقتهم إلى السوق والنظر في طلباتهم ، هذا الشرطي هو رجل عجوز في حوالي الستين من عمره يمتاز بالطيبة وروح التسامح ، وقد تكونت نوع من العلاقة بين أصحابنا وهذا الشرطي الطيب تكاد تصل إلى درجة الصداقة ، وكانوا ينادونه عمّي أحمد الرحبي ، كان هذا الإنسان العظيم يتألم لآلامهم ويتأسى لأساهم ، كان يحدثهم عن تاريخ حياته وانه عاش مع الطوارق أكثر من عشر سنوات وانه يتكلم لغتهم الخاصة التي هي قريبة من المزيغية وان لهم تقاليد وعادات غريبة فالرجال ملثمون والنساء سافرات ، وهم في اجتماعاتهم وجلساتهم لا يفرقون بين الرجل والمرأة ، بل المرأة ربما لها تقدير أكثر من الرجل !!! ففي هذه الجلسات لا يجوز للرجل أن يغادر الجلسة إلا إذا أذنت له المرأة التي في الغالب هي التي تكون رئيسة الجلسة ، وأن الخال هو الأساس وليس العم فالعادة عندهم أن ينادي الانسان لما هو أكبر منه يقوله يا خالي وليس يا عمّي كما العادة عند الليبيين ، وغير ذلك من غرائب العادات والتقاليد !! كما أعلمهم أنه عاش طول حياته فوق جملة في الصحراء وانه يعرف الصحراء الليبية كما يعرف كفه ، وقد عرض مرة على أصحابنا أنه على استعداد للفرار بهم إلى مصر عن طريق الصحراء وان السلطات لن تستطيع العثور عليهم حتى ووصولهم إلى هدفهم ، ولكن أصحابنا شكروا له هذا العرض الذي يمتاز بالتضحية ونكران الذات ولكنهم وقد انتهت الحرب في مصر ، يفضلون مواجهة الموقف في بلادهم .

تعرف صاحبنا على مكتبة المدرسة الابتدائية في هذه البلدة ولفرحته وتعجبه وجد بها من المراجع والموسوعات التي يصعب الحصول عليها ، فقد تحصل من هذه المكتبة على موسوعة معالم تاريخ الإنسانية لويلز في أربعة مجلدات فاستعارها وانكب على قراءتها ، كما تحصل على موسوعة تاريخ العالم للسير جون هامرتن في ستة مجلدات كبيرة ، وقد هيات له هذه البلدة المنزوية عن

صخب الحياة فرصة التفرغ لهذه القراءات الجادة . وعلى ما يذكر صاحبنا ان هذه الموسوعات القيمة الرائعة وغيرها العديد من الكتب المترجمة عن الانجليزية والفرنسية الهامة هي من اصدارات مؤسسة التاليف والترجمة والنشر التي كان يرأسها الدكتور أحمد أمين وكان لها مبنى جميل على النيل قبالة وزارة الخارجية ، وكانت تشير إليها يافطة كبيرة بهذا الاسم ، وقد ألغيت هذه المؤسسة وانهي دورها ، لا أحد يعرف لماذا ، بعد الانقلاب العسكري في سنة 1952 ، والذي يذكره صاحبنا بهذه المناسبة أن النظام الحاكم في الوطن بعد انقلاب سنة 1969 قد ألغى تعليم اللغات الأجنبية الذي كان سائدا في المدارس الابتدائية والثانوية قبل ذلك ، الغاء اندهش له الجميع !!! ونحن نتساءل الآن في استغراب ساذج لماذا نتخلف ويتقدم الآخرون !!!؟؟؟

السبعة قروش المخصصة لهم لا توفر لهم شراء اللحم أو الدجاج ولا حتى البيض ، ولكن رئيس المركز وهو السيد مفتاح فكيني من العائلات العريقة في المنطقة كثيرا ما يذهب لصيد الغزال ولا يمر أسبوع حتى يتحفنا مرة أو مرتين بنصف أو ربع غزال ، كما كان جميع أفراد الشرطة المقيمين في نفس المبنى يعاملون أصحابنا بكل التقدير والاحترام ، كما هو الأمر من أفراد أهالي هذه البلدة الصحراوية الكرام ، وقد تعود أصحابنا أن يقضوا بعض الوقت عند العصاري أحيانا في المقهى الوحيد فيها .

بعد حوالي الشهر من الإقامة في مزدة حددت جلسة غرفة الاتهام ، فأخذ أصحابنا إلى المحكمة في طرابلس تحت الحراسة المشددة ، وحضر المحامون المتطوعون ، مصريون وفلسطينيون وليبيون ، اذكر من يحضرنى من أسمائهم من الفلسطينيين الأستاذ يوسف العسلي ومن المصريين الأساتذة احمد السيد و احمد أبو شنب وعبد الله حنفي ومن الليبيين الأساتذة علي الديب والشاعر علي صدقي عبد القادر وكان قاضي غرفة الاتهام مصريا وبعد طلب النيابة بإحالة القضية إلى محكمة الجنايات مع حبس المتهمين حتى نظر الدعوى ، وبعد دفاع المحامين بالألا وجه لإقامة الدعوى ، قررت الغرفة تأجيل نظر الدعوى ثلاثة أسابيع مع الأمر بحبس المتهمين ، وكان قرار الحبس مفاجأة للجميع !! فأخذ

أصحابنا إلى السجن انتظارا للجلسة القادمة ، وفي موعد الجلسة المنتظرة قيل لنا أن القضية أجلت مرة أخرى بدون حضورنا !! وذلك كما قيل بسبب تنحي القاضي المصري عن نظر الدعوى للخرج حيث أن الاتهام له علاقة بالعدوان الثلاثي على مصر ، ولكن بالرغم من ذلك فعندما حل موعد جلسة الغرفة كان القاضي قد تغير فعلا ولكن القاضي الذي حل محله مصري أيضا ، وبعد طلبات النيابة والدفاع أمرت الغرفة بتأجيل نظر القضية مرة أخرى ولكن مع الإفراج عن المتهمين .

أخذ أصحابنا إلى مزدة مرة أخرى لعدة أسابيع حتى حلول موعد الجلسة حيث تبين أن هذا القاضي قد تنحى أيضا عن القضية ، والقاضي المصري الجديد أمر بتأجيل الدعوى مع حبس المتهمين ، وهكذا بقي أصحابنا بين السجن ومزده لمدة سنة تقريبا ، وقد تنحى عن هذه القضية أكثر من خمسة قضاة ، حتى أصبحت القضية محل تندر من الجميع ، وفي المرة الأخيرة عندما أخذ أصحابنا إلى مزدة قرروا الإضراب عن الطعام ، واستمروا في هذا الإضراب لمدة سبعة أيام ، وكانت تجربة شديدة القسوة لا يستطيع أن يصف شدة آلامها إلا الذي مر بهذه التجربة ، وصاحبنا لا زال يذكر أن أفراد الشرطة الذين كانوا مقيمين مع أصحابنا في نفس المبنى بمزدة ، قد اعتادوا أن يوقدوا النار أمام حجراتهم كل مساء لتهيئة طعامهم ، وبعد إضرابنا عن الطعام واستمراره فقد أوقف هؤلاء الشرطة المقيمين في نفس المبنى إيقاد النار وعملية الطبخ تضامنا نفسيا غير منظور مع المضربين وكانوا يأتون إليهم في غفلة من رؤسائهم وعيونهم تفيض من الدمع يرجونهم فك الإضراب لأنهم لا يستطيعون تذوق الطعام وحو لهم أناس يتضورون جوعا ، والواقع أن الإنسان عندما يتذكر هذه الواقعة يشعر بالفخر والاعتزاز بالانتماء إلى هذا الشعب المجيد وما يمتاز به من روح التضامن والمشاركة في الأزمات . وكان طلب المضربين هو إنهاء هذه القضية بالحكم فيها ولو بالشنق !!! كان السيد مفتاح فكيني رئيس المركز على اتصال مستمر عن طريق الراديو بالسلطات المختصة في طرابلس بخصوص هذا الإضراب ، وقد أقنع أخيرا أصحابنا بفك الإضراب بعد أن استمر هذه المدة الطويلة بوعد من

الجهات المختصة بتحويل القضية إلى قاضي ليبي لا يتخرج من الفصل فيها ، وهكذا كان ، ففي الموعد المحدد للجلسة كان قاضي غرفة الاتهام هذه المرة هو القاضي الليبي الأستاذ كامل الهوني المعروف عند الجميع بنزاهته وصلابته ، وما أن ترافعت النيابة والمحامون حتى أصدر قراره الصارخ الذي لطم به وجه السلطة وهو "بالأوجه لإقامة الدعوى" ، وبهذا القرار العادل تعتبر القضية قد انتهت ، والواقع أن هذا القاضي المحترم لم يجامل المتهمين وإنما نفذ القانون في شجاعة غير مبال برغبات السلطة ، ذلك أن مشروع المنشور المتهم به أصحابنا بالرغم من فظاعته وما يتضمن من دعوى للجيش والشرطة على التمرد ضد سلطات البلاد الأمر الذي يعتبر جريمة ضخمة في نظر القانون الجنائي ، فإن الورقة المكتوبة بخط اليد التي ضبطتها الشرطة من المتهمين لا تصل إلى درجة الشروع في ارتكاب الجريمة ما دام لم يبدأ في طباعتها بعد .

بالرغم من أن النيابة قامت بالطعن في هذا القرار بعد ذلك أمام المحكمة العليا ، لم تر السلطات الحاكمة بدا من إطلاق سراح المتهمين ، وهكذا بعد سنة كاملة من البهذلة بين الاعتقال والسجن وجد أصحابنا أنفسهم في رحاب الحرية وقد عمت الفرحة الجميع ، فخصص أحد البيوت لاستقبال المهنيين وقد استمرت وفود المهنيين من جميع أنحاء طرابلس لمدة ثلاثة أيام .

بعد انتهاء أفراح الحرية ذهب صاحبنا إلى محل عمله في وزارة الخارجية حيث استدعاه وكيل الوزارة الأستاذ عمر الباروني في ذلك الوقت وبلغه أن الوزارة قد قبلت استقالته ، "قد سبق القول أن صاحبنا كان قبل اعتقاله قد كتب إلى وكيل الوزارة يطلب تسوية موضوع أحقية اليهود الليبيين في الجنسية حسب نصوص القانون وهو لا يستطيع بصفته رئيس قسم الجنسية بالخارجية حرمانهم من هذا الحق بناء على التعليمات الشفوية وبالتالي فإذا لم يسوى هذا الأمر فإنه يطلب إعفائه من هذه الوظيفة" اتخذت الوزارة تلك الرسالة ذريعة لإقالة صاحبنا من الخارجية ، وعلى أي حال فقد افهمه الأستاذ عمر الباروني بصفة ودية - وهو يعرف صاحبنا منذ كان تلميذه في الثانوية - أن وظائف الخارجية ووظائف حساسة وهو غارق في نشاطه السياسي الأمر الذي لا يتفق مع هذه الوظيفة

والأحسن له أن يجد لمستقبله نشاطا غير الوظيفة الحكومية ، ثم سلم عليه بحرارة وتمنى له التوفيق في مستقبله وطلب إليه الذهاب إلى القسم المالي في الوزارة لتسلم جميع مرتباته عن كل الفترة التي قضاها في السجن والمعتقل .

لم يمض أسبوع على توديعه وزارة الخارجية حتى استدعاه الأستاذ فؤاد الكعبازي وهو إذ ذلك مدير إدارة الإعلام الناشئة في ليبيا - وهو أستاذه سابقا بالثانوية أيضا - طالبا إليه التعاون معه في هذه الإدارة بمرتب أحسن من مرتبه السابق ، ولكنه اعتذر عن قبول هذه الوظيفة وانه قد قرر الاتجاه للعمل بالمحاماة ، وعليه قدم فوراً طلباً إلى نظارة العدل لمنحه رخصة العمل بالمحاماة ، وكان ناظر العدل في ذلك الوقت الشيخ محمود المسلاتي المعروف بعدائه وحقده على جميع الوطنيين ، فرفض طلبه بدون إبداء أية أسباب ، وكان هذا الرفض غريباً وعجيباً خصوصاً أن أغلب المحامين في تلك الفترة كانوا من الإيطاليين واليهود والأجانب وان العدد القليل من المحامين الليبيين لا يملكون حتى الشهادة الثانوية وان صاحبنا هو خريج كلية الحقوق الليبية الوحيد الذي طلب العمل بالمحاماة !!! قدم صاحبنا طعناً في هذا القرار إلى المحكمة العليا عن طريق صديقه ذلك المحامي الإيطالي الإنساني العملاق فواستو فرارا - هذا المحامي العجوز الرائع كان يتبرع بالدفاع عن الفقراء والمتهضين ويسافر إلى مصراتة وإلى بنغازي على حسابه الخاص للقيام بهذا الواجب المقدس - ولكن هذا الطعن من المعروف أنه سوف لا يتم نظره قبل سنة أو سنتين ، فما يمكن أن يعمل صاحبنا في هذه الفترة؟؟ كان له صديق عزيز جدا هو زميله السابق في الثانوية الأستاذ عمران العزابي كان موظفاً مرموقاً في شركة اسو فعرض عليه أن يقبل وظيفة في القسم القانوني بهذه الشركة ، وسرعان ما قبل هذا العرض باعتباره الإنقاذ الوحيد الذي أمامه الآن ، وهكذا أصبح موظفاً في شركة اسو بمرتب يزيد عن الخمسين جنيهاً أي بزيادة عشرين جنيهاً عن مرتبه بالخارجية ، وكان ذلك في أواخر سنة 1957 ، بدأ العمل في مكتب به مجموعة من الموظفين العرب ، وبعد بضعة أيام عرضت عليه قضية مرفوعة من أحد العمال ضد الشركة أمام محكمة سبها باعتبار أن الشركة قد فصلته فصلاً تعسفياً ، درس صاحبنا القضية بعناية تامة وكتب فيها

مذكرة موجهة إلى رئيس القسم القانوني بالشركة ينصح فيها محاولة التصالح مع صاحب الدعوى . بعد ثلاثة أيام من هذه الواقعة فوجئ بتخصيص مكتب مستقل له بالشركة على أن يكون على اتصال مباشر برئيس القسم المستر استيفن .

في غير أوقات العمل في المساء كان يلتقي باستمرار بصديقه عمران العزابي بأحد المقاهي بشارع الاستقلال وكان كثيرا ما ينضم إليهم في هذا المقهى الأستاذ علي أبو زقية والأستاذ عبد اللطيف الكيخيا أحد موظفي شركة موبل أويل ، وأثناء الحديث عرضت فكرة تكوين نقابة لعمال البترول ، سرعان ما تحمس لها الجميع ، وعليه قام صاحبنا باعتباره من رجال القانون ، بتحضير مشروع قانون لهذه النقابة ، وبعد عدة اجتماعات بإحدى الشقق حضرها مجموعة كبيرة من موظفي شركات البترول الليبيين المثقفين اقر ذلك القانون وتم تكوين نقابة البترول في ليبيا .

في هذه الفترة احتك به أحد أفراد السفارة المصرية وحياه على موقفه القومي في حرب السويس وأبلغه أن السلطات في مصر تعتبره من الرجال الذين يعتمد عليهم في المعركة القومية الكبرى ضد الاستعمار والصهيونية العالمية ، كما أبلغه أن شخصية كبيرة في مصر تنتظر زيارته لها . لقد تردد صاحبنا كثيرا قبل أن يقرر زيارة هذه الشخصية في القاهرة ، وعندما تمت هذه المقابلة في أحد المباني قدر صاحبنا بينه وبين نفسه أن المبنى يتبع وزارة الداخلية وأغلب الظن أنه رئاسة المخابرات العامة وأن الشخصية الهامة التي قابلها هي شخصية رجل معروف في هذا المجال هو السيد كمال رفعت ، إن صاحبنا قد أصابه الألم والأسى بل والاشمئزاز وحتى التقزز لنتيجة هذه المقابلة وما طلبته تلك الشخصية الهامة منه من مهام ، وعليه فعندما رجع إلى وطنه واحتك به ذلك الرجل المشبوه ثانية طلب إليه في غضب وحزم ألا يتصل به مرة أخرى . وقد تعجب صاحبنا لتوجهات هؤلاء العساكر الذين يملئون الدنيا في إبداعاتهم صراخا قوميًا ، ويتصرفون بأنانية وبجاجة ، تصرفات غارقة في الإقليمية المفضوحة!!!

في هذه الفترة أيضا اتصل بصاحبنا أحد الأشخاص ، لا يدري كيف ، وأبلغه أن السيد البصيري الشلحي يرغب في رؤيته وحدد له موعد اللقاء في القصر الملكي في طرابلس "البصيري الشلحي يعتبر من المقربين جدا من الملك ادريس السنوسي ، وهو وان كان لا يحمل أية وظيفة رسمية فان له نفوذ واسع في السلطة ، وهناك إشاعات متواترة تعتبره أحد أبطال الثورة الجزائرية بإمدادها بالسلاح عن طريق الصحراء بالتعاون مع السيد سيف النصر عبد الجليل الذي كان إذ ذاك رئيس المجلس التنفيذي لولاية فزان" وعند اللقاء فوجئ صاحبنا بان المذكور كان يستقبله بحارة وترحاب شديد وذكر له أنه قد علم بان نظارة العدل بولاية طرابلس قد رفضت إعطاءه رخصة المحاماة ، وانه يريد أن يساعده في هذا الصدد لما عرف عن وطنيته ونضاله ضد المحتلين ، وطلب إليه الذهاب الآن وفورا إلى فندق المهاري حيث سيجد السيد سيف النصر عبد الجليل رئيس المجلس التنفيذي لولاية فزان في انتظاره حيث سيرتب له الحصول على رخصة المحاماة من ولاية فزان . وهكذا كان ، فبعد الترحيب الكريم من هذا الإنسان الفاضل الكريم طلب إلى صاحبنا السفر إلى سبها لمقابلة ناظر العدل لولاية فزان السيد العربي حيث سيرتب له الإجراءات اللازمة للحصول على رخصة المحاماة ، ولم يملك صاحبنا إلا أن يقفز معانقا هذا الرجل الطيب الكريم ويشكره ويشكر صديقه السيد البصيري الشلحي . إن السيد البصيري الشلحي رحمه الله قد توفي بجادث سيارة ، وقد أشيع أن الحادث كان مدبرا من المخابرات الفرنسية أو البريطانية بسبب نشاط هذا الإنسان ضدّ الهيمنة الأجنبية في المنطقة ، وقد مات هذا البطل الرائع دون أن يعرف بطولته وأمجاده إلا القليلين ، وهكذا دائما الأبطال العظام . أما السيد سيف النصر عبد الجليل فقد قام بكل تلك الأعمال البطولية في تزويد الثورة الجزائرية بالسلاح سرا ، وهو رئيس المجلس التنفيذي لولاية فزان ، ولم تحل هذه الوظيفة الكبيرة والمسئوليات الخطيرة المرتبطة بها بينه وبين القيام بهذه الأعمال تجاه إخواننا الجزائريين ، هذا والسيد سيف النصر قد بقى في مركزه في ولاية فزان من سنة 1952 عند قيام استقلال ليبيا إلى أن تحولت ليبيا من الوضع الفدرالي إلى الوضع الوحدوي في سنة 1963 ، وفي الوضع

الوحدوي تقلد وزارة الدفاع لعدة سنوات ، وبالرغم من هذه الوظائف الضخمة والخطيرة التي تقلدها في حياته فهو يعيش في هذه السنوات الأخيرة في مصر عيشة متواضعة جدا لا يمكن أن تدل على أن هذا الإنسان الرائع قد توّلى تلك الوظائف الخطيرة التي ربما أتاحت لغيره الصفقات والمليارات !!!!

كانت شركة اسو لها أعمال حفر للبحث عن البترول في منطقة الجنوب بحاسي مسعود وكانت لها طائرة صغيرة لسته ركاب تذهب إلى سبها مرتين أو ثلاث كل أسبوع ، فطلب صاحبنا إلى رئيس القسم القانوني بالشركة بالسماح له بالذهاب مع هذه الطائرة ، وهناك قابل ناظر العدل الذي كان على علم بسبب الزيارة ، وبعد تقديم الطلب ابلغ بالحضور بعد أسبوعين لحلف اليمين القانونية .

عندما حل موعد حلف اليمين تحمس رئيس القسم القانوني بالشركة في توفير الطائرة لسفر صاحبنا والرجوع به في نفس اليوم ، وهكذا كان ، وقد قال بعض الأصدقاء أن شركة أسو قد تحمست لحصولك على رخصة المحاماة لتخلص من عملك بالشركة بعد أن لاحظت نشاطك في تكوين نقابة عمال البترول !!

الفصل الثامن

المحاماة وعضوية المجلس التشريعي لولاية طرابلس

في أواخر 1957 بدأ صاحبنا عمله بالمحاماة ، وكان أول محام ليبي في ليبيا يحمل شهادة اليسانس في القانون ، استطاع أن يستأجر مكتبا بشارع عمر المختار من حجرة واحدة قسمت بحاجز خشبي إلى حجرتين ، وقد قام بتزويد هذا المكتب بمنضدة وبضعة مقاعد وآلة كاتبة تم شراؤهم من سوق المعروضات القديمة ، وقد تولى توجيهه وهو في بداية عمله في هذه المهنة الشاقة أولا صديقه الأستاذ الايطالي فاوستو فرازا ، ثم من بعد ذلك الأستاذ علي الديب وشريكه المحامي المصري الأستاذ احمد السيد عثمان اللذين قد سبق لهما الدفاع عنه في قضية المشور السابق الإشارة إليها . وبحكم هذه الصلة عندما استدعي الأستاذ علي الديب لحضور اجتماع المكتب الدائم لاتحاد المحامين في دمشق طلب من صاحبنا مرافقته في حضور هذا الاجتماع الأمر الذي أتاح لهذا المحامي الناشئ الالتقاء بعمالقة المحاماة في الوطن العربي من أمثال الكزبري وشلشل والبرادعي وغيرهم ، وكانت تجربة رائعة ربطت صاحبنا بهذا الاتحاد طوال مزاولته هذه المهنة المقدسة . في حوالي منتصف 1958 انهي النظام الملكي في العراق بانقلاب عسكري دموي رهيب ، وبعد حوالي شهرين أو ثلاثة تقرر إقامة مؤتمر لاتحاد المحامين في بغداد حيث استدعي الأستاذ علي الديب وصاحبنا لحضور هذا المؤتمر ، وقد كان الأستاذ علي الديب مميزا ورائعا في خطابه في هذا المؤتمر الأمر الذي ابره الجميع ، ولكن ما ساد في هذا المؤتمر من صراعات بين الخط القومي والخط اليساري الشيوعي وصل إلى حد الضرب والعراك بالأيدي والأرجل في ساحات اجتماعات المؤتمر ، وما ظهر واضحا من تبني السلطات الانقلابية بقيادة عبد الكريم قاسم لهذا الاتجاه الشيوعي الأمر الذي أبرز أسوأ صورة لتصرفات بعض اليساريين المتشددين وهم في السلطة ، هذه الصورة البشعة قد أنزلت الإحباط والأسى في قلوب الجميع ، وفعلا فقد رجع صاحبنا إلى الوطن مهموما مما شاهده ورآه في بلاد الرشيد وعاصمة العباسيين وما يمكن أن يترتب عن هذه

الصراعات الجائبة المدمرة من مآسي وآلام لهذه الأمة. هذا الوضع جعل صاحبنا يعيد النظر في موضوع الاتجاهات الموجودة في المنطقة ، وأنه من المستحيل في هذه الفترة إيجاد وسائل للتعاون بين هذه الاتجاهات كما كان يأمل في فترته الطلابية ومحاولاته المستميتة لإيجاد سبل التعاون بين هذه الاتجاهات خصوصا بين الطلبة الليبيين كما سبقت الإشارة إلى اجتماعه مع رؤساء هذه الاتجاهات في القاهرة في سنة 1955 والاتفاق على نبد الخلافات ومحاوله التعاون على تحرير ليبيا من القواعد الاستعمارية ، وقد تبين الآن لصاحبنا بوضوح كامل أن ذلك الأمل بعيد المنال وأنه إذا أراد الاستمرار في خطه النضالي فلا بد له أن يختار اتجاها من هذه الاتجاهات يكون الطريق الأصوب لهذا النضال ، وبما أن صاحبنا يعتبر قوميا بطبيعته وانه لن يستطيع الوصول إلى خطه الإنساني العريض إلا عن هذا الطريق فقد اختار الاتجاه القومي السائد في المنطقة في ذلك الوقت ليكون طريقه في هذا النضال ، ولم تكن هناك صعوبة كبيرة في اتخاذه هذا القرار ، فقد سبق له الإطلاع على دستور الحزب واقتنع باتجاهاته ومبادئه وأسلوبه الديمقراطي ، كما أنه قد سبق له دراسة الكثير من أدبياته خصوصا كتابات الأستاذين صلاح البيطار وميشيل عفلق التي تمتاز بطابعها الإنساني والتي تبرز أعمال رسالة الإسلام الخالدة ، كما سبق له التعرف عن طريق الأستاذ منصور "الذي كان يردد باستمرار اللهم انصر هذا الاتجاه بأحد هذين الرجلين أو كليهما ، ويقصد بالرجلين صاحبنا والأستاذ محمد حمي" بالأستاذ النمري الأردني الجنسية الذي كان يعمل في إحدى الشركات العربية في طرابلس والذي كان في حوار دائم مع صاحبنا محاولا إقناعه بالانتماء إلى هذا الحزب . وحيث أن صاحبنا قد استقر في ذهنه ضرورة الانتماء إلى إحدى الحركات القائمة والقومية منها بالذات فقد فاجأ الأستاذ النمري برغبته في الانتماء إلى هذا الحزب العريق . لم يخف هذا الأخير فرحته واغتباطه بهذا القرار ، وسرعان ما رتب له لقاء مع الأستاذ الدغيس ، وفي الموعد المحدد التقى به في مخزن والده في طريق الحلقة وكان معه الأستاذ إبراهيم الفقيه حسن ، وبعد تلاوة شعار الحزب "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة" أقسم اليمين المقررة ومن ذلك اليوم أصبح عضوا في هذا الحزب ، وفي

الجلسة المحددة التالية لم يحضر الأستاذ إبراهيم الفقيه حسن بل بعث رسالة يقرر فيها انسحابه لأسباب عائلية . بقى صاحبنا ينتظر النشاط والزخم الذي اشتهر به هذا الحزب ولكنه لم يجد شيئاً من ذلك وقيل له أن الحزب في ليبيا لا زال في فترة التأسيس ، فأصيب بشيء من الإحباط ولكنه قرر بينه وبين نفسه أن يتولى هو هذا النشاط ، وعليه عرض الأمر على الحلقات التي سبق له تكوينها ذات الاتجاه الوطني واقعة انتمائه إلى الحزب وخيرهم في الالتحاق بهذا الحزب معه ، فوجئ الرفاق بهذا التحول ومنهم من قبل ومنهم من اعتذر . وصاحبنا يقر أنه قد ارتكب خطأ فاحشاً في انتمائه الجديد قبل أن يعرض الأمر على رفاقه الذين ارتبط معهم فيما كونه من حلقات في الأشهر السابقة والتشاور معهم في هذا الأمر .

الأمر الثاني الذي يجب ذكره في هذا الصدد هو أنه بعد نكسات الناصرية في الحرب مع العدو الصهيوني وما ارتكبته من مآسي في اغتيالها للحرية في المنطقة ومحو فكرة تداول السلطة والتعددية والفصل بين السلطات وقبر أي خطوات يمكن أن تؤدي إلى الديمقراطية وفشل جميع الاتجاهات سواء كانت قومية أو إسلامية أو يسارية في التصدي لهذا الانحدار الرهيب الذي ساد المنطقة أصبح الشعب العربي ينظر إلى هذه الاتجاهات السياسية بنوع من الريبة والحذر ، وان الناس أصبحوا يتشككون أن هذه الحركات يمكن أن يتحقق عن طريقها شيء إيجابي للأمم . ولا شك أن كل ذلك كان نتيجة هذه الهزائم المتكررة التي سادت المنطقة في الخمسينات والستينات وحتى السبعينات والثمانينات . هذا الإحساس المحبط الرهيب لا بد أن يؤدي إلى إعادة التفكير عند الكثير من الناس في الاتجاهات والوسائل للنهوض بهذه الأمة ، وهم يرددون الآن في تراجع ظاهر ربما كان انهماكياً ، لعل الموضوعية في هذا الأمر هي أن أحسن وسيلة للوصول إلى الأهداف المبتغاة في المرحلة القائمة التي تحيطها زوابع وأعاصير المؤامرات من كل جهة وصوب هو أن يكون التركيز على العمل القطري في كل قطر من الأقطار ، ومن الطبيعي أن يكون ذلك في الإطار القومي والإنساني ، وقد كتب صاحبنا محاولة في هذا الصدد سماها "الطريق الطويلة" يمكن الرجوع إليها لمن

شاء . ولعل هذه المحاولة جاءت نتيجة إحساس الكثير من المجتهدين الليبيين في الحقل النضالي بهذا الإحباط العام الذي ساد جميع الاتجاهات إسلامية كانت أو قومية أو يسارية ، وصاحبنا يذكر أن أحد رؤساء هذه الاتجاهات في ليبيا قد لأمه على تركه الخط الذي كان فيه عند أول تخرجه والحلقات التي كونها في هذا الصدد وأنه لو استمر في اتجاهه الوطني المحدود لاستطاع أن يحقق مع جماعته الكثير في هذا المجال . إن صاحبنا لا يقول هذا الكلام ندما على انتمائه القومي وإنما أصبح الآن بالرغم من هذا الانتماء يفضل بذل المجهود في الحقل الوطني بحيث يكون في الإطار القومي والإنساني ، وهو يضرب لذلك مثلا ، فلو تدبرنا الخط الأمي أو الشيوعي لا شك أنه يحمل في طياته أهدافا في منتهى النبل والإنسانية وذلك أن يعيش الناس سواسية في عالم واحد تسوده الاشتراكية ليس بينهم غني أو فقير وان تتقلص سلطات الحاكم إلى أدنى درجاته ، ولكن هذا الهدف الإنساني النبيل هو هدف بعيد جدا أنه قفزة كبيرة في الهواء صعب جدا تحقيقها في الظروف الحاضرة . وكذلك الأمر لو نظرنا إلى الحركة الإسلامية أيضا ، فمما لا شك فيه أن إيجاد عالم إسلامي موحد تسوده الخلافة النيرة التي تطبق جوهر الإسلام وليس قشوره - كما هو سائد الآن - هو هدف نبيل ورائع ولكنه بعيد المدى وتقف في طريقه الكثير من العقبات وتعتبر كما قلنا قفزة كبيرة في الهواء . وكذلك الأمر والى حد ما بالنسبة للحركة القومية في أهدافها الوحودية والتكامل الاقتصادي وإزالة الحدود الخ.. ربما هذه الأهداف هي الأقرب للتحقيق باعتبار العالم العربي يمتاز بالوحدة اللغوية والجغرافية والتاريخ الواحد والآمال الواحدة وبالتالي لا يمكن القول بان هذه الأهداف بعيدة المدى أو قفزة في الهواء ، ولكن في الوقت نفسه فان الاتجاه المنطقي السليم هو أن الحركات الوطنية التي تهتم بالداخل في الإطار القومي هي الأقرب لتحقيق أهدافها من الحركات الأخرى ذات الأهداف القومية أو الإسلامية أو الإنسانية البعيدة المدى ، وأمامنا التجربة الأوروبية فالدول الأوروبية كافحت وناضلت حتى وصلت إلى درجة عالية من التقدم والرقى ، والآن تعمل بتؤدة وأسلوب الخطوة خطوة في سبيل الوحدة الأوروبية وبناء على ذلك قد حققت تقدما باهرا

بالخصوص ، فقد أزلت تأشيرة الدخول فيما بينها كما أزلت إلى حد بعيد الضريبة الجمركية ووحدت العملة وأقامت البرلمان الأوربي ، ولا شك أن كل ذلك يعتبر خطوات فائقة الروعة ، ولكنها قد تمت بأسلوب الخطوة خطوة كما سبق القول إذ استغرق تحقيقها الواحدة بعد الأخرى حوالي الثلاثين سنة ، وهذا الذي كان يجب أن يتم بالنسبة للأهداف القومية المنشودة في منطقتنا العربية .

هذا الاتجاه الذي ذكرناه يستوجب ملاحظتان هامتان : الأولى هي أن التوجه الوطني يجب ألا يخرج عن المصلحة القومية العليا ، فالمنطقة العربية بصفة عامة قد وقعت منذ أوائل القرن الماضي تحت هجوم من عدو شرس هو الإستيطان الصهيوني في فلسطين وتوسّعه في المنطقة المؤيد من الإمبريالية الأمريكية الهادفة للهيمنة على البترول ، وعليه بالنسبة لهذا الموضوع يجب أن يكون هناك وحدة في الموقف تجاه هذا الخطر الذي يهدد الأمة العربية بأكملها ، الأمر الذي يجعلنا ندين بكل قوة ما حصل من دولتين عربيتين من تصالح فردي مع الكيان الصهيوني ، والانزلاق إلى مسaire المخططات الأمريكية المشبوهة . والملاحظة الثانية التي يجب تحقيقها في هذه المرحلة هي محاولة خلق شبه برلمان عربي من المكاتب الدائمة للاتحادات المهنية والعمالية تجتمع تحت مظلة الجامعة العربية ولو لمرة واحدة في السنة كما جاء في رسالتنا إلى أمين الجامعة العربية "الوثيقة رقم 6" .

في أواخر 1957 حل موعد انتخابات المجلس التشريعي لولاية طرابلس ، ونظرا للسمعة التي تحصل عليها صاحبنا من حوادث 1956 وحكاية حبسه واعتقاله ، ألح عليه بعض شباب زاوية الدهماني أن يرشح نفسه لعضوية هذا المجلس ، وبالرغم من خشيته أن السلطات سوف لن توافق على هذا الترشيح لسمعته السيئة مع السلطة ، فإن حماس هذا الشباب وإلحاحهم شجعه على اقتحام هذا الخضم ، فقدم طلبا لهذا الغرض في الوقت المناسب ، ولذهوله وتعجبه وجد أن طلبه قد قبل وأنه أصبح أحد المرشحين لهذه العضوية وعليه خوض هذه المعركة ، معركة الانتخابات وما تحتاج إليه من مجهودات جبارة . وفي بداية هذه المعركة زاره في زاوية الدهماني الأستاذ أحمد السيد عثمان المحامي

شريك الأستاذ علي الديب وقدم إليه شيكا بمبلغ مائة دينار كمساعدة لمواجهة مصاريف المعركة ، ولكن صاحبنا شكر هذه البادرة الرائعة واعتذر عن استلام المبلغ ، والواقع أن صاحبنا لم يتكبد أية مصاريف ذات أهمية فقد تولى شباب زاوية الدهماني بمجهودهم وتبرعاتهم القيمة بكل ذلك ، وكل ما قام به صاحبنا هو أنه أعلن عن ترشيح نفسه في إحدى الصحف وقام بطباعة بعض المئات من المناشير قام الشباب بتوزيعها في المناطق الانتخابية ونشط هو في إلقاء الخطب الحماسية أيام الجمعة في مساجدها ، والواقع أن الناس كانوا متحمسين جدا لهذا الترشيح ، فالمرشح شاب متخرج من جامعة ومحام وله سمعة وطنية جيدة ، ومن حسن حظ هذا المرشح أن والي ولاية طرابلس في ذلك الوقت هو الأستاذ طاهر باكير من اعظم الشخصيات الطرابلسية ثقافة وخلقا وطنية ، كما أن رئيس المجلس التنفيذي في نفس الفترة أيضا هو الأستاذ نجم الدين فرحات لا يقل عن الوالي في أخلاقه وثقافته وطيبته ، هذا الإنسان الرائع كأنه شعر بخشية صاحبنا من تدخل السلطة ضده ، فبعث له برسالة شفوية مع الأستاذ علي الديب يطمئنه أن السلطات في ولاية طرابلس سوف لن تقف ضده ويؤكد له أنه إذا انتخبه الشعب فان الولاية يسرها أن يكون أحد أعضاء مجلسها التشريعي شاب مثقف مثله . وليقارن الناس ما كان يحصل في العهود السابقة التي يسمونها بالرجعية ، وما يحصل الآن في هذه العهود الكثبية ، عهود الحكم العسكري المجيد ؟!!!!

كان صندوق صاحبنا الانتخابي هو الصندوق الأصفر فكان الناس يصيحون في طول المنطقة وعرضها "الأصفر .. الأصفر .." وهكذا نجح صاحبنا نجاحا ساحقا فقد كان بينه وبين منافسه مسافة شاسعة تعد بالآلاف الأصوات ، وقد أعلن عن هذه النتيجة مساء حوالي صلاة العشاء ، وعند هذا الخبر خرج الناس خصوصا في زاوية الدهماني يصيحون كالمجانين من الفرحة التي عمت الجميع ، وقد نجح في هذه الانتخابات الأخ علي الديب عن منطقة الزاوية والأخ الهاشمي أبو خلال عن منطقة باب البحر ، فالتقت أفراح زاوية الدهماني مع أفراح باب البحر وبات الناس حتى الصباح في زيارات متبادلة وأفراح بين المنطقتين .

أصبح صاحبنا محاميا معروفا وعضوا في المجلس التشريعي لولاية طرابلس

له مكانته المحترمة ، ولكي يؤكد هذه المكانة فقد كون لجنة من بعض الزملاء الدارسين في مصر منهم الإخوة كامل المقهور وعامر الدغيس وعلي أبو زقية لمناقشة ما سوف يعرض في المجلس واتخاذ مواقف بشأنها يقوم صاحبنا في مداخلاته بعرضها ، وكان مما كانوا يتعاونون معه من الأعضاء في هذا الشأن علي الديب ومصطفي ميزران والهاشمي أبو خلال وعبد الله الإدريس من زوارة وعضو آخر من غريان هو الأستاذ محمد عراب ، ولكن بالرغم من هذا التعاون والاتفاق وان الذي نعرضه كان مقنعا كل الإقناع حتى أن البعض منهم كان يفعل مع ما نطرحه من مواضيع لدرجة الصباح بابداء الموافقة على ما نقول ، ومن هؤلاء الشيخ خماس الصرماني ، ولكن عندما يحل التصويت في المجلس كان التصويت في أكثر الأحيان في غير صالحنا ، إذ اغلب الأعضاء لهم مصالح مع السلطة وبالتالي فهم باستمرار يصوتون لصالحها ضدنا . والواقع أنه بالرغم من دراستنا للمواضيع المعروضة دراسة جيدة في اللجنة المذكورة فقد كان يتقصنا إمكانية إحضار الوثائق والأدلة المقنعة لما نعرضه في المجلس ، إذ أن البحث عن الوثائق والأدلة يحتاج في الغالب إلى مجموعة كبيرة من الموظفين المتعاونين في أجهزة الدولة ، الأمر الذي غير متوفر لدينا ، وهذا مما يدفع إلى تأكيد القاعدة السياسية وحتى الدستورية بأهمية تواجد الأحزاب ، فالحزب في الغالب يكون له كوادره المتعاونة في إبراز مصالح الوطن من وجهة نظر هذا الحزب أو ذاك ، وبالتالي يستطيع أن يقدم الأدلة والبراهين عما يطرحه من اقتراحات أو أفكار في المجالس التشريعية أو النيابية .

في هذه الفترة كان يتواجد اتحاد العمال الذي يرأسه أحد المعلمين السابقين هو السيد شيتة وكان هذا الاتحاد يضم بضع نقابات ، وعندما تكونت نقابة البترول كما سبق القول رأينا ألا ننضم إلى هذا الاتحاد لاعتقادنا أن السيد شيتة كان يستغل هذا الاتحاد لمصالح آنية لا تصل إلى جوهر مصالح تلك النقابات ، فاستقلت نقابة البترول بنفسها ، وحيث أن أكثر قياداتها من المثقفين فانضمت إليها نقابة المعلمين ثم نقابة صغار التجار ونقابة عمال الفنادق وبضعة نقابات أخرى ، ومن هذه المجموعة تكون اتحاد النقابات المهنية والعمالية بقيادة نقابة

البتروول وكان هذا الاتحاد الجديد منافسا لاتحاد شيئة وصار يزدهر ويتقدم تقدا ملحوظا خصوصا في صيف 1958 عندما وفدت مجموعة جديدة من الخريجين من مصر منهم عامر الدغيس وبرايم حافظ وغيرهم انضموا جميعا إلى نشاطات هذا الاتحاد وتولوا قيادته وانتخب أخيرا الأخ إبراهيم حافظ أمينا عاما لهذا الاتحاد .

في هذه الفترة صارت سمعة صاحبا تزدهر وتلفت إليه الأنظار ، فهو عضو في المجلس التشريعي لولاية طرابلس ومحام خريج ونجح في القضايا التي يتولاها ، وعليه صارت شركات البترول ، موبل اويل واسو وغيرها من المؤسسات النشطة في الحقل البترولي تتصل به وتحاول التعاقد معه ليتولى قضاياها ، وقد سره ذلك ولكنه اشترط لقبول ذلك شرطا تعزيبا لا يمكن قبوله من تلك الشركات وهو أنه لن يتولى أي قضية ضد العمال مهما كانت ومهما كان سببها ، ولا شك أن هذا الشرط لا يخلو من حماقة والافتقار إلى طريق الصواب حتى بالنسبة لمصلحة العمال ، ذلك أنه بتوليه قضايا الشركات بصفة عامة ومن بينها قضايا العمال ، في إمكانه دفع هذه الشركات بالإقناع والقانون إلى اتخاذ مواقف تصالحية وفي صالح العمال أنفسهم. المهم أن صاحبا قد تبنى قضايا العمال ضد الشركات ، وانغمس في هذه اللجة وكانت أكثر القضايا العمالية يتولاها مجانا ، وفقد بذلك أهم مصادر رزقه ، وفي الوقت نفسه لم يحفظوا هؤلاء القوم هذه التضحية التي قدمها في سبيل ما ظنه من المبادئ الأساسية التي ألزم بها نفسه ، وفي هذه الفترة صدر قانون للعمال يحافظ على حقوقهم خصوصا فيما سمي بالفصل التعسفي الذي استفاد منه العمال استفادة واسعة وقد طبق ضد شركات البترول بصورة مبالغ فيها تكاد تصل إلى تعسف مضاد .

كما سبق أن أشرت أنه بعد نجاح الانقلاب العسكري في العراق في سنة 1958 واستقراره ، قرر اتحاد المحامين العرب إقامة مؤتمرا للمحامين في بغداد ، وكان الأستاذ علي الديب في ذلك الوقت يمثل المحامين الليبيين ، فاستدعي لحضور هذا المؤتمر ممثلا لليبيا ، فعرض على صاحبا الذهاب معه لحضور هذا المؤتمر الأمر الذي رحب به وبامتنان ، وقد جرت العادة أن يلقي رؤساء وفود المحامين خطابا عند افتتاح المؤتمر ، وقد كان خطاب الأستاذ علي الديب في هذا

المؤتمر هو اعظم خطاب ألقى في هذا الاجتماع بالرغم أنه قد ألقى ارتجالاً فكان موفقاً فيه كل التوفيق ، وقد لاحظ صاحبنا في هذا الاجتماع سيطرة اليساريين على الموقف ، فكانوا لا يقبلون أي حديث عن القومية العربية أو تمجيد الوحدة التي كانت قد تمت بين سوريا ومصر ، فكانوا يتشنجون لذكر أو تمجيد هذه الخطوات بل كان يصل الأمر منهم في بعض الأحيان إلى السب والشتم بألفاظ قذرة وكذلك الضرب بالأيدي والركل بالأرجل ، وقد تألم صاحبنا لهذه المواقف اشد الألم فهو بالرغم من انتمائه القومي كان يشعر بنوع من التعاطف مع اليسار خصوصاً أنه قد قرأ العديد من الكتب اليسارية وتفهم وجهة نظرهم وهو وان كان يخالفها باتجاهه القومي فهو لا يصطدم بها بل يعتبرها خطوة تالية في مراحل التطور البشري لا يمكن القفز إليها مباشرة ، وكان يعتبر أن أصدقاءه وزملاءه من اليساريين من مثل الأستاذ المقهور والأستاذ أبو زقية والأستاذ البكوش من الاخوة الشرفاء الذين يمكن التعاون معهم في المجال الوطني ، ولكن الصورة التي شاهدها وعاشها في بغداد هزته هذا عنيفا ورجع إلى ليبيا وفي نفسه ما فيها من استياء يمثله اليسار العربي مع الأسف الشديد ، وبالصدفة أنه عندما رجع إلى ليبيا قرأ مقالا للأستاذ أبو زقية منشورا في إحدى الصحف ينتقد فيه الاتحاد الحاصل بين سوريا ومصر ويؤيد موقف عبد الكريم قاسم الذي يرفض الانتماء إلى ذلك الاتحاد ، هذا الموقف من الأستاذ أبو زقية اغضب صاحبنا غضبا شديدا دفعه إلى مقاطعة هذا الإنسان لمدة طويلة بالرغم من الصداقة الحميمة التي كانت تربطهما والتعاون الخصب الذي كانا يمارسانه سويا في المجال الوطني . وهذه الحادثة جعلت صاحبنا يعيد تفكيره حول الانتماء الحزبي ، فهو كان يفضل أن يكون هذا الانتماء في حدود الوطن بمعناه الإقليمي وكما سبق القول أنه قد كون خلايا من الطلبة الليبيين أولا في مصر ثم في ليبيا بهذا المعنى. ولكن هذه الحادثة في موقف الأخ أبو زقية ، وما اصطدم صاحبنا به من تصرفات اليساريين في العراق جعلته يرى أن هذه التكتلات السائدة في الوطن العربي من قوميين وبعثيين وإسلاميين وشيوعيين هي واقع لا يمكن تجاهله وأن نضاله المحدود في الإقليم الليبي سوف تجرفه هذه التيارات المتصارعة ، كما سبق القول في قراره اتخاذ الخط القومي في نضاله المستقبلي .

نعود إلى نضال صاحبنا في المجلس التشريعي لولاية طرابلس الذي استمر من أواخر 1957 إلى أواخر سنة 1961 فقد كانت له مواقف جيدة صفق لها المجلس بأكمله أكثر من مرة ، المقام لا يتسع لذكرها بتفصيلاتها ومناسباتها ، يمكن الرجوع إليها في مضابط اجتماعات المجلس التشريعي ، ولكن يمكن ذكر موضوع خطير جدا أثاره صاحبنا هز أركان الولاية وربما الدولة بأكملها ، هو موضوع مطار الملاحة المعروف بـ"الويلوس" فالواقع الذي شاهده صاحبنا وكثير من المواطنين أن كثيرا من الأشخاص وخصوصا من اليهود والمشبهين يدخلون إلى هذا المطار ويخرجون منه بدون أي رقابة من الدولة ، وهناك إشاعات متعددة تصل إلى التأكيد أن هؤلاء اليهود والمشبهين يغادرون ليبيا ويرجعون إليها عن طريق هذا المطار وبطائرات أمريكية ولا تعرف السلطات الليبية ما وراء كل ذلك ، وعليه فقد طرح صاحبنا هذا الأمر في صورة استجواب من المجلس التشريعي ، وطالب من حكومة ولاية طرابلس أو الحكومة الاتحادية جعل بوابة ليبية تسبق البوابة الأمريكية في مطار ويلوس يكون للسلطات الليبية التحقق من الداخلين إلى المطار من غير الجنود الأمريكيين وما هي الأهداف من هذا الدخول وكم ساعة يسمح بها هؤلاء الأشخاص داخل المطار . طلبت الحكومة مهلة أسبوعين للرد على هذا الاستجواب ، وقد هز هذا الموضوع وإثارته في المجلس ، حكومة الولاية والحكومة الاتحادية هزا عنيقا ، وصار حديث الناس في أنحاء ليبيا ، وبناء عليه استدعي صاحبنا من قبل رئيس المجلس التنفيذي للولاية المرحوم الأستاذ نجم الدين فرحات ، وكان هذا الرجل العظيم يقدر صاحبنا تقديرا خاصا ، فعاتبه على إثارة الموضوع الخطير وطلب إليه بمودة وأخوة سحب هذا الاستجواب لما يمكن أن يترتب عليه من كوارث للولاية ، فتساءل صاحبنا ، ألسنت معنا يا سيادة الرئيس بان مطار الويلوس بوضعه الحالي بدون رقابة السلطات الليبية لمن يدخله أو يخرج منه ، يشكل خطورة على مصالح الوطن وسلامته؟؟ فرد ذلك الرجل الطيب المحنك ، أن الولاية لو وافقت على ما ذهبت إليه من جعل بوابة ليبية تسبق بوابة المطار ، لطارت حكومة هذه الولاية بمجلسها التنفيذي وحتى سيادة الوالي

في أربع وعشرين ساعة . وبرعونة رد صاحبنا ، إذا كنا على حق فلا بد لنا من التضحية حتى بأنفسنا ، فكان رد ذلك السياسي المحنك ، إننا نعالج الأمور خطوة بخطوة ولا نقترّب من المسائل الحساسة حتى يأتي وقت إثارتها ، ولعلك تعلم أنه لولا وجودي في هذا المركز ووجود الأستاذ طاهر باكير في مركز والي الولاية حيث وقفنا ضد أي تزوير في معركة الانتخابات لما نجحت أنت وصرت عضواً في المجلس التشريعي ، ألا ترى أن عملنا هذا بإتاحة الفرصة للمثقفين والوطنيين أمثالك تعتبر خطوة جيدة في الطريق؟؟!! المهم أن هذا الحوار لم يقنع صاحبنا بالتراجع وان كان يحمل تقديراً خاصاً ومحترماً للسيد فرحات والسيد باكير ، فاستمر في طرح هذا الموضوع الخطير في المجلس ، وبالرغم من أن أغلب أعضاء المجلس كانوا متحمسين للموضوع ، فانه عندما حل موعد مناقشة الاستجواب ، طالبت الحكومة بسحب هذا الموضوع من الجدول ، وصوت المجلس على هذا الطلب ، وكانت النتيجة كما هي العادة في صالح السلطة التنفيذية ، ووقف صاحبنا وزملاؤه لا حول لهم ولا قوة .

من المسائل الأخرى التي حصلت في هذا المجلس والتي يذكرها صاحبنا ويعترف بخطئه فيها هو أنه عندما قرر ولي العهد السيد الحسن الرضا وهو زوج ابنة والي الطاهر باكير ، الذي يحترمه ويقدره ، رفض صاحبنا الحضور إلى المجلس لكي لا يمد يده إلى ولي العهد مع أن هذا الإنسان عرف بالطيبة والخلق القويم ، وكانت وقعت له حادثة معه سيأتي ذكرها في المستقبل ، دلت على ارتفاع وسمو أخلاق هذا الإنسان ، رحمه الله رحمة واسعة واسكنه فسيح جنانه .

الحادثة الأخرى الجديرة بالذكر في هذا المقام هي أن المجلس قرر زيادة مكافأة أعضائه من أربعين جنيهاً إلى ستين جنيهاً ابتداءً من الشهر التالي لهذا القرار ، وحيث أن صاحبنا حسب دراسته في القانون الدستوري ، يعلم أنه لا يجوز للسلطة التشريعية أن تقرر مكافآت أو زيادات لنفسها ، وان كان لا بد من هذه الزيادة فلتكن للمجلس اللاحق أي للمجلس المنتخب الذي يأتي بعد انتهاء مدة المجلس السابق أو حله . فانه بناءً على ذلك امتنع عن تسلم هذه الزيادة وتبرع بها إلى اتحاد النقابات المهنية والعمالية ، فاتفق مع سكرتارية

المجلس أن يأتي كل شهر رئيس ذلك الاتحاد لتسلم العشرين جنيها التي قرره المجلس زيادة لنفسه .

استقرت أوضاع صاحبنا وصار دخله لا بأس في مهنة المحاماة ، فتعلم سياقه السيارة واستطاع أن يتحصل على سيارة شيفروليه بثلاثمائة دينار مستعملة ولكنها جيدة جدا بقت معه أكثر من خمس أو ست سنوات ، وفي الوقت نفسه تحصل على مكتب لائق يقع في عمارة البنك الزراعي بين شارع عمر المختار وشارع الرشيد به أربع حجرات وصالة ومطبخ وحمام ، وبناء على هذا الوضع الجديد استقال الأستاذ صالح الشريف من مكتب الصنائع وصار موظفا بمكتب صاحبنا بمرتب لائق ، كما أن بعض طلبة كلية الحقوق الذين تخرجوا حديثا منهم عامر الدغيس وعامر البكوش وغيرهم التحقوا بهذا المكتب كمتدربين .

الفصل التاسع

المزرعة والزواج والانغماس في العمل الحزبي والسجون مرة أخرى

في هذه الفترة أي في أواخر 1958 عرضت على صاحبنا قضية مهمة من أحد الإيطاليين ، تتلخص هذه القضية في أن أحد الإيطاليين كان يملك في أبو سليم طريق السواني مزرعة من أربعين هكتارا ممنوحة من العهد الفاشستي الذي انشأ في ليبيا آلاف المزارع مثل هذه المزرعة ومنحها للإيطاليين المهاجرين إلى ليبيا ، وكان هذا الإيطالي له أربعة أولاد ، وعندما توفي الوالد آلت المزرعة إلى أكبرهم سنا كما هو النظام أو الشروط التي قررها القانون الفاشي حتى لا تتمزق ملكية هذه المزارع ، كما هو النظام المعمول به في بريطانيا على ما أذكر. وقد استولى على هذه المزرعة أحد الإخوة غير المستحق لها ، وكان يستند في هذا الاستلاء على تأييد أحد وكلاء النيابة المعروف في المحيط القضائي بالشبهات التي تدور حوله . المهم أن الإيطالي صاحب الحق حسب عقد الملكية المسجل في الشهر العقاري عندما يئس من التفاهم مع شقيقه المسنود من وكيل النيابة إياه ، لجأ إلى صاحبنا لرفع دعوى تثبيت الملكية له وطرد شقيقه المتعنت من المزرعة .

القضية واضحة وضوح الشمس حسب الشهادة العقارية الصادرة من دائرة الشهر العقاري ، فحاول صاحبنا في بادئ الأمر أن يقنع الشقيق المستولي على المزرعة بحق شقيقه القانوني وعليه محاولة التفاهم معه ، ولكنه تمسك متعنتا بوضعية الحيازة للمزرعة مستندا على تأييد وكيل النيابة إياه ، فحاول صاحبنا التفاهم مع السيد وكيل النيابة في هذا الأمر ولكن دون جدوى ، فاضطر صاحبنا إلى رفع الدعوى ، ولم تمض أكثر من أربعة أو خمسة أشهر حتى حكم فيها بداية واستئنافا لصاحب الحق بتثبيت ملكيته وطرد الشقيق الحائز للمزرعة . ولا زال صاحبنا يذكر بأسى وألم شديد يوم تنفيذ ذلك الحكم ، حيث اخرج أثاث ذلك الشقيق المتعنت ووضع في قارعة الطريق وكان أطفاله يبكون وزوجته تجري وراء الدجاج والأرانب لجمعهم في قفص ، أنه منظر مأساوي يفتت الأكباد ، والذنب

الأساسي في هذه المأساة هو التأييد الأعمى من وكيل النيابة إياه لذلك الشقيق المتعنت . من الجانب الآخر يشعر صاحبنا الآن بتأنيب الضمير بكون أنه اخطأ في الإسراع في تنفيذ ذلك الحكم بالطريقة المأساوية المشار إليها ، فقد كان من الواجب عليه حسب مبادئه الإنسانية أن يجمع الأخوين بعد صدور الحكم لصالح الشقيق الأكبر ، ومحاولة التوفيق بينه وبين شقيقه الأصغر ، حيث أنه في هذه الحالة سيتخلى عن تعنته ، وفي هذه الحالة كان من الممكن خلق التصالح بينهما ، على أي حال فإن ذلك المنظر المأساوي للأطفال وهم يبكون والزوجة وهي تجري تطارد دجاجها ودموعها تجري على خدودها لا يمكن أن ينساه صاحبنا ، فبالرغم من مرور حوالي نصف قرن على ذلك الحادث المؤلم فإنه يحس بالأسى والندم أنه لم يتصرف التصرف الإنساني كما يجب أن يكون ، المهم سلمت المزرعة ووضع فيها حارسا مؤقتا ، وبعد ثلاثة أو أربعة أيام جاء الإيطالي الذي كسب القضية وطلب إلى صاحبنا أن يبحث له على من يشتري تلك المزرعة ، ويا حبذا لو اشتراها ذلك المحامي . كان صاحبنا باعتباره محامي العمال والطبقة المسحوقة يحاول الابتعاد عن اقتناء العقارات باعتبار ذلك ، بحسب اجتهاده الذي لا يخلو من السذاجة ، يتعارض مع خطه الاشتراكي ، وبالتالي تردد في قبول هذا العرض ، وحاول فعلا أن يجد من يشتري تلك المزرعة ، ولكن صديقه الأستاذ عامر الدغيس الذي يشاركه في خطه السياسي ، والذي كان في ذلك الوقت محررا للعقود أي موثقا ، شجعه بل حثه على شراء تلك المزرعة ، وهكذا كان . حيث دفع فيها ما طلبه ذلك الإيطالي وهو مبلغ أربعة آلاف دينار ينقص منهم مائتين وخمسين دينارا مستحقة لصاحبنا كأتعاب محاماة ، تم التعاقد في مكتب الأستاذ عامر وسجل العقد في مصلحة الشهر العقاري واستلم صاحبنا المزرعة بما لها وما عليها .

المزرعة كبيرة وواسعة ، أربعين هكتارا أي حوالي مائة فدان ولكنها شبه صحراء ليس بها إلا أشجار الزيتون واللوز المتهالك ، كما بها منزل قديم للسكنى ، وبها بئر يدار بمروحة هوائية ، وبها حوالي نصف هكتار من أشجار البرتقال الذي يكاد يموت بسبب قلة الري ، كما بها حوالي نصف هكتار من

العنب البعلبي ، كما أن المزرعة محاطة من جميع الجهات وفي بعض تقسيماتها بأشجار السرو الضخمة العالية كمصدات للرياح ، والميزة الكبيرة لهذه المزرعة أنها قريبة جدا من وسط المدينة إذ أنها لا تبعد عن قلب المدينة بأكثر من تسع أو عشر كيلومترات . وقد وفق صاحبنا إلى من يتولى إدارتها بكفاءة هو الأخ رمضان الغرياني فاستطاع أن ينتج الطمامم الشتوي والبطيخ وان يزرع القمح والشعير وأن يقوم بري أشجار البرتقال وأن يغرس كميات جديدة منها ، بعد أن توفرت المياه بتشغيل المحركات الكهربائية ، فاستطاع رمضان الغرياني أن يكون إنتاجا معقولا للمزرعة بالرغم من أنه لا زالت نفقاتها أكثر بكثير من دخلها المحدود .

في هذه الفترة 1959 وصل عدد أعضاء الحزب إلى حوالي السبعين عضوا من الولايات الثلاث طرابلس وبرقة وقران ، هذا بخلاف الأنصار والمؤيدين ، فتقرر إقامة مؤتمر من هؤلاء الأعضاء حيث روجعت النشاطات السابقة ووضع تخطيط لأعمال المستقبل وانتخبت قيادة مكونة من ستة أعضاء كان صاحبنا من بينهم ، كما انضم إلى هذه القيادة الدكتور سعدون حمادي وهو عراقي كان موظفا بالبنك المركزي بقسم الأبحاث الاقتصادية ، باعتباره أحد القيادات المعروفة في الوطن العربي ، كما انضم إليها الأخ الفلسطيني الأستاذ تاج الدين غانم الذي كان مدرسا في مدينة سبها فكانت هذه القيادة تجتمع كل أسبوعين وكانت اغلب هذه الاجتماعات تتم في منزل صاحبنا ، هذا وقد اشتد نشاط الحزب وانضم إليه عدد كبير من الشباب المثقف وطلبة الجامعة .

كان صاحبنا يسافر صيف كل سنة إلى مصر بسيارته الشيفروليه السوداء المعروفة باسم "أم الحبايب" وكان يقيم في هذه الزيارات بمنطقة الدقي عند صديقه المقدم عون شقيقة الذي كان في ذلك الوقت يدرس في كلية أركان الحرب في مصر . وفي هذه السنة كان الأخ إبراهيم حافظ قد قرر عقد القران على خطيبته التي كان يعرفها عندما كان طالبا ، وفي حفلة الزفاف حيث حضره مجموعة من الإخوة الليبيين وكان صاحبنا من بينهم ، حيث لفت نظره فتاة تمتاز بالجمال والأتزان في تصرفاتها كانت صديقة مقربة من أخت العروس ، وحيث أن

صاحبنا كان في ذلك الوقت يبحث عن رفيقة الحياة ، فقد دعا صديقه إبراهيم وزوجته بعد حفلة الزفاف بحوالي أسبوع إلى العشاء في أحد الفنادق الفخمة وطلب إليه أن يدعو أخت زوجته وصديقتها التي لفتت نظر صاحبنا . في الموعد المحدد لدعوة العشاء لم تحضر تلك الفتاة محل الاهتمام ، وقيل لصاحبنا أنها اعتذرت عن قبول هذه الدعوة ، فاستاء صاحبنا استياء شديدا لهذا الموقف ، واعتبره رفضا لتطوير العلاقة ، وان كانت الملابس التي حدثت بعد ذلك قد دلت بطريقة أو أخرى أن أصهار الأستاذ إبراهيم كانوا لسبب أو لآخر لا يجذون تطوير هذه العلاقة بين صاحبنا وتلك الفتاة ، والله يعلم ما هي الأهداف من ذلك .

انتهت فترة الإجازة ورجع صاحبنا إلى الوطن وغرق في عمله المهني ولكن صورة تلك الفتاة لم تفارق خياله ، وفي الصيف التالي كما هي العادة سافر بسيارته إلى مصر ، وهو لا يدري ما هي الدوافع أو الأقدار التي تدفعه إلى محاولاته المستميتة في أن تكون رفيقة حياته من القطر المصري!!! وقد حاول هنا وهناك للوصول إلى هذا الهدف ولكن دون جدوى . وفي يوم من الأيام وهو في منطقة الدقي في ضيافة صديقه المقدم عون شقيقة كما سبق القول ، إذ قابله الأستاذ عبد الحميد البكوش الذي كان قد حضر إلى مصر لدراسة الماجستير ، فجرى الحديث بينهما حول رفاقه في الدراسات العليا وان من بين هؤلاء الرفاق السيدة سامية راشد التي سألت عن أحوال صاحبنا عندما علمت ان الأستاذ البكوش وافدا من ليبيا ، ومن هذا الحديث تطرق القول إلى أمور الزواج واختيار الفتاة المناسبة حتى وصل الحديث إلى ذكر تلك الفتاة التي شغلت فكر صاحبنا وكيف أنها اعتذرت عن تلبية دعوة العشاء السابق الإشارة إليها . الأستاذ عبد الحميد من الزملاء المعروفين بالذكاء اللماح ، فابلق صاحبنا أن هذا الاعتذار غير طبيعي ، فكيف ترفض فتاة دعوة شاب محامي وعضو مجلس تشريعي ومعه سيارة شيفروليه فخمة ، خصوصا أن هذه الدعوة ستكون بحضور إبراهيم وزوجته وصديقتها شقيقة زوجة إبراهيم؟؟ إن في الأمر ملابس غامضة لا بد من كشفها ، وسأل صاحبنا هل تعرف عنوان سكنى هذه الفتاة أو مكان عمل

والدها؟ والإجابة كانت بالنفي ، والشخص الوحيد الذي يمكن أن يعرف ذلك هو الأستاذ إبراهيم . وبالصدفة العجيبة وتخطيط الأقدار ، بينما الطرفان في هذا الحديث مر قريهما الأستاذ إبراهيم ، وبعد السلام والترحاب استطاع الأستاذ عبد الحميد بأساليبه الذكية أن يعرف عنوان والد تلك الفتاة ، وبعد أن غادر الأخ إبراهيم ، طلب الأخ عبد الحميد الإسراع بالذهاب إلى ذلك العنوان بالحلمية الجديدة ، قرب مقر الإخوان المسلمين ، حيث طلب انتظاره هناك وذهب هو سيرا على الأقدام لمقابلة الحاج عبد الرحمن لاشين في دكانه الذي يبعد عدة خطوات ، وذكر له كل ما جرى ومن هو هذا الشاب وله أن يسأل السفارة الليبية عنه ، فطلب ذلك الرجل الطيب إمهاله ثلاثة أيام ليعطي رده في الموضوع ، وفي الموعد المحدد ومقابلة الرجل جاء الأخ عبد الحميد بالبشرى وانه قد حدد موعدا بعد ثلاثة أيام للذهاب إلى منزل العائلة لخطبة تلك الفتاة رسميا ، وفي الموعد ذهب صاحبنا ومعه الأخ عبد الحميد وزميل آخر لا يذكر اسمه الآن حيث قابل أفراد الأسرة وتمت الخطبة وتحدد موعد عقد القران في الشهر العقاري كما يتطلب القانون من زواج غير المصريين .

بدأ صاحبنا حياته الزوجية بعد أن استأجر شقة على البحر قرب سيدي الشعاب وفندق المهاري وكان ذلك في أواخر سنة 1960 ، وفي هذه الفترة ازداد نشاط الجماعة الحزبي وان كان لا زال تحت الأرض ، حيث أن السلطات الليبية كانت تمنع تكوين الأحزاب وتعاقب على أي نشاط حزبي ، وكان هذا النشاط يتركز أساسا على توزيع المناشير التي تحض على التخلص من القواعد العسكرية الأمريكية في مطار "الويلوس" بطرابلس ، والبريطانية المنتشرة ببرقة ، كما أن هذه المناشير كانت تنادي بوحدة ليبيا وإنهاء وضع الولايات الذي كان يستنزف ميزانية البلاد في ثلاث حكومات للولايات والحكومة الرابعة الاتحادية ، وكانت هذه المنشورات توزع سرا في ولايات طرابلس وبرقة وفزان في يوم واحد ، الأمر الذي اقلق السلطات الحاكمة قلقا شديدا ، فصارت مخبراتها وشرطتها السرية تجوب البلاد بحثا عن أصحاب هذه المناشير .

في أواخر يونيو 1961 اقترب موعد وضع زوجة صاحبنا مولودها

الأول ، فطلبت أن يكون ذلك عند والدتها بمصر ، وهكذا انتقلت إلى القاهرة في أواخر هذا الشهر ، وفي السادس عشر من الشهر التالي ابلغ صاحبنا بابنه الأول ، وحيث أن شهر لوليو هو الشهر الذي تبتدئ به إجازة القضاء التي تمتد لمدة شهرين ، فقد رأى أنه من المناسب أن يذهب إلى مصر لقضاء أسبوعين أو ثلاثة هناك ثم الرجوع بابنه وزوجته بسيارته ، وبعد وصوله إلى القاهرة بجاولي عشرة أيام وصلته تلك الأخبار المزعجة بأن معظم أفراد الحزب قد قبض عليهم من السلطات الليبية وهو يعتبر من المطلوبين أيضا ، فقرر الرجوع إلى ليبيا لمشاركة زملائه في هذه المحنة ، ولكن القيادة وهي في السجن أرسلت إليه تطلب إليه البقاء مكانه حيث يمكن الاستفادة من هذا الوضع ، وفعلا صار صاحبنا لاجئا من جملة اللاجئين العرب في مصر ، وبدأ يبحث عن أصحاب هذه التجربة المريعة ، علّه يستطيع الاستفادة من تجاربهم لنفسه ولرفاقه الذين في السجن ، وهدهاه الله إلى الأخ مدحت جمعة ، وهو من الشباب العراقي اللاجئين في مصر بعد محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم ، فعرفه بمجموعة كبيرة من اللاجئين في مصر ، منهم اليمني والسوداني والسوري والتونسي والجزائري .. وغيرهم ، مما ينطبق عليهم قولة شوقي ، كلنا في الهم شرق ، فاهتم الجميع بقضية صاحبنا ، وبعض الاخوة احضر له من طرابلس صورة من محاضر الشرطة والنيابة في هذه القضية سلمها بعد الاطلاع عليها إلى الاستاذ الكزبري وهو من رجال القانون المشهورين في العالم العربي ، حيث كتب مذكرة مطولة في حوالي عشرين صفحة ، تدحض التهمة الموجهة إلى صاحبنا ورفاقه ، فأرسلت فوراً إلى المحامين الذين تولوا هذه القضية في طرابلس .

وفي هذه الفترة شعر صاحبنا أنه ملاحق باستمرار من المخابرات المصرية ، فتضايق من ذلك أشد الضيق ، فاشتكى بهذا الخصوص إلى الأخ محمد المصري الملحق العسكري الذي تعرف عليه في بنغازي في رحلته إلى الحدود المصرية في أواخر سنة 1956 ، فقبل له أن هذه الملاحقة هي لحمائته من جهات أخرى ربما أقدمت على إيذائه ، لم يقتنع صاحبنا بهذا الادعاء ، ولكن ما باليد حيلة .

في هذه الفترة من سنة 1961 نكبت الأمة العربية بتدمير الخطوة الوحودية

التي قامت بين مصر وسوريا في سنة 1958 ، فتم الانفصال بين القطرين ، إذ شعر الشعب العربي في سوريا أن تضحياته الواسعة في سبيل هذا الاتحاد لم تقدر التقدير الصحيح ، وحاولت القيادات المصرية أن تزيح القيادات السورية - التي عن طريق مجهوداتها وتضحياتها تم الاتحاد - عن مراكز السلطة حتى في القطر السوري ، وحكمت عبد الحكيم عامر وأذنا به من رقاب القيادات القومية في هذا القطر الذي يتأجج باندفاعاته القومية .

كان صاحبنا في هذه الفترة أيضا ، يزور باستمرار صديقه الحميم الأستاذ محمد مصطفى البرادعي نقيب المحامين بمصر حيث يجد لديه كل التكريم والحفاوة والاهتمام بقضيته أو مأساته ، وفي يوم من الأيام طلب إليه الاستعداد للسفر إلى لبنان لحضور اجتماع المكتب الدائم لاتحاد المحامين العرب في مدينة طرابلس لبنان ، كما طلب إليه استدعاء أحد الزملاء المحامين في ليبيا لحضور هذا الاجتماع . إن الأستاذ علي الديب كان في ذلك الوقت يتقلد رئاسة المجلس التنفيذي لولاية طرابلس ، وبالتالي تعذر استدعاءه ، ورأى صاحبنا أن خير من يمكن أن يحل محله هو الأستاذ عبد الحميد البكوش . وفي هذا الاجتماع بمدينة طرابلس لبنان كان على صاحبنا أن يلقي كلمة المحامين الليبيين ، حيث تعرض فيها إلى حادثة الانفصال وجعل اللوم كل اللوم على القيادة المصرية التي لم تراعى حساسية الشعب العربي بسوريا واعتزازه بكرامته وعروبته ، فحكمت في رقبه أناس يغلب عليهم الجهل والغطرسة الأمر الذي لا يمكن أن يتلعه هذا الشعب الأبي ، ولا شك أن القيادة المصرية قد كررت خطأها الذي ارتكبه في الجزائر بعيد نجاح كفاحها وتضحياتها في الوصول إلى استقلال هذا القطر العربي الشائر ، فحاول ذلك المدعي رجل المخابرات المصرية ، المدعو الديب ، التدخل في شئونها والهيمنة على قياداتها ، الأمر الذي أثار الشعب الجزائري وأنساه مساعدات مصر العظيمة القيمة في نضاله وثورته ، فأخرج برودة فعل غاضبة ، جميع المصريين من أرضه بطريقة غير كريمة ، حتى أن البعض منهم اخرجوا بأثواب النوم . هذا القول أثار الكثيرين في هذا الاجتماع ، المفروض أنه اجتماع مثقفي الأمة الذين يعالجون أخطاء قادتها ويواجهونهم بالحقائق التي قد تخفى

عليهم بسبب زمرة المطبلين الذين يدورون حولهم ، ولكن سيطرة روح النفاق على الكثير من هؤلاء المعترضين على كلمة صاحبنا جعلتهم يقفون هذا الموقف المتشجع ، فصاحبنا على أي حال يعلم جيدا أن بعض هؤلاء الثائرين ضده ، هم في السر ، يعترضون بقوة وشدة ، على سياسة عبد الناصر وزمرته ، ولكنه النفاق والكذب الذي دمر أخلاق ومبادئ هذه الأمة المجيدة .

انتهت اجتماعات المكتب الدائم ، ورجع صاحبنا ورفيقه في هذه الاجتماعات الأستاذ عبد الحميد البكوش إلى بيروت لقضاء يومين أو ثلاثة في هذه المدينة الصاخبة المثيرة المليئة بكل أنواع فنون الترفيه وجدانيا وعقليا ، وجلس الزميلان في إحدى مقاهي الروشة في ذلك الجو الساحر الجميل ، وهنا فتح الأستاذ عبد الحميد الموضوع الذي كان يصارع في كتمانها كل الأسبوع السابق ، ففاجأ صاحبنا بموجة من اللوم والنقد على خطابه السابق الإشارة إليه ، باعتبار أن ذلك الخطاب فيه الكثير من الشدة والصرامة التي لا تتفق مع هذه الأجواء ، وكانت نتيجته ذلك الهجوم الشرس علينا من الذين يصطادون في الماء العكر ، بدون أن نحقق أي شيء ، وقال إن هذه الأجواء تحتاج إلى الكثير من المرونة والحكمة والتبصر إذا أردنا الوصول إلى بعض النتائج ، وبهذه المناسبة ، دعني أقول لك انك قد فوتت على نفسك ووطنك الكثير من الفرص ، فأنت عضو محترم في المجلس التشريعي لولاية طرابلس ، ووالي الولاية السيد طاهر باكير ورئيس مجلسها التنفيذي السيد نجم الدين فرحات كانا يكتنان لك الكثير من التقدير ، ولو كنت أكثر مرونة في المجلس وعرفت من أين تؤكل الكتف ، لرحب هذان الرجلان بإسناد نظارة العدل إليك ، فاستطعت بذلك خدمة القضاء والقانون في بلادك ، وبالتالي خدمة بلادك أكثر من تلك المواقف النارية في المجلس التي لا تعجب إلا الغوغاء في البلاد ، أنك وأمثالك يهتمكم إعجاب هؤلاء الغوغاء على المصلحة الحقيقية للبلاد . إن هذا النقد واللوم في الواقع فيه الكثير من الحقيقة ولكنه ليس كل الحقيقة ، وبالتالي كان رد صاحبنا ، إن المرونة التي يذكرها الأستاذ ، كانت السبب دائما في تشجيع عناصر الشر والمطبلين والمزمرين في اندفاعهم ، بسبب أنانيتهم ، نحو تدمير مصلحة الوطن

العليا ، إن الشدة في الحق وان كانت لا تأتي بالنتائج المرجوة في المدى القريب ولكن ربما بعكسها ، فإنها في المدى البعيد هي التي سوف تنتصر النصر النهائي على هذه العناصر الأنانية الشريرة .

واستمر النقاش الودي بين الزميلين حتى سافر الزميل المذكور إلى الوطن وسافر صاحبنا إلى مقر لجوئه بالقاهرة ، ومع ذلك لا زال ذلك الحوار الودي قائما بين الطرفين حتى اليوم . والواقع أن خطة الأستاذ عبد الحميد قد نجحت إلى حد بعيد ، فهو بعد ذلك اللقاء في بيروت يبضع سنوات قليلة قد استطاع بذلك الأسلوب الذكي المرن أن يصل إلى تولى وزارة العدل بعد قيام الوحدة بين الولايات الثلاث ، بل أنه بعد سنتين أو ثلاث توصل إلى ثقة الملك ووصل إلى رئاسة الحكومة ، وبدأ يقوم بإصلاحات رائعة في الوطن العزيز ، ولكن عناصر الشر لم تتركه يكمل مهمته الرائعة ، فلم تمض أكثر من سنة وبضعة أشهر حتى أقيمت وزارته ، وعين سفيرا في إحدى الدول في أوروبا . ولا زالت وجهتي النظر تتصارعان في المنطقة العربية حتى اليوم ، ولا زال صاحبنا ، بالرغم من المآسي والنكبات التي تعرض لها وبالرغم من محاولاته أن يكون أكثر مرونة ، لا زال يؤمن بان الحق حق والباطل باطل مهما امتد الزمن ومهما كانت النتائج ، ومبدأه هو الرجوع دائما إلى قولة والده ، أن النجاة في الصدق ، الصدق والصدق ولا شيء غير الصدق .

بعد رجوع صاحبنا من لبنان إلى القاهرة كانت الأيام تمر بطيئة متبلدة ، وازداد حنينه إلى وطنه وبيته ومكتبه ، كما أنه كان يتألم لذكرى زملائه وهم في غياهب السجون وكان يتمنى أن يشاركهم هذه المحنة ، وكثيرا ما ابلى صديقه العراقي الأستاذ مدحت جمعة برغبته الرجوع إلى ليبيا وليكن ما يكون ، فكان هذا الصديق ينصحه بالانتظار حتى صدور الحكم في القضية ، وإذا كان الحكم بأقل من الإعدام وحتى لو كان المؤبد ، فانه هو الذي يطلب إليه الرجوع إلى وطنه وقضاء عقوبة السجن في بلاده هو خير من التسكع في بلاد الغرب ، والواقع إن هذه هي الحقيقة التي يؤمن بها كل اللاجئيين الذين قابلهم أو اختلط بهم في مصر ، فهم جميعا يفضلون سجون بلادهم على هذا الإحساس بالغربة

وإنهم يعيشون عائلة على الآخرين ، فالذي اضطرهم على هذه الغربة القاسية هو الحفاظ على حياتهم فقط .

بعد بضعة أشهر أو في صباح أحد أيام أول 1962 نشرت الصحف المصرية في الصفحة الأولى الحكم الصادر من محكمة جنايات طرابلس ضد 165 شابا من رفاق الطريق وكان اسم صاحبنا من بينهم حيث جاء في تلك الصحف أنه حكم عليه غيايبا بستتين سجن ، كما حكم على البعض القليل بسنة ونصف ، وعدد أقل بثلاث سنوات ، أما الأكثرية فقد حكم عليها بستة أشهر فقط ، وهؤلاء خرجوا من السجن فور الحكم لانقضاء المدة التي قضوها في السجن قبل المحاكمة .

في اليوم الثاني أو الثالث لنشر هذا الحكم جمع صاحبنا حاجياته وركب الطائرة المتجهة إلى طرابلس ، وقد رافقته زوجته تحمل ابنتها حيث أصرت بشدة أن تكون مع زوجها في هذه المأساة ، وفور وصوله طرابلس قبض عليه من شرطة المطار وبعد أن ودع زوجته وقبل ابنه اخذ رأسا إلى رئيس النيابة ومنه إلى السجن حيث التقى بتلك المجموعة الكبيرة من زملاء الطريق . الشيء الذي فوجئ به عند وصوله طرابلس أن الحكم الصادر ضده ليس ستين كما نشرت الصحف بل سنة واحدة ، وبعد حوالي عشرة أيام حددت له جلسة إعادة المحاكمة باعتبار أن الحكم السابق قد صدر عليه غيايبا ، وفي تلك الجلسة التي حضرها مجموعة كبيرة من المحامين المتطوعين أيدت المحكمة الحكم السابق .

كانت هذه المجموعة الكبيرة المحكوم عليها بأكثر من ستة أشهر مقسمة بين سجنين ، باب بن غشير وسجن الجديدة ، وبالرغم من أن هؤلاء المساجين قد حكم عليهم في قضية سياسية ، فقد ادججوا مع بقية المساجين ، من القتلة والسراق والمزورين ، ينامون مثلهم على البلاط ويعاملونهم نفس المعاملة القاسية ، الأمر الذي لا يتفق مع تطبيق روح قانون السجنون في كل العالم الذي يفرق في المعاملة بين السجين العادي والسجين السياسي ، الأمر الذي دفع بهذه المجموعة إلى دراسة هذا الموضوع دراسة جيدة ، خصوصا أن من بينهم عددا

لا بأس به من رجال القانون ، فكتبوا مذكرة مطولة بهذا الخصوص ، قدموها إلى إدارة السجن كما بعثوا بها إلى والي ولاية طرابلس والى رئيس الحكومة الاتحادية والى رئيس البرلمان ، وقد أثارَت هذه المذكرة نقاشا مطولا بين هذه الجهات ، كما تناولتها بعض الصحف ، وأخيرا وبعد حوالي الأربعة أشهر صدر قانون جديد للسجون فرق في المعاملة بين المسجون السياسي والمسجون العادي ، وبناء على ذلك حولت هذه المجموعة إلى قسم خاص بالسجن ، زود بالأسرة والمراتب والملايات والبطاطين ، كما أوقف الإيقاظ عند الفجر ، وانه وان كانت التغذية استمرت كما كانت كبقية المساجين ، فقد سمح لهذه المجموعة بتوريد مأكولاتها من بيوتها ، كانت المجموعة التي في سجن باب بن غشير حوالي عشرين سجيناً ، البعض منهم من برقة أو من فزان ، وهؤلاء ليس في إمكان بيوتهم تزويدهم بالغداء ، أما البقية وهم حوالي الخمسة عشر سجيناً فقد نظموا أنفسهم على أن يتولى كل يوم من أيام الأسبوع بالتناوب بيتي سجينين إحضار الأكل والشاي والمشروبات للمجموعة كلها . وقد فتحت مكتبة السجن التي بها مجموعة جيدة من الكتب لمن يريد الاستعارة ، هذا وقد نظمت المجموعة ندوة أدبية أو سياسية كل أسبوع ، كما التزم أصحاب الشهادات بإلقاء محاضرة أو بحثاً مرتين كل أسبوع . والشيء العجيب أن هذه الندوات والمحاضرات كان أغلبها تتناول الأوضاع في ليبيا أو في العالم العربي ، وكثيراً ما نوقش في هذه الندوات دستور الحزب وما هي الإصلاحات التي يجب إجراؤها بالخصوص . كان بعض حراس السجن بحكم تواجدهم في حراسة المساجين وكذلك بعض ضباط الصف يستمعون إلى هذه الندوات والمحاضرات ، وقد طلب بعضهم الانضمام إلى الحزب ، وقد انضم فعلاً البعض منهم لا اذكر أسماءهم الآن .

في آخر ديسمبر 1962 كان صاحبنا قد قضى في السجن حوالي إحدى عشر شهراً أي لم يبق له إلا شهراً واحداً للخروج ، وفي هذه الأيام صدر مرسوم ملكي بالعفو على المساجين الذين قضوا في السجن أكثر من نصف العقوبة ، وبالتالي فقد أفرج على أغلب المجموعة وصاحبنا من بينهم ، ولم يبق بالسجن من كل المحكوم عليهم إلا الأساتذة عامر الدغيس وصالح الشريف وفريد اشرف وتاج الدين غانم ، كان صاحبنا يزورهم بالسجن من أسبوع لأسبوع .

رجع صاحبنا إلى بيته ومكتبه ، وكانت ظروفه في منتهى الصعوبة من الناحية المالية وما وجده في مكتبه من فوضى وارتباك بسبب غيابه تلك الفترة الطويلة ، وبدأ يحاول ترتيب أموره ، ولكن لم تمض أكثر من ثلاث أو أربع أسابيع حتى حضر إلى بيته بعد منتصف الليل بعض ضباط المباحث العامة واقتادوه إلى مركز المباحث ثم إلى سجن الجديدة دون أن توجه إليه أي تهمة ، وعرف بحكم تجاربه أن تلك كانت لعبة من الأعيب مدير المباحث العامة المجرم خشخوشة ، لإرهابه ومحاوله تحطيم معنوياته ، حتى يتوقف عن زيارة زملائه الذين في السجن أو الذين في خارجه . وقد حل شهر رمضان وهو في زناتته في سجن الجديدة ، وبعد حوالي ثلاث أسابيع أطلق سراحه ، فكانت تلك الأسابيع الثلاث أشد وطأة عليه من الإحدى عشر شهرا السابقة ، لما أحس به من ذل وإهانة وفقدان الحيلة في مواجهة هذا الإجرام المباحثي الشرير .

بعد حوالي خمسة أشهر تولى رئاسة الحكومة الأستاذ محيي الدين فكيني ، وعن طريق هذا الإنسان المخلص ، تحققت وحدة ليبيا ، التي كنا ننادي بها في منشوراتنا التي القي بنا في السجون من أجلها ، ولعله من اجل ذلك استصدر السيد فكيني من الملك مرسوما بالعفو عن بقية المدة عن رفاقنا الذين كانوا لا زالوا بالسجن . والآن بعد هذه السنوات الطويلة يبرز تساؤل تقتضي الظروف طرحه ، وهو هل مطلب وحدة ليبيا الذي ألحنا في المطالبة به كان فعلا في صالح الوطن؟؟ أم أن ذلك المطلب كان مجرد مطلب عاطفي يدل على سذاجة سياسية؟؟؟ ألم يكن من الأوفق لليبيا أن يبقى نظام الولايات ، نظرا للمسافات الشاسعة بين الولاية والأخرى ، وان حتى سكان كل ولاية يختلفون في بعض تقاليدهم ونظرتهم للحياة؟؟؟ وان الذين وضعوا الدستور الليبي الأول قد فكروا في كل ذلك . هذا الموضوع يحتاج إلى التفكير الهادئ من الذين يهمهم مصلحة الوطن العليا ، وان كان الذي يبدو أنه من أصعب المحاولات إرجاع الأمور إلى نصابها .

الفصل العاشر

إصدار صحيفة الأيام ومجلة المحامي

في حوالي منتصف صيف 1964 اتصل بصاحبنا الأستاذ عبد الحميد البكوش ، وكان إذ ذاك له علاقة وطيدة بالأستاذ محمود المتصر الذي تولى رئاسة الوزارة ، فابلق صاحبنا أن السلطات الليبية لا مانع لديها من أن يصدر صاحبنا جريدة يومية أو أسبوعية ، وشجعه على القيام بذلك ، كما اتصل بالأستاذ فاضل المسعودي ، وابلغه نفس الرغبة أو الفكرة ، لاشك أن السلطات في ليبيا والأستاذ عبد الحميد يعلمون أن صاحبنا له اتجاه قومي ، دخل السجن بسببه وان الأخ فاضل المسعودي له اتجاه يساري معروف ومع ذلك شجعنا على أن يكون لهما صحفا تعبر عن آراء هذه المجموعة وتلك ، وهذا هو الفارق بين النظام المدني ونظام حكم العسكر ، المهم أنه بعد موافقتنا على هذا التوجه ، طلب إلينا تقديم الطلب بهذه الرغبة ، وسرعان ما حدد لنا موعد لإجراء الامتحان في قانون المطبوعات ، وبنجاحنا في الامتحان صدر لنا الترخيص بإصدار جرائدنا ، هذا علاوة عن الجرائد الحكومية وجريدة البلاغ ذات الاتجاه الإسلامي التي كانت قائمة من قبل ، وقد سمى صاحبنا جريدته "الأيام" كما سمى الأخ فاضل جريدته "الميدان" . ولم يمض أكثر من أسبوعين حتى تلقى الشعب هتين الصحيفتين بإقبال شديد وفرحة كبيرة .

كانت "الأيام" تصدر كل أسبوع ، وقد اقبل على تحريرها وطبعها في مطبعة الحكومة - وهي المطبعة الوحيدة التي في إمكانها طباعة الصحف - علاوة على صاحبنا ، مجموعة من رفاق السجن ، يذكر منهم الاخوة عامر الدغيس وصالح الشريف ومحمد هلال ويوسف همام وغيرهم .

وكان الخط الذي اتخذته "الأيام" خطا متوازنا ، تثنى على رجال السلطة إذا رأيت منهم ما يستحق الثناء ، كما تنتقدهم بشدة إذا ما رأيت ما يستحق الانتقاد والهجوم . هناك نقطة واحدة اختلف فيها صاحبنا مع المجموعة المتعاونة

معه وهو أنهم يرفضون بشدة ذكر الملك أو نشر صورته بالجريدة حتى في المناسبات التي يصدر فيها مرسوما ملكيا ، الأمر الذي يتنافى مع الأصول الصحفية ، وأصبحت "الأيام" هي الجريدة الوحيدة المنتطعة في هذا الموضوع حتى بدت كأنها تعادي الملك شخصا ، الأمر الذي وضعها في خانة الشبهات ، خصوصا أن الذين يحررونها هم من خريجي السجن السياسي ، وخصوصا أن كل الصحف ، الحكومية وغير الحكومية حتى تلك المشبوهة باليسار ، وهي صحيفة "الميدان" تبرز صورة الملك في الصفحة الأولى في هذه المناسبات .

وقد أدى هذا الموقف المتشنج من رفاق السجن ، أن أصبحت "الأيام" تحت المراقبة الشديدة واستطاعت عناصر الشر في وزارة الداخلية أن تأمر بإيقافها عدة مرات . وكان هذا الإيقاف يحوّل إلى المحكمة للأمر باستمرار الإيقاف وذلك حسب إجراءات قانون المطبوعات ، ولكن المحكمة كانت تأمر باستمرار صدور الجريدة وان ذلك الإيقاف من وزارة الداخلية لا أساس له من القانون . يجب هنا أن نلفت النظر إلى جانب مهم كل الأهمية للتمييز بين الوضع في العهد السابق والوضع بعد ما يسمى بالفتاح المجيد!!! وهو أن هذه الجريدة المنتطعة التي ترفض ذكر رئيس الدولة أو نشر صورته في المناسبات التي يلتزم فيها الجميع بالنشر ، هذا علاوة على النقد الشديد للسلطة الحاكمة والذي يكاد يصل إلى السبّ والتقريع ، فكل الذي يترتب عن هذه الطريقة المتطرفة ، أن تلجأ السلطة في البلاد إلى تقديم الجريدة إلى المحكمة وطلب إيقافها ، والمحكمة تنظر في هذا الطلب وترفضه وتأمّر باستمرار صدور الجريدة ، أليس هذا الوضع يقترب إلى الديمقراطية التي نفتقر إليها في هذه الأيام!!!؟؟ وعندما ضاقت السلطة درعا بهذا الوضع ، استدعي صاحبنا ، بصفته صاحب ورئيس تحرير "الأيام" إلى مدينة البيضاء في برقة لمقابلة رئيس الحكومة السيد محمود المنتصر ، الذي استقبل صاحبنا استقبالا وديا وعاتبه على الخط الذي انتهجته الجريدة ، وان هذه الطريقة المندفعة في الهجوم على الحكومة ، وتجاهل المراسيم الملكية وعدم نشرها في "الأيام" يتيح الفرصة للمتشددين في السلطة والقصر بقتل هذه الجريدة التي من الممكن أن تكون بابا مفتوحا للمعارضة لو كانت أكثر مرونة وتعقلا . وقد رد

صاحبنا على هذا العتاب بان التأييد المستمر للسلطة ورجاها كما تفعل الصحف الحكومية تجعل الشعب بصفة عامة لا يثق فيما تقوله هذه الصحف حتى لو كان مهمًا وصالح للوطن ، والقليل الآن من يشتري هذه الصحف أو يطلع عليها بسبب هذا التطيل والتزمير للسلطة ، بينما "الأيام" وان كانت تنتقد أو تهاجم السلطة في كثير من الأحيان فإنها في أحيان أخرى تشيد بإنجازات الحكومة وتؤيد خطواتها البناءة ، وهذه الطريقة المتوازنة التي انتهجتها "الأيام" هي التي تجعل المواطنين يثقون فيما تقوله هذه الصحيفة ، ولا شك أن هذا المنهج في آخر المطاف هو في صالح الوطن بصفة عامة ، حيث يتنبه بعض المقصرين من أفراد السلطة إلى تقصيرهم ، كما يشعر الجادون منهم إلى أن اجتهادهم وأعمالهم محل تقدير من المواطنين . كان واضحا أن رئيس الوزراء السيد محمود المنتصر لم يقتنع بهذا الحوار ، وكرر رجاءه إلى صاحبنا بان تكون صحيفته أكثر لينا ومرونة حتى يستطيع أن يحميها من الإيقاف النهائي ، وودع صاحبنا وتمنى له التوفيق في رسالته الصحفية . كانت واضحة لهجة التهديد الواردة في عبارات رئيس الحكومة الأخيرة ، ولكن ما باليد حيلة ، فصاحبنا وان كان يرى أن المرونة المعقولة التي لا تتجاوز المبادئ هي أمر مطلوب لاستمرار حياة "الأيام" ، وفي حياتها باب مهم مفتوح لتوصيل آراءنا وأفكارنا إلى الجماهير ، أما هذه الشدة ستكون نتيجتها حتما قفل هذا الباب بإنهاء حياة الجريدة . بالرغم من وضوح هذه الفكرة فان المجموعة المتعاونة في تحرير الجريدة أصرت على الاستمرار في منهجها المتشدد . وفي العدد الثاني عشر أوقفت الجريدة للمرة الثالثة ، وبالرغم من أن المحكمة حكمت للمرة الثالثة باستمرار الصدور ، إلا أن المطبعة الحكومية امتنعت عن طباعة الجريدة ، وكذلك امتنعت عن طباعتها جميع المطابع الصغيرة المتوفرة قبي البلاد ، فما كان من صاحبنا إلا أن أعلن في إحدى الصحف بان جميع المطابع قد امتنعت عن طباعة "الأيام" وبالتالي فإنه سيصدرها "باستينسل" ، وبناء على هذا الإعلان سرعان ما جاء إنذار من الداخلية بان الصحف لا تصدر إلا مطبوعة ولا يجوز إصدارها بطريقة أخرى الأمر الذي يجعلها منشورا يعاقب عليه القانون . وقد كان في نية صاحبنا أن يتجاهل هذا الإنذار ويستمر في فكرة إصدار "الأيام"

باستينسل ، ولكن السلطات لجأت إلى طريقة أخرى وهي القبض على المجموعة المتعاونة معه ، عامر الدغيس ومحمد هلال وصالح الشريف فأودعوا السجن بدون إبداء أية أسباب . وهنا شعر صاحبنا أن المعركة غير متكافئة وأنها ستطور إلى الأسوأ ، والمهم الآن ليس استمرار إصدار الجريدة في هذا الوضع الشديد التوتر بل المهم هو إخراج الرفاق من السجن تلك المحنة القاسية التي سبق لنا أن اكتويتنا بناها . ولم تصدر "الأيام" مرة أخرى لا عن طريق الطباعة ولا عن طريق الاستينسل . وبعد ثلاث أسابيع أفرج عن الإخوة المسجونين بدون محاكمة أو اتهام أو أسباب ، وانتهت قصة صحيفة "الأيام" عند هذا الحد . اثني عشر عددا فقط صدرت لهذه الصحيفة الوطنية الهادفة ثم قتلت بسبب تشدد وتعنت الرفاق وحساسية السلطة .

في هذه الفترة وفي أثناء صدور "الأيام" زار صاحبنا في مكتبه شخصان من السفارة السوفيتية ، وفي الغالب انهما من "الكيجبي" وكانا يثيران إلى تعليق فيه نقد للقيادة السوفيتية نشر في "الأيام" وحاول هذان الزائران أن يشرحا بلباقة وجهة نظر الاتحاد السوفيتي في علاقته بالمنطقة العربية وخصوصا بنظام عبد الناصر . كما زاره شخص ادعى أنه مندوب من السفارة الأمريكية التي ترغب في الاشتراك في هذه الصحيفة بعشرة أعداد ، وقد استطاع صاحبنا أن يعرف من أول لحظة أنه من المخابرات الأمريكية "السي أي أي" ذلك أنه يتكلم العربية كأحد أبنائها ، كما أنه يعرف عن الأحزاب العربية ما لا يعرفه بعض أعضائها !! فأخذ صاحبنا جميع احتياطاته منه وابلغ فوراً الأستاذ عامر بهذه الزيارة ، وكرر هذا الشيطان الزيارة أكثر من مرة وتجراً في مرة من المرات بالزيارة في البيت ومعه ابنه وزوجته ، محاولاً أن يخلق نوعاً من العلاقة الأسرية ، وبعد كل زيارة من هذه الزيارات يجلس صاحبنا والأستاذ عامر يتدارسان تصرفات وكلام هذا الجاسوس الخبيث ، وفي مرة من المرات قال لصاحبنا ، أنا اعرف أن السلطات الليبية تمنع خروجك من ليبيا وأنا في استطاعتي إخراجك إذا أردت أن تذهب إلى أي مكان في العالم وذلك عن طريق مطار الويلوس !! فوجئ صاحبنا بهذا العرض ، وهو فعلاً قد منع من الخروج من ليبيا منذ خروجه من السجن آخر

سنة 1962 ، ولكنه طلب إلى ذلك الشيطان أن يمهله حتى يتدبر أمره ، وكانت فرصة رائعة ، أسرع بها إلى الأستاذ عامر ، وطلب إليه إيجاد طريقة في كيفية تسجيل هذا العرض من هذا الجاسوس الخطير وتوصيل ذلك إلى السلطات الليبية حتى يتأكدوا من خطورة هذا المطار الذي سبق أن طرح صاحبنا خطورته أمام المجلس التشريعي لولاية طرابلس قبل عدة سنوات عندما كان عضوا بهذا المجلس وكانت الولايات لا زالت قائمة . في آخر 1964 واول 1965 كانت آلات التسجيل الصغيرة والتي يمكن إخفاؤها ، في بداية ظهورها في الأسواق ، وبالتالي أسرع الصديقان إلى اقتناء واحدة أيا كان الثمن ، وتدربا على تشغيلها وإخفاؤها ، ثم حدد موعدا لذلك الشيطان في البيت ورتب كل شيء لتسجيل ذلك العرض الخطير ، وفي الموعد حضر الرجل ولكنه اعتذر عن الدخول بدعوى أنه في طريقه للسفر إلى أمريكا نهائيا اليوم ، وهو إنما جاء ليوذعه فقط ، وقبل مغادرته قال لصاحبنا أني أحضرت لك معي هدية قيمة ، وسلمه مجلة أمريكية مصورة وهو يبتسم ابتسامة كلها خبث ودهاء ، وقد كانت تلك المجلة هي مجلة "البلاي بوي" المعروفة في أمريكا بمجلة الجنس ، وأغلب الظن أن ذلك الشيطان قد شعر بطريقة ما بالاستعداد الذي رتبناه وهو يريد أن يقول لصاحبنا كما يقول المثل الشعبي عندنا وهو "العب مع صغارك يا ولد" !!! إذ أن ترجمة عبارة "بلاي بوي" هي لعبة الولد .

اختفي ذلك الشيطان من حياة صاحبنا اختفاء تاما ، وكان الاعتقاد أنه قد سافر فعلا ، ولكن المعلومات الواردة من بعض الأصدقاء منهم عبد الحميد بن حليم "العرم" ومنصور الكيخيا كانت تؤكد أن ذلك الشيطان لا زال متواجدا في ليبيا وله نشاط فظيع في أرجائها ، حتى قيام الانقلاب العسكري في سنة 1969 .

في ربيع 1965 سمحت السلطات الليبية لصاحبنا بالحصول على تأشيرة خروج ، فقرر زيارة أوروبا التي طالما اشتاق إلى زيارة هذه البلاد ، لندن وباريس وروما ، التي تمثل في ذهنه مراكز التقدم والحضارة الحديثة ، خصوصا وقد تحصل على تذكرة طيران لزيارة هذه المدن الثلاث بسعر مخفض ، وهكذا نزل

بروما ولكنه لم يبق بها أكثر من ثلاث أيام ثم انتقل إلى لندن حيث التقى بصديقه ، زميل السجون ، الأستاذ سليمان فارس الذي كان يعمل بإحدى شركات البترول العاملة في ليبيا ، حيث بعثت به إلى لندن لفترة تدريبية ، وهناك تعرف صاحبنا ، بقيادة زميله ، على بعض نواحي هذه البلاد العجيبة وما تعج به من نشاط وحيوية وصدق ونظافة فوجئ بها حيث أنه كان يفتردها في وطنه ، الأمر الذي جعله يقارن بين ما يشاهده في هذه البلاد ، وما كان يشاهده في وطنه وبين ظهرانيه من كسل وعدم القيام بالواجب وكذب وقذارة ونفاق ، وهو يذكر باستمرار تلك الصورة المزرية لعشرات المباشرين المتواجدين في المحاكم حيث تراهم شبه نائمين على الكراسي في طرقات المحاكم والقذارة تحيط بهم من كل جانب والذباب يكاد يأكل وجوههم ولكنهم لا يفعلون شيئا لإزالة ما يحيط بهم من قاذورات بينما في هذه البلاد الأجنبية قد راقب النادل مثلا كيف أنه يوصل الطلبات بنشاط وحيوية فائقة ، وإذا لم تكن هناك طلبات تراه إما يمسح المناضد أو يضع الكراسي في أماكنها أو يقوم بأي حركة في صالح المحل الذي يعمل به . هذه الصورة جعلت صاحبنا يفكر في السبل التي جعلت هؤلاء الناس نشطين صادقين متقدمين ، وجعلت مواطنينا كسالا منافقين تحيط بهم القذارة والتخلف ، هل هو التعليم واختيار رجاله !!؟؟ هل هو الدين والعقيدة؟؟ فعلا إن التعليم في الوطن العربي هو أسوأ تعليم في العالم ، فالمعلم والمدرس في وطننا مهان في دخله وفي مكانته في المجتمع ولا يقدم على هذه المهنة الشاقة المهانة إلا ذلك الإنسان الذي لم يجد مهنة أخرى يعيش بها ، فكيف يمكن لهؤلاء الناس المهانين أن يربوا أجيالا يمكن الاعتماد عليهم؟؟؟ أما العقيدة والدين ، فان الشريعة الإسلامية هي من اعظم الشرائع وأبرزها التي تحث على الحركة والتأمل والصدق والنظافة ، ولكن الذي يبدو أننا أخذنا قشور هذه الشريعة السمحاء من مثل تربية الذقون والإصرار على الحجاب وحتى النقاب وغير ذلك من توافه الأمور !!! وتركنا لبّ هذه الشريعة من صدق ونظافة ونظام ينفذه الغريبيون ، وهذا ما دفع صاحبنا ، وهو في خضم هذه الأجواء اللندنية وما بعثته فيه من أفكار ، أن يرسل إلى صديقه عامر الدغيس بطاقة صغيرة يقول له فيها "أرسل لك هذه البطاقة من بلاد الكفار الذين اختلسوا الإسلام !!!" .

قضى صاحبنا حوالي أربعة أيام قتي لندن في معية صديقه سليمان فارس ، ثم انتقل إلى باريس المحطة الأخيرة ، كان الفندق الذي نزل به فندقا متواضعا يقع في إحدى الشوارع الفرعية للشارع الكبير المشهور وهو شارع "الشانزليزيه" وهو شارع طويل ينتهي بقوس النصر المشهور ، وكان عرض هذا الشارع يبلغ أكثر من مائة متر وعلى جوانبه تقع أعظم المقاهي والبارات ، كان صاحبنا وحيدا ، لا يعرف أحدا في هذه المدينة الصاخبة التي يسمونها مدينة النور ، وهو بعد زيارته "اللوفر" ومشاهدته تلك اللوحات الرائعة المشهورة ومنها "الموناليزا" بقى يدور في ذلك الشارع الطويل الواسع لا يدري ماذا يفعل بنفسه ، وهذه من أعجب العجائب ففي هذه المدينة الصاخبة المثيرة حسب ما سمع وقرأ كثيرا عنها ، يجد نفسه وحيدا كثيبا حتى ضاقت به هذه المدينة ، ولم يمض يومان حتى أسرع بالرجوع إلى وطنه .

ومرت الأيام وكان صاحبنا ناجحا في مهنته كمحامي ، وصار محل ثقة من المؤسسات الكبيرة في البلاد ، فاقبلوا عليه بقضاياهم ، وكان من سياسته أن يحاول حل المشاكل القائمة بين موكليه والآخرين بالمفاوضات للوصول إلى حلول ترضي الأطراف المتنازعة ، ويكون اللجوء إلى المحاكم هو الحل الأخير . كان من بين موكليه المقاول الإيطالي المشهور بلدراتي الذي بني القصور والاستراحات الملكية ، فدفعت العلاقة بالمقاول المشهور بصاحبنا أن يفكر في أن يبني بيتا لنفسه في مزرعته ، خصوصا وان هذه المزرعة بعد العناية التي حظيت بها وغرس آلاف الأشجار من الحمضيات والفواكه ، أصبحت تغري بالإقامة في ربوعها ، هذا علاوة على أنها لا تبعد كثيرا عن وسط المدينة - تسع كيلومترات فقط - ، وعليه عرض هذه الفكرة على هذا المقاول الذي رحب بها وتعهد أنه سوف لن يكلف صاحبنا بأكثر من التكاليف الحقيقية للبناء .

قد سبق لصاحبنا أن شاهد مجموعة فيلات مقامة من شركات البترول في مزرعة غرغور تمتاز بالبساطة والجمال ، فاختار خريطة من خرائط هذه الفيلات تحصل عليها من بلدية سوق الجمعة وقدمها إلى المقاول ، وبعد التعديلات البسيطة والحصول على رخصة البناء بعد جهد ، حيث أن اللوائح في ذلك

الوقت كانت تحرم البناء في المزارع إلا للضرورة القصوى . ابتداءً المقاول في البناء فوق ربوة من روابي المزرعة ليست بعيدة من مدخلها ، وقد طالب صاحبنا من المقاول أن يضيف إلى بناء الفيلا حديقة مسورة بالأسلاك الحديدية بمساحة حوالي نصف الهكتار وبها جراج وحجرة مستقلة بالمنافع للضيوف وحمام سباحة وملعب تنس ومنطقة خاصة لألعاب الأطفال وحجرة بالمنافع للحارس . وعندما أوشكت الفيلا على الاكتمال سلم صاحبنا خريطتها إلى موكل آخر من موكله صاحب مصنع أثاث في إيطاليا وطلب إليه تأييد هذه الفيلا من أولها إلى آخرها من مصنعه ، وفعلا عندما أوشكت الفيلا على تمام البناء كان جميع أثاثها حاضرا في ميناء طرابلس حسب المقاسات الموجودة بالخريطة ، وهكذا اثتت الفيلا بأحسن الأثاث وأجمله . كان من أصدقاء صاحبنا والذي كان يزوره باستمرار في المزرعة الدكتور إبراهيم الكريكشي وكان طبيبا مرموقا خصوصا في شئون الرياضة ، فاقع صاحبنا بضرورة إقامة صاونة في الحديقة تقع بين حمام السباحة وملعب التنس ، ويمكن إحضار هذه الصاونة من السويد أو الدانمارك بمبلغ يقل عن الستمائة دينار ، وبالموافقة سرعان ما اتصل الصديق الدكتور بالشركة التي يعرفها فأحضرت تلك الكتل الخشبية ولوازمها ، وبالاتفاق مع أحد المختصين تحت إشراف الدكتور الكريكشي أقيمت تلك الصاونة الجميلة الرائعة في قلب الحديقة في شكل كوخ خشبي ثلاث متر في أربعة في منتهى الجمال والروعة ، إن دخولها خصوصا في أيام الشتاء الباردة حيث تجعل العرق يجري في جميع أنحاء جسمك ، ثم تلقي بنفسك في مياه حمام السباحة الشديدة البرودة ، كانت من أعظم متع الحياة حيث تجري الدماء في أنحاء الجسم بغزارة وقوة تجعلك كأنك ولدت من جديد .

الفصل الحادي عشر

اشتداد المعركة بين العرب والصهيونية العالمية

في أوائل 1967 اندلعت الحرب في المنطقة العربية بالهجوم الإسرائيلي الغادر على مصر وسوريا ، وكان من المتوقع أن يكون ذلك فرصة للجيش العربي أن تنتقم لنفسها مما حصل في الحريين السابقتين 1948 و 1956 خصوصا ما كان يتردد في السنوات القليلة السابقة من الاستعداد المصري الهائل وما كان يبثه عبد الناصر في أنحاء الوطن العربي من حماس في إذاعة صوت العرب ، ووجود الصواريخ الظافر والناصر التي تم صنعها بمساعدة العلماء الألمان. وقد كان عميد بلدية طرابلس في هذه الأيام الأستاذ محمود الخوجة المعروف بأخلاقه العالية وحماسه الوطني ، وعليه سرعان ما دعا إلى الاجتماع في قاعة بلدية طرابلس الكبرى لكل المثقفين والوطنيين لمتابعة ما يجري في هذه الحرب الغادرة والبحث في كيفية مساعدة الشعب الليبي لإخوانهم في ساحة القتال ، وهكذا حضر صاحبنا والأستاذ عامر الدغيس وبعض رفاق السجن هذه الاجتماعات ، كما حضرت مجموعة كبيرة من أعضاء البرلمان الليبي المعروفين بالحماس الوطني ، واذكر من الحاضرين الإخوة عبد العزيز الزقلعي ومحمود صبحي وعبد الرحمن القلهود وبعض الشباب من الاتجاه القومي والبعض من الاتجاه الإسلامي اذكر منهم إبراهيم الغويل ومحمود المغربي وعز الدين الغدامسي ، وقد استمرت هذه الاجتماعات صباحا ومساء لمدة زادت عن الثلاثة أيام ، وكان النقاش صاحبنا وقويا تصارعت فيه الاتجاهات المختلفة ، وانتهت أخيرا هذه الصراعات إلى خمس أو ست مطالب توجه إلى الحكومة الليبية ، كان أهمها إيقاف ضخ البترول وتزويد جيشنا العربي بالسلح الليبي وتقديم المعونات الغذائية وفتح باب التبرعات من المواطنين الليبيين إلى الجيش المحارب ، كما تقرر أن تذهب لجنة من هذا الاجتماع إلى مدينة البيضاء لمقابلة رئيس الحكومة وتقديم هذه الطلبات إليه ، يذكر صاحبنا أنه كان بين أعضاء هذه اللجنة ، كما كان فيها الأخوة عامر الدغيس وإبراهيم الغويل ومحمود صبحي وعميد البلدية الأخ محمود الخوجة

وحوالي خمسة أشخاص آخرين ، وركبت هذه المجموعة الطائرة في طريقها إلى بنغازي ومنها إلى البيضاء ، وفوجئت هذه المجموعة قبل وصولها إلى هذه المدينة ومقابلة رئيس الحكومة ، بمفاجئتين ، المفاجأة الأولى هوان الحكومة الليبية قد قررت تنفيذ أغلب تلك المطالب بما في ذلك إيقاف ضخ البترول وذلك كما جاء في نشرة أخبار صباح يوم وصول هذه اللجنة الخطيرة ، والمفاجأة الثانية هي أن الجيش الإسرائيلي قد دحر الجيشين المصري والسوري ، واجتاح كل شبه جزيرة سيناء حتى وصل الضفة الشرقية لقناة السويس ، كما أن هضبة الجولان قد احتلت بكاملها من الجيش الإسرائيلي ، وسميت هذه الحرب الكارثة والفضيحة بحرب الأيام الستة ، بل هناك من بالغ فسمها بحرب الساعات الستة ، "يجب أن يلاحظ رقم الستة الذي هو شعار صهيوني في تسمية هذه الحرب إذ أنهم كثيرا ما يرددون هذا الرقم في كلامهم بمناسبة وبغير مناسبة" ، وبناء على ذلك لم يكن هناك داع لمقابلة رئيس الحكومة السيد الصاقرلي ، والذي يذكره صاحبنا في صباح ذلك اليوم المشؤم أنه رفض أن يسلم بتلك الهزيمة النكراء وكان يقول لرفاق الرحلة أن هذه خطة رسمها الجيش المصري لوضع الجيش الإسرائيلي بين فكفي الكماشة ، حيث سوف يتحرك الجيش المصري المتواجد في اليمن فيجتاز السعودية ويطبق على الجيش الإسرائيلي شرقي سيناء !! فكان رفاق تلك الرحلة ينظرون إلى صاحبنا في إشفاق ورتاء ، الذي لم يستطع أن يصدق هزيمة لأمتة بهذه الفظاعة .

في هذه الأيام العصبية حيث أسفر الكيان الصهيوني عن وجهه الشرير القبيح بالهجوم على الأمة العربية وإذلالها أمام العالم بهذه الهزيمة المنكرة ، تملكث الشعب العربي في كل مكان حالة من الذهول والإحساس بالعار ، الأمر الذي دفع ببعض الفئات الشعبية في ليبيا بالبحث عن أي وسيلة للانتقام أيا كانت هذه الوسيلة وحتى لو تعارضت مع المبادئ الأساسية للدين والأخلاق ، وفي جو هذا الغضب العارم اتجهت بعض هذه الفئات الغاضبة التي فقدت رشدها إلى المواطنين اليهود في طرابلس تريد الفتك بهم ، الأمر الذي دفع بالسلطات الليبية إلى التدخل لحماية هؤلاء المواطنين ، وحيث أنه من الصعوبة بمكان أن تجعل أمام كل

بيت يهودي شرطيا لحماية هذا البيت قررت فتح معسكرات لإيواء اليهود الذين يشعرون بالخطر على حياتهم أو تشعر السلطات أنهم يمكن أن يكونوا محل تهديد من الجماهير الغاضبة . في يوم من هذه الأيام كان صاحبنا في زيارة لصديقه عامر الدغيس في منزله وكان على بعد حوالي مائة متر فيلا لأحد اليهود وشعر الصديقان أن هناك مجموعة شعبية غاضبة من حوالي مائة شخص قاصدة فيلا ذلك اليهودي للفتك به وبعائلته ، فأسرع الصديقان ووقفا أمام باب الفيلا وصاحا في هذا الجمهور الغاضب ، لن يدخل أيا منكم من باب هذه الفيلا إلا على جثتنا ، وإن ما تفعلونه لا يتفق مع أخلاق العرب كما لا يتفق مع الدين الإسلامي الذي نؤمن به جميعا ، كان بعض أفراد هذا الجمهور يعرفون الأستاذ عامر وصاحبه وما قدماه من تضحيات في سبيل الوطن والعروبة ، وبناء عليه طلبوا من زملائهم الغاضبين الانصياع لموقف الصديقين والانسحاب من تلك الفيلا . والواقع الذي يذكره صاحبنا أن هذه الروح العنصرية وكرهية اليهود أو الاعتداء عليهم لم تكن قائمة في ليبيا في السابق أي قبل قيام اسرائيل واعتداءات الصهيونيين واجتياحهم الأراضي الفلسطينية واخراج اهلها من أراضيهم وممتلكاتهم وقتلهم وتشريدهم رجالا ونساء واطفالا وشيوخا بطريقة وحشية همجية يقل مثلها في التاريخ ، فالذي يذكره صاحبنا في الثلاثينات وأوائل الأربعينات من القرن الماضي أن هناك نوعا من التراحم والتعاطف بين سكان ليبيا سواء كانوا مسلمين أو يهودا أو غيرهم من الأجناس ، وبهذه المناسبة يتذكر صاحبنا حادثة رائعة حصلت بهذا الخصوص قي أيام طفولته وصباه وهي أنه كان في منطقة زاوية الدهماني حدّادا يهوديا يقال له "شليفته" يصنع المحاش والمناجل - المحشة هي أداة مقوسة مشرشرة يحدد بها الحشائش والبرسيم وسنابل القمح والشعير والذرة ، أما المنجل فهو أداة أكبر من المحشة تقطع به أعراف الشجر وجريد النخل - وكان هذا الحداد اليهودي محبوبا من جميع اهالي المنطقة حتى أنه عندما تزوج ابنه "صوماني" اقام له شباب زاوية الدهماني حفلا رائعا منقطع النظر من أول الليل حتى الصباح ، وصاحبنا بالرغم من مرور أكثر من سبعين سنة على ذلك الحفل لا زال يذكر ما شاهدته فيه من بهجة وروعة وما يحمل في اعماقه

من روح التآلف والتعاون بين اهالي المنطقة بغض النظر عن الاختلاف في الدين أو العنصر أو الوضع الاجتماعي .

في مساء أحد هذه الأيام أي أيام سنة 1967 وما حصل فيها من مآسي وآلام ، زار صاحبنا في البيت ضابطان أحدهما هو المقدم عمر شنشون والآخر لا يذكر اسمه الآن ، وطلبا إليه القيام بالدفاع عن أحد زملائهم ، قد تورط في حادثة مع اليهود الذين يقيمون بنفس العمارة التي يقيم بها ، فوعدهما صاحبنا بأنه سينظر في ملف القضية ثم يبلغهما برأيه ، وفي اليوم التالي ذهب صاحبنا إلى النيابة المختصة ، وعندما وضع هذا الملف بين يديه ذهل ولم يكذب يصدق ما تضمن من حوادث لا يكاد يصدقها العقل . كان يسكن مع هذا الضابط في نفس العمارة عائلتان من عائلات اليهود مكونتين من ثلاثة عشر شخصا رجالا ونساء وأطفالا ، لجأتا إلى هذا الضابط بصفته جارهم ، ليأخذهم إلى المعسكر المشار إليه سابقا ، حيث يكونوا أكثر أمنا ، فرحب هذا الضابط بهذه المهمة ، واحضر سيارة عسكرية مساء ذلك اليوم يقودها جندي برتبة شاويش اخذ العائلتين بها ، وبدل أن يسلمهم إلى المعسكر سارا بهم إلى شاطئ جنزور ، وفي ظلام ذلك الليل ، وهؤلاء المنكوبين يكاد يقتلهم الرعب ، بدأ ذلك الضابط الهمام ورفيقه الشاويش يذبحون تلك النفوس البريئة المرعوبة من أطفال ونساء وشيوخ ورجال ، بالخناجر والفؤوس ، وقد حاول البعض منهم الهروب إلى البحر ، ولكن أين المفر !!؟ إن صاحبنا كلما ذكر هذه الحادثة التي لا يكاد يصدقها العقل كما سبق القول ، يصاب بالذهول والغيب والألم والاشمئزاز ، كيف يمكن أن يتصرف ضابط في الجيش الليبي بهذه الوحشية والخيانة ومخالفة كل شرائع الأرض والسماء ، فحتى المجانين لا يمكن أن يرتكبوا مثل هذا الفعل الشنيع ، ومن المستحيل إيجاد أي تبرير لهذا الفعل الإجرامي إلا الجنون والجنون المطبق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . إن هذا الإنسان منذ أن كان طالبا فاشلا في المدرسة الثانوية كان معروفا بالخفة والطيش ، ولا ادري كيف قبلته سلطات الجيش أن يكون ضابطا فيه؟؟؟؟!! على أي حال فقد اودع السجن ، وبالرغم أن صاحبنا لا يذكر طوال حياته أنه تأخر يوما عن القيام بواجب الدفاع عن أي

انسان لجأ إليه مهما كان خطأه أو جريمته ، فقد قرر بينه وبين نفسه ألا يقبل القيام بهذه المهمة القذرة ، وعلى أي حال فان المتوقع حتما أيا كان الدفاع أو المدافع فلا بدّ من الحكم بالاعدام ، ولكن قبل أن يجلّ موعد محاكمته حدث الانقلاب العسكري سبتمبر 1969 فأفرج النظام الجديد عن هذا المجرم الذي كان يستحق الاعدام عشرين مرة ، وهذه كانت من أكبر أخطاء هذا النظام الجديد .

ولكننا إذا نظرنا لهذا الموضوع الشائك من زاوية أخرى نرى إن هذه الاعتداءات الوحشية القائمة منذ أكثر من نصف قرن ضد الشعب العربي في فلسطين من قوم يدعون أنهم أهل كتاب ، جاءوا من أطراف الأرض تاركين أوطانهم التي عاشوا فيها لمئات السنين ليزاحموا أهل الأرض في فلسطين الذين عاشوا فيها لآلاف السنين ، وذلك بالقتل الجماعي بالدبابات والطائرات والصواريخ ، وتدمير المباني والمزارع والحقول ، ومحاوله خلق الرعب والفرع في صفوف هذا الشعب الصامد العريق ، ألا يعتبر ذلك استفزازا صارخا يبعث على الحنق والغیظ في جميع أرجاء المنطقة الأمر الذي يدفع بسكانها إلى ردة فعل لا يمكن السيطرة على تفاعلاتها؟؟؟؟!! الأمر الذي يدفع البعض إلى هذا الفعل الإجرامي الذي يشبه الجنون من مثل ما فعله ذلك الضابط المجرم أو المجنون السابق الإشارة إليه .

وهناك تساؤل يتبادر إلى ذهن كل الناس في جميع أنحاء العالم كل يوم بل كل ساعة ، وهو ، من المسئول عن دماء الفلسطينيين والإسرائيليين؟؟ من المسئول عن هذه الدماء التي تسفك كل يوم من الجانبين؟؟ لا بد أن يكون هناك خطأ ما أدى ويؤدي لهذه المأساة التي استمرت لأكثر من نصف قرن .

والسؤال البديهي الذي يمكن أن يوجه إلى الجانب الإسرائيلي : ألم تدرك القيادات الإسرائيلية حتى الآن أن الشعب الفلسطيني لن يتوقف عن النضال المسلح حتى يحصل على حقوقه المشروعة؟؟ ألم تدرك هذه القيادات حتى اليوم أن الإسرائيليين لن يعيشوا في سلام وأمان أبدا مهما طال الزمن ما دام الفلسطينيون يعانون الظلم والقهر والتعسف؟؟ وان العقل والمنطق يقرر أن العنف الذي استخدمه الإسرائيليون في اقتحام فلسطين لا بد أن يقابله عنف مضاد ، وان الظلم يقابله غضب عارم ، وان القهر يقابله تحد حتى الموت؟؟!!

إن بديهية هذه الأسئلة توحى بان الإسرائيليين جميعا يعرفون الإجابة التي لا مهرب ولا مناص منها . اذا !! لماذا الاستمرار في الاعتداء على الفلسطينيين وحرمانهم من حقوقهم المشروعة ، والوقوع في دائرة الفعل ورد الفعل التي لا تنتهي أبدا؟؟؟

ألا يمكن القول أن دولة إسرائيل شعبا وقيادات واقعة تحت تضليل ما؟؟ ولكن كيف يمكن أن يتم هذا التضليل والشعب اليهودي عرف بالوعي والحنكة وسعة الاطلاع والثقافة !! اذا فلا بد أن يكون هناك سر أو أسرار أدت وتؤدي إلى هذا الضلال والارتباك ومن ثم المآسي والدماء .

ألا يمكن القول أن هذا السر الغامض المضلل لا يعدو أن يكون هذا التأييد المطلق الذي تتلقاه إسرائيل من الولايات المتحدة الأمريكية !!؟؟ لا شك أن هذا التأييد المطلق مالا وسلاحا " وفتيو" في مجلس الأمن ، استمر لعشرات السنين ، هو السبب الجوهرى في غرس المطامع والطموح والغرور في بعض المجموعات الإسرائيلية وقياداتها ، الأمر الذي أدى إلى ضلالها ووقوعها في بركة المآسي والدماء .

ألا يمكن القول أنه لولا هذا التأييد الأمريكي المطلق الذي هو محل استغراب وذهول من جميع شعوب الأرض ، لتوقفت القيادات الإسرائيلية عن طموحاتها المغرورة ، فقبلت بقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن ووصلت إلى اتفاق منصف وعادل مع الفلسطينيين وجيرانها العرب؟؟ حيث لا مناص لها من التعايش معهم ، وهذا التعايش لا يمكن أن يتم عن طريق الجبروت والقوة مهما امتد الزمن .

وهنا تبرز أسئلة أخرى لا بد من محاولة الإجابة عنها . لماذا هذا التأييد الأمريكي الأعمى لإسرائيل الذي اضر في كثير من الأحيان بالمصالح الأمريكية الجوهرية في المنطقة العربية ، كما اضر في المدى البعيد بإسرائيل ذاتها؟؟!! هل هذا التأييد هو نتيجة نشاط اللوبي الصهيوني؟؟ قد يكون الأمر كذلك في بعض الحدود ، ولكن الذي يبدو أن الموضوع أعمق من ذلك بكثير ، وهذه الأعماق هي التي يجب على الفلسطينيين والإسرائيليين أن يدركوها ويبحثوا جذورها إذا أرادوا حقن دمائهم وسيادة السلام بينهم .

يجب على هذه الأطراف المتنازعة أن تدرك أنه لو تحقق سلام في المنطقة العربية لتوقفت مصانع الحرب والدمار التي تمتص ثروات العالم ، ولتحققت أهداف أبناء المنطقة في التكامل الاقتصادي حيث يكون دافعا للسيطرة على مصادر الثروة وأهمها البترول حيث يتحقق بيعه بطريقة عادلة متفقة مع قيمته وأهميته . ولكن هناك من يهتمهم استمرار النزاع والتوتر ، وان إسرائيل هي خير مصدر لهذا النزاع ، ولذلك فهم يمتنونها بالمستحيل ، ويدعمونها بالمال والسلاح ويستحثونها ضد العرب ويعوقون أي خطوة نحو السلام ، ولا مانع لديهم أن يقتل الإسرائيليون والفلسطينيون بعضهم بعضا ، فكلما زاد الدم المسفوك والتوتر كان ذلك مزيدا في طلب السلاح وآلة الدمار !!

إن الصهيونية العالمية قد أخطأ قادتها الطريق بدفعها في مسارب ومزالق العنصرية المقيتة واختيارهم معاداة العروبة والإسلام ومحاولة الاستلاء على أراضيهم قسرا بقوة السلاح والتدمير . إن هناك مجموعة كبيرة من اليهود الذين لا يتفقون مع هذا الخط الصهيوني ، اذكر منهم الرباي نيو بيرقر الذي قال إن اليهودي الحقيقي لا يمكن أن يكون صهيونيا ، والصهيوني لا يمكن أن يكون يهوديا يؤمن بتعاليم الثورات ، كما أن الدكتور الرباي ألر برجر رئيس منظمة "أجاز AJAZ" المنتشرة بين اليهود في بعض أنحاء أمريكا كانت من أقوى المنظمات في محاربة الصهيونية ، وقد كان هذا الرجل العظيم من أقوى المدافعين عن القضية الفلسطينية ، وقد انضم إلى المنظمة العالمية غير الحكومية لمناهضة جميع أنواع التمييز العنصري "إيفورد" وكان عضوا فاعلا بإخلاص وجدية في هذه المنظمة التي كافحت العنصرية بجميع أشكالها وخصوصا "الابرتايد" في جنوب أفريقيا والصهيونية العالمية في كل مكان . والواقع أن اليهود لو لم يتورطوا مع هذه المؤسسة العنصرية "الصهيونية" واختاروا طريق السلم والتعاون مع أبناء عمومته العرب في فلسطين أو في غيرها من البلاد العربية لكان لهم دور كبير في نهضة هذه المنطقة ، ويمكن عن طريق هذا التعاون أن ينافسوا أوروبا وحتى أمريكا اقتصاديا وعلميا . وهذا الكلام ليس كلاما على عواهنه بل أنه يستمد أسسه ومرتكزاته من التاريخ والواقع ، فاليهود عندما اضطهدوا في جميع أنحاء العالم لم يجدوا إلا

حضارة الأندلس العربية الإسلامية تتبناهم وتجعلهم وزراء وقادة وفلاسفة شاركوا بمجهودهم وعبقريتهم في النهضة الأندلسية الرائعة .

وصاحبنا لا زال يذكر كيف كان اليهود في ليبيا في العهد الملكي متعاونين في الدولة وكيف كان لهم مركزهم ونفوذهم ، حتى أن بعض المواطنين العرب عندما تكون له مشكلة مع بعض السلطات يلجأ إلى بعض اليهود المقربين من تلك السلطة حتى يحل تلك المشكلة !! وقد سبق أن أشرت إلى التعاون والتآزر في حيّ زاوية الدهماني بين شباب العرب وجارهم اليهودي .

وفي جميع الأحوال فقد قال المؤرخ البريطاني المعروف توينبي : إن مشروع دولة إسرائيل هو مشروع محكوم عليه بالفناء مهما طال الزمن . فإسرائيل هي جسم غريب غرس بالقوة الظالمة في منطقة لها حضارتها وأمجادها ، وإسرائيل إمّا أن تنسجم وتتعاون مع المنطقة وبالتالي فلا بد أن تذوب فيها ، وإمّا أن تتخذ الطريق العنصري المتعنت فتصبح جسماً غريباً لا بد أن يطرد ويزول ، كما يطرد ويزول أي جسم غريب .

الفصل الثاني عشر

نقياً للمحامين والخلاف مع قادة سبتمبر

في أواخر سنة 1968 انتخب صاحبنا نقياً للمحامين ، وقد كانت هذه النقابة في هذه الفترة لا مقر لها ، حيث كان النقيب السابق الأستاذ عز الدين أبو راوي يدير شؤونها من مكتبه الخاص للمحاماة ، فاجتهد صاحبنا واستطاع بمساعدة الأستاذ رمضان تريح الذي كان في ذلك الوقت وكيلاً لوزارة العدل ، - والذي يجب على جميع المحامين أن يذكروا فضله على نقابتهم - أن يتحصل للنقابة على مقر واسع من دور كامل في عمارة محمد بن ساسي أمام فندق البحر الأبيض المتوسط ، وأث هذا المقر تأثيثاً كاملاً ، ونقل أحد موظفي محكمة طرابلس الابتدائية هو الأستاذ عبد الله الجزوري ليكون سكرتيراً لهذه النقابة ، وانضمت النقابة إلى اتحاد المحامين العرب ، حيث كان لها دور كبير في مناقشة القضايا العربية ، واستطاعت النقابة أن تحث وزارة العدل على إصدار قانون حديث للمحاماة بدلاً من ذلك القانون الصادر في عهد الإدارة البريطانية ، وعن طريق هذا القانون التزم المحامون بتسديد اشتراكات سنوية للنقابة ، كما نفذ التزام المحامين بارتداء الروب الخاص عند وقوفهم أمام القضاء ، كما تكونت لجنة من أحد أعضاء مجلس النقابة ومن عضو من وزارة العدل وعضو من وزارة المالية ، للنظر في استحقاقات المحامين العجزة أو ذويهم ، من صندوق النقابة ، وقد كون مقر لفرع النقابة بينغازي ، كما كانت النقابة بسبيل تكوين مقر فرعي في مصراتة و آخر في سبها ، وقد وجد المحامون في الصالة الكبيرة الواسعة في مقر النقابة مكاناً قريباً ونظيفاً لقضاء وقت فراغهم ، حيث كان يتولى خدمتهم من مشروبات ساخنة أو باردة احد مباشري المحكمة الابتدائية ، الأخ عمران احفوظة ذلك الشاب الرائع في مودته ونشاطه وأخلاقه . وكان من أهم إنجازات النقابة أيضاً إصدار مجلة "المحامي" حيث كانت تصدر كل ثلاثة أشهر ، تضم بعض أحكام المحاكم الهامة ، وأي قانون صدر حديثاً وشرحه ، وبعض تعليقات المحامين على القوانين أو الأحكام ، كما تضم الافتتاحية التي يكتبها

النقيب ، وقد صدر أول عدد من هذه المجلة في يناير 1976 وكانت افتتاحيته تحت عنوان "جنود الحق" وهي كالتالي : "سيأتي يوم لا ندرى متى . وأي جيل من الأجيال سيدركه ، يرجع فيه زملاؤنا القادمون الذين لا زالوا في أصلاب آبائهم ، إلى هذا العدد من مجلتهم التي تخرج لأول مرة في تاريخ هذا الجزء من العالم . وسيكون عندئذ كل شيء قد تغير وتبدل بنسب متفاوتة ومتعددة .

إن أملنا ... بل هي عقيدتنا أن هذا التغيير سيكون إلى الأفضل والأمثل والأسمى كما نفهم الأفضل والأمثل والأسمى ، أو كما نحاول أن نعيه ونفهمه ، فهذا هو الذي يبدو لإدراكنا من الخط البياني للتطور البشري .

هناك شيء واحد سوف لن يؤثر فيه كر العصور والأزمان ، ولا اختلاف الليل والنهار ، ولا تعاقب الصيف والشتاء ، ولا تعدد الأقاليم والمناطق ، فسيجده زملاؤنا القادمون سواء كانوا في أقصى الشرق أو الغرب ، في الشمال أو الجنوب ، كما وجدناه نحن عندما أتينا إلى هذه الحياة وكما هو منذ ملايين السنين ، وكما سيكون بعد ما شاء الله من الأحقاب والأزمنة ..

هذا الجوهر الذي لا يتغير ولن يتغير ، هو الحق . قد ظل وسيظل إلى الأبد نورا غامرا يتحدى طغيان الطغاة ، ويكشف ضعف الجبابرة ، ويبعث الأمل في الحياة ، ويهدي البشرية إلى صراطها المستقيم .

وما لا شك فيه أن للحق جنودا ، حملوا أمانته منذ الأزل ، وسواء منهم من عاشوا في الأدغال يطاردون غداءهم وفي جوف الكهوف يخططون طلاسمهم ، أو ذلكم الذين سيتقلون بسرعة الضوء بين الأفلاك والكواكب في مستقبل قريب أو بعيد ، أو هؤلاء الذين يعيشون أزمة الإنسان المعاصر بكل أبعادها وتناقضاتها والذين لا بد لهم من تحمل أثقال هذه الأمانة في جلد وكبرياء ، والصبر على شدائدها وآلامها في شجاعة وشرف .

إننا أبناء هذه الأسرة التي تلتقي كل يوم في محراب العدالة وأمام منصة القاضي سنحاول كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة أن نكون جديرين بهذا الشرف ، شرف حمل أمانة الحق .

ونحن في سبيل ذلك ، باسم الحق سطرنا هذه الكلمات ، وباسم الحق

أصدرنا هذه الصفحات ، وباسم الحق سنستمر في أداء هذا الواجب المقدس ، وبالحق ومن الحق نسأل السداد والتوفيق . وكانت افتتاحيات الأعداد الثاني والرابع والخامس تحت عناوين "المحامي" و"القاضي" و"الحقيقة" ، الوثيقة رقم 11 بقسم الوثائق في الصفحات الأخيرة من هذا الكتاب .

وقد استطاعت النقابة أن تتحصل على قطعة ارض من حوالي ألف متر في مواجهة البحر قرب مقر المحكمة العليا ، وقد سلمت خريطة هذا الموقع إلى نقابة المهندسين لرسم مبنى للنقابة في هذا الموقع الرائع ، وبعد أسابيع قليلة احضر الأستاذ المهندس أنور ساسي تخطيطا للمبنى مكون من ثلاث طوابق آية في الجمال والروعة ، وقد قدم هذا التخطيط إلى الجهات المختصة للموافقة عليه ، ولكن توقف هذا المشروع بحدوث الانقلاب العسكري في البلاد في أول سبتمبر 1969 .

بعد هذا التغيير في أوضاع البلاد ، بقى الوضع غامضا وغير معروف من الذين قاموا بهذا التغيير ، هذا علاوة على أن هذه السلطة الجديدة القائمة بالتغيير قد منعت المواطنين الخروج من بيوتهم لمدة حوالي الأسبوع إلا للضرورة القصوى وبإذن من هذه السلطة ، وبالرغم من هذا الوضع الغامض المشبوه كانت تداع عشرات البرقيات تأييدا لهذا الوضع الجديد من أشخاص ومؤسسات مختلفة !!! وبناء عليه تلقى صاحبنا وهو في بيته بعض المكالمات الهاتفية من بعض الزملاء المحامين يطالبون بإرسال برقية تأييد باسم نقابة المحامين ، فكان صاحبنا يرد عليهم ، كيف ترسل النقابة تأييدا لأناس غير معروفين وغير معروفة أهدافهم ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان التجارب في المنطقة العربية قد أثبتت أن هذه الانقلابات العسكرية بالرغم من إمكانية اعتبار أصحابها حسني النية فإنها قد فشلت جميعها في التقدم بالوطن إلى الأحسن وجميعها بدون استثناء قد أهدرت بصيص الديمقراطية التي كانت قبلها ، والذي زاد الأمر شكا وريبة أن أحد الزملاء المحامين المعروف بعلاقاته بالسفارة الأمريكية قد أخبره أن البلاد تعجّ بعناصر المخابرات الأمريكية ، وعليه فان صاحبنا باعتباره نقيبا للمحامين قد امتنع أن يرسل أي تأييد ما دام الوضع بذلك الغموض والريبة . وعندما أفرجت السلطة الانقلابية على الناس وسمحت لهم بالخروج لمزاولة أعمالهم ، اجتمع

صاحبنا بمجموعة من المحامين في مقر النقابة وكتبوا بيانا مطولا ذكروا فيه كفاح الشعب الليبي منذ العهد الإيطالي والإدارة البريطانية وطموحاته في العهد الملكي إلى ديمقراطية كاملة يتحقق فيها الفصل بين السلطات وحرية الرأي والتكوين الحزبي المنظم ، وان على السلطة الجديدة تحقيق هذا الهدف النبيل الذي فشل في تحقيق بعض جوانبه العهد السابق . الشيء العجيب أن هذا البيان امتنعت السلطة عن إذاعته أو نشره أو حتى الإشارة إليه . ومن ذلك التاريخ أصبح هناك نوع من الجفوة بين نقابة المحامين والسلطات الحاكمة الجديدة .

بعد أقل من شهر من قيام الانقلاب استدعي صاحبنا لمقابلة الأخ وزير العدل الأستاذ محمد الجدي الذي طلب إليه الذهاب الآن إلى باب العزيزية لمقابلة الملازم عمر المحيشي راجيا محاولة التعاون معه . إن عمر المحيشي المذكور هو أحد أعضاء الانقلاب ، وبالتالي فان صاحبنا قد انقبضت نفسه لهذا الطلب ، ولكن نظرا للعلاقة الطيبة التي كانت تربط صاحبنا بالأخ الجدي الذي كان يسميه ، تقديرا له ، بقاضي محكمة سوق الجمعة ، لكونه كان قاضيا شريفا نزيها ، فقد أذعن لهذا الطلب وذهب فورا إلى باب العزيزية ، وفي بوابة المعسكر أخطر الشاويش القائم على البوابة باسمه وان الملازم المحيشي في انتظاره . لاحظ صاحبنا أن الشاويش قد أرسل أحد الجنود إلى داخل المعسكر بالموضوع ، وبقي صاحبنا منتظرا على باب المعسكر لحوالي عشرة دقائق ، وحيث أن هذا الانتظار لم يسفر عن شيء ، ركب سيارته وغادر المكان بعد أن أشار للشاويش بذلك منوهاً أن للملازم المحيشي أن يحدد له موعدا آخر عندما لا يكون مشغولا .!! في نفس ذلك اليوم عند حوالي الساعة الثامنة مساءا عندما كان صاحبنا بسبيل مغادرة مكتبه إذ رن الهاتف والذي كان علي الخط هو الملازم عمر المحيشي معتذرا عما حصل ظهر هذا اليوم وان هناك ملابسات سببت فيما حصل من تأخير إدخاله ، وانه على أي حال في انتظاره الآن وسيجد من ينتظره عند البوابة لإدخاله فورا ، وهذا الذي حصل فعلا ، وعند المقابلة عرض الملازم المحيشي أن (مجلس قيادة الثورة) بسبيل محاكمة المعتقلين من عناصر العهد السابق ، والمجلس يطلب إليه أن يتولّى وظيفة المدعي العام في هذه المحاكمة ، لم يتردد صاحبنا في الاعتذار عن

قبول هذه المهمة شارحا للأخ المحيشي ان هناك سببين جوهريين تحول بينه وبين قبول هذه الوظيفة ، أولهما أن اغلب هؤلاء المعتقلين هم من أصدقائه ، وثانيهما أنه كان طول حياته كمحامي متخذاً موقف الدفاع ولا يمكنه أن يتحول الآن إلى موقف الاتهام !! فوجئ المحيشي بهذا الرد الذي لم يكن متوقعا وبان على وجهه الغضب ، وحاول بكل الإغراءات المعسولة والتهديدات الخفية أن يثني صاحبنا عن موقفه ، وعندما فشلت كل هذه المحاولات اخرج من درج مكتبه قائمة بأسماء رجال القانون من قضاة ومحامين وموظفين طالبا إلى صاحبنا أن ينصح باختيار عنصرين أو ثلاثة يصلح أحدهم القيام بهذه المهمة ، فاختار صاحبنا اسمين من تلك القائمة هما الأستاذين حسن يونس وعز الدين المبروك ، ولم يمض أكثر من أسبوع حتى أذيع أن (مجلس قيادة الثورة) قد عين الأستاذ حسن يونس لهذه المهمة الخطيرة . ولم يشأ الملازم المحيشي أن تمرّ هذه المقابلة بدون غمزة أو لمزة تدلّ على اتجاهه اليساري الذي يفاخر به بين زملائه الضباط ، فقال لصاحبنا ، أنى علمت انك تعيش في فيلاً كبيرة في مزرعة واسعة ، فما كان من صاحبنا ، وقد أدرك سطحية حضرة الملازم في فهمه للاشتراكية التي يدعيها ويفاخر بها ، أن ردّ عليه ، بأن من يعمل خمسة عشر ساعة يوميا بمجد وإخلاص له الحق أن يعيش في قصر منيف ، وانتهت المقابلة عند هذا الحد .

كانت هذه السلطة قد قبضت على مجموعة كبيرة من عناصر العهد السابق ، أودعتهم السجون وكان من بين المقبوض عليهم بعض المحامين ، يذكر من بينهم الأساتذة علي الديب ومحمود نافع وعبد الحميد بن حلیم وغيرهم ، فرأى صاحبنا أنه من الواجب عليه بصفته نقيبا للمحامين أن يتدخل في هذا الموضوع ، وعليه فقد ذهب إلى مقر قيادة هذه السلطة الجديدة وطلب مقابلة المسؤولين فاستقبله أحد الضباط ، أكبر الظن أنه الخويلدي الحميدي ، وكانت المقابلة فيها الكثير من الجفاف والتحدي ، بين صاحبنا سبب هذه الزيارة ، وهو أنه بصفته نقيبا للمحامين جاء يطلب الإفراج عن المحامين إذ أنهم جميعا من العناصر الوطنية التي لا يمكن الريبة في سلوكها ، وانه يتعهد بضمان هذا السلوك وإحضارهم إلى المحكمة إذا كانت هناك أي تهمة جادة ضدهم فرد ذلك الضابط

إن هؤلاء المحامين اكتشفنا أنهم متعاونون مع اليهود ، فرد صاحبنا إذا كنت تقصد أن في مكاتبتهم قضايا لصالح اليهود ، فهذا من أهم واجبات المحامي أن يدافع عن حقوق الناس أيا كان عرقهم أو معتقدتهم ، وإذا كان فعلا هذا هو ما تقصده فخذني معهم لأنني أيضا بمكتبي قضايا للمواطنين اليهود ، المهم انتهت هذه المقابلة بالوعد بالنظر في هذا الموضوع ، وفعلا بعد أقل من أسبوع أفرج عن المحامين المسجونين . بعد بضعة أشهر استدعيت النقابة من اتحاد المحامين العرب للحضور والمشاركة في مؤتمر المحامين العرب الذي سيعقد في الخرطوم بالسودان الشقيق ، اجتمع مجلس النقابة وبعد التشاور مع الزملاء في من له الرغبة في حضور هذا المؤتمر ، كونت قائمة من حوالي عشرة محامين علاوة عن النقيب ووكيله ، وحيث أن السفر للخارج كان ممنوعا إلا بموافقة السلطات الجديدة ، قدمت تلك القائمة للموافقة عليها لحضور ذلك المؤتمر الذي من أهم أهدافه مناقشة أوضاع الأمة العربية وهمومها وطموحاتها ، ولكن السلطة الجديدة لذهول الجميع رفضت السماح لهذه المجموعة بالسفر !!! مما اضطر النقيب أن يرسل برقية إلى أمين عام اتحاد الحامين الأستاذ شفيق الرشيدات يذكر فيها أن هناك ظروفًا قاهرة حالت بين المحامين الليبيين وبين حضور هذا المؤتمر . وبقى الجو غير مريح بين النقابة والسلطة الجديدة حتى حلول السنة التالية ، حيث استدعيت النقابة لحضور اجتماعات المكتب الدائم لاتحاد المحامين في تونس ، وقرر مجلس النقابة أن يسافر النقيب واحد أعضاء مجلس النقابة هو الأستاذ حسني الطويبي ، بدل وكيل النقابة كما هي العادة ، الأستاذ سالم أبو عود الذي اعتذر عن السفر بسبب ارتباط مسبق بقضية من قضاياها ، وبعد أن اتخذت جميع إجراءات السفر في المطار وبعد دخول الأخ حسني الطويبي إلى الطائرة المتجهة إلى تونس والنقيب وهو في طريقه إلى الطائرة استدعاه أحد رجال السلطة وأبلغه بمنعه وزميله من السفر ، حيث انزل الشيخ حسني من الطائرة ، وطلب إلى قيادة الطائرة بإرجاع حقايب النقيب وزميله عند وصول الطائرة إلى تونس ، وهكذا منع وفد المحامين الليبيين من المشاركة في اجتماعات اتحاد المحامين العرب للمرة الثانية!!! في مساء ذلك اليوم حضر إلى مكتب صاحبنا ، الأستاذ حسني الطويبي

وابلغ أنه قد استدعي إلى وزارة الداخلية فور الرجوع من المطار ، وطلب إليه الرائد عبد السلام جلود ، الذي كان وزيرا للداخلية في ذلك الوقت ، إبلاغ النقابة بالتوقف عن أي نشاط سياسي !! وان الوزارة سترسل قاضيين من وزارة العدل لحضور اجتماعات المكتب الدائم بتونس !! فاستشاط صاحبنا غضبا ، وصاح في الأستاذ حسني بإبلاغ هذا الوزير أنه لا يمكن حضور هذه الاجتماعات غير المحامين وان النقيب سيرسل برقية إلى أمين عام اتحاد المحامين العرب بعدم استقبال الوفد الليبي المعين من الوزارة . لا بد إن الأخ الطويبي قد أوصل هذه الكلمات الثائرة مجذافيرها إلى الوزير ، إذ أذيع في نشرة مساء ذلك اليوم نفسه قرار من مجلس قيادة "الثورة" بحل نقابة المحامين وتعيين المستشار بمحكمة الاستئناف الأستاذ احمد الطشاني والقاضي بالمحكمة الابتدائية الأستاذ محمد المسلاتي ليقوما بإدارة شؤون النقابة ، وقد كان هذا القرار مفاجأة ومحل استغراب من الجميع !!! وعلى أي حال فقد امتنع المكتب الدائم المجتمع بتونس من استقبال الوفد الليبي المعين من السلطة كما منع من حضور تلك الاجتماعات ، هذا كما أن جميع المحامين الليبيين قد امتنعوا عن أي تعاون مع اللجنة التي عينتها السلطة لإدارة النقابة ، وإنها الحرب ، ولكنها غير متكافئة .

في أوائل سنة 1970 زار عبد الناصر ليبيا ، أو بعبارة أصح ، زار جماعة النظام الجديد في ليبيا وفي حفل صاحب أقيم في ملعب كرة القدم الكائن في آخر شارع عمر المختار ، خطب السيد عبد الناصر في الجماهير ، وقال مشيرا إلى الأخ معمر : إني اترك فيكم أمينا للقومية العربية . والواقع أن الجماهير الليبية قد استقبلت عبد الناصر استقبالا منقطع النظير وكادت ترفع سيارته في الهواء ، وقد كان صاحبنا وصديقه عامر الدغيس يراقبان هذا التجمهر العجيب من بعيد ، وحيث كان لصاحبنا وصديقه ملاحظات على عبد الناصر وما فعله بالديمقراطية وحقوق الإنسان في الشقيقة مصر ، وانه كان السبب في تلك الهزيمة الفضيحة التي أصابت الأمة العربية ، فقد ذهل الصديقان من تصرف هذه الجماهير . وصاحبنا يذكر جيدا أن الأخ عامر قال لصاحبه في هذه المناسبة المذهلة : هل ترى يا صاحبي إن كل هذه الجماهير الغفيرة ، وهي تكاد تقبل موطأ أقدام الرجل هي

على باطل ، وأنا وأنت بتحفظنا عليه وعلى نظامه الدكتاتوري الفاسد ، على حق؟؟!! إن الإجابة على هذا التساؤل قد بقيت معلقة حتى اكتمل وضوح هذه الصورة القبيحة المزرية التي ابتليت بها هذه الأمة من جنودها الذين تركوا جبهات حدودنا وصاروا يتسابقون في جهالة على الحكم والسلطة . ورحم الله الجنرال الألماني رومل الذي قال للذين حاولوا إغراء بقيادة انقلاب على هتلر ، قال :
 إني جندي مكاني حدود ألمانيا وساحة القتال وليست ساحة السلطة وصراعاتها !!!
 والواقع أن هؤلاء الجنود أو الضباط في منطقتنا العربية بالرغم من النوايا الطيبة والحماس الطاهر والاندفاع الشريف الذي كان يدفعهم إلى هذه الانقلابات ، فلا شك أن أفعالهم كانت خطوات مدمرة لشرفهم العسكري ولشعوبهم وأوطانهم في حدودها الإقليمية أو في امتدادها القومي ، والتأثير والتاريخ أكبر شاهد على ذلك ، فكل ما تعانیه أمتنا في هذه السنوات الكئيبة من إذلال وهوان كان نتيجة مغامرات إخواننا العسكر في إدارتهم للدولة والتي لم تأت إلا بالإحباط والدمار ، ذلك أنه من الجلي لكل ذي بصيرة أن التربية العسكرية تختلف اختلافا جوهريا مع شئون السياسة وإدارة الأوطان . وبعد كل هذا وذاك ، كيف يكون محل ثقة أو يرجى منه خيرا هذا الانقلابي الذي خان القسم الذي أقسمه قبل نيله رتبة الضابط ، بالولاء للوطن ولرئيس الدولة الذي انقلب عليها؟؟؟؟!! ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

في أواخر 1971 أو أوائل 1972 قبض على مجموعة كبيرة من الضباط بتهمة محاولتهم الانقلاب على الانقلاب ، كانوا حوالي الثلاثين ضابطا ، كان البعض منهم معروفين لدينا نحن الذين تكبدنا السجن والاعتقال في العهد الملكي وكنا نحثهم باستمرار بالأمر تكبوا خطيئة الانقلاب العسكري الذي شوّه رسالة الجيش العربي كما شوّه المنطقة بأكملها ، وبالتالي كان صاحبنا مؤمنا ببراءتهم من هذه التهمة ، وإن هذا الاتهام لا يعدو أن يكون وسيلة قدرة للتخلص منهم ومن منافستهم في إدارة البلاد ، ونقدمهم للإجراءات العبيطة والمشبوهة التي تقوم بها السلطة ، وعليه فقد تحمس صاحبنا للدفاع عن هذه المجموعة المعروفة لديه التي تضم حوالي ثمانية ضباط ، كانت المحكمة عسكرية مكونة من ثلاثة ضباط من

الذين يقال عنهم "الضباط الأحرار" وهي تسمية سخيفة ومريرة أتى بها الانقلاب العسكري الناصري ، فكأنَّ غير هؤلاء من ضباط الجيش وهم الأكثرية الكبرى ليسوا أحرارا !!! وكيف بالله يقوم جيش وطني اغلب ضباطه موسومين بأنهم غير أحرار ، يا للعجب العجاب؟؟!! المهم بدأت المحاكمة في معسكر باب العزيزية استمرت أكثر من أسبوعين ، وفي أثنائها حصلت مشادة بين المحكمة وأحد المحامين الذي يتولى الدفاع عن مجموعة أخرى هو الاستاذ مصطفى الشيباني على ما اذكر ، أدت إلى إضراب المحامين عن حضور المحاكمة وكتبوا برقية يحتجون على محاولة رئيس المحكمة إهانة المحامين ، وبعد استرضاء المحامين استمرت الجلسات حتى حكم في القضية ، وكانت الأحكام ما بين سنتين أو ثلاث إلى عشر سنوات ، ويبدو أن هذا الحكم لم يعجب البعض من السلطة الجديدة ، فخرج بعض الغوغاء يصيحون في الشوارع ينادون "الإعدام ، الإعدام !!" والشيء الذي لا يصدق العقل أن مجلس قيادة "الثورة !!!" قرر اعتبار الأحكام السابقة كأن لم تكن وإعادة المحاكمة من جديد !!!! هل وجد في العالم سلطة أكثر بدائية وفوضى وعدم شعور بالمسئولية من هذه السلطة؟؟!! كيف يمكن إلغاء أحكام من محكمة كونتها هذه السلطة ذاتها؟؟!! ولا حول ولا قوة إلا بالله .

في هذه الفترة زاره في بيته بالمزرعة الأستاذ فريد اشرف ومعه أحد الضباط بلباسه المدني ، وقال هذا الضابط ، إننا قد خدعنا بالمشاركة في هذا الانقلاب الذي أسفر عن وجهه الدكتاتوري الفوضوي وأنه وبعض زملائه يريدون تغيير هذا الوضع وهم يطلبون التأييد والتشجيع من السياسيين المخضرمين ومن رجال الفكر والشخصيات المعروفة في الأوساط الشعبية بنضالها الوطني وأخلاقتها الرفيعة ، فوجئ صاحبنا بهذا العرض ، وسرعان ما دار في ذهنه موضوع تكرار الانقلابات العسكرية في الوطن العربي وما تتكبده هذه الأمة من جراء هذه المحاولات التي تدل على العبث وعدم الشعور بالمسئولية ، والتي لا تخلو من وجود أيدي خفية عدوة لها ، تشجعها وتنشر سوسها المخرب في هذه المنطقة ذات البعد الاستراتيجي في العالم ، وعليه فإن صاحبنا بادر ضيوفه بهذه الأفكار ، وحذرهم أنهم إذا استمروا في هذه المحاولات العيثية سيضطر لمحاولة

إيقافهم بكل الوسائل الممكنة!! فوجئ الضيفان بهذا الموقف غير المتوقع وحاولوا مناقشة صاحبنا فيما ذهب إليه ، ولكنه أصر على موقفه وذكر لهما أنه لا يخالفهما في أن النظام القائم قد تنكب الطريق ، ولكن معالجة هذا الوضع المتردي لا يكون أبدا بتكرار الانقلابات العسكرية .

في أواخر 1971 أيضا قررت السلطات الحاكمة تحت ضغط اتحاد المحامين العرب ، تحديد موعد لانتخاب مجلس النقابة والنيقيب!! وحيث أن المحامين ، بصفة عامة ، كانوا غاضبين اشد الغضب لحل مجلس النقابة السابق ، فقد ساد بينهم تصميم بمحاولة انتخاب نفس المجموعة السابقة من المجلس المنحل ، وفي اليوم المحدد لهذه الانتخابات حاول أحد المحامين المشهورين الذين تركوا المهنة والتحقوا بوزارة العدل ، وكان إذ ذاك موظفا كبيرا بهذه الوزارة ، أن يثني مجموعة المحامين عن هذا الهدف ، وخصوصا بالنسبة لانتخاب النقيب ، بدعوى أن ذلك قد يغضب السلطة القائمة في البلاد ، ولكن المحامين جميعا قد رفضوا هذا التدخل ، وكانوا ينظرون إلى هذا الإنسان بنوع من الشفقة إذا لم نقل بالازدراء!! وقد حاول هذا الإنسان العجيب في آخر لحظة وكأخر محاولة ، في ساعة الانتخاب ذاتها ، أن يغري الأستاذ عثمان البنزطي ليرشح نفسه لمركز النقيب كمنافس لصاحبنا ، ولكن الأستاذ عثمان رفض هذا العرض رفضا باتا ، وعليه انتخب صاحبنا نقيبا للمحامين بالإجماع ، كما أن أعضاء المجلس قد تم انتخابهم جميعا ، واعتبر ذلك صفة موجعة للذين سبق أن حاولوا قتل النقابة بحل مجلسها السابق .

من نشاط النقابة في هذه الفترة تكوين سلسلة من الندوات والمحاضرات ، وقد نشط المحامون في هذا الحقل نشاطا ملحوظا ، ففي كل أسبوعين أو ثلاثة تدعو النقابة لإقامة ندوة في قاعاتها الواسعة في موضوع اجتماعي أو أدبي أو قانوني ، ثم انتقلت إلى استدعاء بعض أساتذة الجامعة لإلقاء محاضرة في شأن من الشؤون المذكورة ، ولا زلت اذكر محاضرة من أعظم المحاضرات التي ألقيت في قاعة النقابة ، كان المحاضر أستاذا عراقيا من أساتذة القانون والاقتصاد في جامعة قار يونس ، على ما أذكر ، وكان موضوع

المحاضرة يدور حول أن وحدة الاقتصاد العربي ستؤدي حتما إلى الوحدة أو الاتحاد العربي ، وقد ذكر هذا الأستاذ الرائع في محاضراته الرائعة ، أن الذي يحول دون محاولة خلق هذا الاقتصاد الموحد هو موجة التأميم العبيطة السائدة في بعض البلاد العربية الأمر الذي جعل أصحاب رؤوس الأموال يتعدون بأموالهم عن هذه المحاولات ويذهبون بها إلى الخارج في أوروبا وأمريكا لاستثمارها ، والحل الذي يراه الأستاذ المحاضر أن تقوم مؤسسة اقتصادية تشمل الوطن العربي تقوم جميع الدول العربية بالمشاركة في رأسمالها بنسب تتفق مع الدخل العام لكل دولة بمقد أدنى قدره عشرون مليون دولار وحد أقصى قدره مائة مليون دولار ، ويسمح للقطاع الخاص بالمشاركة بأي مبلغ يراه المشارك ، وتقوم هذه المؤسسة بمحاولة خلق وسائل نقل مشتركة برية وبحرية وجوية ، ومؤسسة زراعية كبيرة في السودان ، وخلق صناعات مختلفة أينما وجدت المادة الخام لها ، ومن رأي الأستاذ المحاضر أن الوضعية بهذا الشكل ستمنع موجة التأميم بمعنى أن أي دولة تحاول تأميم أي جزء من ممتلكات هذه المؤسسة الاقتصادية الضخمة ستصطدم بالدول العربية الأخرى المشاركة في هذه المؤسسة ، وهذا سيشجع القطاع الخاص بالمشاركة بأمواله المودعة في بنوك أوروبا وأمريكا ، كما أن هذا النشاط الاقتصادي الذي يشمل جميع البلاد العربية سيقرب شعب هذه البلاد بعضها إلى بعض ، الأمر سينتهي حتما بوحدة هذه البلاد أو على الأقل باتحادها. ومن آراء هذا الأستاذ العظيم أيضا ، أن تنشئ الدول العربية دينارا عربيا خاصة تجبر الدول على شراء البترول بهذا النقد بدلا من الدولار وبالتالي لا يستطيع الأمريكان والصهاينة التلاعب بسعر الدولار انخفاضاً وارتفاعاً وبالتالي التلاعب بسعر البترول ، ولعلّه من الملاحظ حتى اليوم أنه كلما ارتفع سعر البترول انخفض سعر الدولار ، حتى يحرم منتجوا البترول ، وأكثرهم من العرب ، من ميزة زيادة سعر البترول !! ومن المعروف عند الكثير من المفكرين أن احد الأسباب الجوهرية للإطاحة بالنظام في العراق هي يوم أن دعا صدام حسين إلى المطالبة بأن يكون سعر البترول باليورو وليس بالدولار .

هذا النجاح الذي أحرزته النقابة في هذا الاتجاه ، شجعها على أن تطرق

مواضيع أخرى أكثر حساسية ، وحيث أن جملة البلاد العربية تعاني سوء الإدارة وخصوصا الوطن العزيز ليبيا ، فقد اقترح تكوين ندوة ، بعنوان الإدارة وعيوبها في الوطن العربي ، وطلبت استضافة أحد أساتذة الحقوق للمشاركة في هذه الندوة ، وكذلك رئيس البنك المركزي وبعض رجال الأعمال المعروفين ، وكذلك وزير الداخلية حيث كان في ذلك الوقت السيد الخويلدي الحميدي حيث أرسلت إليه الدعوة بذلك . وبدل أن يرد هذا الإنسان بالموافقة على الاشتراك في الندوة أو الاعتذار عنها ، بعث برسالة عجيبة إلى النقابة يطلب فيها تزويده بتقرير عن النقابة من يوم إنشائها إلى هذا التاريخ !!! كان طلبا عجيبا حقا لا يمكن استنباط ما هو المقصود منه ، وربما أن كاتبه نفسه لا يدري ما يقصد من وراء هذا الطلب العجيب سوى التخبط وإظهار السلطة والتسلط !!! وبناء على ذلك اشر صاحبنا على تلك الرسالة بالحفظ ، وحفظت الرسالة وكأنها لم تكن ، كما أجل موضوع تلك الندوة إلى موعد آخر لم يحدد . وبعد حوالي أسبوع من ورود تلك الرسالة وعند حضور صاحبنا إلى المنزل بالمرزعة وقت الظهر وجد شخصين من المخابرات العامة ينتظرانه أمام باب المنزل وطلبا إليه الذهاب معهما إلى مقر المخابرات الكائن قرب مسجد دون أن يتركا له حتى الدخول إلى المنزل ، وفي هذا المقر الموحش استقبله أحد الضباط بالملابس المدنية ، عرف بنفسه وقال أنه يعتبر قريبا له لكونه متزوج من إحدى بنات العائلة ، وان سبب استدعائه هو أن وزير الداخلية يريد التقرير الذي سبق أن طالب به النقابة منذ أكثر من أسبوع ، استشاط صاحبنا غضبا من هذا التصرف وصاح في ذلك الضابط ، ألهذا السبب أحضرتوني شبه مقبوض علي إلى هذا المكان !!!؟ بلغ صاحبك بان نقيب المحامين يقول لك أنه ليس هناك أي علاقة قانونية بين نقابة المحامين ووزارة الداخلية ، وليس هناك أي نص قانوني يلزم النقابة بان تقدم تقريرا إلى وزير الداخلية . انزعج ذلك الضابط المسكين من هذا الرد الصارخ وقال لصاحبنا سأعتبر نفسي أنى لم اسمع منك هذا الذي قلته صونا لحياتك وأني سأبلغ وزير الداخلية بأن النقيب يقول أنه ليس في قانون المحاماة ما يلزم النقابة بتقديم التقرير المطلوب ، واختفى لمدة حوالي عشر دقائق ثم حضر وهو في حالة

نفسية في منتهى السوء وابلغ صاحبنا بان الوزير قد طلب بإيداعه السجن وهو مضطر لتنفيذ ذلك ، وهكذا اخذ صاحبنا إلى سجن باب العزيزية وأودع إحدى الزنانات ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الصدف العجيبة وبعد أن استقر صاحبنا في زنزانه وهو يكاد ينفجر من الغيظ ، وجد أن جاره الذي في الزنانة المجاورة هو الأستاذ عبد الحميد البكوش ، وعلم منه أن له مدة طويلة في هذه الزنانة ، يعيش الوحدة القاتلة التي تكاد تذهب بالعقول ، وقد أدهش صاحبنا أن وجد الأخ عبد الحميد يصلي وهو في حالة نفسية مدمرة ، وحاول بكل السبل أن يخفف عنه مأساته . لم تزد إقامة صاحبنا في هذه الزنانة أكثر من ثلاث ليال ، إذ أسرع أعضاء مجلس النقابة عندما علموا بهذا الحدث المأساوي الذي جرى لتقييهم ، إلى الجهات العليا في السلطة وتمكنوا من الحصول على الإفراج عنه . فور خروج صاحبنا من السجن اتصل بالشيخ محمود صبحي المقرب من السلطة في ذلك الوقت ، والذي تربطه بصاحبنا ، في الوقت نفسه ، علاقة تفاهم ومودة ، وطلب إليه التدخل في موضوع الأستاذ عبد الحميد البكوش بالإفراج عنه أو على الأقل بإزالة السجن الانفرادي الذي يكاد يذهب بعقل الرجل وهي مسئولية كبيرة سيتحملها هذا النظام ، والأستاذ عبد الحميد على أي حال لم يرتكب أية جريمة يعاقب عليها القانون ، وقد كان من أعظم الأشخاص الذين تولوا المسئولية في العهد السابق ، سواء عندما كان وزيرا للعدل أو عند توليه رئاسة الوزارة . والذي يبدو أن الشيخ محمود صبحي لم يتوان في تنفيذ ذلك الطلب ، ففي نفس اليوم وحوالي منتصف الليل رن الهاتف في بيت صاحبنا ، وكان المتكلم هو الشيخ صبحي ، حيث ابلغ صاحبنا أنه التقي بالأخ معمر في مناسبة احتفال جرى في هذه الليلة ، وابلغه بموضوع الأخ البكوش ، وقد أمر الأخ معمر بإخراج المذكور من السجن الانفرادي ، وقد قال الشيخ صبحي لصاحبنا أن الأخ البكوش قد اخرج الآن ، وأنا أكلمك ، من السجن الانفرادي ، فشكره على مجهوده وغيرته ، والحقيقة أن هذا الذي كان متوقعا من إنسان مثل الشيخ محمود صبحي ، بارك الله فيه وفي أمثاله .

في أكتوبر 1973 اندلعت الحرب مع إسرائيل بعبور الجيش المصري القناة إلى الضفة الأخرى واقتحام خط بارليف الذي اعتقد الصهاينة أنه الخط الذي لا يمكن أن يقهر ، بناء على هذه الأخبار اجتمع مجلس النقابة وقرر المساهمة في هذه الحرب التي ستعيد للأمة العربية كرامتها بعد الهزيمة النكراء التي منيت بها في الهجوم الإسرائيلي سنة 1967 ، وقد رأى مجلس النقابة أن تكون مساهمته مساهمة تشجيعية للجندي العربي المشارك في هذه الحرب سواء في الجيش المصري أو الجيش السوري أو مناضلي المقاومة الفلسطينية ، بان ترسل لكل من هؤلاء المقاتلين هدية ، سميتها "هدية المقاتل العربي" ، تكون عبارة عن طرد صغير يحوي عدة حلقة كاملة وقطعة شكالاته وقطعة بسكويت وعلبة سجائر وولاعة وأن يوضع داخل هذا الطرد الصغير رسالة موجهة من أحد تلاميذ المدارس الابتدائية إلى المقاتل ، تبارك نضاله وشجاعته في جبهة القتال وتدعو له بالنصر وتحقيق شرف وكرامة هذه الأمة . عرض هذا المشروع على نقابة المعلمين والاتحاد النسائي ومؤسسة الكشاف ، والكل رحب بالمشروع وتحمس لتنفيذه ، وهكذا أصبح مقر نقابة المحامين مثل خلية النحل ، الكل يعمل بحماس وجدية وإخلاص ، فمجموعات من المحامين والكشاف يزورن المصانع والشركات لجمع التبرعات ، حيث لم يبخل أحد بتقديم كل المعونات المطلوبة منه باندفاع وحماس منقطع النظير ، حيث تبرعت مؤسسة التبغ بكل المطلوب منها ، حيث تبرعت بحوالي عشرين ألف علبة سجائر ، وهكذا كل المصانع ورجال الأعمال ، وقام المعلمون في المدارس بإرشاد التلاميذ بكتابة الرسالة إلى المقاتل بالأسلوب المؤثر المطلوب ، على أن تكون الرسالة بخط التلميذ وطريقته في تحقيق غرض الرسالة ، وكان يحضر إلى مقر النقابة ما لا يقل عن عشرين سيدة وأنسة يوميا يقمن بوضع الطرود وتغليفها ووضع رسالة التلاميذ بداخلها . وهكذا استطاعت النقابة أن تهيب حوالي خمسة عشر ألف طرد ، بدأت في إرسال بعضها عن طريق السفارات المعنية . الشيء العجيب والغريب والذي يثير الدهشة والكثير من التساؤلات ، أن هذا المشروع الوطني الذي تحمس له الجميع ، وهو في أوج نجاحه ، تأتي أوامر من السلطة الحاكمة بإيقافه فوراً ، الأمر الذي أصاب الجميع

بالذهول والتساؤل ولا حول ولا قوة إلا بالله!!! وفعلا اضطرت النقابة إلى إيقاف المشروع ، ولكنها استطاعت بحيل ومخاطر بإرسال بقية الطرود الموجودة بالمقر إلى الجهات المقصودة . إن فكرة إرسال رسائل من أطفال المدارس قد طرأت مرة أخرى على صاحبنا في هذه الأيام التي اشتد فيها التنكيل بالفلسطينيين من القوة الصهيونية الباغية ، فبعث برسالة إلى الرئيس عرفات أبو عمّار يحثه فيها على تنظيم إرسال رسائل من أطفال فلسطين إلى رؤساء دول العالم يستنجدون بشهامتهم ومسئوليتهم التاريخية (وثيقة رقم 3) .

في حوالي أوائل 1975 أشيع بين المحامين أن السلطة القائمة بسبيل إصدار قانون للمحاماة تلغي استقلال المحامي وتجعله عبارة عن موظف تابع للسلطة التنفيذية ، ولا شك أن هذا الاتجاه كان في منتهى الخطورة بالنسبة للمحامين وللمحاماة ذاتها ، إذ أن هذا المشروع إذا تم فمعنى ذلك هو إلغاء كامل المهنة المحاماة !! والواقع أن هذا الاتجاه لا يستغرب من السلطات القائمة ، فالسيد معمر يعتقد كما قال مرة للأخ منصور الكيخيا الذي كان قد استقال من الخارجية وزاول مهنة المحاماة ، "ألم تجد مهنة أخرى غير هذه المهنة التي هي مهنة الكذابين؟؟!!" وماذا يمكن أن يقال في مثل هذا التفكير؟؟ فلا شك أن السلطة المطلقة دائما تناصب العداء لرجال القانون ، والمحامين بصفة خاصة ، لأنهم خلقوا ليواجهوا السلطة ، والسلطة المطلقة التي يزاوها الحكم الدكتاتوري!! بناء على هذه الإشاعة والتي يمكن أن يكون لها أساس من الصحة ، كما أشرنا ، كان المحامون يلتقون مجموعات مجموعات في مقر النقابة يناقشون هذه الكارثة التي تهدد كيانهم ووجودهم ، وفي هذا الجو المتوتر ابلغ وزير العدل السيد محمد الجدي صاحبنا بان الأخ معمر يرغب في زيارة النقابة ويجب الالتقاء بالمحامين ، وحدد موعدا لذلك ، كانت الفكرة السائدة ، بناء على الرعب الذي ساد المحامين ، نتيجة تلك الإشاعة هو محاولة استرضاء الأخ معمر بكل وسيلة ممكنة !! وعندما سمع صاحبنا بهذا الاتجاه عند الزملاء أسرع للقاء ببعضهم في مقر النقابة وحثهم على الصمود ومواجهة هذه الزوبعة بالتحدي وإبراز الحقائق للسلطة حيث أنها الوسيلة الوحيدة لوضع الأمور في نصابها ، وقال صاحبنا

لزملائه إننا في العالم العربي نفسد زعماءنا بتملقهم وبإخفاء الحقائق عنهم وما يدور في الأوساط الشعبية المثقفة الواعية خوفا من غضبهم وبطشهم ، وبالتالي تركهم يعيشون في ظلام دامس بعيدين عن الحقائق والمنهج والطريق السليم ، والواقع أننا إذا أردنا الخير والتقدم لهذه القيادة التي بسبيل زيارتنا فلا بد من ذكر الحقائق كل الحقائق وكل ما يدور وراء الأبواب المغلقة وما يدور في أعماق نفوسنا . العجيب أن اغلب الزملاء رحب بهذه الفكرة ترحيبا كاملا وزال ما كان يسودهم من خوف وتردد ، وهكذا اختير للكلام في الاجتماع المنتظر ، النقيب باعتباره رئيس هذا الاجتماع وانه يمثل الاتجاه القومي ، كما اختير للكلام أيضا الأستاذ مصطفى الشيباني باعتباره يمثل الاتجاه اليساري ، واختير الأستاذ إبراهيم الغويل باعتباره يمثل الاتجاه الإسلامي ، وقبل أن يتحدد موعد اللقاء طلب النقيب من الأخ وزير العدل أن يبلغ السيد معمر أن المحامين يرغبون أن يكون هذا اللقاء بينهم وبين الزائر المنتظر لقاء اخويا خاليا من وسائل الإعلام من تلفزيون وغيره - ذلك أن المحامين يدركون أن هؤلاء الناس الذين يظهرون بمظاهر الزعامة لهم شخصية عادية عندما تكون بعيدة عن الإعلام ، وشخصية إعلامية تختلف اختلافا كبيرا عندما تكون تحت أضواء الإعلام- وعلى أي حال فإن الأخ معمر قد وافق على هذا الطلب ، وهكذا تحدد موعد الزيارة وكانت مساء يوم 28-5-1975 هيأت قاعة النقابة لهذا الحدث الجلل ، وقد حاول بعض المحامين وضع صورة الأخ معمر في صدر القاعة كنوع من الترحاب بالزيارة ، ولكن النقيب وبعض أعضاء مجلس النقابة أصروا ألا يوضع في صدر القاعة إلا كلمة الله ، الله الذي هو فوق الجميع ، وكان لهذا الموقف دلالة الواضحة . وكما سبق أن نوهنا أن على الشعب ، والمثقفين منه بوجه خاص يجب ألا ينافقوا أولئك الذين بيدهم السلطة بل يجب عليهم أن يواجهوهم بالحقائق السافرة الخالية من التزييق مهما كانت مرارتها .

حضر الأخ معمر وجلس في صدر القاعة حيث جلس النقيب ووزير العدل ورئيس المحكمة العليا وأعطى للزميل عبد المجيد الميت ، وكان إذ ذاك عضوا في مجلس النقابة ، إدارة الاجتماع حيث أعطى الكلمة للنقيب الذي ألقى الكلمة التالية :

"باسم الحق والعروبة ، هذا اللقاء المبارك الذي نأمل أن يكون أساسه الصدق والصفاء والإخلاص ، ونرجوه تعالى أن يعيننا على ضعف نفوسنا حتى نقول كما نحاول دائما أن نقول الحق حقا ، والباطل باطلا ، كما نرجوه تعالى أن ينير عقولنا وقلوبنا حتى نميز بين هذا الحق وذلك الباطل .

اسمح لي أيها الأخ العقيد أن أقدم لك مجموعة من إخوانك ومواطنيك الذين يقدرون زيارتك هذه إلى نقابتهم حق قدرها مدركين لأبعادها ومراميتها . وأنا لا اشك أبدا أنهم سعداء مستبشرين بها آمليين من ورائها كل خير وبركة لوطنهم وأمتهم والى تطلعاتهم الإنسانية الواسعة .

أيها الأخ العزيز ، إني أقدم لك مجموعة من المواطنين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، تجمعك بهم كونهم أبناء هذه الصحراء الواسعة ، والأرض البكر الطيبة ، تغدوا بتمرها وألبانها ، وغاصت أقدامهم في رمالها وكثبانها ، وخاضت أرجلهم في غدرانها ووديانها ، واستنشقت أنوفهم حناؤها وعرعارها . إنهم يحبون هذه الأرض ويعشقون كل ذرة رمل فيها ، ولقد رأيت بعيني رأسي البعض منهم تنهمر دموعه عند سماعه ذكر هذا الوطن في بيت شعر جيد أو لحن موسيقي مؤثر .

لقد عاشرتهم وعشت معهم عشرين سنة ، وإنهم جميعا مؤمنون بالرغم مما يحيط البعض منهم من هواجس ونزغات ، وكلهم طيبون مخلصون بالرغم من تيارات الضعف البشري الجارفة ، وإنهم جميعا قويهم وضعيفهم ، شبابهم وشبههم ، يتطلعون إلى أن يكون لهم دور في تكملة رسالة أجدادهم إلى الإنسانية جمعاء .

إني لا اخفي عليك أيها الأخ أنهم قوم مشاكسون ، حذرون ، شكاكون في كثير من الأحيان ، فقد منعوني من أن أتكلم على سببتي ، وأجبروني أن احضر كلمتي كتابة حتى يعرفوا ما فيها من أقوال واتجاهات وأفكار قبل إلقائها . وهذا لا اعتبره عيبا فيهم بل هو ميزة من أهم ميزاتهم ، وهو دليل لا يقبل الشك على مدى شعورهم بمسئولية الكلمة ومسئولية الموقف . واني لا اخفي عواطفني ولا أزيغها حين أقول أن الإنسان عندما يعرفهم لا يملك إلا أن يحبهم ، ويشعر

بالفخر والاعتزاز أن يكون بينهم ومعهم . إنهم يأتون إليك أيها الأخ العقيد اليوم بهموم نفوسهم وآلام أمتهم وأحزانها ، وبالتالي فلن تسمع منهم تلك الكلمات المطربة الممتعة أو الجمل المنمقة المختارة ، بل هي كلمات مفعمة بالآلام والحزن والتساؤل .

لماذا نتخلف ويتقدم الآخرون !!؟؟

إن الآخرين لا يملكون حضارات عشر آلاف سنة ، حضارات بين النهرين ، وضاف النيل ، وشواطئ المتوسط ، لا يملكون حضارة بابل وأشور والكلدانيين والفرعنة والفينيقيين واللولبيين والقرطاجيين ، لا يملكون رسالة موسى وعيسى ومحمد . ومع ذلك فنحن المتخلفون وهم المتقدمون !! فلماذا ثم لماذا !!؟؟

إننا كمحاميين لا نملك الخوض الآن في سياسة العالم واتجاهاتها وصراعاتها ، فهذه أبعاد ربما تغيب على الكثيرين منا ، ولكننا لا شك ولا ريب نملك بعض أبعاد ما هو لصيق بنا وبمهنتنا ، وبالقدر المتاح لنا الإشارة إليه نتساءل لماذا لا يكون لنا تشريع نحن مصدره ممثلين منتخبين انتخابا صادقا حقيقيا ، وقضاء قادر عادل مستقل في أرضنا ووطننا ، سواء بمعناه الضيق أو بمعناه الواسع ، حتى يستطيع الإنسان العربي أن يحتمي في ظلالة ، ويأمن على نفسه ، وحرية ، وماله وعياله .

إن التاريخ يحدثنا أن نشأة الدول عندما قامت وتطورت ، إنما قامت أساسا على تحقيق العدالة بين أفراد الجماعة التي تكونت منها الدول ، وإن هذا العنصر الجوهري الضارب في أعماق التاريخ لا زال حتى اليوم أحد الأعمدة الأساسية إن لم نقل أولها وأهمها في بقاء الدولة واستقرارها وتقدمها .

واسمح لي أيها الأخ العزيز أن أتطاول وأقول كما قال أعظم المؤرخين وأصدقهم وأكثرهم وعيا وفهما ، بان انتشار الإسلام وحضارته الفذة لم تكن سيفا ولا رحما ، وإنما كانت تشريعا رائعا استجاب لأعمق ما في النفس البشرية من معان إنسانية وعاما مريدوه بعمق وإخلاص باعتبار أن هذا المخلوق هو خليفة الله في الأرض ، وقد حمل الأمانة ولا بد واصلا بها إلى من حمله إياها ،

الخالق الأعظم مهندس هذا الكون تقდست أسماؤه . وان هذه الأمانة في رأينا لا يستطيع أي مخلوق مهما عظم أو تجبر أن يزعها أو يزيلها .

إن حضارة الإسلام ، في رأينا ، وانتشاره في ربع قرن ، ما بين جبال البرانس في فرنسا ، وحدود الهند في آسيا ، هي الحرية المسئولة والقضاء العادل . إن الحضارة والتقدم ، بصفة عامة ، في رأينا أيها الأخ هي اختيار مسئول وقضاء قادر عادل وعلم غزير غزير ناتج عن تربية الصدق والنظام .

وان رسالة السماء ، في رأينا ، هي جوهر يشع نوره ما بين السماوات والأرض ، وهي ملك لجميع أبناء هذه المعمورة وليست تابو أو كهانة مفروضة من أي جهة كانت تفرض وصايتها في الأرض .

اعتذر لنفسي ولاخواني مقدما إذا زلّ لساننا أو جمحت بنا عواطفنا ، فأنت أخونا وابن صحرائنا الفذة ، سلالة إبراهيم وإسماعيل ومحمد وعمر وخالد والمختار .

وفكك الله وسدد خطاك وهدانا جميعا سواء السبيل أنه سميع مجيب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته" .

بعد هذه الكلمة ألقى الأستاذ مصطفى الشيباني كلمته ارتجالا ثم أعقبه الأستاذ إبراهيم الغويل ، ثم فتح باب الحوار ، وكان اغلب المحامين محتدين ، وكانوا يخاطبون الأخ معمر بجدّة وجرأة شديدة ، اذكر من ذلك أن الأستاذ عبد الله بانون قال له يا أخ معمر أنت لست اعظم من عمر بن الخطاب ونحن لسنا أقل من تلك المرأة التي قالت له إذا انحرفت عن الخط المستقيم سنردك بحد سيوفنا !! . المهم أن الحوار استمر أكثر من ساعتين ، وفي النهاية ختم العقيد الجلسة بكلمة قصيرة مما قال فيها أنه بالرغم من هذه العنتريات التي سادت هذا الاجتماع فاني اقرّ أني دخلت هذا الاجتماع بوجهة نظر وأنا اخرج منه بوجهة نظر أخرى !! ولا أحد يعلم ما هي وجهة النظر التي دخل بها الأخ معمر والتي خرج بغيرها!!

كانت النقابة قد سجلت هذا الاجتماع ليقى وثيقة من وثائقها ، ولكن في اليوم التالي حضر مجموعة من المخبرات واستولوا على ذلك التسجيل عنوة ، ولم يرجعوه أبدا بالرغم من الطلبات المتكررة .

بعد هذا الاجتماع بحوالي عشرة أيام كان صاحبنا في سهرة في بيت الأستاذ عبد الحميد البكوش ، وعندما كان راجعا إلى بيته حوالي الساعة الحادية عشر اعترضته سيارة بها بعض الشباب ، أشاروا عليه بالوقوف ، وحيث أنه كانت هناك بعض الإشاعات بان هؤلاء الشباب من زمرة النظام كانوا يعترضون بعض الأشخاص المشكوك في ولائهم للنظام ويوسعونهم ضربا بالعصي ، والبعض منهم قد مات تحت هذا الضرب الهمجي الخارج عن القانون ، بناء على هذه الإشاعات والأفكار التي كانت تدور في رأس صاحبنا فقد رفض إيقاف سيارته بل زاد في سرعته حتى دخل مزرعته وتلك السيارة المشبوهة تلاحقه ، وحيث أنه لا يريد أن يخلق شوشرة أمام بيته ويزعج زوجته وأطفاله توقف أمام بيت عمال المزرعة عله يجد لديهم بعض الحماية ، وصار يدق بشدة على ذلك الباب ولكن مع الأسف لم يخرج أحد ، حتى توقفت بجانبه تلك السيارة التي كانت تلاحقه ونزل منها ثلاثة من ذلك الشباب الأهوج وطلبوا إليه ركوب سيارتهم مهددينه بالسلاح الذي كان معهم ، وعندما رفض الاستجابة لهذا الطلب ، قام اثنان منهما بفتح صندوق مؤخر سيارتهم واخرجوا منه أنابيب من المطاط الغليظ يشبه العصي ، وانهالوا عليه ضربا بتلك الأنابيب ، فصار صاحبنا ينادي بأعلى صوته ، يا محمد .. يا علي ... ، عل ذلك يرهب هؤلاء المعتدين ، ثم انفلت منهم وجري إلى بيته واخرج بندقية الصيد التي لديه ورجع لمجاهمة هؤلاء المجرمين ، ولكنه وجدهم قد اختفوا بعد أن اخذوا كل الأوراق التي كانت بسيارته . في صباح اليوم التالي حضر إلى البيت أحد أولئك الشباب وسلم صاحبنا الأوراق التي أخذوها من السيارة مدعيا أنهم من المخابرات العسكرية ، ورفض أن يجيب على أي تساؤل من تساؤلات صاحبنا عن الهدف من هذا الاعتداء . في نفس صباح ذلك اليوم أسرع صاحبنا إلى المستشفى لعرض الإصابات التي مني بها واخذ تقريرا من المستشفى بذلك ، ثم ذهب إلى مركز الشرطة التابع للمنطقة وقدم شكوى ضد أولئك المعتدين المجهولين مرفقة بالتقرير الطبي ، ثم طلب اجتماع مجلس النقابة الذي استهول هذا الاعتداء الإجرامي على نقيبهم ، فأرسل المجلس عدة برقيات شكوى واحتجاج إلى جميع الجهات المسؤولة بما في ذلك معمر

القذافي . بعد حوالي أسبوع من هذه الواقعة جاءه طلب من الأخ القذافي لمقابلته في باب العزيزية ، وفي الموعد المحدد استقبله على انفراد مستفسرا عما حصل ، فذكر صاحبنا الحدث بتفصيلاته بما في ذلك ادعاء هؤلاء المعتدين أنهم من المخابرات العسكرية ، محذرا الأخ معمر أنه إذا كان هؤلاء الشباب فعلا من المخابرات العسكرية فان فعلهم هذا وهم يجوبون الشوارع ليلا بالملابس المدنية ويعتدون على المواطنين حسب اجتهادهم القاصر ، فان هذا الفعل سوف يشجع عشرات البلطجية يدورون في الشوارع ليلا أو نهارا ويعتدون على المواطنين ويسلبونهم أموالهم بدعوى أنهم من المخابرات ، وفي ذلك تشويها كاملا للجيش وشرفه ، كما أنه سيخلق فوضى في البلاد لا يمكن السيطرة عليها بعد ذلك . وإما أن يكون هؤلاء الشباب ليسوا من المخابرات وان ذلك مجرد كذب وادعاء ، فمعنى ذلك يدل على وجود فيما حولنا طابور خامس يهدف إلى خلق فوضى في البلاد ، وفي ذلك ما فيه من خطورة على الوطن . تجاوز الأخ معمر كل هذا الحديث وسأل صاحبنا ، كيف حال عامر الدغيس وكيف حال صالح الشريف؟! فوجئ صاحبنا بهذا التساؤل ، ولكنه فهم ما هو المقصود من ورائه ، وكان رده ، انك يا أخ معمر تتساءل عن البعثيين وحزب البعث في ليبيا !! وأحب أن أؤكد لك الآن إن عقيدة البعثي في الوحدة والحرية والاشتراكية ، "الاشتراكية كما يفهمها البعثيون التي هي تكافؤ الفرص وليس اشتراكية التأميمات الفوضوية التي هي والسرقة واللصوصية سواء بسواء" ، هذه العقيدة لا يمكن أن تزول من أي إنسان آمن بهذه العقيدة ، أما إذا كنت تتساءل عن حزب البعث في ليبيا فاني أصدقك القول أن هذا الحزب قد جمد نفسه منذ 1966 عند الانقلاب العسكري على القيادة القومية في سوريا ، ومنذ ذلك التاريخ ، اعتبرنا أن القيادة الجديدة لا تمثل الحزب ، وهكذا توقف النشاط الحزبي في ليبيا . لا يدري صاحبنا إذا كان الأخ معمر قد اقتنع بهذا القول أو لا ، وان كان قد أثار موضوع الإعلام وتحدث بخصوصه مطولا الأمر الذي استشعر منه صاحبنا أن العقيد يريد دفعه لتولي هذا الشأن ولكن صاحبنا تجاهل هذه الإشارة ، وهكذا انتهت المقابلة ، إلا أنه عند خروج صاحبنا وهو ممسك بأكرة الباب استأنف الأخ معمر الحديث وقال

صاحبنا : إننا نقدر مجهوداتكم الوطنية السابقة كل التقدير ، إلا أن هذه الفترة تعتبر قد انتهت بخيرها وشرها ، والآن توجد النظرية الثالثة التي يجب أن نلتف حولها جميعا . فوجئ صاحبنا بهذه اللفتة الجديدة واكتفى بان قال ، إن هذا موضوع جديد يحتاج إلى جلسة أخرى معكم إن شاء الله في المستقبل الذي نأمل أن يكون قريبا .

في أواخر سنة 1975 أي بعد زيارة الأخ معمر لمقر النقابة ببضعة أشهر ، استدعى مجلس النقابة لزيارته في مقر إقامته بباب العزيزية ، حيث استقبلهم بترحاب ظاهر ، وكان ذلك بحضور الأخ وزير العدل محمد الجدي ، وبدأت الجلسة بعد صلاة العشاء أي حوالي الساعة الثامنة مساء بقصعتي بازين التف حولهما هذه المجموعة بما في ذلك الأخ معمر الذي حاول أن يجعل هذا اللقاء اخويا ، فكان يمازح بعض أعضاء المجلس في طريقة أكلهم للبازين !! ثم جلس الجميع على الأرض ، وبدأ الأخ معمر الحوار وهو متكأ على حشيتة في تواضع كامل ، بشكواه من الإعلام في ليبيا حيث أن سمعة هذا النظام في الخارج أقوى منه داخل ليبيا ، ودار الحوار بصورة أخوية فعلا ، وكان أعضاء المجلس يناقشون الأخ معمر بتحدّي وجرأة كاملة وكان البعض تجاوز أصول اللياقة والضيافة فكان يقاطع الأخ معمر في حديثه بصورة غير لائقة ولا مهذبة الأمر الذي دفع بالنقيب أن يشير إليه بغير أن يلاحظه أحد بان يخفف من حدته وهجومه ، فتحدث الأخ عبد المجيد الميت وبعض الأعضاء الآخرين بان المثقفين بصفة عامة والمحامين بصفة خاصة لا يتقبلون بسهولة هذه التغيرات التي يسمونها بالثورية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى موضوع الإعلام الذي طرح في الحديث ، فان رجال السلطة يريدون إن يقتصر الحديث على محاسنهم وعدم ذكر ما يرتكبه النظام من أخطاء ، وبالتالي يفقد الإعلام دوره البناء ويصبح أداة تزوير ، له أسوأ النتائج في مستقبل الوطن . وتحدث النقيب عن أهداف نقابة المحامين ورسالتها في الداخل والخارج والدور الذي استطاعت أن تؤديه في هذا المجال ، وان المطلوب منا جميعا سواء الذين في السلطة أو الذين خارجها أن يكون هناك حسن نية متبادل والمشاركة في وجهات النظر وتقبل النقد مهما كان

مرا ، وعميق الديمقراطية التي هي أساس التقدم في أي مكان في العالم . أما بالنسبة للنظرية الثالثة والكتاب الأخضر الذي وزع علينا الآن ، فإننا نحب أن نذكر أن هذا الاتجاه الذي تذهبون إليه أيها الأخ يحتاج إلى بشر من الملائكة أو على الأقل إلى بشر قد تم نضجهم واستطاعوا أن يستوعبوا أن مصلحتهم الشخصية مرتبطة ارتباطا تاما بالمصلحة العامة واستطاعوا أن يتحرروا من أنانيتهم ، الأمر غير الموجود في مجتمعنا الليبي حاليا ، إذ أننا نحتاج إلى مائة عام من التربية الصارمة المخلصة المزهة عن الكذب والنفاق حتى يمكن أن نصل إلى تلك الدرجة التي تحقق تطبيق هذه النظرية المشار إليها في كتابكم ، أما الآن فان تطبيق هذه الأفكار لا تأتي إلا بالفوضى وانهيار المجتمع انهيارا كاملا ، والحل الآن هو تطبيق الديمقراطية بطريقتها التقليدية ، والفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية . مما لا شك فيه أن بعض الاقتراحات الواردة في هذا الكتيب الذي وزع علينا يمكن أن يكون لها نتائج طيبة ومفيدة للمواطنين والوطن ، ومن ذلك الاجتماعات الدورية للمواطنين في كل حي ومنطقة من مناطق الوطن على اتساعه ، ولكن بشرط أن تكون قيادات هذه الاجتماعات قد انتخبت انتخابا حقيقيا عن طريق صندوق الانتخاب وتحت الإشراف القضائي ، وألا تتعدى اختصاصاتها الأمور المحلية المتعلقة بشؤون ذلك الحي أو تلك المنطقة ، إذ الواقع أنه في اجتماعات من هذا النوع وتحت هذه الشروط فيه تدريب للمواطنين على الاهتمام بقضاياهم المحلية والتعود على مناقشتها وإبداء الرأي الصائب فيها ، أما تكوين هذه اللجان بالأسلوب الذي يسمونه التصعيد فانه لا يأتي إلا بأسوأ العناصر وأشدّها ضررا للمجتمع إذ إنها ستكون الفرصة الذهبية للمتسلقين وأكثر الناس كذبا و نفاقا ، الأمر الذي سيؤدي حتما إلى الدمار الكامل اقتصاديا واجتماعيا وخلقيا ، خصوصا إذا أعطيت هذه اللجان إصدار بعض القرارات ذات الآثار الجوهرية في الوطن .

الشيء العجيب أن الأخ معمر لم يغضب من هذا النقد الذي يكاد يصل إلى درجة الحدة . وانتهى هذا الاجتماع حوالي منتصف الليل بطلب من مجلس النقابة إلى الأخ معمر بان يوافق على إصدار مجلة شهرية لنقابة المحامين وان

تساعد السلطة في استدعاء نقابات المحامين في العالم العربي لاجتماع المكتب الدائم لاتحاد المحامين في طرابلس ، وقد تمت الموافقة على الطلبين .

قامت النقابة بإصدار مجلة "المحامي" السابق الإشارة إليها ، والتي كانت تصدر كل ثلاثة أشهر ، وقد اقبل عليها القضاة والمحامون إقبالا رائعا ، كما عرضت عند بائعي الصحف حيث اقبل عليها الجمهور المثقف . ثم قامت النقابة بدعوة المكتب الدائم ، عن طريق الأمين العام الأستاذ شفيق ارشيدات ، للاجتماع في طرابلس .

في أواخر مارس وأوائل أبريل 1976 اجتمع المكتب الدائم لاتحاد المحامين بمدينة طرابلس ، وقد حضر افتتاح جلساته مجموعة رجال القضاء والنيابة في طرابلس والأقاليم المجاورة ، كما حضرته مجموعة كبيرة من المثقفين ورجال الإعلام والصحافة ، وكان اجتماعا ناجحا بجميع المقاييس ، وقد قام الأخ معمر بدعوة جميع أعضاء المكتب الدائم إلى الغداء في إحدى المزارع ، وكان يرحب بهم فردا فردا ويناقشهم في هموم الأمة ببشاشة وأخوة ، وحيث أن هذا الاجتماع قد تم في وقت كانت النظم الحاكمة في البلاد العربية يهاجم بعضها بعضا بطريقة شرسة في الإيذاعات المسموعة والمرئية ، فقد كانت إحدى مقررات هذا الاجتماع أن يكون مجلس من جميع النقباء الحاضرين يسمى مجلس الحكماء يقوم بزيارة جميع رؤساء هذه الأنظمة المتناطحة ومحاوله تقريب وجهات النظر بينهم . وعليه بعد أن تمت اجتماعات المكتب الدائم سافر مجلس الحكماء المشار إليه إلى تونس حيث قابل الرئيس التونسي الحبيب أبو رقية الذي استقبل هذا الوفد أو المجلس بكل الحفاوة والتقدير ، ومن جملة ما قاله هذا الرئيس الرائع الفذ ، في هذا اللقاء أنه محامي مثلهم واخرج بعض الصور التي تظهره بروب المحاماة ، ووعد الوفد بأنه سيعمل كل ما في وسعه لتحقيق المهمة النبيلة الشريفة التي حضر من اجلها هذا الوفد .

بعد مقابلة الرئيس أبو رقية قابل الوفد أو ما سمي بـ لجنة الحكماء ، رئيس مجلس الوزراء التونسي السيد مزالي الذي تحدث بشدة واقل دبلوماسية ومجاملة ، فانتقد بشدة النظام الليبي في محاولاته التدخل في الشؤون التونسية

بتسليح وتشجيع بعض المعارضين التونسيين لمهاجمة بعض القرى التونسية ، ومن جملة ما قاله السيد مزالي ، أن تونس قد وظفت إمكانياتها المالية في أهداف التعليم وبناء المدارس ، ولو وظفنا أموالنا في شراء السلاح كما يفعل البعض ، لعرفنا كيف نرد على هؤلاء الذين يحاولون التدخل في شئوننا الداخلية . المهم أن الوفد حاول أن يخفف من هذه الحدة ، ووعد بمحاولة التغلب على هذه التجاوزات ، وانتهت لقاءات تونس عند هذا الحد .

قبل أن يغادر الوفد تونس كل إلى بلاده ، قرر أن يكون اللقاء المقبل في بغداد لمقابلة السيد البكر رئيس الجمهورية العراقية ، وقد تعهد الأمين العام لاتحاد المحامين الأستاذ شفيق ارشيدات بدعوة هذا المجلس إلى بغداد بعد أن يجدد موعدا للقاء السيد البكر . وقبل أن يغادر صاحبنا تونس أعطاه الأستاذ ارشيدات رسالة لتسليمها إلى معمر القذافي فور وصوله مدينة طرابلس ، وعليه فإن صاحبنا طلب المقابلة فورا ، واستجيب لطلبه فورا ، وبعد أن قرأ الرسالة العقيد القذافي شكر المجهود الذي يقوم به نقباء المحامين في تسوية خلافات قيادات أمتهم ، ثم تساءل ما هي خطواتكم القادمة ، فاخبره صاحبنا بما استقر عليه الرأي في الذهاب إلى بغداد قريبا لمقابلة البكر ، ثم الانتقال إلى دمشق لمقابلة الأسد ثم القاهرة لمقابلة السادات ، لم ير الأخ معمر هذا الترتيب صوابا ، وقال أريد منك أن تحاول إقناع الأمين العام وبقية زملائك أنه من الأوفق أن تقابلوا السادات أولا فهو في الواقع السبب في هذا الاضطراب الذي حل بالأمة ، فهذا الرجل له مبادرته الجيدة ، واجتهاداته لا يشك أحد أنها وطنية مخلصه ولكنها في بعض الأحيان تجاوزت الخطوط الحمراء الأمر الذي خلق هذه البلبلة الخطيرة التي يمكن أن تهدد تضامن الأمة وطموحنا إلى وحدتها ، خصوصا علاقته مع إسرائيل الأخيرة وما يترتب عنها ، والتي توحى أن السادات في سبيل أغراضه الإقليمية باسترداد سيناء قد باع القضية العربية جملة وتفصيلا . وبالرغم من ذلك فإن الأخ معمر لا زال يأمل أن هذه المواقف الساداتية ربما كانت تكتيكا من تكتيكات السادات الذكية ، ثم قال كلاما جيدا عن السادات ، ومما قاله بالحرف الواحد أنه يعتبر السادات أخاه الأكبر وهو يكن له كل التقدير والاحترام ،

وانتهى هذا اللقاء بالإلحاح على صاحبنا محاولة أن تكون الخطوة التالية للجنة "الحكماء" هي زيارة السادات . بعد حوالي أسبوع من هذا اللقاء سافر صاحبنا إلى القاهرة حيث قابل الأمين العام لاتحاد المحامين الأستاذ ارشيدات وابلغه بتصورات وأراء معمر القذافي بخصوص خطوات اللجنة ، وقد اهتم الأستاذ الأمين العام بهذه التوجهات وقام باتصالاته بالإخوة النقباء ، وحيث لم يجد اعتراضا منهم قام بالاتصال بالجهات المصرية المختصة لتحديد موعد لمقابلة السادات ، وقد ابلغ الأمين العام أنه عندما يتم تحديد الموعد سيبلغ بذلك في حينه ، وقد بقى الانتظار في تحديد ذلك الموعد ، الأيام ثم الأسابيع والأشهر ، دون أن يتم شيء من ذلك ، وهكذا مات ذلك المشروع ، كما ماتت عشرات المشاريع الخيرة بسبب مواقف قادتنا العظام !!! . وكان من الواجب تغيير الاتجاه إلى العراق أو سوريا ولكن يبدو أن اليأس قد تسرّب إلى نفوس الزملاء فأهمّل ذلك المشروع القيّم .

الفصل الثالث عشر

قيام المنظمة الدولية لمناهضة العنصرية ورئاسته لها

في 1975/11/10 صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 3379 باعتبار الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية ، وقد كان للأخ منصور الكيخيا باعتباره ممثلا لليبيا في الأمم المتحدة والأستاذ فائز صائغ باعتباره رئيس لجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة دور بارز في الوصول لهذا القرار . وحيث أن أمريكا واغلب الدول الأوروبية قد صوتت ضد القرار ، فقد رأى فائز صائغ ومنصور الكيخيا محاولة إثارة هذا الموضوع إعلاميا على أوسع نطاق خصوصا أن كثيرا من المفكرين والصحفيين في العالم الغربي كانوا يؤيدون هذا القرار بحماس شديد ، فأوحيا إلى وزارة الخارجية الليبية بتبني إقامة ندوة عالمية تناقش هذا الموضوع . بناء على ما تقدم استدعي صاحبنا باعتباره نقيبا للمحامين مع رئيسي منظمين آخرين - تابعتين للنظام القائم - في حوالي أوائل لوليو 1976 إلى وزارة الخارجية لمقابلة وكيل الوزارة الدكتور علي التريكي حيث عرض فكرة أن يتم إقامة الندوة عن طريق إحدى هذه المنظمات حتى تأخذ الصفة الشعبية ، أما المنظمين الآخرين فقد اعتذرتا القيام بهذا الدور ، وأما صاحبنا فإنه طلب إلى السيد وكيل الوزارة إمهاله أسبوع للرجوع إلى مجلس النقابة لأخذ رأيه وموافقته بالخصوص ، وفعلا اجتمع مجلس النقابة ، وعرض صاحبنا الموضوع على المجلس ، فكان رأى أكثرية أعضاء المجلس هو رفض القيام بهذه المهمة ، باعتبار أن القيام بها توهي أن نقابة المحامين تؤيد النظام القائم ، الأمر الذي يخالف الحقيقة ، فالنقابة من يوم قيام هذا النظام وهي في خلاف وصراع معه على طول الخط بسبب موضوع الديمقراطية وتنفيذها في الوطن ، التي هي ليست هذه الفوضى القائمة ، ولكن كان هناك رأي آخر الذي أيده النقيب بكل قوة ، وهو أن موضوع الندوة المقترحة يهدف إلى مناصرة القضية الأساسية للأمة العربية ألا وهي القضية الفلسطينية ، كما أن فكرة الندوة المقترحة تحارب العنصرية الصهيونية التي هي العدو الأول للعروبة والإسلام ، وبعد نقاش حاد وطويل

استقر مجلس النقابة على قبول القيام بمهمة هذه الندوة ، وعليه تم التفاهم مع وكيل الخارجية الدكتور التريكي على تكوين مجلس خاص لإدارة هذه المهمة الخطيرة والشاقة ، وحسب اقتراح مجلس النقابة الذي وافقت عليه وزارة الخارجية تكوّن هذا المجلس الخاص من الأساتذة ، الدكتور أنيس القاسم وإبراهيم الغويل ومحمد حمي وعبد الحميد الرعيض وفايز صائغ ومنصور الكيخيا ونقيب المحامين ، وبدأ هذا المجلس الخاص اجتماعاته بمقر نقابة المحامين ، حيث حددت أسماء المدعويين من رجال الفكر والصحفيين ومنظمات حقوق الإنسان من القارات الخمس ، وكان أكثرهم على أي حال من أوروبا وأمريكا ، وقد تم ذلك بالاستعانة بالدكتور فايز صائغ والأستاذ منصور الكيخيا ، كما حدد موقع الاجتماعات بقاعة الشعب الكبرى بباب قرقارش ، كما حدد موعد بداية الاجتماعات وصرف تذاكر الطيران ، وتحديد اللجان المختلفة من المحامين والكشاف لاستقبال الضيوف في المطار والعناية بهم في الفنادق المختلفة ، وقد شارك في هذه الندوة الخطيرة ما لا يقل عن خمسمائة مفكر وصحفي وأعضاء منظمات حقوق الإنسان ، كان أغلبهم من أوروبا وأمريكا كما سبق أن قلنا ، كما كان من بينهم يهود يعارضون الصهيونية العالمية ، وقد القي في هذه الندوة في أيامها الأربعة من 24 إلى 28 يوليو 1976 ما لا يقل عن عشرين بحثاً تؤكد اعتبار الصهيونية شكلاً من أشكال العنصرية منها ثلاث بحوث مقدمة من يهود يعادون الصهيونية العالمية ، وقد جمعت هذه البحوث في كتاب صدر باللغة الإنجليزية تحت عنوان الصهيونية والعنصرية ، وزع هذا الكتاب إلى جميع السفارات في العالم ، كما أرسلت نسخ منه إلى جميع الهيئات المهتمة بحقوق الإنسان ، كما عرض للبيع في مكتبات أوروبا وأمريكا .

كان الموعد المحدد لاجتماعات هذه الندوة هو الساعة العاشرة صباحاً من يوم 1976/7/24 حيث امتلأت تلك القاعة الكبيرة بالمشاركين والضيوف ، وقد حاول بعض منافقي النظام أن يضعوا صورة كبيرة لمعمر القذافي في صدر قاعة الاجتماع فمنعهم صاحبنا باعتباره رئيس هذا الاجتماع من ذلك ، وطلب من المحامين والكشاف المختصين بشؤون إدارة الاجتماع ، من إزالة تلك الصورة

وعدم ظهورها في أي مكان من هذا الاجتماع ، على أساس أن هذا الاجتماع هو اجتماع دولي وليس اجتماعا يخص ليبيا . عندما حلت الساعة العاشرة حاولنا افتتاح الجلسة فأسرع إليه الدكتور التركي وكيل وزارة الخارجية طالبا تأجيل افتتاح الجلسة قليلا فالأخ معمر في طريقه لحضور الاجتماع ، ومن اللائق أن يكون حاضرا افتتاح الجلسة ، قبل صاحبنا هذا الاقتراح بضيق ظاهر وانتظر حضور الأخ معمر لبضع دقائق ولكن عندما حلت الساعة العاشرة والنصف افتتح الجلسة متجاهلا رجاء وتوسلات زمرة المنافقين ، وهكذا ابتدأ الاجتماع بدون حضور الأخ معمر القذافي ، كما أن هذه الزمرة من المنافقين احضروا حوالي خمسين شابا باللباس الوطني وأجلسوهم في ركن علوي من تلك القاعة - بدون علم إدارة الاجتماع - ، حيث صاروا يهتفون للنظام ، فاستدعى صاحبنا فوراً الدكتور التركي وطلب إخراج هذه الزمرة فوراً من القاعة أو أنه سيوقف الاجتماع حتى يتم ذلك ، فاستجاب الدكتور التركي ومعاونوه من وزارة الخارجية فوراً لهذا الطلب ، باعتبار أن ذلك يتفق مع جوهر أهداف هذه الندوة والابتعاد بها مما يشوه صورتها لدى الضيوف الأجانب .

في اليوم الثاني لاجتماعات الندوة وبينما النقاش محتدماً حول أحد الأبحاث المعروضة أشار أحد الجالسين في منصة إدارة الاجتماع إلى صاحبنا بوجود الأخ معمر جالسا في آخر قاعة الاجتماع ، فكانت تلك بادرة موفقة بل رائعة من الأخ معمر ، اعتبرها صاحبنا خطوة ذكية في سبيل إنجاح هذا الاجتماع تستحق التقدير من جميع الحاضرين ، فقام صاحبنا من المنصة وذهب إلى آخر القاعة وأبدى رجاءه إلى الأخ معمر أن يقوم معه إلى المنصة الرئيسية فقام بعد تردد ، وحيث أن كل ذلك قد تم تحت نظر ومشاهدة جميع الحاضرين فقد دوت القاعة بالتصفيق الحاد ، وتكلم صاحبنا في مكبر الصوت موجها كلامه إلى الأخ معمر ، أن ضيوفنا الكرام يرغبون أن يسمعوا وجهة نظر قائد هذه البلاد المضيفة في الموضوع المطروح ، فتكلم الأخ معمر بعد تردد ارتجالا ، فكانت كلمته من أعمق الكلمات التي قيلت في هذا الاجتماع إذ قارن فيها بين الابرتايد في جنوب إفريقيا وبين الصهيونية في فلسطين مقارنة عميقة وموفقة كل التوفيق ، الأمر الذي جعل مجلة المحامي تنشرها بكاملها عن طريق المسجل في أحد أعدادها .

استمرت الجلسات ، والنقاش الحاد في بعض الأحيان ، لمدة أربعة أيام كما سبق أن قلنا ، وفي اليوم الرابع وقبل جلسة الوداع الأخيرة اقترح بعض الحضور تكوين هيئة أو منظمة لمتابعة أهداف هذه الندوة ، وقد أيد هذا الاقتراح تقريبا جميع الحاضرين ، وفي نفس الجلسة اختير الدكتور فائز صايغ وأربعة أعضاء آخرين للاختلاء واقتراح أسماء أعضاء هذه المنظمة المقترحة ، وفي جلسة الوداع تليت مقترحات المجتمعين لمعركة المستقبل في بيان مفصل ، ومن ذلك تكوين المنظمة الدولية المناهضة لجميع أنواع التمييز العنصري وأسماء رئيسها وأمينها العام وأعضائها الذين اختيروا من العقائد المختلفة بوذيين ويهود ومسيحيين ومسلمين ، ومن القارات الخمس ، وحيث أن رئيس المنظمة الذي اختير هو رئيس جلسات هذه الندوة وهو نقيب المحامين ، فقد استضافت نقابة المحامين هذه المنظمة الوليدة في إحدى حجرات مقرها ، وقبل مغادرة جميع الضيوف البلاد استطاع أعضاء المنظمة أن يجتمعوا مرتين أو ثلاث لاتخاذ الخطوات المستقبلية ، وحددوا لاجتماع جديد بعد ست أسابيع . بعد انتهاء جلسات الندوة وتكوين المنظمة - التي سميت بالاسم المختصر "ايڤورد E. A. F. O. R. D" - بجوالي أسبوع تحصلت المنظمة من وزارة المالية على مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار ليبيا أي حوالي ثمانين ألف دولارا ، وبعد ذلك بجوالي الشهر زار المنظمة سفير الجمهورية العراقية وقدم لرئيسها شيكا بمبلغ خمسين ألف دولار ، وهكذا استطاعت المنظمة أن تتحرك في مجالها بثقة وإقدام . قبل انتهاء سنة 1976 نظم العراق ندوة ضد الصهيونية شبيهة بندوة طرابلس وقد دعي نقيب المحامين بصفته رئيس ايڤورد وكذلك الدكتور أنيس القاسم باعتباره الأمين العام للمنظمة إلى ذلك الاجتماع حيث أبدى نشاطا ملحوظا ، وقد حاول العراقيون إنشاء منظمة شبيهة بالمنظمة التي انبثقت من ندوة طرابلس بدعوى أن منظمة طرابلس قد ولدت في نظام سرعان ما يؤدي إلى اختناقها وموتها ، فأسرع صاحبنا إلى الالتقاء بالقيادات العراقية وأقنعها بعدم ارتكاب هذا الخطأ ، وعلى كل حال فإن رئيس ايڤورد هو شخص معروف لديكم ، وعليكم أن تعطوه الفرصة على الأقل سنة أو سنتين لإثبات تحقيق أهداف هذه المنظمة ، وإذا فشل

في ذلك فلکم الحق فيما نويتموه . اقتنع العراقيون بهذا التوجه وعضوا النظر عن محاولتهم خلق منافس لإيفورد .

توالى اجتماعات إيفورد في ليبيا وفي أمريكا وكندا وسويسرا والعراق ، أحيانا مجلسها التنفيذي وأحيانا بحضور المجلسين التنفيذي والاستشاري ، وكونت لها فروعاً في أمريكا وكندا وبريطانيا وسويسرا وسرلنكا ونيجيريا ، وقد أعطيت الصفة الاستشارية للأمم المتحدة كما أعطيت شهادة تقدير بتوقيع أمين عام الأمم المتحدة مع اعتبارها "رسول سلام إلى العالم" يمكن الاطلاع عليه في قسم الوثائق ، "وثيقة رقم 1" وقد استطاعت هذه المنظمة أن تنشر حتى نهاية سنة 2003 واحدا وخمسين كتابا وكتيبا عن الصهيونية والعنصرية وآثارها السيئة في أنحاء العالم ، "وثيقة رقم 2" كما تصدر كل ثلاثة اشهر شبه مجلة باسم "رسالة إخبارية" تتضمن نشاط المنظمة وميزانيتها المالية والبيانات الصادرة منها .

في أواخر سنة 1978 بعد أن قرر العراق إعطاء القسم الشمالي منه ، حيث الأكثرية الكردية نوعاً من الحكم الذاتي - الأمر الذي لم يفز به أكراد تركيا ولا أكراد إيران ولا أكراد سوريا حيث توجد مجموعات كبيرة في هذه الدول ربما أكثر من العراق ولكنهم ممنوعون حتى من استعمال لغتهم الخاصة - وبناء عليه رأى مجلس المنظمة الاجتماع بمجلسه التنفيذي والاستشاري في بغداد تشجيعاً لهذه الخطوة الرائعة التي تحقق أهداف منظمتنا في مكافحة التمييز العنصري ، وكان اجتماعاً ناجحاً من جميع الوجوه ، وبعد انتهاء اجتماعات بغداد اخذ أعضاء مجلسي المنظمة في طائرة هليكوبتر إلى عاصمة المنطقة الكردية حيث اجتمعوا بأعضاء الهيئة التشريعية الكردية في مقر تلك الهيئة وألقى صاحبنا بصفته رئيس المنظمة كلمة معبرة عن الخط الإنساني بين الشعوب حتى ولو اختلفت أصولها وأعراقها ، وكانت كلمة موفقة كل التوفيق ، استقبلها الشعب العراقي بجميع مشاربه بالترحيب والامتنان ونشرت في جميع الصحف العراقية ، وقبل مغادرة أعضاء المنظمة بيوم استدعي صاحبنا إلى مكتب الأستاذ نعيم حداد - عضو القيادة القطرية لحزب البعث والذي حضر الجلسة الافتتاحية لاجتماعات المنظمة في بغداد - وقدم مبلغ مائة ألف دولار نقداً تبرعاً من العراق إلى

المنظمة ، فوجئ صاحبنا بالطريقة التي قدم بها هذا التبرع ، ولكنه على كل حال شكر العراق وقيادته على هذه البادرة ، ولكنه أسرع إلى صديقه الأستاذ شبيب المالكي ، الذي كان العضو العراقي في المجلس الاستشاري للمنظمة وطلب إليه الذهاب معه إلى البنك المركزي العراقي لتحويل المبلغ المتبرع به إلى حساب المنظمة ، وحاول الأستاذ المالكي أن يعتذر بضيق الوقت ونصح أن يأخذ صاحبنا المبلغ معه ويدعه إذا شاء بنفسه في حساب المنظمة عند رجوعه إلى بلاده وأشار من طرف خفي إلى أن هذا المبلغ مسلم إليك شخصيا لتتصرف به كما تشاء ، زاد انزعاج صاحبنا من هذه الإشارة وأصر على الذهاب إلى البنك المركزي العراقي لتحويل المبلغ إلى حساب المنظمة ، وإذا تعذر ذلك فانه لن يأخذ هذا المبلغ معه بل سيتركه عند هذا الصديق لإيجاد الطريقة في إرساله إلى حساب المنظمة ، مما اضطر الأستاذ المالكي مرافقة صاحبنا إلى البنك وتم إيداع المبلغ ، وهكذا انتهت هذه المشكلة العويصة والتي أثارت صاحبنا وأزعجته إنما إزعاج . بعد هذا الحادث وقبل نهاية السنة قررت القيادة في العراق التبرع للمنظمة بمبلغ ربع مليون دولارا سنويا ، وقد استمر هذا التبرع بانتظام لمدة ثلاث سنوات ثم انقطع بسبب انغماس العراق في حربها مع إيران . كما أنه في هذه الفترة وقد بدأت منظمة "ايفورد" تأخذ سمعتها في المجال الدولي وان هناك في النظام الليبي - بالرغم كل ما اعتوره من سلبيات - لا زالت هناك عناصر تحاول إصلاح ما يمكن إصلاحه ، ومن هذه العناصر الوطنية التي تقدر الجهود المخلصة في سبيل الوطن والأمة الأستاذ عزوز الطلحي وكان إذ ذاك وزيرا للمالية ، على ما اعتقد ، فقرر مساعدة للمنظمة بمبلغ مائة وخمسين ألف دينار سنويا أي ما يوازي نصف مليون دولارا ، وقد حول هذا المبلغ بالدولارات إلى حساب المنظمة ، وقد استمرت هذه المساعدة لمدة ثلاث سنوات أي إلى أن غادر الأخ عزوز الطلحي ، هذا الرجل العظيم ، هذا الموقع .

بعض زبانية النظام أصابتهم الغيرة من هذا النشاط الذي تقوم به المنظمة فصاروا يضيّقون عليها وعلى أمينها العام وعلى رئيسها الخناق ، الأمر الذي اضطر الدكتور أنيس القاسم إلى مغادرة ليبيا نهائيا واستقر في بريطانيا ، وعندما

اشتدت المضايقات على المنظمة وكثرت المحاولات لاقتحام مركزها ، وتفتيش أوراقها كما تم تفتيش أعضائها القادمين من الخارج في المطار الأمر الذي أخرج رئيس المنظمة وأمينها العام ، قرر مجلس المنظمة تحويل نشاطها الرئيسي من طرابلس إلى لندن ببريطانيا ، ثم اشتدت مضايقات النظام لرئيس المنظمة فصاروا عند سفره يوقفونه في المطار بطريقة همجية غير لائقة الأمر الذي يضطره للاستنجاد بوزير العدل في غير مرة ، وقد حصلت حادثة بهذا الخصوص تستحق التسجيل لغرابتها ، وإنها تكاد تكون شريطا من أفلام هوليوود ، والقصة تتلخص في أن صاحبنا كان قد تعاقد مع شركة الطيران "بريتش كليدونيا" على أن يقوم بشئونها القانونية مقابل تزويده باثنتي عشر تذكرة بالدرجة الأولى ذهابا وإيابا إلى بريطانيا كل سنة ، وعليه فانه في إحدى رحلاته بمعية زوجته إلى بريطانيا وفي هذا الجو المتوتر الملتهب ، جاء إلى المطار وبعد إتمام جميع إجراءات السفر وبعد ركوب الزوجة أوقف صاحبنا عند باب الطائرة واخذ إلى مكتب المخابرات أو ما يسمونها باللجنة الشعبية للمطار ، وهناك اخبر بأنه ممنوع من السفر فثار صاحبنا لهذا التصرف وطلب الاتصال بوزير العدل أو السيد رئيس المخابرات العامة ، وبعد مجهودات يطول شرحها تم هذا الاتصال بعد أكثر من نصف ساعة حيث تم لصاحبنا السماح بالسفر ، في هذه الأثناء كانت المضيئة الأرضية للشركة تتابع مجريات الأمور فأسرعت بصاحبنا إلى باب الطائرة ، ولكن الطائرة كانت قد غادرت الموقع وبدأت في طريقها إلى موقع التحليق ، ولكن لا يدري صاحبنا كيف استطاعت تلك المضيئة الكريمة الاتصال بالطائرة وإيقافها عن متابعة السير ، ثم نزلت بصاحبنا إلى أرضية المطار حيث وقوف الطائرة ، واخذ موجه الطائرة الأرضي صاحبنا من يده إلى تحت الطائرة وفتح كوة من أسفل جسم الطائرة ورفع له للدخول فيها ، فوجد صاحبنا نفسه يزحف بيديه ورجليه في سرداب مظلم ، وتابع زحفه حتى فتحت له كوة أخرى من أعلي فوجد نفسه في كبينة الطائرة والطيرون يصفقون له في ابتهاج لهذه المغامرة الفذة ، وقد بهتت زوجته عندما رآته يدخل عليها بعد قفل باب الطائرة وتحركها في اتجاه مكان بداية التحليق ، هذه المغامرة العجيبة هي إحدى المآسي المتكررة التي كابدها صاحبنا

من زبانية هذا النظام الظالم . وأخيرا عندما وصل الأمر إلى قتل صديقه عامر الدغيس من أكبر زبانية النظام المدعو حنيش رأى صاحبنا أنه لن يستطيع القيام بواجباته التي تفرضها رئاسته لهذه المنظمة بالسفر في أمان إلى الخارج ، كما أنه لا أمان للإقامة في هذه البلاد التي تعج بهؤلاء المنافقين للنظام الذين يتغلغل الإجرام في أعماق نفوسهم ، وعليه غادر البلاد حتى تنجلي الأمور تاركا مكتبه وما لديه من أموال في البنوك ، وكان ذلك في آخر فبراير 1980 ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

في حوالي منتصف سنة 1979 استطاع الأستاذ عبد الحميد البكوش مغادرة البلاد حيث استقر في مصر ، ومنها أذاع تصريحاً في الإذاعة المصرية بان الوطن الليبي قد وقع تحت حكم فوضوي ألغيت فيه القوانين وأصبح الوطن يحكم بشريعة الغاب . بعد هذا الحادث بأيام قليلة وردت مكالمة هاتفية إلى النقيب يطلب فيها وزير العدل بناء على تعليمات من معمر القذافي أن ترد النقابة على ادعاءات عبد الحميد البكوش ، عرض صاحبنا بصفته نقيب المحامين هذا الطلب على المجلس في أول جلسة من جلساته مع اقتراحه برفضه ، وحيث أن بالمجلس عضوين يميلان إلى النظام القائم ومحاولة مسيرته فقد كثر الجدل حول هذا الموضوع ، وهنا تذكر صاحبنا رسالة واردة من وزارة الداخلية بتوقيع عبد السلام جلّود منذ أشهر سابقة يطلب فيها عدم تدخل النقابة في السياسة !! فطلب صاحبنا من السكرتير عبد الله الجزوري إحضارها لعرضها من جديد على المجلس ، وبناء عليه اقتنع المجلس ، أنه بناء على هذه الرسالة ، وإن عبد الحميد البكوش ليس محامياً في ذلك الوقت ، وأن الموضوع لا يخرج عن كونه موضوعاً سياسياً ، فتقرر تجاهل هذا الطلب ودون الرفض في محضر الاجتماع ، وحيث أن هذا الطلب لم يأت بصفة رسمية فليس هناك أي داع للرد عليه . بعد مرور أسبوع تقريبا طلب وزير العدل صاحبنا مستفسراً عما تم في الموضوع سالف الذكر ، وعندما علم بقرار المجلس لم يخف خوفه وانزعاجه . وبعد يومين أو ثلاثة ، بينما كان صاحبنا بمبنى المحاكم إذ طلبه السيد وزير العدل الأخ محمد الجدي عن طريق الهاتف يحثه بالحضور بأسرع وقت ممكن مع مجلس

النقابة إلى مقر الرئاسة بباب العزيزية ، فأخبره صاحبنا أن أكثر من نصف أعضاء المجلس يقيم ببرقة الأمر الذي يتعدّر إحضارهم الآن ، فطلب الوزير إلى صاحبنا الحضور إلى باب العزيزية فوراً مع من يجده من الأعضاء . قدرّ صاحبنا أن هذا الاستدعاء الفوري والملحّ إلى باب العزيزية لا بد أن يكون له علاقة بموضوع الأستاذ البكوش ، ولا بد أن يكون في الأمر ردّة فعل قوية يخشى عواقبها ، وعليه فلا بد من اخذ احتياطات لهذه الزيارة ، كان بمبنى المحاكم بعض أعضاء مجلس النقابة ، ولكن يفترقون إلى الصلابة ، وصاحبنا كان يخشى خوفهم وانهيارهم أمام أي تهديد من النظام ، وبالتالي تجاهلهم واختار من بينهم ، دون أن يعلم أحد ، من يعتقد أنه يمتاز بالصراحة والشجاعة وهو الأستاذ عبد المجيد الميت الذي وافق بترحاب مرافقة النقيب إلى باب العزيزية ، وقبل أن ينطلقا إلى هناك اتصل صاحبنا بالأستاذ عامر الدغيس هاتفياً وأخبره بالموضوع ، وانه في حالة غيابنا ستعرف أين نحن !! عند وصولنا مقرّ الرئاسة بباب العزيزية أدخلنا إلى غرفة حيث كان يجلس الأخ معمرّ على كنبه مستطيّلة في وسطها ويجلس الأخ محمد الجدي وزير العدل على أحد الكراسي في ركن بعيد ، ووضع لنا كرسيين في مقابل الكنبه التي كان يجلس عليها الأخ معمرّ ، وحيث أن الكنبه كانت منخفضة والكراسي عالية فكان الوضع غير مريح (بروتوكولياً) فكنا نتحدث مع القائد من فوق إلى تحت!!! والذي زاد الطين بلّة ، كما يقولون ، أن الأخ عبد المجيد كان يتحدث وهو يضع رجلا على رجل وتكاد قدمه تصل إلى وجه الأخ معمرّ ، وقد حاول صاحبنا أن ينبّه الزميل عبد المجيد بالإشارة الخفية إلى وضع قدمه غير اللائق ولكنه فشل في ذلك ، إلى أن انتهت هذه المقابلة غير السارة . كان فوق الطاولة المنخفضة المستطيّلة التي أمام الكنبه ورقة مكتوبة بالآلة الكاتبة . وبدأ الأخ معمرّ الحديث بذكر موضوع هذا الاستدعاء مشيراً بطريقة غامضة إلى مشاكل الأستاذ البكوش مع أسرته وأخطائه المتعددة عندما كان في السلطة ، وان العقيد قد تسامح معه كثيراً وقد سمح له بالسفر إلى الخارج للعلاج ، ولكنه قد قابل كل هذا الإحسان والتسامح بالطعن في النظام القائم في وطنه بدعوى أنه يحكم بشريعة الغاب ، وعليه فانه كرد على هذه الادعاءات

الكاذبة المطلوب من نقيب المحامين أن يوقع على هذه الورقة لنشرها في وسائل الإعلام المختلفة ، حيث فيها الرد على ادعاءات البكوش . كان الموقف محرجا وفي منتهى الصعوبة والخطورة ، فنحن أمام رئيس الدولة وجها لوجه ، وهو يطلب طلبا لا يتفق مع كرامة نقابة المحامين وكرامة نقيبيها ، ولكن الله ألهم صاحبنا بالرد على هذا الطلب بطريقة صادقة ومقنعة لمن أراد الاقتناع ذاكرة أن هذا الطلب قد سبق أن ورد إلى النقابة من طرف الأخ وزير العدل حيث عرض على مجلس النقابة الذي رأى أن نقابة المحامين غير مختصة به بناء على قانون المحاماة وبناء على الرسالة الواردة من وزارة الداخلية بتحريم تدخل نقابة المحامين في المسائل السياسية ، وبناء على كل ذلك قرر المجلس رفض هذا الطلب ، وأنا كنقيب للمحامين لا أستطيع أبدا أن أخالف ما قرره مجلس النقابة فأنا لا أستطيع أبدا ومهما كان الوضع أن أضع مائتي محامي في ظهري . فوجئ العقيد بهذا الرد واستشاط غضبا حتى كاد وجهه يسود من الغيظ ، وقد أحس صاحبنا بالخطر المحقق فأراد أن يخفف من هذه الصدمة ، فاستمر في الحديث قائلا ، على أي حال يا أخ معمر ، فهناك حل لهذا الوضع ، وهو أنه حسب قانون المحاماة ، يجوز لوزير العدل أن يدعو الجمعية العمومية للمحامين إلى الاجتماع ، والجمعية العمومية في إمكانها أن تطيح بقرار مجلس النقابة وتوافق على الرد على ادعاءات الأستاذ البكوش . لم يخف الأخ معمر شدة غضبه من موقف النقيب وزميله وصار يردد وهو في هذه الحالة الغاضبة ، إن انطلاقة الثورة لا بد أن تسير في طريقها ، ومن يقف ضدها ، ضابط أو نقيب أو أيا كان سأقطع رأسه في ميدان الشهداء !!! فوجئ الحاضرون ، ولم يجد صاحبنا ما يقوله كرد على هذا التهديد السافر ، إلا أنه صار يحث وزير العدل على استدعاء الجمعية العمومية ، وصاحبنا كان يعلم وكذلك العقيد أن موقف مجموع المحامين إذا استدعت الجمعية العمومية سيكون أشد رفضا وإنكارا لطلب السيد العقيد ، لم يبق شيء يمكن قوله ، وعليه قام صاحبنا وزميله لمغادرة هذه الجلسة الخطيرة المرعبة وأرادا أن يسلموا على العقيد فرفض مديهما إليهما . الأخ عبد المجيد استشعر بالخطر المحقق وبالتالي غادر البلاد في اليوم التالي لهذا الحادث ، أما

صاحبنا لظروف خاصة لم يستطع السفر إلا بعد أسبوع تقريبا ، وعندما كان في الخارج سمع من إحدى القنوات الإذاعية أن مجلس النقابة قد اجتمع بالعقيد واطدر بياناً ضد تصريحات الأستاذ البكوش. بعد حوالي أسبوعين رجع صاحبنا إلى الوطن ، - بالرغم أن كثيرا من أصدقائه المقيمين في الخارج قد نصحوه بعدم العودة حرصاً على حياته - ، وفورا دعا إلى اجتماع مجلس النقابة وصار يناقشهم ويلومهم على البيان الصادر باسم النقابة ، والمخالف لقرار مجلس النقابة السابق ، خصوصا أن الذين اجتمعوا بالعقيد وأصدروا ذلك البيان هم خمسة أعضاء فقط ، أي لا يمثلون أكثرية المجلس ، فاعتذر المتورطون في إصدار البيان بأنهم فعلوا ذلك تحت تهديد السلاح !! فلم يقبل صاحبنا هذا العذر باعتبار أن من يتحمل مسؤولية ، فعله تحملها حتى لو فيها هلاكه ، وعليه فانه يقدم الآن وفورا استقالته كتقيب لهذه النقابة . حاول أعضاء المجلس مراجعته في الأمر ولكنه أصرّ على موقفه ، وهنا قام أحد الأعضاء وقد غلبت عليه عاطفته حتى طفرت دموعه ، هو الأستاذ آدم محمود على ما اذكر ، واستحلف صاحبنا أن يؤجل موضوع هذه الاستقالة ، خضع صاحبنا لهذا الرجاء ، ولكنه في اجتماع مجلس النقابة التالي ، الذي تم بعد أسبوعين ، رفض حضور هذا الاجتماع وبعث باستقالة مكتوبة إلى المجلس ، حيث اضطر المجلس لقبولها ، وانتخب المجلس نقيبا من بين أعضائه هو الأستاذ محمد الكريوي. بعد ثلاثة أو أربعة أسابيع رأى مجلس النقابة أن يقيم حفلة تكريم لنقيبهم السابق ، وفي هذا الحفل قام بعض الزملاء يذكر مناقب النقيب وإنجازاته في النقابة ، ومن بين هؤلاء الزميل والصدیق المغامر الأستاذ عبد الرحمن الجزوري الأمر الذي اخجل صاحبنا ، وقبل انتهاء الحفل قام أحد الخبثاء المتورين ، يريد إحراج المحتفى به ، وتسأل؟؟؟ إن المحامين يريدون أن يعرفوا لماذا استقال نقيبهم؟؟؟ وهنا قام صاحبنا شاكرًا المحتفلين ، ثم ذكر بأن الزميل الأستاذ عبد الرحمن الجزوري قد ذكر جزءا كبيرا من تاريخ حياتي ولكنه قد نسي أن يذكر ، وهو أشد الزملاء معرفة بي ، أني قد قضيت جزءا كبيرا من حياتي بحارا يعيش في قوارب صيد السمك ، والبحارة لهم تقاليدهم التي لا يمكن الخروج عنها ، ومن بين هذه

التقاليد أن رايس القارب أو المركب إذا اهتزت الدفة في يده بسبب الزوابع والأعاصير ، أو بسبب تمرّد البحارة ... (وهنا التفت صاحبنا إلى أعضاء مجلس النقابة الذين كانوا موجودين في هذا الحفل ، بحيث شعر الحاضرون أن أعضاء المجلس هم المقصدون بهذا الحديث) ... فلا بد له أن يترك الرياسة لغيره ... وهذه هي الإجابة الصحيحة لسؤال الزميل السائل ، وبهذا أدرك المحامون الأسباب الجوهرية لاستقالة نقيهم وانتهى ذلك الحفل الشيق على ذلك الأساس.

في أوائل 1980 قبل أن يغادر صاحبنا البلاد كان قد زار الأستاذ عامر الدغيس في مزرعته بطريق السواني وجرى الحديث حول الأوضاع في بلادنا الذي يتحكم في شؤونها الغوغاء والمتسلقون ، وقد تحدث الأستاذ عامر عن حادثة حصلت له في ذلك الشهر وهي أنه استدعي من قبل المتسلق الأكبر السيد حنيش وراوده أن يكون جاسوسا للنظام القائم في ليبيا على العراق ، فكان رد الأستاذ عامر أنه ليس من أخلاقه أن يقوم بمثل هذه المهمة القذرة ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإنه لم يزر العراق طول حياته ولا يعرف فيهم أحدا سوى الدكتور سعدون حمادي الذي كان مقيما في ليبيا ، وعلى أي حال فإنه في حالة تعرض وطننا للخطر ستجدني أمامك وليس خلفك في ميدان المعركة ، ولكن هذه المهمة التي تعرضها فابحث لها عن شخص غيري !! وانتهت المقابلة عند هذا الحد ، حسب ما ذكره الأستاذ عامر . فقال له صاحبنا أن هذا الحنيش كان في إمكانه بدل أن يفتح لك الباب للرجوع إلى بيتك ، أن يفتح لك الباب الآخر الذي لا ترجع منه أبدا إلى الدنيا !! إن الأوضاع في بلادنا يا صديقي قد وصلت إلى مرحلة من الفوضى والتردي إلى الدرجة التي لا يستطيع فيها أي إنسان منا أن يعالجها أو أن يطمئن على حياته أو حياة أسرته أو الحفاظ على بيته وممتلكاته ، والخير لنا ولعائلاتنا أن نصفي أمورنا وان نترك هذه البلاد مهاجرين إلى ارض الله الواسعة ، كما طالبنا الخالق في كتابه العزيز ، فكان رد الأستاذ عامر أنه كان يقول باستمرار بعدم ترك وطنه للغوغاء يعيشون فيه فسادا وانه سيتحمل هذه الغوغائية وما تصبّه على الإنسان من مهانة وآلام ... ولكن يبدو أن وجهة نظرك هي الأصحّ وعلينا أن نحاول تصفية أمورنا في الستة أو السبعة الأشهر القادمة

حيث تنتهي السنة الدراسية فنأخذ أولادنا ونغادر هذا الوطن ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وخرج صاحبنا من عند الأستاذ عامر وقد تم الاتفاق على ذلك .
 بعد هذه الحادثة ببضعة أسابيع اتصل بصاحبنا الأستاذ إبراهيم الميت يبلغه أن زبانية النظام قد أخذت الأستاذ عامر إلى المتسلق حنيش مرة أخرى ، فأسرع صاحبنا مساء ذلك اليوم ومعه زوجته إلى بيت الأستاذ عامر حيث قابلا زوجته مستفسرين عن الموضوع ، فأقرت بما حصل وذلك يوم أمس ، وأضافت أنه قد حضرا إلينا ظهر اليوم اثنان من النظام يطلبان بعض الملابس للأستاذ ولا يبدو على هذين الشخصين الشدة أو العدوان فقد كانا مبتسمين ويلاعبان أطفال الأستاذ مما يدل أنه ليس هناك خطورة في الموضوع ، وطلبت إلى صاحبنا ألا يثير الموضوع أو يخلق زوبعة مع النظام بالخصوص ، فوعدها خيرا ورجع إلى بيته وهو في حيرة من أمره ؟ هل يستجيب لطلب تلك السيدة أو أن يحاول القيام ببعض الاتصالات ؟؟؟

في اليوم التالي بعد أن أتم صاحبنا عمله بالمحاكم ذهب إلى مقر المنظمة حيث حضر كل من الأساتذة على أبو زقية وإبراهيم الغويل ومصطفى العالم وهؤلاء يمثلون الاتجاهات الثلاثة اليساري والإسلامي والقومي ، وعرض عليهم صاحبنا مسألة اعتقال الأستاذ عامر وما قالته زوجته ، فاتفق الجميع على غض النظر عما قالته الزوجة ، وانه من واجبنا التحرك السريع لتخليص الرجل من براثن هذه الفئة الضالة ، وتوزع كل واحد من المجتمعين إلى جهة لمحاولة الإنقاذ ، فكان من مهمة صاحبنا أن يحاول الالتقاء بالأخ راسم بن عثمان باعتباره صديقا حميما للأستاذ عامر وفي الوقت نفسه هو عديل الأخ عبد السلام جلود الرجل الثاني في السلطة لحت هذا العديل للتدخل في الأمر ، وهكذا أسرع صاحبنا قبل الرجوع إلى بيته بالذهاب إلى مزرعة بن عثمان في طريق السواني حيث يقيم ولكنه لم يجده ، فترك له خبرا أنه سيزوره ثانية هذا المساء للتباحث معه في أمر خطير وهام . في ذلك المساء قبل أن يخرج صاحبنا من مكتبه في اتجاه مزرعة بن عثمان طلبه الأستاذ عبد الرحمن الجزوري عن طريق الهاتف يرجوه انتظاره لإبلاغه بأمر هام وهكذا انتظر صاحبنا أمام باب العمارة التي بها المكتب في شارع القاهرة ، وعندما حضر الأستاذ الجزوري كان في حالة غير طبيعية

بسبب موضوع الأستاذ عامر فطمأنه صاحبنا أنه قد سبق له أن علم بالأمر وانه في طريقه لمقابلة الأخ راسم بن عثمان عدیل الأخ جلود لمحاولة تسوية الموضوع ، فصاح الأستاذ الجنزوري بطريقة هستيرية في وسط شارع القاهرة ، لقد قتلوه!! ... لقد قتلوه!! ... فحاول صاحبنا تهدئته ومعرفة حقيقة هذا الخبر المهول ، فأكد أنه قد التقى بالأستاذ بشير النجار مساء هذا اليوم حيث اخبره أنه كان في جنازة أحد أقرباء القضاة إذ ذكر أحد وكلاء النيابة أنه قد استدعي ظهر هذا اليوم إلى مقر خليفة حنيش ومعه الطبيب الشرعي لفحص جثمان عامر الدغيس وقد رأى فعلا جثمان هذا الشهيد وهو يشك أن هناك رصاصات قد اخترقت جسمه ، أصاب صاحبنا الذهول والإحباط وعصره الألم وطلب إلى الأستاذ الجنزوري الذهاب به إلى بيت الأستاذ النجار للتحقق من هذا الموضوع ، وفعلاً أكد الأخ النجار الحادثة بتفاصيلها ، وجعل الأستاذ الجنزوري يبكي ويصرخ بطريقة متشنجة وهستيرية وهو يتوسل إلى صاحبنا أن يغادر البلاد فوراً وفي هذه الليلة ، لان الدور عليه لا شك في ذلك ، فحاول صاحبنا تهدئة زميله ووعد أنه سيقوم بما عليه الواجب نحو نفسه وأسرته وبلاده ، وبات تلك الليلة ساهراً يفكر بين مغادرة البلاد في اليوم التالي ، خصوصاً أن لديه تأشيرة خروج وتأشيرة بريطانية وان له تذكرة جاهزة من خطوط "بريتش كاليد ونيلا" ، أو أنه يبقى لحضور جنازة الصديق المقتول ويرى تطورات الموقف وبما تجري به الأيام ، أنه يعلم علم اليقين أنه أو صديقه الأستاذ عامر لم يرتكبا أي جريمة ضد النظام وان موقفهما منه هي السلبية الكاملة وليس لهما إلا النصيحة إذا واتت ظروفها ، ولكن كيف يمكن التعامل مع هذه الفوضى والغوغائية التي سادت البلاد؟؟ وأخيراً تغلبت الحيلة والواقعية على العواطف والمجاملات ، فهياً نفسه للسفر إلى بريطانيا ظهر اليوم التالي ، وهكذا زار صباحاً المحكمة والمكتب واتفق مع بعض أصدقائه العاملين في شركة الطيران أن يلاحظوه في المطار إذا كان قد سمح له بالسفر ، أو إذا قبض عليه في المطار فعليهم إبلاغ أسرته لاتخاذ ما يلزم بالخصوص .

الفصل الرابع عشر

الهجرة المفروضة التي كانت الوسيلة المدبرة لعناصر السوء للاستيلاء على أملاكه ومكتبه وحقوقه

عند حوالي الساعة الثانية بعد الظهر أوصلته زوجته إلى المطار ، وقد أتم جميع إجراءات السفر بدون أي عقبات ، وبينما كان في انتظار الدخول إلى الطائرة سمع صوتا بالمكبر الصوتي بالنداء على اسمه ، فتجاهل هذا النداء ، ثم تم النداء على المسافرين لركوب الطائرة ، وبينما كان صاحبنا في طريقه لدخول الطائرة أوقفه أحد أولئك الشياطين وطلب إليه مرافقته إلى مكتب اللجنة الشعبية بالمطار ، وهناك وجد أولئك الأبالسة الذين أوقفوه غير مرة عن السفر ، فاتخذ صاحبنا موقف الواثق من نفسه وصاح فيهم بأنهم يعرقلون مصالح الوطن ، وذلك لإرهابهم وإشعارهم بأنهم يتعاملون مع رئيس منظمة دولية لها اجتماعات خطيرة لصالح البلاد في الخارج ، وهكذا بدأ أولئك الضباط يعتذرون لصاحبنا وإنهم لا يملكون في الأمر شيئا فهناك أوامر مكتوبة بمنعه من السفر ، فطلب إليهم الاتصال برئيس المباحث العامة السيد محمد الغزالي فهو الذي يعرف مهام هذه المنظمة وقد سبق له أن تدخل في موضوع السماح لصاحبنا بالسفر ، وهكذا تم الاتصال بالمذكور حيث تبين أنه غير موجود وقد ذهب لصلاة العصر بالجامع ، بقى صاحبنا ينتظر حوالي نصف ساعة ثم طلب الاتصال مرة أخرى حيث قيل له أن المذكور بعد صلاة العصر قد ذهب لحضور جنازة أحد أصدقائه ، وهنا رأى صاحبنا أن هذه المحاولة فاشلة ، وانه من الخير له محاولة مغادرة البلاد الليلة عن طريق الصحراء خصوصا أن أولئك الضباط قد سلموا له جواز سفره ونصحوه أن يذهب للسيد الغزالي في بيته وإذا استطاع أن يحل مشكلته فهناك الطائرة الإيطالية التي تغادر طرابلس عند الساعة التاسعة مساءا يمكنه أن يسافر بها إلى روما ومنها إلى لندن للحاق بالاجتماع الذي ذكره ، اخذ صاحبنا جواز سفره وحاول مغادرة المطار ، وعند سلالم المطار المتحركة التقى به أحد معاوني شركة الطيران السورية وهو تونسي الجنسية ومن الأشخاص المعجبين بصاحبنا فاستفسر

عن الأمر ، ولما علم بتفاصيل القضية ، طلب إلى صاحبنا مرافقته إلى مكتب الشركة السورية الذي كان خاليا في ذلك الوقت ، وبدأ ذلك الملاك التونسي محاولة الاتصال بالسيد الغزالي حتى تم الاتصال فاخبره صاحبنا بما تم في المطار ، فطلب إليه الرجوع إلى مكتب لجنة شعبية المطار ، ومن هناك أعيد الاتصال ، ويبدو أن السيد الغزالي طلب إلى الضابط المتكلم معه سبب منع المذكور من السفر ، فاخرج ذلك الضابط رسالة واردة من جهة ما ، بهذا المنع ، فتساءل السيد الغزالي هل سبق أن سافر صاحبنا بعد تاريخ هذه الرسالة ؟ وعندما تبين أن الأمر كذلك أمرهم بالسماح لصاحبنا بالسفر فورا . كانت طائرة "بريتش كاليد ونيا" قد غادرت المطار لأكثر من ساعتين ، ولكن المضيئة الأرضية للشركة ، ذلك الملاك الطاهر ، كانت تتابع الملابس التي لاحقت صاحبنا ، محامي الشركة ، وبالتالي فعندما سمح له بالسفر أخذته من يده واتت به إلى طائرة "لوفتهانزا" الألمانية التي كانت بسبيل قفل بابها والمغادرة وطلبت إليه دخول باب الطائرة فقال لها صاحبنا وهو لا يصدق نفسه ولكني لا املك تذكرة لهذه الرحلة ، فقالت له تلك السيدة الكريمة ، لا عليك ، اركب هذه الطائرة ولا تهتم فاني قد رتبت كل شيء مع هذه الشركة ، واتمنى لك حظا سعيدا بعد أن نجوت من برائن هذه الفئة الظالمة !! بعد حوالي الثلاث ساعات وصل صاحبنا فرانكفورت وهو لا يصدق نفسه ، وبعد نزوله في هذا المطار أعطى من شركة لوفتهانزا تذكرة إلى لندن حيث كان بعد ساعة في مطار "هيثرو" بلندن . في هذه الفترة ملأت الشائعات البلاد فقيل أنه قبض على صاحبنا بالمطار والسلطات بسبيل إعدامه ، وقيل أنه قد تمكن من ركوب إحدى الطائرات وان السلطات قد طلبت إلى هذه الطائرة بالرجوع ، إلى غير ذلك من الشائعات التي تثار في مثل هذه الظروف . التقى صاحبنا في لندن ببعض الأصدقاء المقيمين في هذه البلاد ، وأول شيء عمله صاحبنا هو الاستنجد بهؤلاء الأصدقاء للاتصال بالأستاذ محمد حمي للخروج من البلاد فورا ، ولكن لم يمض أكثر من أسبوع حتى وصل الخبر أن الأستاذ محمد حمي قد اغتيل هو الآخر من السلطات الحاكمة في ليبيا . والواقع أن الأستاذ محمد حمي قد حضر جنازة المرحوم عامر وأبّنه بكلمات مؤثرة

كما انتقد فيها النظام انتقاداً مرّاً ، هذا كما أن جنازة المرحوم عامر قد سار فيها ما لا يقلّ عن عشرة آلاف مواطن وكانوا يرددون هتافات ضدّ النظام ، من ذلك ترديدهم عبارة "لا اله إلا الله ومعمّر عدوّ الله" ، ولعلّ هذا هو السبب في اغتيال الأستاذ محمد حمّي أيضا ، كما أن النظام أصرّ على دفنه بدون أن تقام له أي جنازة . الشيء الملفت للنظر والذي يثير الحيرة والكثير من علامات الاستفهام ، أنه في هذه الأشهر الأولى من سنة 1980 قد تمت جرائم قتل ، في ظروف غامضة ، لأكثر من عشرة قياديين بعثيين من إنحاء الوطن العربي منهم التونسي والفلسطيني واللبناني والسوري ، والليبي ، كما تم اغتيال مجموعة كبيرة من الليبيين خارج ليبيا دون وضوح الأسباب لهذا الاغتيال ، ربما زاد عددهم عن العشرين ، في لبنان ، وفي بريطانيا ، وفي إيطاليا ، وفي فرنسا ، الأمر الذي يثير الكثير من التساؤلات !!!؟

واستأجر صاحبنا بيتا في ضواحي لندن ، ولحقت به زوجته وإحدى بناته وكان ابنه الأكبر يقيم ببريطانيا من قبل للدراسة ، ولكن هذه الأسرة التي رمت بها الأقدار في هذه الغربة القاسية كانت تفتقد الابن الأصغر والبنات الصغرى الذين امتنعت هذه السلطات الظالمة السماح لهما بالخروج من ليبيا ، فكانت هذه الأسرة تكابد أحزانا وآلاما لا تعرف لها سببا ، وما هو الخطأ أو الجناية التي ارتكبتها حتى تعاني هذه المعاناة؟! هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان السلطات البريطانية استدعت صاحبنا في هذه الأيام الحزينة وأخبرته أنه مهدد بالقتل من النظام الليبي وان السلطات البريطانية لا تستطيع ضمان حمايته وعليه إذا استشعر ما يهدده الاتصال بأقرب مركز شرطة أو الانتقال إلى بلاد أخرى تكون أكثر أمانا له . بقى صاحبنا حوالي الشهرين بهذه الحالة الكئيبة المؤلمة ، وزاد الألم شدة وقسوة عندما غادرت الابنة الكبرى بريطانيا إلى طرابلس سرا ودون علم الأبوين تاركة رسالة لا يمكن قراءتها إلا بفيض من الدموع ، تقول فيها أنها تأسف لرحيلها سرا وبدون الإذن ، ولكنني لا يمكن أن اترك أخي وأختي الصغيرين بدون حماية ، فإما أن أعيش أو أموت معهما !! . في هذه الأيام كثرت اغتبيالات الليبيين في الخارج ، وقد حصل اغتيالان في لندن في شهر واحد منهما

اغتيال الأستاذ محمود الذي حاول أن يلعب على الحبلين ، يدعي أنه مع المعارضة وفي الوقت نفسه يتعاون ويتجسس لحساب النظام الليبي . وبهذه المناسبة يذكر صاحبنا أنه كان في لندن في أواخر سنة 1979 وطلب إليه ذلك الإنسان المشبوه مرافقته لزيارة أحد الأصدقاء ، وكانت الزيارة في أعلى وأفخم فندق في بريطانيا ، حيث وجد صاحبنا نفسه في جلسة صاخبة يتصدرها الأخ سيد قذاف الدم ، لم يسترح صاحبنا لهذه الجلسة فطلب إلى رفيقه في هذه الزيارة بإشارة خفية المغادرة ، وهكذا كان ، وخرج ذلك الأخ أولا بعد أن سلم على الأخ قذاف الدم ، وتبعه صاحبنا الذي فوجئ بالسيد المذكور يمسك يده بجرارة ويقول له بصوت متحفظ ، إياك .. إياك أن تثق في هذا الكلب مشيرا إلى رفيق تلك الزيارة الذي كان قد غادر القاعة!!! إن هذه الحادثة جعلت صاحبنا في دوامة من التفكير ، فالسيد قذاف الدم بالرغم من أنه أكثر هذه المجموعة الانقلابية ثقافة واعتدالا وشرفا وشهامة ، فانه يعتبر جزءا من النظام القائم في ليبيا فكيف يحذر من هو معروف بعدم رضائه عن هذا النظام ، حتى لو كان هذا الموقف ليس صريحا كل الصراحة؟؟!! والواقع أن صاحبنا قد سبق له عندما بدأ يتشكك في تصرفات الأخ محمود محل هذا الحديث ومحاولته اللعب على الحبال أن حذره من هذه اللعبة وانه أول من سيحترق بها حتما ، وعلى أي حال فان هذا الأخ الضال معروف جيدا عند صاحبنا ، فقد تدرّب في مكتبه على المحاماة لمدة تزيد الستة أشهر وعرف ألعابيه وخزعبلاته وإحساسه بأنه أكثر ذكاء من الآخرين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

كان هم صاحبنا بعد أن استقر وزوجته في ضواحي لندن أن يبحث عن طريقة لإخراج أبنائه المحتجزين من النظام في ليبيا . كان يعرف أن لشقيقه الأصغر صديقا مالطيا صاحب بواخر صغيرة كثيرا ما تعمل في موانئ ليبيا ، وانه يمكن عن طريق بواخر هذا الصديق المالطي إخراج هؤلاء الأطفال سرا بدون معرفة النظام ، وعليه فانه عندما استقرت هذه الفكرة في ذهنه ، ركب الطائرة وسافر إلى جزيرة مالطا ، وهناك قابل الصديق المالطي الذي ارتعب من زيارة صاحبنا له ، واعتذر بشدة القيام بهذه المهمة بدعوى أن النظام الليبي لا يعرف إلا

القتل إذا تشكك في الموضوع ، ثم قال لصاحبنا وهو يرتعش من الخوف ، عليك بمغادرة مالطا حالا إذا كنت حريصا على حياتك ، فهذه الجزيرة تعج بالمخبرات الليلية الذين إذا أحسوا بوجودك فلن يترددوا على قتلك فورا . شعر صاحبنا بصدق هذا الرجل ، وبالتالي ذهب إلى المطار فورا وحجز مع أول طائرة مغادرة مالطا ، كان المطار يعج فعلا بمخبرات النظام الليبي ، فسحنتهم لا تخفى على صاحبنا . كانت الطائرة متجهة إلى روما ، وعندما جلس صاحبنا في كرسيه وجد المقعد الذي بجانبه خاليا ، وقد بقت الطائرة في حالة انتظار ولم تقفل أبوابها مدة زادت عن المألوف ، وأخيرا دخل شاب سحنه ليبية لا يمكن تجاهلها ، وجلس في ذلك المقعد الخالي الذي بجانب صاحبنا الذي استشعر الخطر من كل هذه الملابس ، وصار يراقب ذلك الشاب بكل انتباه ، على أساس أنه لو قام بأي حركة مشبوهة سينقض عليه ويستعين ببقية الركاب لشله والقبض عليه ، ويبدو أن هذا الشاب كان خائفا هو أيضا من صاحبنا ذي السحنة الليلية الواضحة ، فكان كل منهما يراقب الآخر في حذر وانتباه الأمر الذي جعل هذا الجار متوترا طوال الرحلة حتى حطت الطائرة بمطار روما ، وذهب كل من الطرفين في حال سبيله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . وهذه عجائب تفاعلات النفس البشرية ، فالشك والخوف قد يؤدي في بعض الأحيان إلى الفواجع والكوارث ، فلو تحرك جار هذه الرحلة أي حركة يمكن أن تكون مشبوهة لانقض عليه الطرف الآخر والله اعلم ما هي الكوارث التي يمكن أن تترتب عن ذلك .

وهكذا رحلة مالطا قد منيت بالفشل ، ولكن هل يمكن لصاحبنا أن يهدأ وأبنائه محجوزين في بؤرة تعمها الفوضى وغياب المسؤولية وسيادة القانون؟؟ وعليه بعد حوالي شهرين من مغامرة مالطا شد رحاله إلى تونس حيث قيل له عن جماعة في بن قردان يمكن أن يساعده في إخراج أطفاله عن طريق الصحراء مقابل مبلغ معين من المال . وبالرغم ما يمكن أن يكون في هذه المغامرة من مخاطر على الأطفال ، فانه جازف بالإقدام على هذه المغامرة ، فقبول هذه المخاطر المحدودة هي خير من بقاء الأطفال تحت رحمة من لا يرحمون . وصل صاحبنا تونس ومنها استأجر سيارة صغيرة قادها حتى الحدود الليبية واستقر في فندق ثلاث نجوم في

قرية جرجيس المشهورة والقريبة من بن قردان والتي لا تبعد عن الحدود الليبية التونسية أكثر من ثلاثين كيلومترا ، اضطر صاحبنا أن يبقى في هذا الفندق "فندق جرجيس" لمدة زادت عن الثلاثة أسابيع وهو يبحث عن الجماعة الذين قيل له أنهم في إمكانهم أن يقوموا بهذه المهمة ، فهم قد تعودوا على إجرائها وهم أناس موثوق بهم ومضمونين في جميع الأحوال ، المهم أن صاحبنا بعد هذه المدة الطويلة والمجهود الشاق عشر على هؤلاء القوم واتفق معهم على القيام بهذه المهمة مقابل ستة آلاف دينار لبيي أو عشرين ألف دولار ، اخذوا منه كل التفاصيل في كيفية الاتصال بأشقاء صاحبنا وعنوانهم وهواتفهم في طرابلس حتى يساعدونهم في تسليم الأطفال ، وبعد أن قبضوا نصف المبلغ على أن يأخذوا الباقي عند إتمام العملية ، نصحوا صاحبنا بالسفر إلى محل إقامته ، وعند إتمام العملية سيطلبونه بالهاتف للحضور لتسلم أطفاله وتسديد بقية المبلغ ، لان هذه العملية تحتاج إلى الوقت المناسب الأمر الذي قد يزيد عن الشهرين ، وبناء عليه ودع صاحبنا هذه المجموعة وسافر إلى محل إقامته بضواحي لندن وبقي ينتظر أخبار هذه الجماعة ، ومر الشهر والشهران والثلاثة ولكن دون أي خبر ، وعندما يحاول الاتصال بهم عن طريق الهاتف بأحد المحلات في جرجيس كان الرد دائما بعدم وجودهم الآن وأنهم سيخبرونهم بهذا الاتصال ، واستمرت اتصالات صاحبنا الشهر بعد الشهر ولكن دون جدوى حتى يئس وأحس أنه خدع وغرر به في هذا الموضوع ، ولكنه علم بعد ذلك بأن أخوة صاحبنا رفضوا تسليم الأطفال إلى الفريق البنقرداني الذي سبق لصاحبنا الاتفاق معه ، والواقع أن هذه المغامرة بكل تفاصيلها كانت سلسلة من الأخطاء التي لا يمكن أن يقدم عليها إلا إنسان قد استبدّ به القهر واليأس ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

عندما كان صاحبنا مقيما بضواحي لندن ، كان على اتصال مستمر بالدكتور أنيس القاسم أمين عام المنظمة الدولية المناهضة لجميع أنواع التمييز العنصري "ايفورد" التي نقل مكتبها ونشاطها الرئيسي من طرابلس إلى لندن قبل هذه الحوادث ببضعة أشهر بسبب المضايقات التي عانتها المنظمة والفوضى التي تعيشها البلاد كما سبق أن ذكرنا ، كما كان على اتصال بصديقه الأستاذ سليمان

فارس الذي كان يعمل بمكاتب شركة اكسيديتتل في لندن ، وعندما اشتدت موجة اغتيالات الليبيين في الخارج استشعر صاحبنا وصديقه بالأخطار المحدقة وتحذيرات الشرطة البريطانية لهما فقررنا مغادرة بريطانيا والالتجاء إلى العراق عليهما أن يجدا فيه بعض الحماية ، حيث لحقت بصاحبنا زوجته وابنه الذي كان يدرس ببريطانيا ، ولكن بعد أقل من شهرين أو ثلاثة شعر صاحبنا أن العراق يمر بمرحلة مخاض وظروفه لا تسمح بتحمل مشاكل الآخرين فقرر وصديقه سليمان مغادرة العراق حيث رجع الأخ سليمان إلى عمله في لندن كما رجع ابن صاحبنا إلى دراسته بها ، وأما زوجته فقد انتقلت إلى مصر ومنها إلى لندن ، أما صاحبنا فقد قرر الانتقال إلى المغرب حيث له أصدقاء بها يمكن أن يساعده في محتته ، وأول طلب طلبه من هؤلاء الأصدقاء القريبين من السلطات المغربية أن يتوسطوا له للحصول على جوازات سفر مغربية له ولأسرته حتى يستطيعوا التحرك في بلاد الله ، إذ أن جوازات السفر الليبية أوشكت على انتهاء مدتها ثم إن حاملها غير مرغوبين في جميع أنحاء العالم . قد رحب هؤلاء الأصدقاء القيام بهذه المهمة ، ولكن بالرغم من أن السلطات المغربية قد منحت جوازات سفر إلى كثير من الليبيين الذين غادروا ليبيا بعد انقلاب معمر القذافي ، فقد امتنعت هذه السلطات من منح صاحبنا تلك الوثائق المطلوبة ، ربما كان ذلك بسبب أن صاحبنا له صلات ببعض قيادات الحزب الاشتراكي للقوى الشعبية ، وهي جهة معارضة وغير مرغوبة من السلطات المغربية ، أو الملك على وجه التحديد . في أثناء إقامة صاحبنا بالمغرب التي دامت أكثر من ثلاثة أسابيع ، زاره في الفندق مجموعة من الليبيين اللاجئين في المغرب منهم السيد هويسة والسيد محمد عثمان الصيد الذي ذكر لصاحبنا بأنه بريء من سجن مجموعة 1961 بصفته رئيس مجلس الوزراء في ذلك الوقت ، وإنما الذي تولى هذا الموضوع هي ولاية طرابلس التي كان يتقلد منصب الوالي بها هو السيد فاضل بنزكري ، المهم أن صاحبنا دعي إلى اجتماع كان مقررا للبحث عن طريقة لقيام مؤتمر يحضره جميع الليبيين في الخارج للبحث عن طريقة لمجاهة النظام في ليبيا ، وكان مقررا أن يكون مكان الاجتماع بالمغرب ، فاعترض صاحبنا على هذا القرار واقترح أن يكون الاجتماع في

سويسرا أو النمسا ، ذلك أن المغرب وان كانت الآن في خلاف مع ليبيا ، فإننا لا ندرى ما يكون وضعها مع هذا النظام غدا ، كما كان هناك اعتراض من الأخ محمد المقريف عن دعوة بعض الأشخاص منهم فاضل المسعودي ومحمود المغربي ، الأمر الذي أدى إلى غضب بعض الأشخاص ووصل النقاش في هذا الأمر إلى التماسك بالأيدي بين المقريف والأخ دهان ، وقد انتهى هذا الاجتماع الصاخب دون الوصول إلى أي قرارات ، واقترح أخيرا أن يعاد هذا الاجتماع بعد أسبوعين لمواصلة البحث والنقاش ، في اليوم التالي حضر إلى صاحبنا السيد هويسة وطلب إليه السفر معه إلى الرباط غدا لاجتماع خاص مع الأخ المقريف والأخ احمد الدجاني ، فاعتذر عن حضور هذا اللقاء ، لأنه أولا لا يشق في الأخ المذكور بعد أن شاهد بعض تصرفاته التي تنقصها الحكمة والاعتزان ، ثم أنه قد ارتبط مع الأخ منصور الكيخيا لزيارة السيد عمر المحيشي حيث تم اللقاء في فندق هلتون بالدار البيضاء ، وقد فوجئ صاحبنا بان الأخ المشار إليه قد أصابه نوع من الهوس والخلل في عقله ، إذ كان يتحدث متلعثما ويروي حكايات خيالية وغير مترابطة ، مما يدل على أن الظروف والملابسات القاسية التي حلت به في انتقاله من بلد إلى آخر بعد خروجه من ليبيا خوفا من زبانية النظام الذين يريدون الفتك به ، ثم وحدته وانفصاله عن زوجته وولده قد خلقت أثارا مدمرة على توازنه العقلي ، وعليه وبعد خروجنا من عنده رجوت الأخ منصور أن يحاول عن طريق بعض أصدقائه من القيادة الانقلابية مثل الأخ مصطفى الخروبي ، إخراج زوجة هذا الإنسان وولده من ليبيا للحاق بهذا المخلوق المحطم ، وهو على أي حال لا يمكن أن يكون خطرا على النظام ، وقد وعد الأخ منصور القيام بذلك .

بدأ صاحبنا يشعر بأنه ملاحق من المخابرات المغربية ، فأينما ذهب وجد واحدا وأحيانا أكثر من واحد ، من هذه المخلوقات التي لا يخطئها البصر ، يراقبون كل تحركاته ، فانزعج صاحبنا من هذا التصرف ، وأرجعه إلى صلته ببعض شخصيات الحزب الاشتراكي للقوات الشعبية والى اعتراضه على الاجتماع الليبي المراد إقامته في المغرب ، واقترحه أن يكون هذا المؤتمر في

سويسرا أو النمسا ، وعليه رأى أن من مصلحته الإسراع بمغادرة المغرب .

كان صاحبنا قد سبق له بمساعدة الأستاذ منصور الكيخيا ، الحصول على تأشيرة أمريكية وقد أوشكت هذه التأشيرة على انتهاء مدتها ، فقرر الانتقال فورا إلى أمريكا عن طريق لندن ، وعند وصوله إلى مطار لندن ليأخذ الطائرة المتجهة إلى هيوستن أوقفته سلطات المطار البريطانية وطلبت تفتيش حقيبته فاعترض على هذا التفتيش باعتبار أنه سوف لا يدخل الأراضي البريطانية وإنما هو في طريقه إلى أمريكا ، وبين لضابط الجمارك أنه محامي ويتمسك بحقوقه ، فما كان من هذا الضابط إلا أن يتمسك بوجهة نظره أيضا ، وقال لصاحبنا سأحضر لك القانون البريطاني الذي يخولني تفتيشك ما دمت في مطار بريطاني حتى لو أنك لا تريد الدخول إلى بريطانيا ، وغاب هذا الضابط لإحضار القانون المدعى به وبقى صاحبنا واقفا في الدائرة الجمركية ، ومرت الدقائق ثقيلة الدقيقة بعد الدقيقة حتى أوشكت أن تزيد عن الساعة وذلك الضابط لم يحضر أبدا لا هو ولا القانون المدعى به ، ففهم صاحبنا أن هذه لعبة قدرة يستعملها من بيده سلطة التحكم في مصيرك بغض النظر عن القوانين والأخلاق ، وعليه فان صاحبنا رأى أنه من الخير له أن يذعن ويسمح بالتفتيش ، وهكذا كان ، فقام ضابط آخر بتفتيش الحقيبة واخرج منها بعض الأوراق المتعلقة بالمنظمة الدولية لمناهضة العنصرية التي يرأسها صاحبنا ، وهي أوراق لا وزر فيها وأكثرها كلماته التي ألقيت في جنيف في اجتماعات لجنة حقوق الإنسان ، ولكن ذلك الضابط اخذ الأوراق وغاب لفحصها حسب قوله ولكنه لم يرجع إلا بعد أكثر من الساعتين ، حيث أن الطائرة المراد اللحاق بها للسفر إلى هيوستن قد غادرت من وقت بعيد ، وهنا لم ير صاحبنا بدا من الدخول إلى لندن ، وبالرغم من أن صاحبنا لديه تأشيرة نافذة للدخول إلى بريطانيا فان السلطات البريطانية أحضرته إلى مكاتبها للتحقيق معه ، وبين صاحبنا لهذه السلطات سبب رغبته الدخول إلى بريطانيا أن له بيتا بها وبعض الأموال في بنوكها ، وبعد هذا وذاك فان زوجته وابنه موجودان بها ، وبعد حوالي الساعة من التحقيق الركيك السخيف طلبوا إليه رقم الهاتف الذي يتواجد

به ابنه وزوجته ، ثم تركوه في حالة انتظار لحوالي ثلاث ساعات ، ويبدو أنهم اتصلوا بابنه وطلبوا إليه الحضور إلى المطار ، وبعد التحقيق معه سمحوا للأب بالدخول على أن يأتي إلى مكتبهم بالمطار بعد خمسة عشر يوماً ومعه ما يفيد أن لديه في بريطانيا أموالاً يستطيع أن يعيش بها . عند خروجه من المطار وجد ابنه في انتظاره ، واعلمه أنه قد استدعي عن طريق الهاتف من سلطات المطار الذين سألوه عدة أسئلة ثم طلبوا إليه الانتظار حتى يخرج والده .

عندما دخل صاحبنا بريطانيا كانت التأشيرة الأمريكية ستنتهي مدتها بعد ثلاثة أيام فأسرع إلى القنصلية الأمريكية لتمديد مدة التأشيرة ، وعندما قدم الطلب بهذا الغرض طلبت إليه المراجعة بعد أسبوع ، وعندما حضر إليهم في الموعد المحدد ، فوجئ بقرار القنصلية برفض طلبه ، والذي يتضح من هذه الملاحظات ، أن طلب المراجعة بعد أسبوع ، ما هي إلا وسيلة لتفويت الثلاثة الأيام الباقية له في التأشيرة ، على أي حال فإن صاحبنا ذهب إلى المطار حسب الموعد المحدد له ومعه شهادة من البنك تثبت مقدرته الصرف على نفسه وأسرته ، الأمر الذي يسمح له بموجبه الإقامة في بريطانيا ، ولكنه فوجئ بقرار هذه السلطة الغاشمة بوجوب رحيله عن بريطانيا إلى المغرب التي جاء منها في مدة لا تزيد عن اثنين وسبعين ساعة ، حاول مناقشة الموضوع مع هذه السلطة باعتبار أن ليس لديه تأشيرة إلى المغرب ، فقبل له بكل الغطرسة المعروفة عند هذه السلطات ، عليك أن ترحل في الموعد المحدد ، وإذا لم تحتتر أنت المكان الذي تسافر إليه فسوف نضعك في الطائرة المتجهة إلى ليبيا باعتبارك مواطناً ليبيا ، وانتهى النقاش عند هذا الحد ، كل ما في الأمر ولكي يثبتوا مدنيته واحترامهم لحقوق الإنسان أرشدوه إلى عنوان المحامين المتطوعين في بريطانيا الذين في إمكانهم الطعن في قرار الإبعاد . وهكذا كان ، ففي اليوم التالي ذهب إلى العنوان الذي أرشد إليه وقدم قضيته أو مأساته إليهم ، وبعد اخذ صور من جواز سفره وشهادة البنك قال المحامي الذي أسندت إليه القضية ، إننا سنقدم الاعتراض على قرار سلطات المطار ولكن لا بد لك من تنفيذ القرار بالرحيل وعندما يصدر الحكم بإلغاء هذا القرار ستتصل بك في العنوان الذي تزودنا به لنبلغك السماح لك الدخول إلى بريطانيا من جديد .

في تلك الليلة كان على موعد مع زميله الدكتور أنيس القاسم ، الذي كان مستضيفا في نفس تلك الليلة أحد أصحاب الأعمال الأمريكيين الكبار العاملين في مناطق أفريقيا ، وأثناء تناول العشاء ذكر هذا الأمريكي أنه سيقابل في الغد وزير الداخلية البريطاني ، فانتبه الدكتور أنيس القاسم هذه الفرصة واخبره بمأساة صاحبنا ، وقرار ترحيله في الأربعاء والعشرين ساعة القادمة ، فتأثر الرجل لهذه المأساة ووعد بحماس ظاهر أنه سيطرح هذا الموضوع حتما على الوزير ، وبهذه المناسبة عندما علم هذا الأمريكي أن صاحبنا والدكتور القاسم يتوليان رئاسة وأمانة المنظمة الدولية لمناهضة جميع أنواع التمييز العنصري ، واطلع على بعض نشاطنا في جنوب أفريقيا ، قال أنه عاش في هذه القارة أكثر من ربع قرن وعرف كل ما يدور فيها من أقصاها إلى أقصاها وانه ضد أي نوع من التمييز العنصري ، ولكن هناك حقائق يجب أن تقال ، وهي أن الشعوب الأفريقية بصفة عامة كانت تعيش في ظروف اجتماعية في العهد الاستعماري أحسن مما يجري عليها اليوم ، فالأفريقي كان آمنا على حياته وعلى غذائه ، أما اليوم فليس هناك للأفارقة لا الأمن ولا الغذاء بعد استقلال شعوبها ، وهذه مفارقة عجيبة يجب ذكرها ، ولا تتهموني بالعنصرية فاني ابغض التمييز العنصري أيا كان لونه أو جذوره . فرد عليه صاحبنا في هدوء وصراحة ، إن ما نوهت عنه لا يخلو من الحقيقة المرة ، ولكن على أي حال فان ما يعانیه الأفارقة بعد استقلالهم هو نتيجة حتمية لفترة ذلك الاستعمار الأوروبي ، فهذا الاستعمار عندما جاء إلى أفريقيا لم يحاول أن يرتقي بهؤلاء الأفارقة فيعلمهم ويخلق المساواة بينه وبينهم ، إنما كان يعاملهم كمواطنين من الدرجة الثانية ، مهينين للعمل اليدوي فقط ، فلم يبصروا بشئون الإدارة ولم يتقلدوا أي مناصب ذات قيمة في وطنهم ، وبالتالي عندما انزاح هذا الاستعمار البغيض ، كانوا قد فقدوا تقاليدهم السابقة التي كانوا يعيشون بها قبل الاستعمار ، ولم يتعلموا شيئا لإدارة وطنهم في هذه الأوضاع الجديدة ، وهذا سبب مأساتهم اليوم بافتقارهم للأمن والغذاء . (بهذا الخصوص قد أرسل صاحبنا رسالة إلى السيد رامس شاندر والسيدة إديث بلنتاين ، رئيس وسكرتيرة اللجنة التحضيرية الخاصة بالعنصرية والتمييز

العنصري ، وثيقة رقم 13) في اليوم التالي لهذا اللقاء اتصل الدكتور القاسم بصاحبنا واخبره أن ذلك الأمريكي قد برّ بوعده في الاتصال بوزير الداخلية ، ولكن أن كل ما تحصل عليه منه هو أن تمتد فترة السماح إلى أسبوع آخر حتى يستطيع صاحبنا تدير أمره ، وقد نصح بالذهاب إلى المطار في نفس اليوم لأخذ هذا التصريح الجديد من سلطات المطار ، وهكذا كان .

لم ير صاحبنا بدا من الإسراع في البحث عن مكان يلجأ إليه ، وهكذا تقدم بطلب تأشيرة من القنصلية النمساوية حيث أعطيت له في نفس اليوم بدون أي صعوبات أو عراقيل ، وكذلك قدم في اليوم الذي بعده طلب تأشيرة من القنصلية السويسرية ، حيث أعطيت له أيضا ولكن في اليوم التالي لتقديم الطلب .

أصبح صاحبنا يشعر بنوع من الأمان الآن ، فهو على الأقل ليس مهددا بترحيله غصبا عنه إلى ليبيا ، وعليه صار يجهز نفسه للرحيل إلى جنيف بسويسرا ، وفي الموعد المحدد للسفر رافقته زوجته وابنه إلى المطار حيث ودعهم والدموع تفيض في عيون الجميع ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ووصل صاحبنا إلى جنيف حيث استقر بها حوالي الأسبوع ، ولكنه شعر بارتفاع أسعارها التي لا تتفق مع وضعه المالي ، ونصح من البعض أن الأسعار في فيينا بالنمسا أهون بكثير ، وعليه شد رحاله إلى فيينا ، وكان يعرف أن سفير ليبيا في هذه البلاد هو الأستاذ عز الدين الغدامسي المشهود له بالوطنية والأخلاق العالية وهو فوق ذلك من الشباب القومي الأصلاء ، فاتصل به هاتفيا وسرعان ما جاء لنجدته في الحصول على حجرة في فندق نظيف ومتواضع في أسعاره ، كما مدد له مدة جواز سفره التي أوشكت على الانتهاء .

نحن الآن في أواخر سنة 1980 وفي هذه الفترة حصلت عدة وقائع يقتضي ذكرها ، منها أن صاحبنا في تنقله بين النمسا وسويسرا قد التقى بالأخ الصديق يحيى عمرو الذي ساعده في الحصول على جوازات سفر تونسية وجزائرية له ولأسرته ، وذلك عن طريق صديقه الجزائري عبد العزيز بوتفليقة وصديقه السيدة وسيلة بورقيبة زوجة الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة ، كما زاره في فيينا

شقيقه الحاج علي الذي كان في مهمة باليونان فانتهر هذه الفرصة وأصر على زيارة شقيقه في ظروفه هذه القاسية المؤلمة وقد تحمل هذا الشقيق الصديق كل صعوبات الرحلة وتكاليفها ، وقد طمأنه على طفليه اللذين لا زالوا محجوزين في ليبيا وأنهما الآن تحت رعاية شقيقه الحاج عثمان الذي يقيم معهما في بيت المزرعة ، وذكر أنه قد بذلت جميع المحاولات لإخراجهما ولكن هذه المحاولات قد منيت مع الأسف بالفشل لإصرار السلطات الانقلابية معاقبة صاحبنا بهذا الوضع الخالي من جميع الأعراف الإنسانية ، وقد ذكر هذا الشقيق الصديق أن المحاولات لا زالت مستمرة وأنها ستنتجح بإذن الله في المستقبل القريب بطريقة أو أخرى ، ثم ودع والدموع تفيض من الطرفين ، وفقل راجعا إلى الوطن .

كان صاحبنا على اتصال مستمر بزوجته وابنه المقيمين ببريطانيا وذلك عن طريق الهاتف ، وفي فبراير 1981 قرر مجلس المنظمة "ايفورد" الاجتماع في جامعة برازيليا بالبرازيل ، وقد تم ذلك بناء على اقتراح من عضو المنظمة البرازيلي المتحمس الدكتور جنتل دياس ، وبناء عليه استدعى صاحبنا زوجته إلى فيينا ومنها طارا إلى ريو دي جانيرو بالبرازيل ومنها إلى العاصمة مدينة برازيليا ، حيث الجامعة التي يتولى فيها عضو منظمنا الدكتور الأستاذ جنتل دياس مركزا مرموقا ، وبعد حفلة الافتتاح التي حضرها اغلب أساتذة الجامعة مع تأييد غامر لأهداف المنظمة ، اجتمع المجلس التنفيذي لأعضاء المنظمة ومن كان متواجدا من المجلس الاستشاري لمدة يومين ، ثم انتقل اغلب الأعضاء إلى مدينة ريو دي جانيرو لمشاهدة تلك الاحتفالات الصاخبة المعروفة بكرنفال البرازيل ، التي تعتبر من المناسبات الرائعة التي يحضر لمشاهدتها جموع غفيرة من جميع أنحاء العالم ، وعندما قرر الجميع المغادرة كل إلى بلاده ، خطر لصاحبنا أنه ما دام قريبا من أمريكا ومدينة هيوستن التي له فيها بعض الأصدقاء فلماذا لا يحاول الحصول على تأشيرة من هنا بمساعدة زميله الدكتور جنتل دياس للذهاب إلى أمريكا ، وهكذا كان فسلم جواز سفره الليبي وجواز سفر زوجته المصري إلى ذلك الزميل الذي أبدى استعدادا للقيام بهذه المهمة بترحاب شديد ، وبعد يومين أحضرت تلك الجوازات ، ويا للعجب قد أعطيت التأشيرة له ورفضت بالنسبة للزوجة

وكانت كارثة أخرى من هذه الكوارث المتلاحقة !! وكان لا بد أن يفارق زوجته مرة أخرى ، فأخذت هي طريقها إلى بريطانيا بجوار ابنها ، واخذ هو طريقه إلى ميامي ومنها إلى هيوستن .

في مطار ميامي فتش صاحبنا تفتيشا دقيقا واحتجز في المطار أكثر من ساعتين ثم نقل إلى إدارة حكومية داخل مدينة ميامي لعلها إحدى مراكز المخابرات الأمريكية ، وهناك فتشت أوراقه ورقة ورقة ، وشعر أنهم سيرفضون دخوله الأراضي الأمريكية ، وبعد أكثر من ساعة من التحقيقات ، عثروا في آخر الأمر على ورقة لها علاقة بالأستاذ منصور الكيخيا ، فسئل عن علاقته بهذا الشخص فاجبرهم بأنه أحد أصدقائه المقربين ، وانه هو الذي ساعده في الحصول على التأشيرة التي انتهت مدتها في لندن ، بعد لحظات من هذه الواقعة تغيرت معاملة القوم له ، وقالوا له إننا سنأخذك فورا إلى المطار لتواصل رحلتك إلى هيوستن ، وحيث أن الرحلة التي كان حاجزا فيها قد غادرت لمدة زادت عن الساعتين ، قاموا بالحجز له في رحلة أخرى إلى هيوستن في نفس ذلك اليوم ، بعد حوالي ثلاث ساعات كان في مطار هيوستن ، ركب أحد التاكسيات ، وعندما طلب إليه السائق الهدف الذي يقصده ، لم يجد في ذهنه إلا ذكر فندق الهيلتون ، فالتفت إليه السائق وتساءل أي هيلتون في هيوستن تقصد ؟! فوجئ صاحبنا بهذا التساؤل فهو لا يعرف أن في هيوستن عددا من هذه الفنادق!! وليس في إمكانه إلا أن يطلب اقرب هيلتون ، وفي هذه الحالة نزل السائق من السيارة غاضبا ، وانزل حقيبة صاحبنا وقال له ، في إمكانك الذهاب إليه على الأقدام فهو على بعد خطوات!! وهكذا اخذ صاحبنا حقييته ، وهو يعتذر لذلك السائق الغاضب ، وعلى بعد أقل من مائة متر كان في صالة الفندق .

كان لديه رقم هاتف الأستاذ المهدي المنتصر فاتصل به فورا ، وفي أقل من ساعة كان يستقبله في حجرته ، واقنع صاحبنا بترك هذا الفندق البعيد عن المدينة وذو التكلفة الغالية وسوف يختار له فندقا متواضعا قريبا من سكنه وسكنى بعض الأصدقاء الليبيين ، وهكذا كان ، ولكنه لم يلبث أن استأجر حجرة مؤثثة وبها مطبخ ودورة مياه بسعر أقل بكثير من أسعار الفندق ، بقى صاحبنا في هذه

الحجرة حوالي ستة أشهر ، وأخيرا أقنعه الأستاذ المهدي المنتصر بشراء بيت مؤثث كان معروضا في منطقة هادئة وجميلة وبسعر معقول وبالتقسيم المريح ، فدفعت حوالي خمسة عشر ألف دولارا مقدما على أن يدفع ألف دولارا كل شهر ، وكان هذا البيت قد دلت عليه زوجة المنتصر التي كانت تزاول مهنة بيع وشراء المنازل ، فاقنني ذلك البيت الذي كان جميلا ومريحا حقا ، والذي صار مقرا لاجتماع مجموعة من الأصدقاء الليبيين منهم سليمان فارس ، الذي ترك بريطانيا ، والمهدي المنتصر ، وسالم بن سريتي ومحمود بن محمود وعبد الرزاق الميت ، وغيرهم ، حيث كانت هذه المجموعة تلتقي أسبوعيا بالتناوب في أحد هذه البيوت ، وقد قللت هذه اللقاءات آلام الغربة ووحشتها ، وما يعانیه صاحبنا من فراق الزوجة والأبناء .

إن الزوجة التي اضطرت الظروف القاسية لفراقها في مطار ريو دي جانيرو ، حيث امتنعت القنصلية الأمريكية من إعطائها تأشيرة الدخول إلى أمريكا ، قد انتقلت رأسا إلى بريطانيا حيث يقيم ابنا الأكبر للدراسة وحيث بيتنا المستأجر هناك في أبر ورلنجهام . ولكن هذه الزوجة لم تستطع الصمود طويلا لفراق أبنائها الآخرين المحجوزين في طرابلس فقررت الانتقال إلى ليبيا لرعاية فلذات كبدها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . أما الابن الأكبر الذي أتم دراسته الثانوية في ذلك الصيف أي صيف 1981 فقد لحق بأبيه في هيوستن ليؤنس وحدته ويلتحق بجامعة أمريكا .

استمر هذا الوضع المأساوي بقية سنة 81 وكل سنة 82 وفي صيف سنة 83 حصلت المعجزة . كانت الزوجة بصفقتها مدرسة مخضمة ، قد التحقت للتدريس في المدرسة الفرنسية الكائنة بقرقارش ، وكانت تبذل مجهودات مضمينة لتوسيط من تعرفهم من الأصدقاء للإفراج عن الأطفال لزيارة أبيهم في الخارج ، وكان صاحبنا من جهته باعتباره رئيس منظمة دولية لها الصفة الاستشارية بالأمم المتحدة يحاول الاستعانة بالمنظمات الدولية التي لها نشاط في حقوق الإنسان في إقناع النظام الليبي في الإفراج عن هؤلاء الأطفال ، كما كان على اتصال مستمر بزوجته عن طريق هاتف المدرسة التي تعمل بها فتخبره عن أحوال الأطفال في

مدارسهم وعن البيت والمزرعة ، وأخبرته مرة أن زوج قريتنا السيد عبد السلام التركي له علاقات كبيرة مع بعض رجال السلطة وانه بسبيل الوصول معهم إلى حل مشكلة زيارة الأطفال لأبيهم في الخارج . ويذكر صاحبنا أنه قرأ ذات مرة مقولة قالها رئيس النظام في ليبيا معمر القذافي ، وهي أن الأسرة في الكيان البشري كالشجرة لا يجوز أبدا التفريق بينها وبين أغصانها ، فانتهز هذه الفرصة وبعث له ببرقية يذكر له فيها أن محاسبيه ورجاله في السلطة يقومون فعلا بتفريق الشجرة عن أغصانها ، وهل هو يدري بذلك أو لا يدري؟! فقد حجزوا الأطفال عن أبيهم ولم يسمحوا لهم حتى بزيارته وهو في الخارج .

ويبدو أن مجموعة هذه المحاولات أدت أخيرا إلى حصول المعجزة بالإفراج عن الأطفال وأمهم والسماح لهم بالسفر ، حيث التقت الأسرة بأجمعها في جنيف ، وكان ذلك في أغسطس 1983 وكانت الفرحة الكبرى ، لجميع أفراد هذه الأسرة ، التي قاست ذلك الفراق الطويل الذي لا تدري أسبابه حتى هذه اللحظة ، وما هو الجرم الذي ارتكبه في حق هذا النظام البائس الذي ناء بكلكله على أرض الوطن ، فليس هناك من أسباب ، إلا إنها الفوضى التي لا تعترف بحق أو قانون ، والتي ليس لها مثيل في التاريخ المعروف .

المهم أنه بعد البقاء في جنيف حوالي الأسبوع لإتمام إجراءات التأشيرات انتقلت الأسرة إلى هيوستن حيث البيت الذي سبق لصاحبنا شراءه ، وانتقل الابن الأكبر إلى الجامعة التي تم قبوله بها ، وهي بمدينة ويكو التي تبعد عن هيوستن بحوالي مائتين ميل ، أما بقية الأطفال فقد التحقوا بالمدارس الثانوية في نفس مدينة هيوستن .

في هذه الفترة قرر النظام في ليبيا إلغاء مهنة المحاماة وضم المحامين كموظفين تابعين لوزارة العدل التي يسميها النظام اللجنة الشعبية العامة للعدل ، وقد استهجن هذا التصرف من جميع نقابات المحامين المنتشرة في العالم العربي ، كما أن اتحاد المحامين العرب أدان هذا القرار بشدة وبعث ببرقية احتجاج شديدة اللهجة إلى معمر القذافي ، الواقع أن الإنسان يستغرب لهذا الحقد الذي يحملة السيد معمر للمحامين ، مع أنه لو قدر له أن يقع فلن يجد من يقف لنجدته إلا

المحامي ، واغلب الظن أن هذا الحاكم بأمره قد فهم هذه المهنة فهما سطحيا ، فقد قال مرة للأستاذ منصور الكيخيا "ألم تجد عملا إلا مهنة الكذب؟! " وذلك عندما استقال أو أُقيل من وزارة الخارجية وامتهن مهنة المحاماة ، كما سبق أن ذكرنا ، فالأخ معمر من النوع المندفع في أفكاره وقراراته وبالتالي تراه يقع في دائرة أولئك الناس الذين يعرفون شيئا وتغيب عنهم أشياء ، فالمحاماة في أساسها هي ضد الكذب ، وإذا كذب المحامي مرة واحدة سقط في عين القضاء الأمر الذي يؤدي إلى انتهاء دوره كمحام حتما ، والنظرة السطحية هي التي تدفع البعض عندما يشاهدون المحامي المقتدر يمتط الكلمات والوقائع ويربطها بنصوص القانون وثغراته لصالح موكله ، وفي ذلك مجال واسع لتكييف الحق والباطل ، أليس هناك دعاء يقول "اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه" فالحق والباطل في كثير من الأحيان يصعب الاهتداء إليهما ، ومهمة المحامي هي المساعدة للوصول إلى هذا الاهتداء ، وليس في ذلك أي مجال للكذب أو افتات على الأخلاق . وبهذه المناسبة يذكر صاحبنا واقعة اطلع عليها في مجلة المحاماة الأمريكية ، وهي أن الرئيس ريتشارد نيكسون عندما أُقيل من منصبه كرئيس للولايات المتحدة بسبب فضيحة "ووترجيت" حاول الرجوع لمهنته كمحام فطلب من نقابة المحامين الرئيسية في أمريكا إعادة تسجيل اسمه في هذه المهنة ، فرفض طلبه من النقابة باعتباره لا يستحق الرجوع إلى هذه المهنة الشريفة ، لا بسبب تورطه في جريمة التجسس على منافسيه في "ووترجيت" ولكن بسبب تورطه في الكذب بنفي ارتكابه الجريمة التي ثبت قضائيا بعد ذلك ارتكابه لها . وبالعكس ذلك ما حصل للرئيس كليتون عندما اعترف للشعب الأمريكي بخطيئته في علاقته مع مونيكا ، ولم يحاول التهرب من خطأه بالكذب ، فقد غفر له الشعب الأمريكي هذه الزلة الفظيعة التي ارتكبت في رحاب البيت الأبيض .

إن هذا القرار المهمجي بإلغاء مهنة المحاماة في ليبيا وإنهاء دور مجلس النقابة ، استفز المحامين الليبيين الذين يعيشون في الخارج ، فتمت الاتصالات بينهم ، حيث قرروا محاولة عقد مؤتمر لهم لانتخاب مجلس نقابة في الخارج لتنضم

إلى اتحاد المحامين العرب ، ولكن ومع الأسف الشديد ، وفي أثناء هذه الاتصالات لتحديد موعد اللقاء ، أسرع بعض الإخوة ، سألهم الله ، بإعلان أنفسهم نقيبا وسكرتيرا لنقابة محامين أنشئت في الخارج ، ليس لهذه النقابة من أعضاء إلا هذين الشخصين !!! ولا حول ولا قوة إلا بالله .

في هذه الفترة أيضا كان الأخ منصور الكيخيا يمثل ليبيا في الأمم المتحدة وكانت له اتصالات مستمرة بصاحبنا وكان منصور كثيرا ما يشعر بالإحراج بين زملائه في أروقة الأمم المتحدة بسبب تلك التصرفات الغوغائية التي يقوم بها النظام الليبي في المجال الدولي ، ومن ذلك موجة التصفيات لكثير من الليبيين في أكثر من بلد أوروبي من زبانية هذا النظام ، وأخيرا وعندما اشتدت هذه الغوغائية لم ير الأخ منصور بدا من الاستقالة من وظيفته كممثل للنظام الليبي في الأمم المتحدة ، ولكن هذه الخطوة الجريئة أفقدته مرتبه الذي كان يعيش به ، فحاول صاحبنا أن يساعده ببعض المبالغ البسيطة بين الفينة والأخرى ، وكان هذا الرجل عزيز النفس فرد جميع هذه المبالغ بعد ذلك عندما تحسنت ظروفه . وفي هذه الفترة العصبية اتصل بصاحبنا أحد قادة منظمة التحرير الفلسطينية التي أبدت استعدادها لمساعدة الأخ منصور بان تقرر له مرتبا شهريا مثل الذي كان يتقاضاه من ليبيا وهي ترحو الحصول على رقم حسابه بالبنك لتنفيذ ذلك ، فمنظمة التحرير تعتبر الأخ منصور عندما كان بالأمم المتحدة لم يكن ، بمواقفه في هذه الهيئة ، يمثل بلاده فقط بل كان يمثل بمجدارة العالم العربي بصفة عامة ، والقضية الفلسطينية بصفة خاصة ، وعندما عرض صاحبنا هذا الأمر على الأخ منصور ، امتنع شاكرا قبول هذا العرض وقال كلمة لا يمكن أن ينساها صاحبنا ، وهي أن منظمة التحرير في حاجة إلى مساعدتنا ، لا أن تساعدنا ، ثم أضاف ، إن الجهة الوحيدة التي اقبل مساعدتها هي الجزائر أو العراق . بناء على هذا التصريح اتصل صاحبنا بصديقه الأستاذ شبيب المالكي واخبره بهذه القصة ، وسرعان ما قررت القيادة القومية بالعراق مرتبا للأخ منصور يوازي مرتبه الذي كان يتقاضاه في ليبيا ، حسب ما ابلغ الأستاذ المالكي ، ولا يدري صاحبنا هل قبل الأخ منصور هذا العرض والى متى؟؟ فالموضوع فيه نوع من الإحراج الذي لا يجوز طرحه أو السؤال فيه .

في فترة منتصف الثمانينات اشتدت قسوة النظام القائم في ليبيا على الشعب الليبي وعناصره الوطنية ، سواء الذين في الداخل ، بإدخالهم السجون والمعتقلات والتضييق عليهم في معيشتهم وحياتهم ، أو الذين في الخارج ، بمحاولة تصفيتهم جسديا الواحد بعد الآخر . فكانت ما يسمى باللجان الثورية تعيث فسادا ورعبا وتدميرا في أرجاء هذا الوطن المسكين ، وقد أصاب صاحبنا ما أصابه من هذه الفئة الضالة المتسلقة ، فقد هاجمت مجموعة منهم بالبنادق والرشاشات منزل صاحبنا ومزرعته ، واستولوا على كل ما فيه من أثاث وملابس وأدوات كهربائية وإلكترونية ولوحات فنية ، والكتب التي لا يمكن تقديرها بأي ثمن والتي لا يمكن تعويضها أبدا ، واستقر ابن عم القذافي السيد مسعود عبد الحفيظ وابنه عبد الحكيم بالمنزل وما يحيط به من أرض المزرعة ، ووزعت بقية المزرعة ذات الأربعين هكتارا على بقية اللصوص من الضباط المفترض فيهم حماية البلاد والعباد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

للإنسان أن يستغرب الذي حصل ويحصل في هذا البلد المجاهد الذي ارتوى ترابه بدماء الشهداء ، هذا الوطن الذي قدم نصف عدده فداءا لحرته واستقلاله في حرب ضروس استمرت أكثر من ربع قرن مع الغازي الإيطالي ، ألا يشعر هؤلاء الانقلابيون بالمسؤولية ، بل بالخزي والعار لما ارتكبه زبانتهم من جرائم وانتهاكات ، تشيب لها الولدان ، في حق هذا الوطن وأبناء هذا الوطن ، قتل للنفوس البريئة بالعشرات بل بالمئات وربما بالآلاف ، وإذلال للشرفاء ، وانتهاك للحقوق ، واستلاء ظالم للأموال والممتلكات ، الأمر الذي جعل بعض الناس يترحمون على عهد الاستعمار الإيطالي بكل ما فيه من قسوة وإذلال ، إن هؤلاء الانقلابيين قد ادعوا أنهم إنما قاموا بانقلابهم لإصلاح ما أفسده النظام الملكي السابق ، ألا يشعر هؤلاء الانقلابيون بالدمار الذي أصاب الوطن بسبب الفوضى التي خلقوها في هذا البلد الطيب ، دمار في البيئة وفي الاقتصاد واهم من كل ذلك ما أصاب الأخلاق من دمار !!؟ كل مواطن ليبي نزيه يعرف أنه لولا هذا الانقلاب لكانت ليبيا ، في هذه الخمس وثلاثين سنة ، تلاحق في تقدمها أسبانيا أو اليونان . قد يكون قائد هذا الانقلاب مخلصا ومتحمسا لقضية أمته ،

فهذا الذي يبدو لصاحبنا من لقاءاته المتعددة معه ، ففي كل لقاء معه سواء كان هذا اللقاء منفرداً أو مع مجلس النقابة ، يشعر هذا الإنسان بحماسة وتواضعه واندفاعه بما يؤمن به ، بطريقة لا تملك معها إلا محاولة تصديقه ، ولكنك تفاجأ في كثير من الأحيان بقراراته وتصرفاته التي لا يأتي من ورائها إلا الدمار والخراب للوطن والمواطنين ، فلا تملك إلا الحيرة والتعجب من هذه القرارات والتصرفات ، وأغلب الظن أن موجات النفاق والمتسلقين ، التي يفرح بها ويتبناها الحكام ، أظلمت طريقه وجعلته يتخبط في ظلام دامس ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فان الذي يبدو لصاحبنا أن هذا الرجل في اندفاعه لأفكاره المشوشة التي ينقصها التركيز والتعمق ، يعتقد أن هؤلاء المتسلقين الذين يدورون حوله يحملون نفس الحماس والصدق للقضية مثله ، الأمر غير الواقع في أكثر هؤلاء الناس الذين يسودهم التخلف ويرزحون تحت رواسب الكذب والنفاق والأنانية المفرطة التي لا تتعدى نظرتها بين أقدامها ، وبالتالي فان صاحبنا لم يكن يحمل لهذا الإنسان حقداً أو ضغينة بل رثاء له وللوضع الذي أوجد نفسه فيه ، سواء كان ذلك بناء على اجتهاده الشخصي أو بناء على قوة خفية غير منظورة كانت تدفعه ، بعلمه أو بغير علمه ، في هذا الاتجاه المدمر ، وعليه كان صاحبنا يقول لزملائه الذين كانوا ينفسون عن غيظهم لما أصاب وطنهم من فوضى وانحيار بتمنيات الانتقام من هذا الإنسان بكل الوسائل والطرق ، حتى أن بعضهم كان يقترح وضعه في قفص في ميدان الشهداء بقية حياته ، والبعض الآخر كان يقترح تعليقه في شجرة والتقطيع من لحمه وهو حي ، كان صاحبنا يقول لهم إن كلامكم هذا لا شك أنكم لا تقصدونه وأنه مجرد تنفيس عن غيظكم وغربتكم التي أكرهتم عليها ، وعلى أي حال وبالعكس إن هذا الإنسان يستحق الشفقة منكم لا النقمة لما يعانیه من تأزّم وتخبُّط ، فهو مواطن عربي لبي على كل حال ، ونظرتي الموضوعية القائمة على التفهم العميق للضعف البشري عندما تطيح به ملابس وأوضاع أقوى منه ، تجعلني على استعداد للقيام بالدفاع عنه في ساحة المحاكم إذا ما وقع يوماً بيد معارضيه . الشيء العجيب أن أحد هؤلاء الحاقدين ، الذي قال بالتعليق في الشجرة ، عندما قرر الرجوع للوطن بعد غربة

دامت أكثر من عشر سنوات صار يكرر كلمة صاحبنا بموضوع الدفاع ويدعيها لنفسه أمام من يعتقد أن كلامه يمكن أن يصل إلى صاحب الشأن ، وبالتالي عندما رجع هذا المحامي إلى الوطن فعلا بعد هذا الغياب الطويل قوبل بالتكريم من زبانية النظام وفتحت أمامه كل أبواب الرضا والتسهيل ، والله في خلقه شئون!!!

منذ 1980 وربما قبل ذلك ، كانت هناك محاولات من الليبيين الذين هاجروا الوطن ، في تكوين مؤسسة في الخارج تجمعهم لمعارضة النظام ومحاوله كسر جماعه ، ولكن كل تلك المحاولات قد باءت بالفشل بسبب الصراعات الإقليمية والصراع حول قيادة ذلك التجمع ، وقد سبق أن ذكرت ما حصل في المغرب ، الأمر الذي أدى إلى الضرب والركل !!

وفي أواخر 1984 بدأت تظهر في الأفق فكرة إنشاء ما سمي بلجنة التنسيق يتولى قيادتها مجموعة من المواطنين في الخارج من المشهود لهم بالمواقف الوطنية المتميزة والذين اشتهروا بين مواطنيهم بالتعقل والنزاهة وتقديم المصلحة الوطنية والقومية قبل كل شيء ، وكان التساؤل في من يقود هذه المجموعة ويستطيع أن يخلق التوازن الإقليمي الذي كان دائما العقبة الكأداء في هذا السبيل ، وكان صاحبنا يرى أن أفضل من يتولى هذه المهمة هو الأخ منصور ، ذلك أنه لو تم ترشيحه من مجموعة الإقليم الغربي فلن يعترض الإخوة مجموعة الإقليم الشرقي والجنوبي ، وبذلك تنحل العقدة الإقليمية ، كما أن هذا الإنسان له اتصالات واسعة في العالم العربي والعالم الغربي لكونه سبق له تقلد وزارة الخارجية ، كما كان مندوب ليبيا في الأمم المتحدة ، هذا علاوة عن اتجاهه القومي وسعة اطلاعه وتوازن تصرفاته ، وبناء على ذلك فقد كتب صاحبنا شبه منشور وزعه على مجموعة كبيرة من أصدقائه يذكر فيه حوالي عشرين سببا لترجيح الأخ منصور لقيادة لجنة التنسيق المقترحة ، ولكن كان الأخ منصور يناقش صاحبنا معترضاً على هذا التوجه ، ويقول إن القيادة يجب أن تكون من الجهة التي بها الثقل السكاني ، ويقصد بذلك المنطقة الغربية ، كما كان يرى أن هذه القيادة يجب أن يتولاها رجل له علاقة بالجيش ، وقد استمر هذا الحوار مع الأخ منصور طول فترة التهيئة لتكوين اللجنة المقترحة حتى اقتنع صاحبنا أخيراً وعن مضمض بوجهة

النظر المنصورية ، ولكن الذي اتضح بعد ذلك أن موقف الأخ في هذا الموضوع كان مجرد تكتيكا للوصول في النهاية إلى الهدف الخفي وهو توليه بالفعل القيادة التي كان يطمح إليها ، ويرتب لها في غفلة وحسن نية من صاحبنا !! كما يأتي ذكر ذلك في بعض التفصيلات .

بعد لقاءات متوالية كان يشارك فيها أكثر من عشرين مواطنا استطاع هذا الجمع أن يختار لجنة تمهيدية مكونة من حوالي عشرة أشخاص ، على أن يتفق على القيادة فيما بعد ، وقد استمرت المشاورات حول اختيار القيادة لمدة زادت عن الخمسة أشهر ولكن دون جدوى ، خصوصا أن الأخ العسكري الذي اقترحه الأخ منصور قد رفض رفضا باتا ترشيح نفسه لهذه المهمة ، وذلك عند استشعاره التكتيكات الجارية والترتيبات الخلفية من الإخوة المتحمسين للقسم الشرقي ، وكانت هناك مؤشرات عديدة في هذا السبيل ، ومن ذلك أن صاحبنا استدعي في يوم من الأيام إلى حضور اجتماع بمحل إقامة الأخ منصور بفندق الهيلتون للبحث في معالجة موضوع القيادة ، وقد ذهب صاحبنا لحضور هذا الاجتماع ، ووجد أن اغلب الحاضرين من الذين يؤيدون صاحب مقر الاجتماع ، وعندما سأل صاحبنا عن بقية الأعضاء قيل له أنهم استدعوا ولكنهم رفضوا الحضور ، وبناء عليه رفض صاحبنا استمرار تواجده في هذا الاجتماع حتى تتم تسوية إضراب بقية المجموعة عن حضور الاجتماعات . قد بذلت محاولات جبارة ومتوالية لإقناع الإخوة المنسحبين من هذا المشروع ، للرجوع والمشاركة في الاجتماعات التي تبذل فيها المحاولات لتسوية العوائق ، ولكن كانت نتائج هذه المحاولات قليلة وغير حاسمة ، وعليه كان من رأي صاحبنا أن نرجئ موضوع القيادة لمدة سنة أو حتى سنتين حتى تتبلور الفكرة ويستقر رأي الأغلبية على شخصية معينة ، وعليه فعندما استدعي لحضور اجتماع جديد ، قدم اعتراضه على ذلك ، فقبل له إن الاستعجال بهذا الاجتماع هو بسبب حضور بعض المشاركين من أوروبا وأمريكا الذين في عجلة من أمرهم للرجوع إلى محال إقامتهم ، مما اضطره للتواجد ، بعد بذل كل الجهود لإقناع المنسحبين بالتواجد في هذا الاجتماع ولكن دون جدوى ، وفي هذا اللقاء

المشبهه ، عرض فكرته بإرجاء موضوع القيادة ، وتمسك بها وطالب بإنهاء هذا الاجتماع خصوصا أنه لم يحضره أحد من الإخوة المنسحبين ، وفوجئ صاحبنا بطلب التصويت على إنهاء الاجتماع أو الاستمرار فيه ، وكانت نتيجة هذا التصويت معروفة فقد كانت مرتبة من قبل من المجموعة المتأمرة !! وهنا طلب أحد الحاضرين أن يتقدم من يريد ترشيح نفسه للقيادة ، وإذا بالأخ منصور وحده يرفع يده متقدما لهذا الترشيح!!! وهنا صاح ذلك الإنسان المناور العجيب : ما دام ليس هناك مرشح آخر فيعتبر الأخ منصور قائدا لهذه الحركة بالإجماع ، فاعترض صاحبنا وبعض الأعضاء الآخرين مطالبين بالتصويت على شخصية المرشح ، وهكذا كان ، وكانت النتيجة ، بالرغم من احتفاظ صاحبنا بصوته واعتراض ثلاثة آخرين من الحاضرين ، معروفة ، وهنا افتضحت تكتيكات الأخ القائد !!! وهي الصورة المؤسفة الخالية من القواعد القانونية والخلقية ، أن هذا الإنسان المشبب بالقيادة مع زمرة العجيبة قد قرر لنفسه القيادة ، مع غياب واحتجاج ومن ثم الانسحاب من هذا المشروع ، المجموعة الكبيرة التي تزيد عن الستين في المائة من الذين حاولوا تكوين هذه اللجنة على أسس متينة ممكن أن يكتب لها النجاح ، وبناء عليه كتب على هذه المحاولة الانهيار من أول يوم وجودها ، فقد استمرت هذه الفئة التي خطفت المشروع في تحبطها يمينا وشمالا حتى تم الانهيار الكامل ، وكانت الكارثة النهائية في هذا الصدد هو توقيع وثيقة التعاون ، بالتصوير التلفزيوني ، بين قائد هذا المشروع المنهار مع الأخ المقرئ في مدينة دالاس بأمریکا ، في أوج فترة العداء الأمريكي للعروبة والإسلام!!! الأمر الذي مجرد المعارضة اللببية من صدقها وشفافيتها ویدمغها بالعمالة للعدو الأكبر الأمريكي الصهيوني ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إن لغة الخداع والكذب والتضليل لا بد أن تنكشف آخر الأمر طال الزمن أو قصر ، وهذا في الواقع الذي أدى إلى انسحاب مجموعة كبيرة من مشروع لجنة التنسيق ، وبالتالي انهيارها ، كما سبق أن قلنا ، فلو أن هذا الإنسان الذي خطط للوصول إلى قيادة اللجنة بهذه الطريقة المتتوية ، قد وافق صاحبنا على اقتراحه بتقديمه إلى أصحاب المشروع كقائد ، بصفة صريحة ، صادقة ومخلصة ، وبناء

على المميزات التي ذكرها صاحبنا في شبه المنشور السابق الإشارة إليه ، لكان من الممكن إقناع الأعضاء الواحد بعد الآخر بهذا الهدف بدون مراوغة أو كذب أو تضليل ، وبالتالي أمكن الحفاظ على وحدة اللجنة المقترحة وتناسقها ومن ثم نجاحها في أداء الدور المنوط بها .

بعد أن بدأت تظهر ملامح انهيار هذا المشروع حاول صاحبنا ومعه بعض الأصدقاء إقناع هذا القائد الذي ورط نفسه في الزيف والتدليس بالتراجع عن موقفه والتفاهم مع الإخوة المنسحبين وترك موضوع القيادة إلى ظروف أخرى ، حيث تهدأ النفوس ويتبلور الاتجاه حول من يتولى هذه المهمة الصعبة ، ولكن كل هذه المحاولات قد باءت بالفشل لتشبَّث هذا القائد الهمام بقيادته بالرغم من بوادر اهتزازها وتخبُّطها ، حتى تم الانهيار الكامل كما سبق أن أشرنا .

الفصل الخامس عشر

أمراض المجتمع العربي وأسباب فشله في معاركه مع الأعداء

هذه الواقعة وغيرها من الوقائع الفاشلة ، دفعت صاحبنا إلى التأمل والبحث عن السبب الأساسي في هذه الانهيارات المتلاحقة التي أصابت وتصيب مجتمعاتنا وامتتنا ، لا شك أننا نعاني أمراضا كثيرة ، ولكن تأمل صاحبنا هداه إلى أن هناك مرضا جوهريا حل بهذه الأمة كان السبب في كل هذه الأمراض ، هذا المرض الخطير ، في رأى صاحبنا ، هو اختفاء الصدق في حياتنا ، وهو يعتقد اعتقادا جازما أن بداية النهضة الغربية ، بالرغم من سلباتها العديدة ، كانت يوم أن اكتشفوا أن الكذب هو أساس كل الأمراض التي كانت متفشية في مجتمعاتهم ، وبالتالي حاربوا هذه الآفة بكل القوة والشدة والتصميم . لقد تعرف صاحبنا على أوروبا ، ومن بعد ذلك على أمريكا منذ سنة 1964 وقد لفت نظره اهتمامهم بالصدق وأنهم يمكن أن يغفروا للإنسان جميع أخطائه ما عدى أن يثبت عليه الكذب ولو لمرة واحدة . وهو يذكر بهذا الخصوص أن الرئيس نيكسون عندما اجبر على الاستقالة من منصبه كرئيس لأمريكا ، حاول الرجوع إلى مهنته السابقة كمحام وطلب إعادة قيد اسمه في جدول المحامين ، ولكن نقابة المحامين الأمريكية قد رفضت طلبه ، لا بسبب تورطه في قضية "ووترجيت" ولكن بسبب اقترافه جريمة الكذب عندما حقق معه بالخصوص ، كما سبق أن شرحنا ، وهنا يرجع صاحبنا دائما إلى مقولة والده رحمه الله التي كان يرددتها باستمرار ، وهي ، إن النجاة في الصدق .. إن النجاة في الصدق . وهي مقولة لو تأملها المجتمع البشري وعمل بها لانتهدت جميع مآسيه وآلامه وحروبته .

والذي أذهل صاحبنا ما لاحظته في مجتمعاتنا العربية والإسلامية من استهانة بموضوع الكذب ، فالكل يكذب على الكل ، بدون حرج أو خجل ، ومن هذا الوضع استشرى النفاق والغش والتدليس والرشوة والنصب ... إلى آخر القائمة المتوالدة من آفة الكذب ، وأنتك لتري الوالد لا يخجل من أن يكذب أمام ابنه بان يشير لابنه عندما يطلبه أحدهم في الهاتف ، بأنه غير موجود!! ومن

هنا يتعلم الابن الكذب والآن حرج في إظهار غير الحقيقة ، وهكذا يسري هذا الداء الخطير المدمر بجميع ملاحقه في جسم المجتمع والأمة ، الأمر الذي يؤدي بها إلى الإحباط والتردي والهوان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إن هذه الأفكار جعلت صاحبنا يكتب ويتحدث أكثر من مرة ، أنه لا بد لعلاج هذه الآفة الخطيرة المدمرة ، من الرجوع إلى مبدأ اليوم الكامل ، من الصباح إلى المساء ، للتلميذ في المدرسة ، بمعلمين أكفاء بمراتب عالية تفوق كل مراتب الدولة ، يهتمون بمعاني التربية ، فالتلميذ تكون كل مذاكراته وهوياته وألعابه في المدرسة كل ساعات النهار ، ويكون رجوعه للبيت للنوم فقط ، وبذلك يمكن تخليص الجيل القادم من هذا المرض الخطير المستشري في هذه البيئة المريضة وبين آبائهم وأمهاتهم ، الكذب وملاحقه . هذا يمكن أن يكون علاجاً طويلاً المدى إذا آمنت به وطبقته وزارات التربية والتعليم في العالم العربي ، وخصصت ثرواتها البترولية في هذا الاتجاه ، أما العلاج الذي يمكن أن نبدأ به من هذا اليوم فيمكن أن يكون عن طريق خطبة الجمعة ، ففي العالم العربي والإسلامي هناك مسجد في كل حي من الأحياء في طول البلاد العربية والإسلامية وعرضها ، تلقى فيه خطبة الجمعة ، وهناك حوالي اثنين وخمسين جمعة في السنة ، فإذا استطاع رجال الفكر والساعون إلى الإصلاح أن يضعوا كتباً به ثلاثون أو أربعون خطبة متعلقة بالصدق والأمانة وازدراء الكذب والكذابين ، أو على الأقل وضع الخطوط الرئيسية لهذه المواضيع في هذا الكتيب المنشود ، ثم بذل كل الوسائل والمؤثرات لإقناع خطباء الجمعة باتخاذ هذا النهج في خطبهم كل جمعة ، باعتباره العلاج الحقيقي لأدواء هذه الأمة من أمراضها المستعصية التي تكاد تفتك بها وتجعلها معرّة بين شعوب الأرض . إن ما نسمعه من خطباء الجمعة في هذه الأيام والأسابيع ، مع الأسف الشديد هو كلام مكرر ، أكثره من الإسرائيليات التي كتبت في وقت تدهور هذه الأمة وانحطاطها بعد اجتياحات المغول والتتار هذه المنطقة والانحدار بها في مستنقع الخمول والشروء والتردي والتمسك بتوافه الأمور ، فصارت كل اهتماماتنا ذقونا طويلة ، ونقبا يلف جسم المرأة ويجعلها مثل الخيمة التي تمشي في الشوارع ، باعتبارها عورة ،

يا للعجب العجاب!!! مع أن الذقون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الأبرار كان لأسباب معروفة غير قائمة في عهدنا الآن وأن أبا جهل أكبر عدو لصاحب الرسالة والإسلام كان بذقن طويلة ، ربما أطول من أصحاب ذقون اليوم !!! وإن النقاب لم يكن قائما في عهد الرسالة بهذه الطريقة التي أصبحت الوسيلة لبعض النساء المنحرفات لتغطية تصرفاتهن المنحرفة !!! ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وفي سبيل تنفيذ هذه الفكرة اتفق صاحبنا مع صديقه الأستاذ حسن أبو خريص على زيارة الداعية الإسلامي الدكتور محمد عمارة حيث ناقشاه في تنفيذ ما يمكن تنفيذه من هذه الفكرة وذلك بأن يستدعي بعض الدعاة المنتورين في العالم العربي والإسلامي وبحث هذا الموضوع الهام ودراسة الوسائل في إمكانية تحقيقه ، ويمكنهم الاستعانة ببعض أغنياء العالم العربي والإسلامي الغيورين على مستقبل هذه الأمة الذين لا شك أنهم سيستجيبون لهذه الدعوة ولن ييخلوا عليها بالأموال اللازمة ، وقد وعد الدكتور عمارة الصديقين بالتفكير في هذا الموضوع والبحث في كيفية تنفيذه . وقد حاول الصديقان الاتصال بالدكتور مصطفى محمود للتحدث معه في نفس الموضوع ولكن تبين أنه في حالة مرضية مستعصية شفاه الله .

من المسائل التي كانت تقلق صاحبنا ما شاهده في أوروبا وأمريكا من سيطرة الإعلام الصهيوني على عقول هؤلاء القوم ، سواء كان هذا الإعلام مشاهدا في الأفلام والتلفزيون ، أو كان مسموعا في مئات وربما آلاف المحطات الإذاعية ، أو كان مقروءا في الصحف والمكتبات ودور النشر ، ويذكر صاحبنا حادثة حصلت له في واشنطن لها دلالتها بالخصوص ، وهي أنه كان مرة في زيارة أحد أصدقائه بمكتب الجامعة العربية بواشنطن فسأل عن كتاب هام صدر حديثا للرئيس الأمريكي السابق نيكسون فبعث هذا الصديق مع صاحبنا موظفا من موظفي المكتب ليدله على مكتبة يمكن شراء هذا الكتاب ، وعند الوصول إلى المكتبة وطلب الكتاب تبين صاحبنا أن موظف المكتبة الذي احضر الكتاب كان يرتدي الشعار الصهيوني على رأسه فاغتاظ صاحبنا من موظف الجامعة

لاختيار هذه المكتبة خصوصا وان هذا الموظف المرافق فلسطيني الأصل ، وعند الخروج من المكتبة لام صاحبنا هذا الموظف لوما شديدا على هذا الاختيار وقال له ، على الأقل باعتبارك فلسطينيا كان يجب عليكم أن تقاطعوا أعداءكم ، فأخرج هذا الموظف المسكين واقسم أن كل المكتبات الموجودة في قلب المدينة هي مملوكة لليهود الصهاينة ، وإذا أردنا مكتبة غير صهيونية في واشنطن فعلى أن نسافر إليها حوالي خمسين ميلا!!! هذه الواقعة هي إحدى الدلائل لسيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام . وقد كتب صاحبنا مرة مقالا بالخصوص تحت عنوان الحقيقة الكاذبة ، لم يتم نشره ، جاء فيه ما يلي : "إن الصهيونية العالمية تملك في الولايات المتحدة الأمريكية ثمانمائة واثنين وثمانين صحيفة دورية عالمية ومحلية ، ظاهرة ومستترة ، هذا ما تقرره الإحصائيات الوثائقية ، ولا بد أنها تملك مثل هذا العدد أو أكثر منه في أوروبا وكندا وأجزاء أخرى من العالم ، هذا بخلاف وسائل الإعلام الأخرى المختلفة التي تسيطر عليها وتوجهها في هذه الأرجاء مثل التلفزيون والسينما والمذياع والمكتبات ودور النشر .

وإقرارا للإنصاف ليس في هذا التوجه في حد ذاته ما يمس الأخلاق أو يريبها ، فكل إنسان أو مجموعة من الناس أن توجه نشاطها للكسب المادي أو المعنوي بالطريقة التي تراها أكثر فائدة لها ما دام ذلك في حدود القوانين واللوائح المعترف بها .

وإقرارا للحقيقة والإنصاف مرة أخرى ، لا مناص لنا من الاعتراف أن هذه الصحف ووسائل الإعلام الأخرى الصهيونية لا بد أنها تؤدي خدمة كبيرة ومفيدة نسبيا ، أو هذا الذي يبدو للوهلة الأولى على الأقل ، وإلا لما قبل عليها الناس وتفاعلوا معها ، ولما أحرزت نجاحات في أداء أغراضها .

ولا بد من الاعتراف أيضا أن وسائل الإعلام هذه لا تتجاوز الحقيقة ، فالكذب حبله قصير ولا بد أن يكتشف في يوم من الأيام إن عاجلا أو آجلا ، والناس بصفة عامة ينفرون من الكذب خصوصا إذا تعلق الأمر بالإعلام ، مما سترتب عنه كارثة على من يثون الإعلام الكاذب .

إذا فإذا كانت الصهيونية العالمية تملك وتسيطر وتوجه معظم وسائل

الإعلام في أكثر مناطق العالم ، وكان هذا النشاط مشروعاً ، ويؤدي خدمة
لجماهير الشعب ، ولا يتورط في الكذب ، فما العيب في ذلك ؟؟؟!!!

إن النظرة السطحية المستعجلة ، وهي النظرة المتوقعة لأغلبية ضحايا هذا
الإعلام الذين تحول مشاغلهم الخاصة ، وصراعهم اليومي في سبيل العيش ،
بينهم وبين الفحص والتدقيق والتعمق فيما يعرض عليهم من إعلام ، ستجيب
على هذا السؤال ببراءة الغافلين "لا عيب ولا اعتراض" وعلى هؤلاء راهنت
وتراهن الصهيونية العالمية في توجيه إعلامها المسموم .

إن سبب الكارثة البشرية التي يعاني منها العالم كل يوم هي أن هذا الإعلام
الذي يكاد يعم الأرض وما عليها ومن عليها ، قد استخدم الحقائق الموضوعية
بطريقة شريرة جهنمية ، قد أوقعت العالم في كذبة كبيرة يتخبط في ظلماتها كل
يوم . إن لباس الكذب ثوب الحقيقة هو أشد خطراً وأكثر تدميراً من الكذب
الصراح ، إذ لا يفطن إليه إلا أشد الناس ذكاء وحرصاً ، أو ألقمهم بالموضوع
المطروح . إن ذكر نصف الحقيقة والاحتفاظ بنصفها الآخر في الظلام والعمية ،
وتهويل الأمر الهين ، وتهوين الأمر الخطير ، قد لا يكون فيها مساس بالحقيقة
بالمعنى العادي للأمر ، ولكنها هي في الواقع كذبة ضخمة خطيرة ومدمّرة ،
وهي من الخبث والتعقيد بحيث لا يفطن إليها إلا الخبراء والمتخصصين ، إنها
الورقة الأساسية الخفية التي لعبتها الصهيونية العالمية لأجيال متعددة ولا زالت
تلعبها حتى اليوم في غفلة الغافلين .

إن الإعلام العالمي الذي أصبح لا يختلف اثنان على مدى سيطرة
الصهيونية عليه ، قد بات كارثة حقيقية واقعة على العقل البشري الذي صار
يتخبط في متناقضات ستؤدي به حتماً إذا ما استمر الأمر على ما هو عليه إلى
حرب نووية مدمرة سوف لا ينجو منها حتى من خلقوا هذا الإعلام المشوه
الخبث .

فمتى يفيق العالم إلى أولئك الذين يلبسون الحق بالباطل وهم يعلمون ،
أصحاب الحقيقة الكاذبة" .

وقد حاول صاحبنا أن يشير هذا الموضوع في عدة اتجاهات ، منها الكتابة إلى الإعلامي المعروف الأستاذ حمدي قنديل ، يحثه على إثارة هذه المسألة في برنامجه الأسبوعي ، لعل الحكام العرب يتنبهوا إلى خطورة الذي يجري ، فيقيموا محطات تلفزيونية باللغات الأجنبية وبعقلية هؤلاء الأجانب ، تتعرض وترد على ما تبثه الصهيونية من سموم . ومنها الكتابة إلى إدارة قناة الجزيرة يحث المسؤولين فيها لتكون لهذه القناة بما امتازت به من كفاءة وموضوعية أن تكون لها شقيقة باللغة الإنجليزية والفرنسية توجه إلى العالم الغربي ، أو على الأقل أن تكون هناك ترجمة بإحدى هاتين اللغتين لما تبثه الجزيرة باللغة العربية ذاتها . وعند فشل هذه المحاولات تحدث صاحبنا مع صديقه الأستاذ حسن أبو خريص في هذا الشأن ، حيث انتهى حوارهما في هذا الموضوع إلى محاولة لقاء الدكتور أحمد بهجت صاحب قناة "دريم" الأولى والثانية وإقناعه بتبني هذا المشروع ، وهكذا كان ، إذ تمكن الأستاذ أبو خريص من تحديد موعد مع هذا الإنسان النشط ، وفي الموعد ذهبنا إليه في مملكته الواسعة جنوب الهرم ، حيث رحب بهما بتواضعه الجم وأخلاقه العالية ، ودامت المقابلة أكثر من نصف ساعة ، حيث استمع بانتباه إلى وجهة نظر الضيفين وكان رده الوحيد أنه سيحاول تنفيذ هذه الفكرة التي طالما راودته هو نفسه ، وذلك عندما تتوفر الإمكانيات المالية!!! على كل حال شكر الضيفان الرجل على حسن استقباله لهما ، وعند المغادرة سلم له صاحبنا ملفا كاملا بالمشروع . ومرت الأيام والأسابيع والأشهر ، وليس هناك أي بادرة فيما تم ذلك اللقاء من اجله ، والشيء العجيب أن هذا الرجل النشط المتواضع أعطى لضيفيه كرثا بأرقام هواتفه ، ولكن هذه الهواتف تبين أنها بأرقام خاطئة ، سواء كان ذلك عن قصد أو عن غير قصد ، ولكن على أي حال ، عندما حاولنا الاتصال به عن طريق مكتبه ، عندما دعا أمين الجامعة العربية الدكتور عمرو موسى إلى اجتماع لرجال الإعلام لبحث موضوع الإعلام الذي يمكن توجيهه للخارج ، لإعلام الدكتور بهجت بهذا الاجتماع ومحاولة إقناعه بالمشاركة فيه ، ولكن مع الأسف الشديد كان رد سكرتارته دائما وباستمرار ؛ (الدكتور بهجت ، غير موجود)!!! وبذلك قفلت هذه المحاولة . ولكن صاحبنا وصديقه

لم يصبهما اليأس ، إذ تمكن الصديق حسن من الحصول على موعد مع الأستاذ الإعلامي الكبير محمد حسنين هيكل ، حيث تمت الزيارة في بيته ، ووجد الصديقان أن هذا الأستاذ الضليع كان يحدثهما أكثر مما كان يستمع إليهما ، فهو بكفائه واتصالاته اعلم بالموضوع وتعقيداته ومشاكله وما يعترضه من عراقيل ومطبات ، وانتهت المقابلة الشيقة بدون أية نتيجة .

إن صاحبنا طالما جلس بينه وبين نفسه مذهولاً مما يجري حوله ، كيف غفلت القيادات العربية عن هذا الموضوع الخطير ، وهو كيف يواجه العرب هذا الإعلام المسموم الذي تبثه الصهيونية العالمية ضدهم ، بإعلام مائل يبرز الحقائق ويفضح أكاذيب وسموم الصهيونية ومدى خطورتها على سلام هذا الكوكب ، أيعجز العالم العربي بثرواته التي تبدد في كل مكان أن ينشئ قناة مثل تلك القنوات الناجحة ضدنا وضد عربتنا وإسلامنا ومنها "CNN"؟؟!! إن هناك العشرات من الكفاءات الأمريكية والأوروبية المتعاطفة مع القضايا العربية وخلق عالم يسوده الحق والخير والسلام ، وهي مستعدة للعمل والتعاون في مثل هذه القناة إذا تم إنشاؤها ، ألا يعلم هؤلاء الناس أنه لا يكفي أن تكون على حق ، بل يجب إقناع الآخرين أنك كذلك؟؟ وهذا لا يمكن تحقيقه إلا بإعلام ناجح ينتشر في جميع ربوع الأرض ، وخصوصاً العالم الغربي . "قبل طبع هذا الكتاب بأيام قليلة أذيع أن قناة الجزيرة ستكون لها شقيقة باللغة الانجليزية في الأيام القليلة" .

وقد كتب صاحبنا إلى وزير الإعلام العراقي رسالة في أوائل التسعينات في هذا الخصوص جاء فيها :

"لقد وقع في يدي كتيب "التصدي" الذي يحتوي على أحاديث السيد رئيس الجمهورية في الفترة الأخيرة ، وهذا الكتيب كله صدق ومنطق وإقناع ، وأنا واثق كل الثقة أن كل من استمع إلى هذه الأحاديث أو قرأها فلا بد له أن يسلم بوجهة النظر العربية والعراقية ، ولكن هل وصل هذا الكلام إلى العالم الغربي خصوصاً في أمريكا؟؟؟ إن العالم الغربي الذي يسيطر عليه إعلام الصهيونية العالمية لا يسمح بذلك ، وبالتالي فلا بد لنا من مواجهة هذا الوضع ، إذ لا يكفي أن تكون على حق ، بل يجب أن تقنع هؤلاء الغافلين في العالم الغربي

في أوروبا وأمريكا - الذين خدرهم الإعلام الصهيوني - ، بالحقيقة وبحقنا بكل ما لدينا من إمكانيات إعلامية .

لقد حاولت الاتصال بكم لشرح وجهة نظري ، ولم يسعدني الحظ بذلك ، ولذلك فقد سلمت إلى الأخ الدكتور عبد المجيد الرفاعي مشروعا إعلاميا للعمل في أمريكا ، قد قامت بتحضيره منظمنا ، أملنا اطلاعكم عليه . كما سلمت منذ السنة الماضية إلى الدكتور سعدون حمادي ملفا كاملا عن منظمنا ، عن تكوينها وتاريخها ونشاطها وإنجازاتها في الأمم المتحدة ، ومن أوراقها وسام الكفاءة بتوقيع الأمين العام للأمم المتحدة ، أرجو أن يكون وسيلة للدراسة في هذا الموضوع الخطير .

إني على استعداد للحضور إليكم في أي وقت لشرح وجهة نظرنا . وفقكم الله وأبقاكم ذخرا لهذه الأمة المجيدة" .

إن المشروع الإعلامي الموجه إلى أمريكا ، قد قام بتحضيره الدكتور فائز صايغ عضو المجلس التنفيذي في المنظمة ، والذي كان له دور بارز في تأسيسها ، وقد عرض هذا المشروع على الجامعة العربية في اجتماع وزراء الإعلام العرب في سنة 1978 على ما اذكر ، وقد صدر قرار في هذا الاجتماع بتأييد هذا المشروع وطالبوا الدول العربية القادرة بتمويله بالمبلغ المطلوب البالغ حوالي مليون ونصف دولار سنويا ، وبعثت رسالة تتضمن هذا القرار إلى منظمنا ، وبناء عليه اتصل صاحبنا بوزارة الخارجية الليبية يحثها على تمويل المشروع ، فصدر قرار من ليبيا أنها على استعداد المساهمة بربع المبلغ المطلوب سنويا ، وعلى المنظمة أن تستحث الدول العربية الأخرى المساهمة ببقية المبلغ ، فكان على صاحبنا أن يقوم بجولة إلى الدول العربية الأخرى القادرة ، وعليه فقد سافر إلى الكويت والعراق والسعودية ، حيث استقبل في وزارات خارجية هذه الدول بترحاب وتكريم ، والكل وعد خيرا ، ولكن بقى الأمر في دائرة الوعود ، إذا استثنينا الكويت الذي دفع للمنظمة مرة واحدة ، عشرين ألف دولار ، والعراق الذي قرر للمنظمة مبلغ ربع مليون دولار سنويا ، استمر لمدة ثلاث سنوات ثم انقطع بسبب حرب الخليج الأولى ، كما سبق أن أشرنا ، وعليه لم تستطع المنظمة تنفيذ

هذا المشروع القيم ، "يمكن الاطلاع على مشروع فائز صائغ القيم في وثائق المنظمة ، وهو مشروع في منتهى الأهمية" ، وعلى أي حال فان المنظمة حاولت تنفيذ هذا المشروع تنفيذًا جزئيًا فافتتحت مكتبا في واشنطن كان يديره جورج شكلا كموظف من خريجي جامعة جورج تاون ، وتحت إشراف أعضاء المنظمة من الأمريكيين . ولكن هذا المكتب لم يدم لأكثر من أربع أو خمس سنوات ، ثم توقف ، للمصاريف الباهظة التي كان يستنزفها من أموال المنظمة ، التي وصلت إلى حوالي ربع مليون دولارا سنويا ، مع فشله القيام بأي شئ مؤثر في الساحة ، وفشله في إنجاح مشروع جمع التبرعات للمنظمة بالرغم من الحصول على قاعدة الاستقطاع من الضريبة من السلطات الأمريكية ، وبناء عليه قرر المجلس التنفيذي قفل هذا المكتب . كان ذلك ، كما يذكر صاحبنا ، في اجتماع المجلس التنفيذي للمنظمة بجنيف سنة 1992 حيث استعرض صاحبنا بصفته رئيس المنظمة الميزانية وبين أن رأس مال المنظمة صار يتآكل شيئا فشيئا ، ومنظمتنا تعيش على الفائدة البنكية الواردة منه ، وإننا إذا لم نقتصد في المصاريف فان المنظمة مقدمة على الإفلاس والقفل في مدة لا تتعدى الأربع أو الخمس سنوات ، والخير لنا أن نقتصد في المصروفات حتى لو أدى ذلك إلى محدودية النشاط من أن تموت هذه المنظمة التي تحظى بسمعة عالمية ممتازة ، ولعلنا في المستقبل القريب أو البعيد نجد تمويلا لها فتستأنف نشاطها الواسع كما كانت ، واقتنع أعضاء المجلس بهذا الرأي ، وعليه قفل مكتب واشنطن كما قفل النشاط في كندا وفي سريلانكا وأوقفت الهبات التي كانت تدفع كل سنة لبعض المنظمات الإنسانية ، ولبعض طلبة الدكتوراه ، ولأحسن كتاب يصدر في مكافحة العنصرية كما حصل في كتاب "الاستشراق" للدكتور الفلسطيني الأصل إدوارد سعيد ، وكتاب آخر من تأليف أستاذ وأستاذة بالمدارس الثانوية بكندا ، يدافع عن الهنود الحمر . وغير ذلك من البحوث والدراسات .

الفصل السادس عشر

الهجمة الصهيونية الإمبريالية على العراق

بعد إقامة الأسرة حوالي أربع سنوات في مدينة هيوستن ، وكان يعتبرها إقامة مؤقتة حتى تتغير الأحوال في وطنه ، وقد مرت كل هذه السنوات دون أن تلوح أي بارقة أمل ، شعر صاحبنا أن الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية بالرغم من أنها حياة سهلة ونظيفة وخالية من تعقيدات البلاد العربية ، فإنها في واقع الأمر هي غير لائقة بمستقبل أطفاله ولا تتفق مع تقاليدنا المحافظة ، وبناء عليه قرر العمل على الانتقال للعيش في مصر هو وزوجته ، على أن يلحق بهم الأطفال ، الذين صاروا شبانا وشابات ، عند إتمام دراستهم في المعاهد والجامعات . كان للأخ إبراهيم حافظ شركة مقاولات في مصر وكان قد بدأ في بناء عمارة متواضعة في حي النزهة الجديدة بالقاهرة ، فاقتنى منه شقة بحجرتين نوم بسعر متهاود جدا وبالتقسيم المريح ، وعند إتمام تأثيثها انتقل وزوجته للإقامة بها ، وقد شجعا إحدى البنيتين عندما أكملت الدراسة الثانوية ، للانتقال لدراسة الطب ببغداد العراق ، أما الشابة الأخرى والشاين فقد أبتدأ دراستهما الجامعية ، وعليه فقد اتفق على بقائهما في الموقع حتى إتمام دراستهما . إن الحرب القائمة بين العراق وإيران والتي أشعل أوارها الخميني والتي امتنع عن إيقافها بالرغم من المحاولات التي بذلتها بعض الجهات الدولية ، قد حالت بين ابنتنا وبين الاستمرار في الدراسة في العراق ، حيث رجعت إلى مصر وحاولنا إدخالها إلى كلية الطب في مصر ولكن فشلنا في ذلك لأسباب كثيرة ، الأمر الذي اضطرنا إلى إرجاعها إلى إخوتها في أمريكا للدراسة الجامعية هناك .

إن الحرب العراقية الإيرانية تستحق الوقوف عندها لما صاحبها من ملبسات لها الدرجة القصوى من الأهمية والتي تشير إلى المؤامرة الكبرى التي تخطط لها الصهيونية العالمية . فالخميني قبل هذه الحرب بقليل كان يعتبر لاجئا إيرانيا مقيما بالنجف في العراق ، وكان في ذلك الوقت خلاف عميق بين النظام في العراق وبين حكم الشاه في إيران بسبب تأييد حكم الشاه لمصطفى البرزاني في

شمال العراق الذي استمر يثير القلاقل في شمال العراق لسنوات عديدة منذ عهد طويلة بتوجيه وتشجيع من أمريكا والقوى الصهيونية ، ولكن استطاع هواري بومدين رئيس الجزائر في السنوات الأخيرة لهذا الصراع المرير أن يجمع بين صدام حسين وشاه إيران في الجزائر حيث تم الاتفاق بينهما على أساس أن يحصل حكم الشاه على بعض ما يدعيه في خليج العرب الذي يسمونه الخليج الفارسي ، ومقابل ذلك يرفع يده عن مساعدة مصطفى البرزاني وما يثيره من قلاقل في الشمال الشرقي العراقي . من المعروف للجميع أن هذه القلاقل الكردية كانت تستنزف العراق استنزافا كبيرا منذ العهد الملكي وقد استمرت حتى عهد صدام حسين ، وكان النظام العراقي يهّمه جدا قفل هذا النزيف ، ولكن هذا التصرف من الشاه لم يعجب القوى المتآمرة ضد العراق ، أي أمريكا والصهيونية العالمية ، وبالتالي بعد أن كان الشاه هو الابن المدلل لهذه القوة المتآمرة حتى كانت إيران تعتبر أقوى دولة في المنطقة بسبب تكديس السلاح الأمريكي لها ، تغيرت الأمور رأسا على عقب ولم تمض أكثر من بضعة أشهر على اتفاق الجزائر حتى اخذ الخميني بطائرة أمريكية من النجف في العراق إلى فرنسا وبدأت الدعاية للاتجاه الإسلامي في الإعلام الغربي على جميع المستويات !!! وقد لاحظ صاحبنا وهو يقيم في تلك الفترة في أوروبا ، إقبال الصحافة الغربية المشبوهة على ذكر الإسلام وتمجيده حتى خيل إليه أن العالم الغربي سيتبنى الإسلام ويصبح عن قريب كله مسلما !! ولكي تتم الخطة أو المؤامرة تم اختفاء موسى الصدر بطريقة غامضة مبهمة بين ليبيا وإيطاليا ، وذلك لكونه الشيعي العربي الذي له أنصاره من الشيعة في إيران ويمكن أن ينافس الخميني ويعرقل الخطة المرسومة التي سوف يقوم بها هذا الأخير سواء يدري أو لا يدري . وبدأت ما يسمونها بالثورة الإسلامية!؟ واخرج الشاه من إيران وجيء بالخميني من فرنسا ليحل مكانه ، والشيء العجيب الذي له دلالاته الواضحة أن هذا الشاه الابن المدلل للغرب امتنعت أمريكا عن قبوله كلاجئ وهو الذي يعاني المرض الذي أودى به أخيرا إلى الهلاك . بعد نجاح الانقلاب الخميني بدأ في مناكفة العراق بكل الطرق والوسائل ، دعك من حكاية القبض على بعض أعضاء السفارة الأمريكية في

طهران ، وإهانتهم وجعل مكان السفارة مقرا لمنظمة التحرير الفلسطينية ، فما ذلك إلا لتغطية خيوط المؤامرة كما ستبين الحقيقة بعد سنوات لمن أراد أن يتأمل ويربط خيوط المؤامرة بعضها ببعض ، وأول من كشف هذه اللعبة القذرة هي منظمة التحرير الفلسطينية التي ادعى نظام الخميني أنه أعطاها مقر السفارة الأمريكية . بعد فترة لم تدم طويلا بدأ الهجوم الإيراني على العراق حتى وصل جيش الخميني على مشارف بغداد "ثمانين كيلومترا" ، وعندما قام الجيش العراقي برد المعتدين إلى داخل الحدود الإيرانية وتدخلت الأمم المتحدة لإنهاء الحرب ، رفض الخميني شروط الهدنة التي قبل بها العراق ، وقال قوله المشهورة أنه سوف لن يوقف هذه الحرب إلا بالإطاحة بالنظام العراقي وصدام حسين !! واستمرت الحرب بناء على هذا التصميم من الخميني لمدة ثماني سنوات ولم تنفع معه كل المبادرات الدولية والإسلامية والعربية لإنهاء الحرب !!! لا زال صاحبنا يذكر أنه أثناء هذه الحرب المجنونة كان في بعض السنوات بأمريكا وسمع بأذنه في بعض القنوات التلفزيونية الأمريكية ، الصهيوني المعروف هنري كيسنجر ، يقول أن هذه الحرب يجب أن تستمر حتى يفني النظامان العراقي والإيراني بعضهم بعضا !! هل هناك دعوة اشد حثا وكرهية من هذه الدعوة المتسمة بسموم الصهيونية العالمية؟؟!! وهناك قصة مهمة في هذا الصدد تستحق الذكر ، وهي أن صاحبنا في السنة الأخيرة من هذه الحرب اللعينة ، كان في جلسة غداء بواشنطن جمعه بالسفير الأمريكي السابق بالسعودية السيد جيمس ايكنز وبعض أعضاء منظمة ايفورد ، وكان هذا الإنسان قد اخرج من سفارته بالسعودية بقرار من كيسنجر عندما كان وزيرا للخارجية ، فقص صاحبنا عليه ما سمعه من هذا الصهيوني بخصوص طلبه استمرارية الحرب ، فقال هذا السفير الإنسان الطيب والمتعاطف مع القضية العربية ، إنني أبيع لك بسر خطير أرجو أن يصل إلى العراقيين وهو أن الصهاينة في البيت الأبيض قد غيروا رأيهم واستطاعوا أخيرا أن يقنعوا الرئيس الأمريكي بخطة جديدة وهي العمل على اندحار العراق أمام جيش الخميني ، فاندحار العراق تجرد السعودية ودول الخليج نفسها في حالة خطر محقق من اجتياح جيش الخميني الشيعي لهم وسوف لن يجدوا من يحميهم من هذا الاجتياح

إلا إسرائيل التي سيتصدى جيشها لهذا الاجتياح وبناءا عليه يتم قبول العرب لكل طلبات إسرائيل في المنطقة ويتم الصلح معها ، وبناءا على هذه الفكرة قد قامت أمريكا بتزويد إيران بنوع حديث من الصواريخ المضادة للدبابات يمكن أن يحملها الجندي على كتفه وبمجرد توجيهها إلى الدبابة يسير الصاروخ في اتجاهها بقوة جاذبية حرارة الدبابة ومن ثم يفجرها . الواقع هذا هو الذي حصل في الأشهر الأخيرة من الحرب ، فقد استطاع جيش الخميني اقتحام مناطق متعددة من الأراضي العراقية في الجنوب الشرقي ، والحاق خسائر فادحة بالعراقيين ، حتى قيل أن هزيمة العراق أصبحت وشيكة وصار الإعلام الغربي والصهيوني يطبل لها ويشيعها مسموعا ومقروءا ومشاهدا ، ولكن سرعان ما قام الجيش العراقي بردة فعل بطولية خارقة استطاع فيها ان يرد جيش الخميني ويحطم إمكانياته ويقتحم الأراضي الإيرانية في الجنوب الشرقي ، الأمر الذي دفع بنظام الخميني بقبول الهدنة وإيقاف الحرب ، وقد قال الخميني في هذا الصدد قولته المشهورة وهو أن الموت أهون عليه من الوصول إلى هذه النتيجة أي إنهاء الحرب قبل الإطاحة بصدام !! والذي يبدو أن نظام الخميني لم يقبل بإيقاف الحرب إلا بعد أن استشعر الخطر بدخول الجيش العراقي إلى جنوب إيران ، فهذه المناطق الإيرانية يسود سكانها العنصر العربي والتي تسمى بالاحواز ، وهؤلاء القوم لا زالوا حتى اليوم متشبثين بعروبيتهم وكل أملهم أن يرجعوا للحظيرة العربية ، حيث من الممكن أن ينضم هؤلاء القوم إلى الجيش العراقي . انتهت هذه الحرب اللعينة التي استمرت حوالي ثماني سنوات وقتل فيها مئات الآلاف من الضحايا من الجانبين ، ولم يحظ الطرفان بأي من المكاسب ، بل الخسائر في الأرواح والممتلكات والأموال هي التي حلت بالطرفين ، وكل ذلك كان بسبب عناد السيد الخميني وحقده بل وتأمره واندفاعه في المخطط الصهيوني ، علم بذلك أو لم يعلم ، وعلى أي حال فان هذا الرجل لم يعيش طويلا فبعد إنهاء الحرب بأشهر قليلة مات بغصته حاملا حقه إلى القبر وحل محله أناس عقلاء لم تستطع المؤامرة الصهيونية أن تضعهم في شباكها من مثل السيد رفسنجاني والدكتور خاتمي . وعلى أي حال فان إنهاء الحرب على ما انتهت إليه لا يعتبر ذلك انتصارا حقيقيا فاز به العراق وان كان قد

تخلص من خصم عنيد إلى الأبد ، وهذا ما جعل العراقيين يحسون أنهم قد حققوا انتصارا ، وإن كان محدودا ، على عدوهم العنيد الذي فرضته المؤامرة .

في هذه الفترة كان صاحبنا بجنيف لحضور اجتماعات اللجنة الفرعية لحقوق الإنسان بمقر الأمم المتحدة بصفته رئيس المنظمة "إيفورد" ، وفي لقاء مع زميله في المنظمة الأستاذ عبد الرحمن اليوسفي تحدثا عن انتصار العراق المحدود ، وكان الأستاذ عبد الرحمن يستعد للسفر إلى المغرب لحضور اجتماعات المكتب الدائم لاتحاد المحامين ، فاقترح صاحبنا فكرة تعرض في هذا الاجتماع ، وهي أن يسير وفد من كل النقباء رأسا من المغرب إلى العراق للتهنئة بهذا الانتصار ، وإن ينصح النقباء النظام العراقي ، بهذه المناسبة المجيدة ، أن يقوم النظام في هذا البلد صاحب البطولات ، بوضع حكم ديمقراطي يكون نموذجا يحتد به في العالم العربي ، وقد استطاع الأستاذ عبد الرحمن عرض هذا الاقتراح الذي قبل من أعضاء المكتب الدائم لاتحاد المحامين .

سافر وفد النقباء إلى العراق ، بعد إنهاء اجتماعاتهم في المغرب ، واستقبلهم النظام هناك استقبالا جيدا ، وقد وعدهم صدام حسين بالعمل فورا على تحقيق هذه الأمنية الغالية على الجميع ، واستبشر المثقفون في العالم العربي خيرا بهذا الوعد ، وكونت لجنة من رجال القانون في العراق لوضع دستور حديث يحقق الديمقراطية ، حيث عرض بعد ذلك على جميع حلقات الحزب لدراسته والموافقة عليه ، وكان صاحبنا في مصر في ذلك الوقت ، وكان زميله الأستاذ عبد الرحمن اليوسفي يتابع هذا الموضوع بما ينشر عنه في الصحف الصادرة في أوروبا ، ويرسل إلى صاحبنا في سعادة غامرة تطورات هذا الموضوع عن طريق الفاكس ، باعتبار أن هذه الأمنية الغالية قد بدأت تتحقق ، وكان أهم ما جاء في مشروع هذا الدستور العراقي هو التعددية الحزبية وانتخابات الرئاسة بتعدد المرشحين وتحت الإشراف القضائي ولفترتين فقط والفصل بين السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية . ومما زاد الأمل اتساعا أنه في هذه الفترة تكوّن ما عرف بمجلس التعاون العربي بين العراق ومصر واليمن والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وقد تفاعل العالم العربي خيرا بهذا المجلس ، فهو يضم

دولا لها ثقلها سكاني وحضاريا في المنطقة العربية ، وبالتالي يمكنه أن يقود الدول العربية الأخرى وخصوصا دول الخليج أو ما سمي بمجلس التعاون الخليجي الذي يسيطر عليه ذلك الإحساس بالانزواء بثروته البترولية وكأنه يخشى أن يشاركه الآخرون في هذه الثروة ، ومن ذلك أنه رفض بقوة ، الاقتراح العراقي بان تخصص الدول البترولية ، بما فيها العراق ، 8% من دخلها البترولي إلى الدول العربية غير البترولية ، باعتبار أن النفط هو ثروة قومية وليست إقليمية ، وإن ذلك سوف يكون خطوة رائدة نحو الاتحاد العربي ، وقد كان ذلك الرفض الخليجي مدعاة لجعل مجلس التعاون العربي ، ينظر بريبة إلى المجلس التعاون الخليجي باعتباره لا يشارك مشاركة جادة في قضايا الأمة وطموحاتها وما يحيط بها من أخطار . وبعد فشل المؤامرة التي استخدم فيها الخميني والأصولية الإسلامية ، بدأ إخطبوط الشر ينسج خيوط مؤامرة جديدة وكانت الأداة التي اختيرت لهذه المؤامرة الجديدة في منطقة الخليج ، إذ لم تلبث بعض السلطات في الخليج أن قامت بضخ حوالي نصف مليون برميل يوميا زيادة عن الكمية المقررة لها من مجلس الأوبك الأمر الذي انزل سعر البترول من 18 دولارا إلى 12 دولارا ، فاعتبر العراق ذلك ضربا وتحطيما لوضعه الاقتصادي خصوصا وهو قد خرج حديثا من حرب ضروس استمرت تنزفه لمدة ثماني سنوات ، وصاحبنا لا زال يذكر مقالة قرأها في إحدى الصحف للدكتور سعدون حمادي يناقش فيها هذا التصرف من هذه الدولة الخليجية ويثبت بالأرقام أن زيادة الضخ هو في غير صالح هذه الدولة نفسها ، أي أن دخل هذه الدولة قبل زيادة الضخ هو أكثر من دخلها بعد هذه الزيادة وهو الفرق بين 18 دولارا للبرميل إلى 12 دولارا !!! فهذه الدولة الخليجية بفعلها هذا قد خسرت مرتين ، فقد خسرت فرق السعر وخسرت نصف مليون برميل يوميا تذهب بلا طائل ، هذا علاوة على ما يصيب بقية الدول البترولية العربية من خسائر ، الأمر الذي يوحي بما لا يدعوا مجالاً للشك ، بان هناك مؤامرة لتحطيم الوضع في العراق وسلبه هذا الانتصار المحدود الذي فاز به ضد مؤامرة أولئك الذين جاءوا بالخميني إلى المنطقة ، وقد قال رئيس النظام العراقي صدام حسين في هذا الشأن قولته المشهورة "إن قطع

الأرزاق هو اشد فتكا وهولا من قطع الأعناق" ، واكتملت المؤامرة بمقابلة سفيرة أمريكا لصدام حسين وإغرائه بطريقة خبيثة ملتوية بتأديب الكويت ، وهنا يقوم التساؤل لماذا تقوم السفارة الأمريكية بهذا الدور ؟؟؟ هناك من يقول أن مجلس التعاون قد قرر فعلا اتخاذ موقف حازم ضد دول الخليج والكويت بالذات وقد طلب من العراق القيام بهذا الدور ، ولكن العراق أبدى تخوفه من التدخل الأمريكي ، ويبدو أن أحد أعضاء مجلس التعاون قد أوصل هذه الهواجس العراقية إلى الساسة الأمريكيين المتربصين ، ومن هنا جاءت مقابلة السفارة الأمريكية وإبلاغها العراق أن أمريكا لن تتدخل في هذا الموضوع ، وعليه تكون الصورة قد أصبحت جاهزة لوقوع العراق في الفخ الذي نصب له بهجومه المسلح على الكويت بغرض تأديبه ، وعندما تم ذلك ، حاولت بعض الدول العربية وخصوصا الملك حسين للممة المشكلة وحلها عربيا ، ولكن وجد النظام في مصر فرصته في اخذ ثأره من العراق بسبب موقفه السابق من اتفاقية كامب ديفد وصدور قرار القمة العربية من بغداد بالمقاطعة العربية لمصر ونقل مقر الجامعة العربية إلى تونس ، فأيد النظام في مصر التدخل الأمريكي خصوصا وقد وعد بإلغاء ديونه لأمريكا البالغة سبعة مليار دولار . ولقاء القمة العربية بالقاهرة بهذا الشأن معروف لدى الجميع ، وكيف أن وثيقة إدانة العراق وفتح الباب للهجوم الأمريكي كانت جاهزة ومترجمة من الإنجليزية إلى العربية ، وان يتجاهل رئيس الجلسة قاعدة الإجماع المقررة في الجامعة العربية وان يتم التصويت لأول مرة في تاريخ الجامعة ويصدر قرار الإدانة للعراق بأحد عشر صوتا مقابل تسعة أصوات !!! وان يرفع الرئيس الجلسة فورا بالرغم من صراخ بعض الرؤساء الحاضرين طالبي الكلام !!! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وهكذا بدأت حرب الخليج الثانية التي تضافرت فيها ثلاثون دولة ، بما في ذلك مصر والسعودية وسوريا وبعض دول الخليج ، ضد العراق ، ولم يعارضها ويقف إلى جانب العراق من الدول العربية إلا الأردن واليمن ومنظمة التحرير الفلسطينية أعضاء مجلس التعاون العربي باستثناء مصر ، وهذا الموقف له دلالاته الواضحة لمن أراد أن يتأمل ، وكان الحقد الأمريكي الصهيوني واضحا لكل ذي عينين ، إذ لم

يكشف هذا التحالف القذر بخروج العراق من الكويت بل انزل عليه الطيران الأمريكي والبريطاني من القنابل المدمرة التي زادت عن الألف رطل ما فاق ما انزل في الحربين العالميتين الأولى والثانية في أوروبا ، حتى دمرت البنية التحتية للعراق تدميرا كاملا ، الأمر الذي له دلالة واضحة جلية أن القصد ليس إخراج العراق من الكويت ، بل الهدف الحقيقي هو تحطيم العراق وإمكاناته الأساسية ، ولم تكتف أمريكا بذلك بل استطاعت إصدار قرار من مجلس الأمن بوضع العراق تحت الحصار الذي استمر تنفيذه لثلاثة عشر عاما !!! الأمر الذي أدى إلى وفاة أكثر من مليون طفل قبل سن الثانية بسبب افتقار الدواء والغذاء . وحيث أن العراق استطاع بالرغم من كل ذلك ، بناء كل ما دمته الحرب ، كما استطاع أن يدفع لكل مقاوم فلسطيني دمرت الصهيونية بيته في غزة أو ضفة فلسطين الغربية مبلغ خمسة وعشرين ألف دولارا ، الأمر الذي شجع المقاومة الفلسطينية والاستمرار في الانتفاضة ، وعليه اخترعت الصهيونية الأمريكية دعوى امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل وهاجمته والذيل البريطاني في مارس 2003 بكل ما وجد في العالم الحديث من أسلحة مدمرة ، وذلك بالرغم من اعتراض مجلس الأمن على هذه الحرب الظالمة ، هذا وبالرغم من تواجد الجيش الأمريكي والبريطاني في جميع أنحاء العراق لأكثر من سنة فلم يعثر على أسلحة الدمار الشامل المدعى بها . وهناك تساؤل لماذا كل هذا الحقد والعدوان الغربي الصهيوني ضد العراق الذي تشارك فيه بعض الدول العربية؟؟!! هل هي الهيمنة على بتروله ، الذي هو أكبر احتياطي بترولي في العالم ، وخنق الصين وأوروبا؟؟ هل هي مواقفه الجادة ضد الصهيونية؟؟ هل لأن الحزب القومي الذي يسود في العراق والذي ينتشر في كثير من البلاد العربية يمكن أن يحقق في المدى الطويل الاتحاد العربي الذي هو خطر على الصهيونية والإمبريالية وبعض الحكام العرب؟؟؟ هل لان الحركة القومية من بعثيين وقوميين عرب المنتشرين في العراق والعالم العربي تضم المسلمين والمسيحيين في حزب واحد ، وهذه الحقيقة الواضحة يمكن أن تجد تعاطفا من العالم المسيحي في أوروبا وأمريكا ضد الحركة الصهيونية؟؟؟ هل لان اليهود لا زالوا يتذكرون القائد العراقي نبوخذ نصر

أو مختنصر الذي أخذهم أسرى وسبوا إلى بابل ، وان صلاح الدين الكردي التكريتي الأصل هو الذي ألحق الهزيمة الكبرى بالصلبيين في فلسطين؟؟؟ أم أن هذا الحقد والعدوان على العروبة والإسلام بصفة عامة وعلى العراق بصفة خاصة ، قد اجتمعت فيه كل هذه الأسباب !!؟؟

الشيء العجيب المذهل الذي لا يمكن أن تجد له تفسيراً مقنعاً هو موقف الدول العربية من هذه الحرب الظالمة ضد العراق التي رفضها مجلس الأمن وعارضتها الصين وروسيا وأوروبا بصفة عامة ، ورفضتها فرنسا وألمانيا بصفة خاصة بكل شدة ، وقامت المظاهرات ضدها في أوروبا وأمريكا بالملايين ، فبعض هذه الدول العربية قد أيدت الحرب بكل الجرأة والوقاحة ، والبعض الآخر سمح بان تكون أراضيها موقع انطلاق للهجوم الأمريكي البريطاني على العراق ، أليس هذا هو الانحدار العربي والإسلامي الذي تحير فيه الإفهام والعقول !!؟؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الفصل السابع عشر

هل لهذا الليل من آخر؟؟؟!!

نعم هل لهذا الليل من آخر؟! لقد اختلطت مأساة صاحبتنا بمأساة هذه الأمة ، فقد بقي له الآن ونحن في مايو 2008 مدة ثمان وعشرين عاما بعيدا عن وطنه وأهله وأصدقائه ، متشردا في بلاد العالم ، وقد استولى زبانية النظام في وطنه ، من الجهلة والمتسلقين ، على بيته ومزرعته ومكتبه وأمواله ، إن آلام الغربة هي آلام قاسية مهولة لا يعرف قسوتها وجروحها العميقة إلا من جربها ، إن هذا الإحساس الأليم والشعور بالقهر والظلم الفادح عندما تهاجمك تلك الذكريات المريرة من ساعة إلى ساعة بأن هناك من يستولى ، ظلما وعدوانا ، على بيتك الذي بنيتة حجرا حجرا بسهر الليالي والعمل المتواصل خمسة عشر ساعة يوميا ، وهناك من يستولون على مزرعتك التي غرستها شجرة شجرة وتابعت نموها حتى أزهرت وأثمرت ثم تجدها قد قسمت بددا بين هؤلاء اللصوص ، وأنت لا حول لك ولا قوة في مواجهة هذا الشر المستطير فليس هناك محاكم ولا قانون ولا عقل ولا منطق ، وإنما هي الغابة التي تعيث فيها العصابات ، التي تسمى بالثورية ، فسادا وظلما ، ومع ذلك فإن هذه المشاعر المريرة والآلام القاسية لا تعد شيئا يذكر بالنسبة لآلام شعبنا في وطننا المقهور وفي فلسطين والعراق المغدور بهما . في أواخر هذه السنوات اجتمعت القمة العربية في تونس ، وكان الشعب العربي ينتظر من قياداته مواقف حازمة وحاسمة مع الاحتلال الأمريكي في العراق وقتل عشرات الآلاف من العراقيين بالقنابل العنقودية المحرمة دوليا ، وما جرى في سجن أبي غريب من مآسي للمعتقلين العراقيين ، هي فضيحة القرن الحادي والعشرين الكبرى للجيش والقيادة الأمريكية وللصغير جورج دبليو بوش ووزير دفاعه المجرم الرقيق دونالد رامسفيلد ، وما تقوم به الصهيونية بقيادة مجرم الحرب شارون في فلسطين من ذبح للنساء والأطفال والشيوخ بالمتات وهدم المنازل فوق رؤوس اصحابها بالعشرات وتدمير ما يقع في طريقهم من مزارع وأشجار ، ولكن ماذا كانت

نتيجة هذه القمة الخطيرة التي تعسرت ولادتها ، فبعد أن كان محمدا لها شهر مارس ، قرر رئيس هذه القمة زين العابدين قبل أربع وعشرين ساعة من موعد انعقادها إلغائها وترك العالم العربي بأجمعه في حيص بيص ، وبعد مداورات ومناورات متعددة تم الاجتماع في شهر مايو بغياب أكثر من عشر رؤساء وانسحب معمر القذافي من الاجتماع في الجلسة الأولى الافتتاحية ، وبالرغم من أنه ليس من المدخنين ، فقد كان يدخن في استهتار السجائر الأمريكية مستهينا بالحاضرين !!! وأقام مؤتمرا صحفيا ندد فيه بالجميع !! ثم صدرت في اليوم التالي قرارات هذه القمة العجيبة فانتهت إلى لا شيء !!! فكانت صدمة للشعب العربي بجميع طوائفه وفئاته الذي كان ينتظر موقفا حازما ضد الصهيونية والهجمة الأمريكية الظالمة ولو بتقرير المقاطعة وإفهام العالم أن الأمة العربية والإسلامية ليست جثة ميتة وأنها تعترض بكل القوة والحسم عن هذا الذي يجري في فلسطين والعراق . وهذه المناسبة يذكر صاحبنا أنه في لقائه مع السيد جيمس ايكز في الجلسة السابق الإشارة إليها سأل صاحبنا هذه الشخصية المتعاطفة مع القضايا العربية ، لماذا هذه القرارات المستمرة الصادرة من الجانب الأمريكي ضد كل ما هو عربي أو إسلامي والمتحيزة بصفة سافرة وقحة إلى الجانب الإسرائيلي الصهيوني ؟؟؟ فقال هذا السياسي المحنك إن أي قرار يصدر من الكونجرس أو البيت الأبيض ليس منحازا لإسرائيل أو حتى لو كان محايدا في القضية العربية الإسرائيلية تجد اليهود والصهاينة في أمريكا وفي جميع أنحاء العالم لهم ردة فعل قوية ضد هذا القرار فتنتطق الصحف في أمريكا وأوروبا منددة بذلك القرار كما تبعث مئات وربما الآلاف الرسائل إلى الكونجرس والبيت الأبيض تهدد وتتوعد ، وبالتالي فان أعضاء الكونجرس والمتنفذين في البيت الأبيض يحشون ويرهبون هذه الهجمة ولا يعودون إلى مثلها ، خصوصا إن بعض أعضاء الكونجرس الذين أبدوا نوعا من الحيدة أو التعاطف مع المواقف العربية من أمثال السيد بول فيندلي صاحب كتاب "من يجرؤ على الكلام" ، وعضو الكونجرس لولاية كاليفورنيا السيد مكلوسكي الذي قال في محاضرة بواشنطن كان صاحبنا أحد حضورها : "إن الديمقراطية الأمريكية هي ديمقراطية ظاهرية ، إذ الواقع أن اثنين في المائة من

سكان أمريكا الذين هم الأكثر نشاطا وحيوية وسيطرة على بيوت المال والاقتصاد والاعلام هم الذين يحكمون أمريكا ويتحكمون في مصيرها" ، ويقصد بذلك اليهود الصهاينة . إن هذه النماذج الحرة التي حاولت التحرر من السيطرة الصهيونية ، قد خسرت معركتها في انتخاباتها التالية ، فأصبحت هذه الظاهرة سيفاً مسلطاً على رؤوس بقية أعضاء الكونجرس يخشون عواقبها ويتفادون كل ما يمكن إغضاب الحركة الصهيونية . وبعكس ما تقدم ، إذا صدر قرار أو موقف ضد المصالح العربية أو الإسلامية من الكونجرس أو البيت الأبيض فليس هناك أي ردة فعل من العالم العربي أو الإسلامي ، بل انك لتجد حكامنا العرب يستقبلون أمريكا بالترحاب والعناق ، وبالتالي فإن هؤلاء القوم يصدرون قراراتهم المتحيزة لإسرائيل وهم في مأمن على مصالحهم الخاصة ومصالح أمريكا بوجه عام ، وكما قال أحد زعماء الغرب هو السير ونستون تشرشل : ليس لدينا أصدقاء دائمين ولا أعداء دائمين ولكن لنا مصالح دائمة .

إن هذه الأوضاع السوداء المتردية في المنطقة العربية قد أصابت الكثيرين باليأس والقنوط ، وقد وجد صاحبنا أن أكثر أصدقائه ومعارفه الذين يلتقي بهم من حين إلى آخر قد أصيبوا بهذه الآفة المدمرة آفة اليأس والقنوط ، فترى نفوساً محطمة كالسكارى وما هم بسكارى ولكن لليأس مفعوله المحبط المدمر ، ولكن هل هؤلاء القوم على صواب في يأسهم هذا؟! إن صاحبنا يرى عكس ذلك تماماً ، فهذه الأمة لديها كل المقومات للنهوض من جديد ، فهي لديها التشريع الإسلامي الرائع الذي أكمل به الخالق الرسالة إلى البشرية كافة ، لو فهم على حقيقته وجوهره ، وهي وان تنكب الكثير من أفرادها جوهر هذه الشريعة الغراء وتاهوا في قشورها وغرقوا في التوجهات التي جاء بها عصر الانحطاط الذي استمر لأكثر من خمسمائة سنة ، فإن بادرة انبعاث النهضة قد انبثقت شرارتها منذ أوائل القرن الماضي أي القرن العشرين ، ففي سنة 1917 قامت الثورة العربية ضد الحكم العثماني المتخلف ، وبدأت الأمة العربية تشعر بوجودها وتحاول التخلص من تخلفها ، كما أن هذه المنطقة التي تضم البلاد العربية هي مركز الحضارات القديمة من آشوريين وبابليين وكلدانيين وفينيقيين وفراعنة ولوبيين ، الذين

يتمون إلى أصول واحدة انبثقت في شمال شبه الجزيرة العربية منذ عشرين ألف سنة ، ثم انتشرت شرقا إلى جبال الهند ، وشمالا إلى جبال تركيا ، وجنوبا إلى المحيط الهادي ، وغربا إلى المحيط الأطلسي ، كما جاء في كتاب للمؤرخ والباحث الفرنسي جوستاف لوبون ، "أصل الحضارات ، وسر تطور الأمم" ، كما أن هذه المنطقة هي مركز الأديان والفلسفات المنتشرة في العالم ، وأول حرف خطه الإنسان هو الخط السومري وأول تشريع عرف في العالم هو تشريع حمورابي ، أي أن هذه المنطقة علاوة على أنها مركز هذا العالم جغرافيا فإنها كذلك مركز كل الحضارات والفلسفات والشرائع .

وبناء على ما تقدم فإن الإجابة على ذلك التساؤل الذي ابتدأنا به هذا الفصل هي أن هذا الليل الذي ساد المنطقة العربية سينتهي حتما ، وانه بالرغم من هذا الجو القاتم الذي يحيط بالوطن العربي في هذه الأيام من أوائل القرن الواحد والعشرين حيث الهجمة الإمبريالية الصهيونية قد أشدت أوارها بالجرائم المهولة التي يرتكبها كل يوم الجيش الأمريكي في أفغانستان والعراق والجيش الإسرائيلي في فلسطين ، فإن المقاومة العربية قد تصدت لهذه الهجمات ببطولات يعجز عنها الوصف والتحديد ، فالضربات الاستشهادية التي تنفذ كل يوم في صفوف الأعداء الغزاة قد أذهلت العالم من أقصاه إلى أقصاه ، وبالرغم من هذه الأصوات الناقدة بعنف لهذا التحرك بدعوى ظلمة ومشبوهة أنه الإرهاب ، "هناك كلمة بالخصوص ألقاها صاحبنا في اجتماعات لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة بجنييف يمكن الرجوع إليها ، "الوثيقة رقم 4" ، فإننا نعتقد أن هذا الشباب الرائع من ذكور وأناث الذي يضحي بحياته في سبيل كرامة هذه الأمة وكأنه ذاهب إلى عرسه ، قد جعل هذه الأمة تستحق الحياة ، يرهبها الأعداء ، ولا يستهين بها المنصفون ، ولا بد لها من دور جديد تؤديه لصالح الإنسانية جمعاء ، وسيتحقق ذلك حتما في المائة سنة القادمة بمشيئة الله القوي العزيز .

إننا نحتكم إلى التاريخ فيما نذهب إليه ، فالعالم الغربي الذي عاش قرونا طويلة في ظلام دامس بعد انهيار الحضارة الإغريقية والرومانية ولم يبدأ تحركه نحو النهضة إلا في القرن التاسع والعاشر الميلادي ، بعد احتكاكه بالحضارة الإسلامية

العربية التي كانت مزدهرة في بغداد ودمشق والأندلس ، قد استطاع بعد هذا الاحتكاك أن يتقدم شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى القمة في القرن التاسع عشر والعشرين ، علماً وثقافة وإبداعاً في جميع مناحي الحياة ، الأمر الذي هباً له اقتحام العالم الثالث ، ومن بينه المنطقة العربية ، واستعمارها واستنزاف ثرواته لمدة زادت عن القرنين ، هذا في الوقت الذي انحصر فيه العالم العربي تحت الحكم العثماني لمدة زادت عن الأربعة قرون ولم يستطع الفكاك من تلك الهيمنة العثمانية التي أصابها الوهن والتخلف إلا في أوائل القرن العشرين بقيام الثورة العربية بقيادة الشريف حسين ، كما سبق القول ، ويمكن القول أن تلك هي البداية لتحرك جديد يمكن أن يقوم به العالم العربي الإسلامي ، وفي هذه السنوات الأخيرة التي اشتدت فيها الهجمة الأمريكية الصهيونية اليمينية المتغترسة قد أصبحت في نظر الجميع الخطر المحدق على البشرية جمعاء وليس على العالم العربي فقط ، وقد بين الاستفتاء الذي اجري في أوروبا في أوائل سنة 2004 أن 59% من الأوروبيين يعتقدون أن سياسات وتوجهات إسرائيل ومن ورائها أمريكا هي تمثل خطراً حقيقياً على المجتمع البشري ، كما أن المؤتمر العالمي الذي اجري في جنوب أفريقيا في مدينة ديربن ضد العنصرية في أغسطس سبتمبر 2001 قد أجمعت جميع المنظمات غير الحكومية بما في ذلك المنظمات غير الحكومية الأمريكية على إدانة السياسات الإسرائيلية والأمريكية الأمر الذي اضطر وزراء خارجية أمريكا وإسرائيل الانسحاب من هذا الاجتماع . ثم حكم أو قرار محكمة العدل الدولية الذي صدر أوائل شهر يوليو 2004 باعتبار الجدار الذي أقامته إسرائيل في الأرض الفلسطينية هو جدار عنصري يجب إيقافه وإزالة ما أقيم منه ، كما أدينت تصرفات إسرائيل في الأراضي الفلسطينية المحتلة إدانة واضحة وصریحة بهذا القرار التاريخي . "قد ألقى صاحبنا كلمات بالأمم المتحدة بجنيف بالخصوص ، الوثيقة رقم 5" وعليه فإن في يد القيادات العربية أوراق كثيرة يمكن استخدامها في هذا الصراع الذي طال مع الصهيونية العالمية ، والصهيونية المسيحية ، أن هذه القوى الشريرة قد أصبحت شبه معزولة ، أو أنها تقترب من هذا المصير ، وعلى القيادات العربية أن تتم هذه المهمة وإنهاء الهيمنة الأمريكية الصهيونية إلى الأبد ،

إن صاحبنا يعتقد اعتقاداً جازماً أنه لو ربطت المنطقة العربية مصالحها بمصالح دول المتوسط الشمالي وأوروبا ثم الصين ارتباطاً جاداً وقويلاً لا رجوع فيه ، لاستطاعت أن تعتمد على هذه القوى اعتماداً قوياً وأميناً في نضالها ضد الصهيونية ، إن المنطقة العربية لديها ما تقدمه إلى هؤلاء الحلفاء الذين اقترحناهم ، وهي الطاقة التي هم في أمس الحاجة إليها والتي تحاول الهيمنة الأمريكية السيطرة عليها ، إن أوروبا والصين لو تأكدا من جدية الموقف العربي وصدقه وإخلاصه في هذا الشأن ، وفك ارتباطه بأمريكا وهيمنتها وقتل وقبر تلك المقولة المشبوهة التي جاء بها السادات والتي كانت تقول أن 99% من حل القضية الفلسطينية وقضايا العالم العربي في يد أمريكا !!! - هذا الكلام الذي قاله أحد القادة العرب يمكن أن يكون صحيحاً إذا كان المقصود هو تحقيق طموحات الصهيونية في تحقيق إسرائيل الكبرى ، من الفرات إلى النيل - يا لفضائح قادتنا العرب !!!!! لا شك أنه عند نبذ مثل هذه الاتجاهات المشبوهة ، فإن هذا الحلف الأوروبي الصيني لن يتردد في الانحياز إلى الحق العربي الفلسطيني وسيضع كل إمكانياته ضد هذه الهيمنة الأمريكية الصهيونية الظالمة . إن صاحبنا يستغرب ويتعجب كيف أن القيادات العربية لم تنتبه حتى الآن إلى أهمية التحالف مع الصين وأوروبا ضد الخط العدواني الحقير الذي تمارسه الصهيونية بالمخالب الأمريكية في العالم العربي والإسلامي ، والذي صار ظاهراً مفضوحاً يشمئز من نتائجه كل الشرفاء في هذا العالم !!! إن القضية في منتهى الوضوح ، إن أوروبا والصين في حاجة إلى الطاقة بأسعار معقولة ومضمونة ، والعالم العربي في إمكانه توفير ذلك ، والعالم العربي في حاجة إلى التقدم العلمي والتكنولوجي والقوة الاقتصادية والسياسية ، وأوروبا والصين يمكنهما توفير ذلك ، وليس هناك من سبب يمنع من التقاء هاتين الرغبتين ، ولا شك أن ذلك سوف يؤدي إلى نوع من التوازن الدولي في العالم يمنع تهور هذه القوة الطاغية المتمثلة في القيادات الأمريكية الصهيونية بجر العالم إلى حرب ذرية تكون فيها نهاية هذا الكوكب . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، لنا أن نتعجب كيف أن الجامعة العربية التي أنشئت منذ ستين عاماً لم تستطع أن تقوم بأي خطوات فعّالة في سبيل اتحاد هذه الأمة

ولو اتحادا كنفدراليا؟؟ وكيف فشلت هذه الجامعة العتيدة في الوقوف ضد هذه المؤامرات التي تحاك لهذه الأمة في العراق وفي لبنان وفي فلسطين؟؟!! لا شك أن هناك بعض القصور في ميثاق الجامعة قد عرقل فعاليتها ، وقد انتبه لهذا القصور أمين الجامعة السابق السيد الشاذلي القليبي في السبعينات وكون لجنة من رجال القانون في العالم العربي لدراسة ميثاق الجامعة ومحاولة إصلاح ما فيه من قصور ، وقد كان صاحبنا أحد أعضاء هذه اللجنة التي قامت بواجبها خير قيام وأجرت تعديلات في الميثاق لو تم العمل بها لكان وضع هذه الأمة غير وضعها البائس الآن ، والذي يبدو أن السيد الشاذلي القليبي لم يجد أي تجاوب من قيادات الأمة في تلك الفترة للموافقة على تلك المحاولة ، فطمر ذلك المشروع القيم ونام في أدراج الجامعة ، وقد رأى صاحبنا أن الظروف ربما تغيرت قليلا الآن ، ولعل القيادات العربية الحالية تستطيع أن تقتحم العقبات في إصلاح ذلك الميثاق ، وبالتالي فقد أرسل صاحبنا إلى أمين الجامعة العربية الحالي الدكتور عمرو موسى رسالتين يذكر له فيها مشروع ذلك الميثاق وبعض الملاحظات الأخرى لعله ينجح في هذا السبيل . (الوثقتين 6 و7)

الفصل الثامن عشر

لماذا تدوين هذه المغامرات أو الذكريات؟؟

لقد سأل صاحبنا نفسه أكثر من مرة ما هو المقصود والهدف من كتابة هذه الصفحات؟؟ هل لتبقى ذكراها قائمة بين أهله أو غيرهم في الأجيال القادمة؟؟ أو أن تستفيد هذه الأجيال القادمة من التجارب التي مرت بصاحبنا ومواقفه منها وكيف تمت معالجتها؟؟ أنه يذكر أنه قد استفاد من تجارب الآخرين في مطالعته لكتب التاريخ المتعددة ، وربما كان شغفه بالتاريخ هو الدافع الأساسي لتدوين هذه الذكريات ، إن التاريخ البشري هو في الواقع سلسلة تجارب الأجيال السابقة يقدمونها دروسا للأجيال اللاحقة ، وهكذا تتقدم البشرية في صعود مستمر ، وليس صحيحا ما يدعيه البعض من أن الماضي هو أحسن من الحاضر ، هذه النظرة هي نظرة سطحية تأثرت ببعض النكسات التي أصابت البشرية في بعض مراحلها ، ولكن الواقع الحقيقي أن البشرية تغلب على نكساتها وسرعان ما تستأنف صعودها باستمرار مستفيدة من تجاربها السابقة ، إن صاحبنا لا زال يذكر كيف كان في أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات من القرن الماضي ، القرن العشرين ، يطالع في مجلات الأطفال الإيطالية بعض مواضيع الخيال العلمي الذي كان مجرد حلم من أحلام الإنسان ، من أمثال التلفزيون والهاتف المحمول وانعدام الجاذبية والوصول إلى الكواكب ، فكل هذا الخيال والذي كان مجرد خيال في أوائل القرن الماضي قد أصبح حقيقة تمارسها البشرية الآن كل يوم في أوائل القرن الواحد والعشرين صيف 2005 ، والشيء الوحيد الذي كان خيالا ولم يتحقق بعد هو انتقال البشر مع الأثير كما تنتقل صورة التلفزيون ، وهذا لا بد آت في القريب إن شاء الله ، وعندئذ سيصبح هذا الكوكب قرية صغيرة حقا وصدقا ، وسينتقل الإنسان بين الكواكب والمجرات في لمح البصر وستتحقق المعجزة الكبرى التي وعد الله بها الصالحين .

والذي يجب ذكره في هذا المقام هو أن صاحبنا قد تحرى الحقيقة في تدوين هذه المغامرات منطلقا من المبدأ الذي تعلمه من والده رحمه الله وهو أن النجاة في

الصدق ، فالصدق هو الأساس في كل ما دون في هذه الذكريات ، قد يكون قد فات صاحبنا ذكر بعض الوقائع إما بسبب النسيان أو بسبب إن هناك بعض الوقائع التي قد تمس بطريقة أو أخرى بعض الأشخاص الذين ليس من حق صاحبنا التعرض لأفعالهم خيرا أو شرا .

وبمناسبة ذكر مبدأ ، النجاة في الصدق ، وأهميته في هذا العالم ، وإيمان صاحبنا إيماننا كاملا عميقا به ، أنه لو ساد مبدأ الصدق في هذا الكوكب لانتهدت كل مشاكله وآلامه ، كل ما في الأمر أن سكان هذا الكوكب لم يدركوا بعمق حتى الآن هذه الأهمية ومدى جدواها في حل جميع مشاكلهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية . لقد تابع صاحبنا حوارا في إحدى القنوات التلفزيونية استمر أكثر من أسبوع يدور حول أسباب ضعف الأمة العربية وما هي الوسائل لهضمتها وتقدمها ، وقد شارك في هذا الحوار مجموعة كبيرة من المفكرين والكتاب والصحفيين ، كما حصلت عشرات الاتصالات الهاتفية للمشاركة في هذا الحوار ، والذي أثار عجب صاحبنا وذهوله أن جميع المتحاورين ، أو المشاركين في نقاش هذا الموضوع الهام والخطير عن طريق الهاتف ، بالرغم أنهم ذكروا جوانب متعددة لهذه الانحدارات التي أصابت الأمة العربية من انحطاط وتخبط ، وكيفية إيجاد الوسائل للنهوض من هذه الكبوة ، ولكن كل ما ذكر كان يتناول الجوانب الثانوية ، وهي بالرغم من أهميتها من مثل غياب الديمقراطية ومشاركة الشعوب في حكم وإدارة أوطانهم والفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية وتدهور التربية والتعليم ، ولكن غاب عن الجميع النقطة الأساسية العميقة التي عن طريق قيامها وتواجدها يمكن تحقيق الوسائل التي ذكرها المتحاورون ، هذه النقطة الأساسية هي قيام مبدأ الصدق والطريقة لإقامته في أخلاق المواطنين ، والطريق لنبذ آفة الكذب السائدة في هذه المنطقة والتي تندرج تحتها جميع آفات المجتمعات من نفاق وتدليس وغش وتزوير ونصب وغير ذلك من الآفات التي تأتي تحت آفة الكذب .

الشيء العجيب في مجتمعنا العربي من أقصاه إلى أقصاه ، ترى الناس يتكلمون في جميع محاسن الأخلاق الحميدة وقليل ما يذكرون أهمية الصدق

القصورى في حياتهم ومجتمعاتهم ، ويتكلمون في جميع المساوئ التي تصيب المجتمعات وتدمرها وقليلاً ما يذكرون ظاهرة الكذب وما يندرج تحته من المساوئ والآفات التي تسود المنطقة العربية والإسلامية في جميع أرجائها ، فأنت تسمع إلى خطباء المساجد وأحاديث الناس في جلساتهم كما تقرأ كتابات المفكرين والرواد فلا تجد في كل ذلك الأهمية التي يستحقها هذا الموضوع ، مع أن القرآن الذي هو دستورنا قد حث في اغلب سوره وآياته على الصدق وأدان الكذب والكذابين بكل شدة وجعل المنافقين في الدرك الأسفل من النار ، وان الرسول ﷺ عندما سأله أصحابه عن المعاصي ، من سرقة وقتل وزنى وغير ذلك من المعاصي ، فأقرّ الرسول بتعرض المؤمن لها كبقية البشر ، ولكنه عندما سئل عن الكذب قام من مجلسه واقفاً ، وقال إن المؤمن ومن هو مؤمن بحق لا يمكن أن يكذب ، لا يمكن أن يكذب ، وكررها مرتين . والرسول صلى الله عليه وسلم محق في ذلك كل الحق ، إذ أن المنطق العقلي يقرر بوضوح كامل أن شبهة الكذب لا تتفق مع الإيمان من جميع الوجوه ، ذلك أن شبهة الكذب ستجعل جميع الرسائل السماوية وكل ما تضمنته من مبادئ خلقية محل نظر ، بل إن الأمر سوف يمتد إلى الشك في كل الأسس التي قامت عليها إنسانية الإنسان . وقد كتب صاحبنا منشورا بهذه المعاني ووزّع بعضه على المساجد في منطقة سكنه ، وسلّم البعض الآخر إلى أصدقائه ومعارفه ليوزّعوه على خطباء مناطق سكنهم (وثيقة رقم 8) .

المفروض أن هذه المعاني يعرفها ويدركها كل المسلمين وبالأخص المنطقة العربية حيث انبثقت هذه الرسالة المجيدة الفذة ، ولكن الواقع غير ذلك من جميع الوجوه ، فالواقع إننا نعيش في هذه الأيام وفي جميع أقطارنا تقريبا ، كذبة كبيرة ضخمة تلازمنا من جميع الجهات والنواحي ، انك إذا تفحصت وضع أي قطر من هذه الأقطار العربية ستصاب بالذهول والعجز والإحباط ، فحكّام هذه الأقطار المنكوبة يعيشون في ظل كذبة ضخمة مهولة ، لا يتتهي حكمهم وتسلطهم على شعوبهم إلا بالموت أو القتل ، ولا يسلمون أبداً بفكرة تداول السلطة ، والقطر العربي التي تجرى فيه انتخابات للرئاسة يغلب عليها الطابع

الفلكلوري المضحك المبكي ، فالنتيجة دائما فوق التسع وتسعين في المائة !!! الأمر الذي لا يقبله العقل ولا المنطق ، وآخر انتخابات للرئاسة التي حصلت في أكتوبر 2004 والتي حاول فيها حاكم هذا القطر التخفيف من القاعدة المتداولة في الأقطار العربية التي هي 99% كانت النتيجة التي أظهرها هذا الحاكم " المتواضع جدا !!! " هي 94% !!! الأمر الذي لا يمكن أن يصدقه أي عقل سويّ في العالم ، والذي جعلنا أضحوكة بين سكان هذا الكوكب ، يشيرون إلينا بأصابع السخرية والاستهزاء ، ومع ذلك فهؤلاء الحكام لا ينجلون من هذا العار المتمثل في هذه الكذبة الضخمة التي يمارسونها على شعوبهم والتي هي والفضيحة سواء بسواء . وبعض الأقطار العربية الأخرى ، لا يعرفون شيئا اسمه الانتخابات لا بالنسبة لرئيس الدولة ولا لمؤسساتها الشعبية ، وإنما هو حكم فردي متسلط مستمر ، وبعض هؤلاء الحكام تفتقت عبقريتهم بفكرة "التصعيد !!!" لكي تبقى خيوط السلطة جميعها تحت يده ، حيث يتنافس المتسلقون والمنافقون والكذابون من أتباعه جريا وراء كذبه الكبرى وإرضائه باعتباره صاحب السلطة والحكم ، والتمسّح تحت أقدامه وأعتابه ، فهو وحده الذي يضمن نجاحهم أو فشلهم ، والنتيجة الحتمية لهذا الأسلوب المضحك المبكي هي بروز قيادات من أسوأ الناس وأشدهم جهلا وشرا وضررا لشعوبهم ، ولو شاهدت مرة كيفية اجتماعاتهم ونقاشهم للمسائل الجوهرية أو التافهة لامتألت رعبا وأسى وعجبا مما يجري أمامك ، ذلك أنه حتى لو كان من بينهم بعض المخلصين الجادين لانسحقوا تحت تيار الأنانية والجهل والغوغائية . وقد كتب صاحبنا رسالة قصيرة إلى هذا الحاكم في أحد الأيام جاء فيها "إذا سلمنا أن النظرية التي تتمسكون بها هي الصواب كله ، وهي الحل الأمثل لخير المجتمع البشري وان اللجان الشعبية هي الطريق السوي لكي يحكم الشعب نفسه بنفسه ، فالسؤال لماذا لا يكون انتخاب هذه اللجان انتخابا صحيحا ، أي عن طريق صندوق الانتخاب وبالاقتراع السري تحت إشراف قضائي حتى يخرج من ذلك أشخاص يمكن أن يحققوا رغبة الجماهير حقا وصدقا ؟؟؟ ألا ترى أن الطريقة المتبعة عندكم في انتخاب اللجان الشعبية عن طريق التصعيد الفوضوي المضحك يؤدي حتما إلى اختيار أشخاص لمجرد

أنهم أكثر هتافا باسمك حتى لو كانوا غارقين في النفاق والكذب وانعدام المسؤولية؟؟؟ وهذا النوع من النماذج المناقفة التي تفتقد الصدق والأمانة ، يا سيدي هم اشد الناس ظلما للشعب واقرب الناس للتنكر لك في يوم من الأيام ولتقويض نظريتك . نريد أيها القائد أن تجيب لماذا تصر على فوضوية انتخاب اللجان الشعبية مع ما فيها من أضرار واضحة جلية حتى بالنسبة لمنطلقاتك الفكرية لو سلمنا بصدقها وجديتها؟؟؟" .

في التاسع من يناير 2005 شاهدنا صاحبنا في القناة الليبية مأساة اجتماعات مؤتمر الشعب العام وما صاحبه من تحبط في تناول المواضيع المطروحة ، وكيف أن أكثر الحاضرين في هذا الاجتماع الخطير شبه نائمين أو كأنهم يقولون بينهم وبين أنفسهم أنها التقيت لتفادي ما يمكن أن يصيبهم بسبب تخلفهم عن حضور هذا الاجتماع . ومع ذلك فإن هذا الاجتماع قد تناول عشرات المواضيع وكل موضوع قد أثيرت فيه المئات من الملاحظات وكل ملاحظة من هذه الملاحظات ربما احتاجت الساعات الطوال من النقاش ، من أناس يدركون الموضوع الذي يناقشونه ، ولكن الواقع غير ذلك ، فلا الذين يتدخلون في الحوار تدرك الموضوع محل النقاش وأبعاده المختلفة ، ولا الوقت يسعف إيفاء النقطة محل النقاش حقها من البحث والتمحيص ، ذلك أن بحث هذه المواضيع المطروحة بهذه الطريقة الفجة سيحتاج إلى ما لا يقل عن سنة كاملة من اجتماعات هذا المجلس عشر ساعات يوميا . على كل حال أنه تحبط مأساوي إن لم يضحكك فهو يبيكك ، والشيء العجيب الملفت للنظر أنه إذا تشجع أحد المثقفين واخذ الكلمة سرعان ما يقوم رئيس الجلسة بالتدخل بإسكاته بطريقة أو أخرى ، الأمر الذي جعل بقية المثقفين والمتخصصين يلتزمون الصمت التام وكأن الأمر لا يعينهم ، فتراهم شبه نائمين كما سبق القول . إنها مأساة حقيقية لا تملك إلا الدعاء بالهداية لمن تسبب فيها ولا زال مصرا على تنفيذها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . لقد سبق أن ناقش مجلس نقابة المحامين الأخ معمر في هذا الموضوع من جميع أبعاده وزواياه عندما استدعي للعشاء في بيته في أوائل السبعينات ، وكان مجمع الآراء في هذا الموضوع أن الشعب الليبي بالرغم من

أصالته وامتيازه ، بصفة عامة ، بالخلق القويم ، فهو يحتاج إلى التربية ، ربما سنوات طويلة ، تغرس فيه معاني الصدق والأمانة والنظام ، مع التمرين خطوة خطوة لمجابهة المسؤوليات الخطيرة التي تلزمه عند الحوار والنقاش فيما يعرض عليه أو يتناوله من مشروعات القرارات والقوانين .

إن فكرة اللجان الشعبية ليست فكرة جديدة ، فهي كانت مطبقة منذ أكثر من ألفي سنة في العهد اليوناني القديم عندما كان شعب أثينا لا يتجاوز بضعة آلاف ، كما هي مطبقة الآن في بعض الدول ، ومن ذلك سويسرا حيث تطرح على هذه اللجان في الكنتونات مواضيع محددة عندما يقتضي الأمر ، من مثل ، هل من صالح الشعب السويسري انتماء الدولة السويسرية إلى الأمم المتحدة؟؟؟ هل من الأوفق للدولة وشعبها أن توجه جل الميزانية للتربية والتعليم ، أم للجيش والدفاع؟؟؟ إن مثل هذا الأسئلة الهامة عندما تطرح على الشعب في لجانه المتعددة في جميع أنحاء الدولة بالطريقة الواضحة المركزة سيسفر الحوار والنقاش على نتيجة محددة حيث تلتزم الجهات المختصة بوضعه في قرارات وقوانين ملزمة للأمة بأجمعها ، ولا شك أن هذه الطريقة فيها تدريب قيم ومهم للشعب في كيفية اهتمامه بما يجري في حياته ، الأمر الذي سوف يؤدي شيئاً فشيئاً إلى ديمقراطية حقيقية ، والطريقة المذكورة ، كما هو واضح ، هي غير الطريقة والتركيبية الفوضوية التي انزلت إليها الأمور في بلادنا المنكوبة ، إن المواطن العادي يمكنه أن يدرك ويناقش ما هو الأصح له ولوطنه في ظرف معين ومشكلة محددة ، المدفع والدبابة كما فعلت ليبيا وبعض الدول العربية أو المدرسة والمعلم كما فعلت سويسرا وماليزيا والشقيقة تونس ، ولكنه على أي حال لا يستطيع أن يصيغ ذلك في قرارات وقوانين ، فالنتيجة لا بد أن تحال لصياغتها إلى الجهات المختصة الفنية التي لها إمام بوضع القرارات والقوانين . وكما سبق أن ذكر مجلس النقابة في اللقاء المشار إليه سابقاً مع الأخ معمر ، أن الديمقراطية البرلمانية المنفذة الآن في أغلب أنحاء العالم ، بالرغم من بعض عيوبها ، فهي الوسيلة الوحيدة لتدريب الشعوب على حريتها والاهتمام بحياتها ومستقبلها ، ربما لعدة أجيال قادمة ، حتى تتمكن من الوصول إلى الديمقراطية المباشرة التي نلهم بها .

الفصل التاسع عشر

السؤال المحير

كان هناك تساؤل يراود صاحبنا بين يوم وآخر وباستمرار ملح منذ حوالي ربع قرن وكان صاحبنا لا يجد الإجابة الشافية المقنعة عن هذا التساؤل ، وكان في حيرة دائمة مما يدور حوله في هذا المجتمع وتقييم هذا المجتمع لمعاني الخير والشر ، وكان دائما لا يجد الإجابة الشافية لتساؤله وحيرته ، حتى فاجأته ابتته في هذه الأيام الأخيرة بترديد نفس هذا التساؤل المحير والذي ربما أخرج أي إنسان عن هدوئه وتوازنه وربما دفعه ضعفه البشري نحو التراجع عما آمن به من مبادئ كانت سلاحه الخلقى في رحلة هذه المغامرات التي تعرض لها في حياته ، والسؤال هو ، لماذا تعاني هذه الأسرة التشرذم والغربة والضياع وقلّة الحيلة والإهانة الظاهرة والخفية التي تواجهها من هذا وذاك من عباد الله الخيّرين المضللّين أو الأشرار !!!؟

إن رب هذه الأسرة الذي هو صاحب هذه السيرة قد حاول طول حياته أن يتهج الطريق المستقيم وألا يؤذي أو يضرّ أي مخلوق من مخلوقات الله أيّا كان جنسه أو لونه أو دينه أو معتقده ، بل أنه يحترم كل المخلوقات في هذه المعمورة بما في ذلك الحشرة التي تدبّ على الأرض أو تطير في الجوّ ، والأخطاء البسيطة التي وقعت منه في حياته ضد بعض الناس ، كما سبق الإشارة إليها في هذه السيرة ، قد حاول بكل الوسائل أن يبحث عن أصحابها لاسترضائهم واستغفارهم باحثا عن الغفران وراحة الضمير ، فكيف يكون جزاؤه هذا التشرذم والغربة له ولأسرته وأطفاله ، واستيلاء بنو وطنه وأقاربه وحتى إخوته ، أبناء أبيه وأمه ، على أملاكه وبيته وأرضه وحقوقه !!!؟

إن الذي فجرّ هذا التساؤل من جديد بكل الحدة والقوة وأغضب ابنة صاحبنا غضبا شديدا قاتلا إذ كادت الغصة أن تختنقها هي تلك الواقعة التي حصلت في هذه الأيام في القاعة العامة لاجتماعات المجلس الأعلى لحقوق الإنسان بمبنى الأمم المتحدة بجنيف ، والواقعة بتفاصيلها هي أن المنظمة الدولية

لماهضة جميع أنواع التمييز العنصري كان مجلسها التنفيذي مجتمعاً في هذه الأيام بجنيف ، وكان من جملة قراراته أن ترسل وفداً من عضوين أو ثلاثة من أعضائه إلى ليبيا للاتصال ببعض مؤسساتها لعلها تجد لديهم الدعم الذي يمكنها من تنفيذ بعض المشاريع الهامة ، ومن بين هذه المشاريع ، دعوة الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر في ندوة عالمية تقام في جنيف لمناقشة كتابه الهام "فلسطين : سلام لا تفرقة عنصرية" وإعطائه الجائزة التي تعودت منظمتنا "إيفورد" إعطائها للكتب الصادرة في محاربة العنصرية . إن هذا الكتاب قد أثار زوبعة ضخمة في الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث فضح إسرائيل والصهيونية العالمية وقارنهما بالأبرتايد الذي كان سائداً في جنوب أفريقيا ، ولا شك إن إثارة موضوع هذا الكتاب في ندوة عالمية وبحضور شخصية مرموقة مثل كارتر ، رئيس أمريكا السابق ، سيكون له آثاره الضخمة بالنسبة لقضيتنا الكبرى ، وهي القضية الفلسطينية .

ومما شجع المنظمة لاتخاذ هذا القرار هو موقف الأخ معمر الذي بثته الجزيرة في ذلك الأسبوع مما حصل في اجتماع بعض الدول العربية التي تسمى نفسها بالمعتدلة التي صرحت بالعداء الظاهر والخفي لمنظمة حماس وحزب الله واتهامهم بالعمالة المشبوهة للنظام الشيعي في إيران ، حيث هاجم الأخ معمر في قناة الجزيرة هذا التوجه من تلك الدول العربية وأدانته بشدة واعتبر هذه الدول سواء تدري أو لا تدري إنما تسير مع المخططات الأمريكية الصهيونية . بناء على ما تقدم كلفت السكرتيرة التنفيذية من مجلس المنظمة الاتصال بالمسئولة الأولى في المفوضية الليبية لترتيب اللقاء وفد المنظمة المشار إليه بالمسئولين في ليبيا . وفي قاعة جلسات المجلس الأعلى لحقوق الإنسان ، وبحضور صاحبنا تمت المقابلة مع المسئولة الليبية التي رحبت بالفكرة بحماس ظاهر بل إنها دعتها الحضور إلى بيتها لبحث تفاصيل هذا الموضوع وأنها سترسل لها السيارة لأخذها إلى البيت ، وسيكون ذلك وسيلة للقاءات مستمرة في المستقبل ، ولتأكيد كل ذلك أعطتها رقم الهاتف الخاص ببيتها ، الأمر الذي شجع صاحبنا فسلمها رسالة قصيرة موجهة إلى الأخ معمر تأييداً لموقفه المشار إليه الذي بثته قناة الجزيرة جاء فيها الآتي :- (أن كلمتكم في قناة الجزيرة يوم الثلاثاء هي بحق تعبير صادق عميق عمّا

يدور في ذهن كل عربيّ مخلص للعروبة والإسلام . أملي ورجائي أن تساعدوا سيف الإسلام في توجهاته نحو إصلاح دستوري في وطننا العزيز) - وانتهى ذلك اللقاء في قاعة الأمم المتحدة في جوّ ودّي يبعث على الأمل والتفاؤل بتكرار الدعوة وتأكيدها ، وبناء على هذه الدعوة الكريمة استعدت ابنة صاحبنا لهذا اللقاء الموعود بتحضير بعض الوثائق المهمة بالخصوص ، وبعد يومين أو ثلاثة اتصلت صاحبتنا بالمسئولة المذكورة هاتفيا لإرسال السيارة الموعودة ، ولكن هذه اعتذرت بانشغالها ولم تحدد أي موعد آخر لهذا اللقاء الذي سبق الوعد به بترحاب ظاهر وحماس شديد .

إن أحد الأسئلة المحيرة الآن ، ما هو السبب أو الأسباب التي دفعت هذه السيدة الكريمة إلى الانتكاس - غير اللائق إن لم نقل المزري - عمّا وعدت به وتحمّست له ؟؟؟!! لا شك أن لهذا الموقف أسباب ، فهذه السيدة المحترمة ذات المركز الخطير ، والتي كانت منذ ثلاث سنوات مضت رئيسة اللجنة العامة لحقوق الإنسان بالأمم المتحدة بجنييف لمدة سنة كاملة ، لا يمكن أن تتصرف بخفة وطيش أو بحماقة غير مسئولة ، إن هذه الإنسنة الكريمة تعرف صاحبنا وابنته معرفة جيّدة ، فقد كانت جارة لهم في أرض الوطن ، كما تعرف مأساة هذه الأسرة وما أصابها من تشرد في أرجاء الأرض بسبب الغوغائية السائدة في أرض الوطن ، وكيف أن المتسلقين وأشباه اللصوص قد استولوا على بيت صاحبنا ومزرعته وجملة أملاكه ظلما وعدوانا ، وقد وعدت منذ سنوات بسبب هذا الاتصال المستمر بينها وبين صاحبنا في قاعات لجنة حقوق الإنسان بجنييف ، وبسبب رئاستها لهذه اللجنة ، قد وعدت بالتدخل في هذا الموضوع والاتصال شخصيا بالأخ "القائد" معمر القذافي لرفع الظلم عن صاحبنا وردّ جميع أملاكه وحقوقه ، وهناك رسائل متعددة بينها وبين صاحبنا بالخصوص "وثيقة رقم 12" . فما هي الأسباب التي حالت بينها وبين تحقيق هذه الوعود ؟؟؟!! وما هي الأسباب التي جعلتها تنكص عن وعودها المتحمسة التي وعدت بها ابنة صاحبنا أخيرا ؟؟؟!! أسئلة محيرة أليس كذلك ؟؟؟!! ليس لها من إجابة إلا ذلك الضعف البشري الذي يسيطر على معظم الناس ولا يستطيع أن يفلت من مخالفه إلا

القليلين الذين تواصلوا بالحق وتواصلوا بالصبر ، كما يقول الكتاب المقدس . إن صاحبنا لا يشك أبداً أنها كانت صادقة فيما وعدت به في لحظة المرتين ، ولكنها في كل مرة عندما تواجه الحقيقة والواقع تجد أن الوفاء بالوعد باهظ الثمن لا يستطيع احتمالها إلا ذوي العزم ، وهي ليست منهنّ ، فهي لا تستطيع المخاطرة بمركزها والعزّة التي هي فيها في سبيل النجدة والمروءة والوفاء بالعهد ، حتى لو كانت هذه المخاطرة ليست أكيدة ، فالأنانية وحب الذات تجعل المخاطرة حتى لو كانت 1% يجب استبعادها كلياً ، وهذا هو الذي انتهجته اختنا الكريمة غفر الله لها .

وسؤال آخر يبعث على حيرة أشدّ وأنكأ ، وهو كيف نفسّر أو نقيّم الدوافع التي دفعت بهؤلاء الضباط سواء كانوا في الجيش أو الشرطة ، في استيلائهم على بيت صاحبنا ومزرعته ظلماً وعدواناً وبدون أي مبررات سياسية أو جنائية ، فهو نقيب للمحامين ورئيس لمنظمة دولية معروفة ومؤيدة من وزارة خارجية النظام ، وعلاقاته بالنظام في السبعينات علاقات عادية ، فهي على أي حال لم تكن علاقة عدائية ، ومقابلاته المتعددة مع رأس النظام معروفة للجميع ، فما هي الدوافع التي دفعت بهؤلاء الناس المحسوبين على النظام إلى هذا الفعل الإجرامي في حق صاحبنا؟! إن هؤلاء الضباط المفروض أن مهمتهم الأساسية التي على أساسها يتسلمون مرتباتهم من أموال الشعب ، هي الدفاع عن هذا الشعب ، الدفاع عن حقوقه وعرضه وأمواله ، لا إهدارها والاعتداء عليها!!! إن هذا الإنسان الذي أهدرت حقوقه من هؤلاء القوم ، هو من الجانب الآخر ، قد كرّس حياته في الدفاع عن حقوقهم في شتى الميادين ... منذ عشرين عاماً يسافر مرتين كل سنة ، أكثرها على حسابه الخاص ، إلى جنيف لحضور جلسات لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة ولجنتها الفرعية ، ثم من بعد ذلك إلى المجلس الأعلى لحقوق الإنسان ، ليدخل في معارك طاحنة ضد الصهيونية العالمية وضد السياسة الأمريكية العوجاء في المنطقة العربية ، معرضاً نفسه لخطرسة العالم الغربي ولجميع أنواع الأخطار والمهالك التي يمكن أن يتعرض لها كل من يدخل في مثل هذا النشاط الخطير ، أليس من الغريب العجيب

والمحير أن يكون جزاؤه هذا الظلم والظلام الفادح المهلك بانتهاب حقوقه واغتصاب أملاكه وتشرده وأسرته وأطفاله في أرجاء الأرض ، يعاني آلام الغربة التي لا يعرف آلامها ومرارتها إلا من قاساها وجربها ؟؟؟!! هل يعتقد هؤلاء الضباط أنهم يحمون النظام بهذه الأفعال الإجرامية ؟؟؟!! هل يتقربون إلى رأس النظام باللصوصية والإجرام وانتهاك وإهدار حقوق الناس وممتلكاتهم ؟؟؟!! هل هؤلاء القوم يستطيعون النوم وهم يبيتون في ممتلكات مغصوبة صاحبها حيّ يرزق متشردا في أرجاء الأرض ، وهم أول من يعرف أن هذا الإنسان المظلوم لم يعمل إلا الخير والصلاح في منطقة سيدي سليم ؟؟؟!! إن الإنسان ليملاؤه التعجب والاستغراب كيف يستطيع هؤلاء الظلمة السير بين جيران صاحب المزرعة والبيت المغصوب الذي كان قد تبرع بجزء من مزرعته لإنشاء مدرسة لأطفال هؤلاء الجيران ؟؟؟!! ألا يفكر هؤلاء الضباط كيف ينظر جيرانهم إليهم ؟؟؟!! ألا يجلسون ؟؟؟!! أليس عندهم إحساس ؟؟؟!! أليس عندهم ضمير ؟؟؟!! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

أنه من المؤسف جدا أن يبقى هذا الفصل متعلقا في جوهره بصاحبنا وما تعرض له من ظلم وظلام ، وهو لا يريد أن يزكي نفسه ، ولكن ما باليد حيلة ، فالمآسي والآلام لها شجون ويجرّ بعضها بعضا ، والإنسان المغبون الذي لا يجد لهذا الغبن سببا معقولا ، لا بدّ له أن يتساءل ويلحّ في السؤال ، لماذا يتصرف الناس بهذا الجحود البعيد عن المروءة والأخلاق ؟؟؟!! لقد كان صاحبنا نقيبا للمحاميين لمدة عشر سنوات ، وهو الذي أسس نقابة المحامين وجعل لها وجودا فعليا لا يمكن أن ينساه أو ينكره المحامون في وطنه ، كما أنه كان عضوا في المكتب الدائم لاتحاد المحامين العرب لمدة زادت عن العشرين سنة. أنه عندما تعرض بعض المحامين للاعتقال في بداية انقلاب 1969 أسرع لمقرّ رجال الانقلاب مدافعا عن زملائه المعتقلين طالبا بالإفراج عنهم أو اعتقاله معهم ، الأمر الذي أخرج رجال الانقلاب فأفروا عنهم جميعا في أقل من أسبوع . والآن ألا يتدخل هؤلاء المحامون لرفع هذا الظلم والظلام عنه ، إن نقيبهم الحالي في

طرابلس قد تسلم منذ أكثر من ستين ملفا كاملا بتفاصيل هذه الكارثة ، فهل فعل أي شيء في هذا الموضوع ؟؟؟!! أن اتحاد المحامين وأمينه العام ونائبه لهم معلومات مفصلة عن هذه المأساة منذ أكثر من خمس سنوات مضت ، وكان المفروض والمنطق أن يحصل أي تدخل بالخصوص لرفع هذا الظلم عن زميل كان له أدوار غير بسيطة ولا منكورة في نشاط هذا الاتحاد ، أليس هذا الموقف السلبي محل تعجب واستغراب ؟؟؟!! أليس هذا هو الجحود بعينه ؟؟؟!! أو أن الناس قد تعودوا على المآسي والكوارث فلم يعودوا يشعرون بها ؟؟؟!!! أو أن صاحبنا يباليغ في تقدير نفسه وفي تقدير مأساته وما حلّ به من ظلم وغربة وتشرد ؟؟؟!! ليس للإنسان إلا أن يسلم نفسه إلى الله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

الفصل العشرون

كلمة أخيرة

في أوائل الثمانينات استقر صاحبنا وأسرته بمدينة هيوستن حيث اجتمعت مجموعة كبيرة من الليبيين المهاجرين هناك ، وقد استمرت هذه الإقامة المفروضة لمدة ثلاث سنوات تقريبا ، وكان مركز الأبحاث الفضائية "النازا أو ناسا" يقع في ضواحي هذه المدينة ، وحيث أن موضوع الفضاء وأبحاثه من المسائل التي طالما استثارت خيال صاحبنا المتحفز باستمرار منذ طفولته ، فانه لم يترك هذه الفرصة المتاحة وصار يزور هذا المركز الضخم الرائع مرات عديدة ، الأمر الذي لفت إليه نظر بعض المختصين في هذا الصرح العلمي العظيم ، خصوصا أنه كان يطلب تزويده ببعض هذه البحوث المتوفرة لديهم ، فاخذ أحد المسؤولين عنوانه بهيوستن وصار يصل إليه عن طريق البريد ما جدّ من أبحاث دون أن يطلبوا منه أي مقابل ، الأمر الملفت للنظر ، حيث يتبين منه كيف يقدر هؤلاء القوم العلم ومن يهتم بهذا العلم ، المهم أن صاحبنا قد وصله عن هذه الطريقة ما لا يقل عن عشرة كتب تتضمن أبحاثا قيمة في شؤون الفضاء ، والاكتشافات التي حصلت وما هم بسبيل الحصول عليها ، وهو لا زال يحتفظ بهذه الكتب والدراسات حتى اليوم .

من بين هذه الدراسات دراسة قيمة جدا تضمنت ما وصل إليه هذا المركز من حقائق علمية عن الانفجار الأعظم الذي تكون منه هذا الكون الذي كان كتلة واحدة فانفجر إلى بلايين الأجرام السماوية ، والذي يطلقون عليه عبارة "البيق بانق" ، في كيفية حدوثه وساعة ويوم حدوثه من بلايين بلايين الأحقاب ، والبحث يذكر أن هذا الأمر قد صار واقعا علميا لا يمكن الشك فيه ، وتجدر الإشارة بهذا الخصوص إلى قوله تعالى في سورة الأنبياء {أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حيّ أفلا يؤمنون} ، هذا وإن الأبحاث الآن متجهة بكل الإصرار والقوة إلى السؤال لماذا حصل هذا الحدث ، والبحث يذكر أنه بحصولنا على الإجابة عن هذا السؤال

ستكون كل التساؤلات والألغاز والمشاكل التي تواجه المجتمع البشري قد حلت وعرفنا كيف نتعامل معها .

إن هذا السؤال ، لماذا تكون هذا الكون ، وما أوجده فيه الخالق من أسرار ، قد تكرر ذكره في آيات القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى ، في الآية 190 و 191 من سورة آل عمران وما بعدها ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١١٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ، ثم الآية "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت ، فذكر إنما أنت مذكر" وغيره من الآيات المتعددة ، تدعو بدعوة واضحة وملحة للتأمل والبحث في أسرار هذا الكون ، كما جاء في تساؤلات مركز أبحاث الفضاء ومحاولاتهم المستميتة للإجابة على ذلك التساؤل . قد يتبادر إلى الذهن أن الخالق قد خلق مخلوقاته من أكوان وحيوان وإنسان لعبادته ، كما جاء في آيات كثيرة من القرآن الكريم ، ولكن ما هو المقصود حقا بهذه العبادة؟؟ هل هي الصلاة والصوم والحج والزكاة؟؟؟ إن الذي يبدو أن هذه العبادة مطلوبة ولا بد منها لغرس الأخلاق القويمة في النفوس ولكنها كما يبدو هي الوسيلة الضرورية لعبادة أبعد وأعمق ، وهي البحث في أسرار هذا الكون الذي أوجدنا الخالق فيه ، كما جاء في تساؤل مركز الأبحاث الفضائية .

إن متبعي ملحمة التاريخ البشري بكل ألغازها وأساطيرها وفلسفاتها وكتبها المقدسة ، من آمن بالغيب منهم ومن لم يؤمن ، وعلى اختلاف اتجاهاتهم ونحلهم ومعتقداتهم ، لا بد لهم أن يسلموا - إلا المكابرين منهم - أن الإسلام وكتاب الخالق العظيم القرآن جعل من العبادة الوسيلة الرائعة إلى وحدة البشرية وتعاونها للوصول إلى هدف أعظم وأسمى ، فوحدة الاتجاه إلى القبلة في فريضة الصلاة خمس مرّات في اليوم ، والمشاركة في ألم الجوع طول اليوم وفرحة الإفطار عند المغرب في فريضة الصوم في رمضان ، وذلك اللقاء الرائع كل سنة في

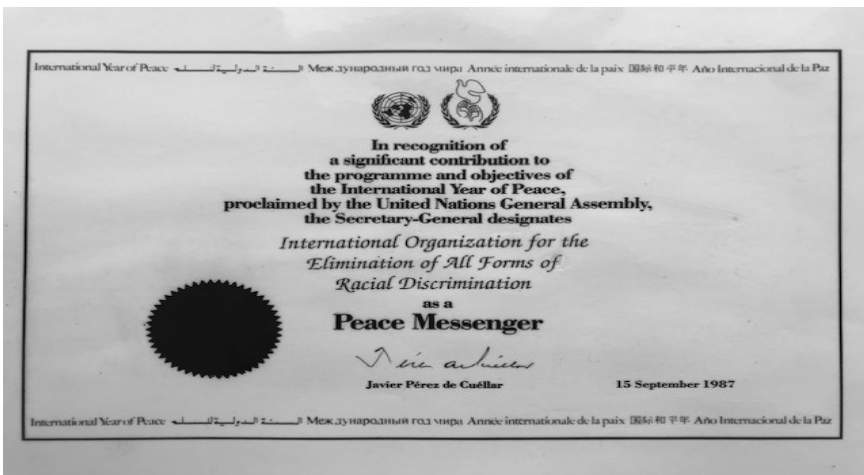
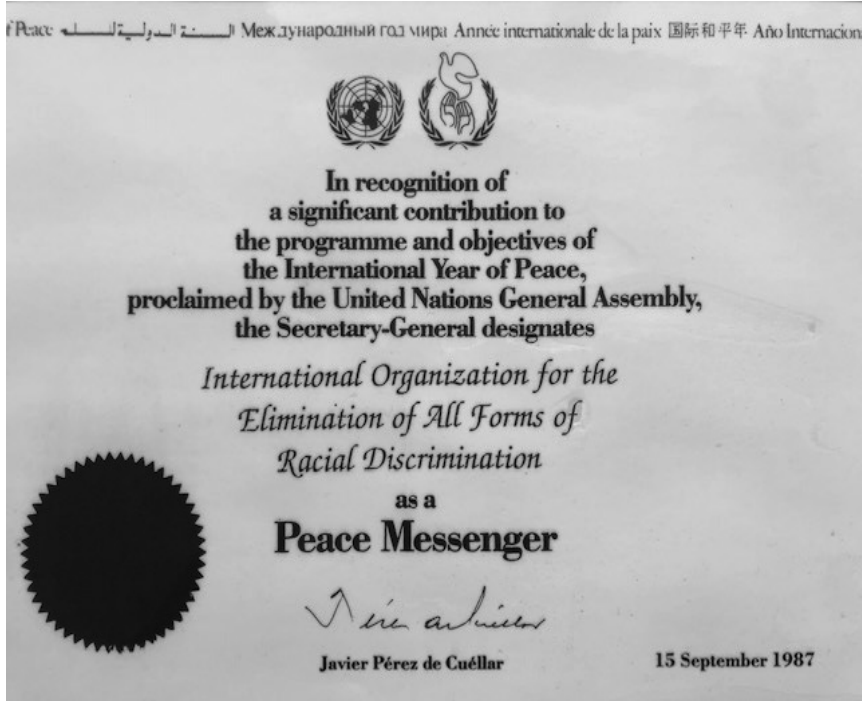
عرفات بلباس الإحرام حيث لا تستطيع التفرقة فيه بين الخادم والأمير في فريضة الحج ، واللقاء الأسبوعي في خطبة وصلاة الجمعة ، ثم الزكاة المفروضة وهي الحق الواجب للفقراء والمعوزين ، إن هذه العبادة كما هو واضح تدعو في جوهرها إلى وحدة البشرية وتعاونها تحت راية الخالق الذي هو الخير المطلق والعدل المطلق والجمال المطلق ، للوصول إلى ذلك الهدف الأسمى وهو اكتشاف هذا الكون والأسرار التي وضعها الخالق فيه . ولا شك أن البشرية إذا فهمت ووعت هذا الهدف السامي النبيل ستسير في طريقه مهما كانت الصعاب والمطبات ، وهو وإن كان طريقاً طويلاً وشاقاً ، فلا بد من الوصول إلى الهدف في يوم من الأيام .

لعلّ إحدى الخطوات المهمة التي يجب اتخاذها في هذا السبيل ، متسلحين بالمبادئ التي سبقت الإشارة إليها ، هي بذل جميع الجهود لتقوية صلاحيات محكمة العدل الدولية وتحويل جميع صراعات الدول والشعوب إليها ، ثم الخضوع لأحكامها بقوة فاعلة تحت مظلة الأمم المتحدة . إن صاحبنا قد سبق له أن طرح هذه الفكرة في اجتماعات لجنة حقوق الإنسان ولجنتها الفرعية بالأمم المتحدة بجنيف أكثر من مرة . (الوثائق 9 و10) وهو مؤمن ومتفائل إلى أبعد الحدود أن البشرية ستحقق هذه الخطوة في القريب العاجل ، ربما قبل نهاية هذا القرن ، حيث سيفتح الطريق من أوسع أبوابه لاكتشاف هذا الكون والإجابة على تساؤل مركز الأبحاث الكونية الذي سبقت الإشارة إليه .

ونختم هذه المغامرات بما بدأناه وهو قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ .

قسم الوثائق

وثيقة رقم 1



وثيقتا رقم 2

EAFORD Publications

- *Without Prejudice* (Series of EAFORD International Journal on Racial Discrimination).
- *EAFORD Newsletter* (Series of annual newsletters on news from the activity at the United Nations in Geneva and other activities with relation to the Geneva Office of the International Organization for the Elimination of All Forms of Racial Discrimination (EAFORD)).
- *"9/11: DISCRIMINATION IN RESPONSE*, Turkkaya Ataov, First published in 2004, The International Organization for the Elimination of All Forms of Racial Discrimination (EAFORD). Geneva, Switzerland. 103 pages. Book PREFACE by ABDERRAHMAN YOUSOUFI, Former Prime Minister of Morocco.
- *Discrimination and Conflict*, Turkkaya Ataov, First published in 2000, Haarlem, the Netherlands. 161 pages, Book.
- *Zionism & Racism*. Proceedings of EAFORD's International Symposium 1976. (London International Organization for the Elimination of All Forms of Racial Discrimination, 1977.) ix + 238 pages. Appendix to p. 250.
- EAFORD and American Jewish Alternatives to Zionism (AJAZ). *Judaism or Zionism: What Difference for the Middle East?* (London: Zed Press, 1986.) x + 277 pages. Index to p. 285.
- National Lawyers Guild. *Treatment of Palestinians in Israeli-Occupied West Bank and Gaza*. Report of the National Lawyers Guild (USA) 1977 Middle East Delegation. (New York: National Lawyers Guild, 1978.) xvi + 121 pages. Appendices to p. 241.
- Nordic Commission. *Witness of War Crimes in Lebanon*. Testimony given to the Nordic Commission, Oslo. October 1982. (London: EAFORD and Ithaca Press. 1983.) xvii + 146 pages.
- Stevens, Richard P. and Abdelwahab M. Elmessiri. *Israel and South Africa: The Progression of a Relationship*. Forward by John Henrik Clarke. (New Burnswick, NJ: North American, 1977) 226 pages, including 114 pp. of documentation. Index to p. 228.

- *Dossier: Le Racisme du Quebec*, The Quebec Movement to Combat Racism.
- *La relation et les relations entre Israel et l'Afrique du Sud*. Elizabeth Mathoit.
- *A Question of Identity and Self-fulfilment*, Dr. Anis Al Qasem and Dr. Reberto Cardoso de Oliviera.
- *Israel and South Africa: Ideology and Practice*, Dr. Alfred T. Moleah.
- *The Structure of the Zionist Movement in the United States*. Rabbi Elmer Berger.
- *The Case in South Africa*, Dr. Turkayya Ataov.
- *Sanctions against South Africa: The Lessons of Sanctions against Rhodesia*, Dr. Alfred T. Moleah.
- *The Autonomy Plan: Israeli Colonization under a New Name* (published by EURABIA, Paris), Elizabeth Matiot.
- *Le Racisme en France*, par un groupe de stagiaires Quebecois.
- *An International View of Racial Discrimination*, Dr. Anis AL-Qasem.
- *Zionist Ideology-Obstacle to Peace*, Rabbi Elmer Berger.
- *Zionism and the Lands of Palestine*, Sami Hadawi and Walter Lehn.
- *The Jewish National Fund: An Instrument of Discrimination*, Walter Lehn.
- *The Independent Personality of the Palestinians through Their Arts*, Dr. Turkayya Ataov.
- *Israeli Use of Palestinians Waters and International Law*, Dr. Turkayya Ataov.
- *Canada's Aboriginals: The Struggle for Their Homelands*, Charles Roach.
- *Racist Regimes and the Lands of the Indigenous Peoples*, Dr. Anis Al-Qasem.
- *The Caribs and Their Colonizers: The Problem of Land*, Chief Hilary Frederick.
- *Zionism and Apartheid: The Negation of Human Rights*, Dr. Alfred T. Moleah.
- *Zionism: A System of Apartheid*, Elizabeth Mathoit.
- *Human Rights or Self-Righteousness in the State of Isreal*, Rabbi Elmer Berger.
- *Racism and Racial Discrimination*, Dr. Fayez Sayegh.

- *Israel and Nuremberg: Are Israel's Leaders Guilty of War Crimes?* John Reddaway.
- *Internal Control in Israel and South Africa: The Mechanisms of Colonial-Settler Regimes*, Christopher Mansour and Richard P. Stevens.
- *Proceedings of the Symposium on Ethnic Groups and Racism*, EAFORD and the Universidade de Brasilia.
- *The Image of the Amerindian in Quebec Textbooks*, Sylvie Vincent and Bernard Arcand.
- *Education, Culture and Identity among Palestinians in Israel*, Sami Khalil mar'i.
- *Racial Discrimination and Refugee Law*, dr. anis al-qasem.
- *Insensitivity to Wrong*, dr. anis al-qasem.
- *The Apartheid Fraud: The So-Called New Constitutional Dispensation*, Dr. Alfred T. Moleah.
- *Racisme, Sionisme, Antisemitisme* (public debate, combat racism and centrale de l'enseignement du Quebec.
- *Palestinian Rights and Israeli Institutionalized Racism*, Dr. Anis Al-Qasem.
- *New Trends in Brazilian Indian Affairs*, prof. Roque de Barros Laraia.
- *Jewish Nationality Status as the Basis for Institutionalized Racism in Israel*, Dr, Roselle Tekiner.
- *The Torah and Political Zionism*, Rabbi Joseph Becher.
- **Religious Orientation and Racism**, H. Sharfelddin.
- *The Question of Jerusalem in the Post-Cold War Era*, Turkkaya Ataov.
- *The Demolition of Palestinian Homes and Other Structures by Israeli Authorities* (in English & Spanish) co-published with the Palestine Human Rights Information Center (Chicago).
- *Armas e Infiltracion: Israel en America Latina*, by Virginia Tilley (in English & Spanish). EAFORD Assistant Director Virginia Tilley compiled this first report of its kind, presenting the role of Israel in Latin American states.
- *"South Africa and Israel: Entering the 1990s,"* by Benjamin Joseph: (off-print from *Without Prejudice*, published separately under agreement with the Scholarship Fund for Publications on Israel (London).

- *Cronica de una Discriminacion Institucionalizada: Israel en Palestina*, by Joseph Schechla.
- "*The Debate on Zionism and Racism*," by Joseph Schechla: (This paper was written under commission by the Institute for Palestine Studies, and included with others in a work on the subject of "Zionism and Racism" in response to an official U.S. call to rescind UN resolution 3379.)
- "*The Facts on Zionism and Racism*," by Roselle Tekiner, *Zionsim and Racism Information Paper*
- "*Applying the Anti-apartheid Principles to the Middle East*," *Zionism and Racism information Paper*
- *Why Shamir Rules Israel: The Deeper Reasons*, by Isreal Shahak, *Zionism and Racism Information Paper*
- **EAFORD at the "Working for Housing Rights Conference"**: State Planning and Development Programs which have the effect of creating homelessness and reducing ethnic, national, or indigenous minorities rights to development.
- *Barriers to Housing Rights* (proceedings of EAFORD-organized panel)...

للمزيد من المنشورات على الموقع www.eaford.org

وثيقة رقم 3

**INTERNATIONAL ORGANIZATION FOR THE
ELIMINATION OF ALL FORMS OF RACIAL
DISCRIMINATION (EAFORD)**
5 route des Morillons, CP 2100. 1211 Geneva 2, Switzerland
Tel: +41 22 788.62.33 Fax: +41 22 788.62.45
www.eaford.org



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السيد المحترم الفاضل ياسر عرفات "أبو عمار"

تحية الحق والعروبة وبعد .

أملي أن تصلك هذه الرسالة في زحمة مشاغلك ومسئولياتك ، وتجد طريقها إليك في خضم هذه المعركة الباسلة النبيلة التي يخوضها شعبنا الفلسطيني البطل مقدما أعلى ما في هذه الدنيا ، الدماء والأرواح .
إن المعركة قد أصبحت ضارية وربما اقتربت من الحسم وبالتالي يجب أن نستخدم جميع الأسلحة الممكنة ، وفي بعض الأحيان فكرة بسيطة قد تؤدي ما يؤديه جيش كامل ، وبهذا الخصوص قد طرأت بذهني فكرة اعتقد إنها تستحق التنفيذ ، تتلخص هذه الفكرة في بعث رسائل من أطفال المدارس إلى أمين الأمم المتحدة وإلى الرئيس بوش وإلى بعض رؤساء الدول في القارات الخمس ويمكن تنفيذ الفكرة بالطريقة التالية :

- 1- يقوم مدرسو ومدرسات الفصول الثالثة والرابعة والخامسة من المدارس الابتدائية في جميع أنحاء فلسطين بكتابة أربع أو خمس نقاط على لوحة الفصل تتضمن فحوى الرسالة المراد إرسالها مثل :
- أ- تقديم اسم التلميذ وعائلته والبلدة أو القرية التي يقيم بها وما تعانيه هذه الأسرة من متاعب وآلام بسبب الاحتلال والحصار والتجويع وهدم البيوت والمنازل وما فقده هذا التلميذ من أفراد عائلته وأقاربه بسبب قتل المحتلين لهم .
- ب- استنجد هذا التلميذ بهذا الرئيس باعتباره أحد المسؤولين في هذا العالم وفي إمكانية أن يمسخ دموعه .
- ت- إن التاريخ سيحاسب هذا الرئيس في يوم من الأيام إذا لم يقيم بنجدة الضعفاء والمظلومين .
- ث- إن هذا الطفل ينتظر هذه النجدة التي لو تأخرت فلن يكون موجودا في هذه الحياة .
- 2- يجب أن تكون الرسالة بسيطة وبلغة وأسلوب التلميذ نفسه ولا بأس أن تكون بها أخطاء إملائية أو لغوية فذلك أكثر تأثيرا .
- 3- يسلم لكل تلميذ ورقة لكتابة الرسالة وظرفا لكتابة اسم الرئيس وعنوانه ويجب ان يكون كل ذلك بخط التلميذ وأسلوبه .
- 4- تجمع الرسائل ويوضع عليها طابع البريد من القرى المختلفة وترسل إلى الجهات المذكورة. دعائي لك ولزملائك الأبرار الغر الميامين بالصحة والثبات حتى النصر وانه لقريب ان شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم

عبد الله شرف الدين القاهرة

2001\5\15

وثيقة رقم 4

INTERNATIONAL ORGANIZATION FOR THE
ELIMINATION OF ALL FORMS OF RACIAL
DISCRIMINATION (EAFORD)

5 route des Morillons, CP 2100. 1211 Geneva 2, Switzerland

Tel: +41 22 788.62.33 Fax: +41 22 788.62.45

www.eaford.org



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سيدي الرئيس :

إن أسوأ ما يصيب المجموعات البشرية هو اختلاط المفاهيم والقيم بين الناس الأمر الذي يؤدي إلى الارتباك والتخبط والوقوع في مهاوي الأفكار المضللة التي يستغلها الطغاة في طموحاتهم الشريرة مما يؤدي في النهاية إلى أسوأ العواقب والمحاذير .

لقد حذرنا الفيلسوف الإغريقي العظيم سقراط منذ أكثر من ألفي سنة من الوقوع في هذه الأخطاء القاتلة المدمرة فنحسب الشجاعة تهورا أو نحسب التهور شجاعة كما نحن واقعون اليوم في هذا الارتباك المؤلم القاسي بسبب الدعايات الإعلامية المضللة التي استطاعت أن تجر الكثير من الناس إلى اعتبار المقاومة المشروعة الشريفة إرهابا مجرما ، واعتبار الإرهاب الإجرامي المدمر دفاعا عن النفس !!!

وإننا لتساءل يا سيدي الرئيس هل دفاع الشعب الفرنسي ضد الاجتياح والاحتلال الألماني مقاومة مشروعة أو إرهاباً؟؟.. وهل ما قامت به المنظمات السوداء بجنوب أفريقيا ضد حكم الابرتايد العنصري مقاومة مشروعة أو إرهاباً؟؟.. ومن هو الإرهابي الهنود الحمر أم كريستوفر كولومبوس والفئات البيضاء التي اجتاحت قارة أمريكا؟؟.. ومن هو الإرهابي جورج واشنطن أم الجيش البريطاني المستعمر؟؟..

إننا نلتجئ في هذه الأيام يا سيدي الرئيس للدفاع عن حقوق الإنسان بكل الصدق والصراحة والموضوعية ، فهل من حق الإنسان وحقوقه الجوهرية أن يدافع عن بيته وأرضه وممتلكاته بل عن وجوده وكيانه كإنسان بكل الوسائل المتاحة لديه أم يعتبر هذا الدفاع الشريف إرهاباً؟؟

إن الإنسان الفلسطيني يا سيدي الرئيس الذي احتلت أرضه وبيته وهدد كيانه ووجوده باجتياح أقوام أخته من مشارق الأرض ومغاربها بطائراتها ودباباتها وقنابلها البيولوجية والذرية ، ولا يملك للدفاع عن نفسه إلا الحجارة ثم لما ضاقت به الدنيا لم يبقى له إلا أن يفجر نفسه وسط المعتدين الذين حطموه واذلوه . أتقولون عن هذا إرهاباً؟؟!! يا لمأساة البشرية !!

إن الموجة الإعلامية المشبوهة ، والمنحازة إلى جحافل الشر والظلام قد استطاعت أن تضلل الكثير من الناس الطيبين الذين لا تتيح لهم ظروفهم ومشاكلهم معرفة حقيقة ما يجري في هذا العالم فيقعون في مهاوي إدانة أسمى وأعظم ما يقدمه إنسان وهو التضحية بنفسه في سبيل الدفاع عي وطنه وبيته وكرامته ووجوده !!!

إن اجتماعنا هذا يا سيدي الرئيس بمنظماته غير الحكومية التي تمثل بحق الرأي العام العالمي ، وبوجود خبرائنا المتميزين بالعمق والحنكة والموضوعية يجب أن نحدد بالصدق والأمانة والحسم ، حق المظلومين الضعفاء المغلوبين على أمرهم بالدفاع عن كيانهم ووجودهم بجميع الوسائل المتاحة ، أيا كانت هذه الوسائل .

إن ما يجري في فلسطين أمر غير عادي أيها الزملاء . إن الشعب الإسرائيلي

الوافد من أقطار الأرض إلى فلسطين ليس شعبا عاديا ، أنه شعب مقتحم بقوة السلاح وغطرسته ، كل فرد فيه بيده القنبلة والبندقية والرشاش ، وكله يعتبر جيشا احتياطيا جاهزا للاستدعاء . فهل يمكن وصف هؤلاء الذين يتجولون في شوارع فلسطين ومحلاتها بالمدنيين حتى لو كانوا لا يرتادون البدلة العسكرية؟؟؟

إن إسرائيل قد احتلت جنوب لبنان عام 1982 واستمر احتلالها 22 عاما بحجة تعقب من تسميهم بالإرهابيين الفلسطينيين ، وهي تغزو الآن أراضي السلطة الفلسطينية وتقتل النساء والأطفال والشيوخ وتدمر بيوتهم وتحرق مزارعهم ، وتفرض عليهم منع التجول بالأيام والأسابيع بموجب هذا المنطق العجيب أيضا . هذا يعني أنه في غياب تعريف دولي للإرهاب يميزه عن المقاومة كحق مشروع للدفاع عن النفس ، فان كل دولة تعطي نفسها حق تعريف للإرهاب يتفق مع مصالحها وأهوائها ثم تعيث في الأرض فسادا وظلما .

إن تعريف ما هو الإرهاب وما هو الدفاع الشرعي أصبح أمرا واجبا حتميا على المجتمع البشري ، وهو أكثر وجوبا على هذه اللجنة التي نتحدث في رحابها ، فهل لنا أن نصدر هذا القرار لكي نوضع الأمور في نصابها؟؟

إن أملنا كبير في هذا الاجتماع فهل يتحقق هذا الأمل؟؟؟؟

شكرا سيدي الرئيس

عبد الله شرف الدين
(ايضورد) أغسطس 2002

وثيقة رقم 5

INTERNATIONAL ORGANIZATION FOR THE
ELIMINATION OF ALL FORMS OF RACIAL
DISCRIMINATION (EAFORD)

5 route des Morillons, CP 2100. 1211 Geneva 2, Switzerland

Tel: +41 22 788.62.33 Fax: +41 22 788.62.45

www.eaford.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سيدي الرئيس

إن المشاهد المتكررة منذ خمسين عاما والتي يراها ويسمع هديرها الجميع في القنوات التلفزيونية من أقصى الأرض إلى أقصاها هي أن قوما يهاجمون قوما آخرين في أرضهم وديارهم مستخدمين الطائرات والدبابات والمدافع والصواريخ يقتلون النساء والأطفال ويدمرون المنازل ويجرفون الأرض ويقتلعون الأشجار ، وحيث أن هؤلاء الآخرين لا يملكون في أيديهم سوى الحجارة يقدفونها على هذه الدبابات والسيارات المصفحة في حركة يائسة قوامها القهر والمرارة ، وعندما يفيض بهم اليأس وتتحطم نفوسهم من الإذلال والهوان يقومون بتفجير أنفسهم وسط من يعتقدون إنهم سبب هذه المآسي والآلام .

إن الذي يثير القلق يا سيدي الرئيس ، ويبعث فينا الإحباط نحن المنظمات غير الحكومية هو أن هذه المشاهد التي يشاهدها ويسمع هدير طائراتها ودباباتها وصواريخها المجتمع البشري في أنحاء الأرض كل يوم تقريبا ، قد أصبحت عند

البعض ، من المشاهد الروتينية التي لا تثير في وجدانهم أي انفعال أو تأسي ، وهنا تبرز خطورة هذا الوضع ، فقد أصبح المجتمع البشري ، من كثرة ما رأى وسمع ، وتكراره ، أصبح لا يبالي بما يدور حوله من حوادث مفاجئة وأخطار رهيبية ، الأمر الذي شجع عناصر الشر وزبانية الظلام على عدم الاكتراث بالقيم الخلقية والمبادئ الإنسانية وما يفرضه القانون الدولي في الساحة العالمية ، وآخر الفواجع التي أذهلت العالم هو موقف القيادات الإسرائيلية والأمريكية من قرار محكمة العدل الدولية الذي صدر أخيراً بخصوص الجدار العنصري الذي أقيم في فلسطين ومطالبة المجتمع الدولي بإزالته ، فلولا فجور القوة وغطرسة الاستعلاء والإغراق في العنصرية والاستهانة بالرأي العام العالمي لما جرؤت الصهيونية العالمية وأذناها من اليمين الأمريكي على معارضة حكم يصدره أربعة عشر قاضياً من محكمة العدل الدولية !!!

لم يدرك هؤلاء القادة المتطرفون من صهيانية وأمريكيين أن ما يسعون إليه في هذه المنطقة من هيمنة وتوسع هو المستحيل ، بل وابعد المستحيلات ، وسوف لا يأتي من ورائه إلا مزيداً من الدماء والآلام لجميع الأطراف ، بما في ذلك اليهود الوافدين أنفسهم ، إن بوش ومعاونيه من اليمين المتطرف لم يقرأوا التاريخ وإلا لعرفوا أن المنطقة العربية بتاريخها الحضاري العريق هي غير القارة الأمريكية في القرن الثالث عشر والرابع عشر عندما اقتحمها المهاجرون الأوروبيون ، وقد قال المؤرخ البريطاني المشهور أرنولد توينبي ، إن الكيان الصهيوني الإسرائيلي قد غرس تعسفاً في منطقة لها تاريخها الحضاري لآلاف السنين ، وإن هذا الكيان المسخ إما أن ينسجم ويتلاءم ويتعاون بالحسن مع هذه المنطقة العريقة ، أو أنه سيلفظ كما يلفظ أي جسم غريب .

لسائل أن يتساءل لماذا تردد منظمتنا وتكرر مثل هذه الأقوال؟؟... والإجابة ، إننا نردها بل ونصرخ بها ليسمعها المجتمع الدولي ويتنبه إلى أخطارها وما سوف تجره على العالم من ويلات وكوارث ، ويكفي أن يذكر الجميع وكما هو واضح أن هذا الكيان الذي غرس في المنطقة هو كيان عنصري وغارق في العنصرية ، وهو يملك السلاح النووي ويرفض ، بكل الغطرسة والعنجهية ، الإشراف الدولي على هذا السلاح الخطير .

بناء عليه يا سيدي الرئيس ، فان منظمنا تطلب وتستنجد جميع المنظمات غير الحكومية ، التي تمثل بحق شعوب العالم ، أن تقوم بواجبها تجاه هذه الأخطار التي لا تهدد المنطقة العربية فحسب ، بل إنها تهدد العالم بأجمعه . وليس هناك أعظم واشد أثرا ، في ظروفنا الحالية ، من كلمة حق وصدق تخرج من هذا الاجتماع ينبه بل وينذر زعماء إسرائيل أن المجتمع الدولي كما رفض النازية العنصرية السابقة فهو يرفض اليوم بكل قوة وحسم ووضوح العنصرية الجديدة التي تعشش في رؤوس الواهين بأرض إسرائيل الكبرى - من النيل إلى الفرات - كما رمز لها العلم الإسرائيلي بخطيه الأزرقين . إن علينا جميعا واجبا إنسانيا تجاه إخواننا من سكان فلسطين ، يهودا ومسيحيين ومسلمين ، الذين يرغبون في السلام والعيشة الكريمة المتعاونة مع جيرانهم في هذه المنطقة المقدسة والنداء معهم بجميع الوسائل والإمكانيات إلى تحقيق الدولة العلمانية غير الدينية في فلسطين تكون أساس السلام والتعاون والرفاهية في المنطقة . أنه الحلم العظيم الذي يجب على الشرفاء التمسك به والدفاع عنه مهما اشتدت العواصف والأنواء ، فهو وان كان يعتبر حلم من الأحلام البشرية العظيمة ، فهو على أي حال حلم غير مستحيل التحقيق ، والإنجازات الإنسانية العظيمة كانت دائما أحلاما عظيمة .

شكرا سيدي الرئيس

عبد الله شرف الدين

(ايضورد) جنيف ، أغسطس 2003

وثيقة رقم 6

INTERNATIONAL ORGANIZATION FOR THE
ELIMINATION OF ALL FORMS OF RACIAL
DISCRIMINATION (EAFORD)

5 route des Morillons, CP 2100. 1211 Geneva 2, Switzerland

Tel: +41 22 788.62.33 Fax: +41 22 788.62.45

www.eaford.org



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السيد المحترم الفاضل الدكتور عمرو موسى
أمين عام الجامعة العربية

تحية الحق والعروبة وبعد ..

في زحمة أعمالكم ومشاغلكم والمجهودات الجبارة التي تبذلونها في سبيل مستقبل هذه الأمة ، ليس لي إلا الأمل والرجاء في أن تصل إليكم هذه الرسالة وتفوز ببعض الدقائق من وقتكم الثمين .

في أواخر السبعينات كنت نقيباً للمحاميين في بلادي ، وبهذه الصفة تم اختياري لأكون أحد أعضاء اللجنة التي كونتها الجامعة العربية من رجال القانون في الوطن العربي لمحاولة تطوير ميثاق الجامعة بما يتفق مع تطور الأحداث في العالم بما في ذلك الوطن العربي .

والذي اذكره أن تلك الاجتماعات المضنية التي استمرت لحوالي العشرة

أيام بمدينة تونس قد أسفرت عن بعض التوصيات التي اعتقدت اللجنة أنها مهمة جدا لتطوير ميثاق الجامعة ودفعه خطوة يمكن ان تتبعها خطوات في سبيل جمع هذه الأمة فيما يشبه الاتحاد الكونفدرالي يمكن أن يتطور إلى اتحاد فدرالي صلب يحقق طموحاتنا في مشاركة فعلية في تقدم البشرية ونشر السلام في العالم .
وقد حرصت اللجنة ألا تكون اقتراحاتها محل اعتراض كبير من أولى الأمر في الدول العربية ، فابتعدت بقدر الإمكان عن المسائل الحساسة التي قد تمس السيادة الدولية .

وقد كان من ابرز تلك التوصيات التي اذكرها الآن هي التخلي عن الإجماع في بعض المسائل التي لا تمس السيادة والاكتفاء بأغلبية تصل إلى ثلثي المجتمعين ، كما اقترحت اللجنة تكوين محكمة عدل عربية تفصل في النزاعات الطارئة بين أعضاء الجامعة . وكان أهم تلك الاقتراحات هو تكوين شبه برلمان عربي يجتمع مرة كل سنة على الأقل تحت مظلة الجامعة ، ويتكون من المكاتب الدائمة للاتحادات المهنية والعمالية ، تعرض عليه المسائل التي تهم الأمة ويصدر توصيات بشأنها ، ويمكن أن يجتمع في اجتماعات طارئة بدعوة من أمين عام الجامعة أو باتفاق أكثرية الاتحادات .

من نافلة القول أن اذكر لسيادتكم أن هذا الملف بتوصياته وما بذل فيه من جهودات مخلصه قد غيب في أدراج الجامعة ولم يكتب له حتى مجرد المناقشة من أولى الأمر في وطننا الكبير!! وكل الذي تم هو أن الاقتراح المتعلق بالمحكمة قد بذلت بعض المحاولات لتحقيقه ، ولم تنجح هذه المحاولات حتى الآن .

مما لا شك فيه أن السيد الشاذلي القليبي الذي آل إليه هذا الملف قد بذل كل ما في وسعه لإقناع زعمائنا بما جاء فيه من اقتراحات ، ولكن العقبة الكأداء هي أن ذلك لن يتحقق إلا بإجماع دول الجامعة كما هو مقرر في ميثاقها الحالي ، الأمر الذي يستحيل تحقيقه في ذلك الوقت .

ولكن وعلى أي حال فبالرغم من هذه النتيجة المفجعة فإننا نرى أن أمين الجامعة في إمكانه تحقيق بعض الخطوات في ذلك السبيل الطموح الذي هدفت إليه تلك اللجنة ، وذلك في حدود اختصاصات الأمين العام التي خولها له ميثاق الجامعة الحالي نفسه .

من ذلك :

1- استدعاء المكاتب الدائمة للاتحادات المهنية والعمالية في الوطن العربي كل سنة أو عند الحاجة لمناقشة ما يواجه الأمة من أخطار ومشاكل والخروج بتوصيات لا شك أنها ستكون محل اعتبار من قيادات هذه الأمة .

2- إخراج الملف المشار إليه وعرضه على الصحافة ورجال الفكر لمناقشة بنوده وتوصياته من جديد .

إن المكاتب الدائمة للاتحادات المهنية المعروفة أنها تتكون من عضوين من كل نقابة عربية هما النقيب وعضو آخر ، والمكتب الدائم المكون على هذا الأساس له أن يختار لعضويته مجموعة من أعضاء المهنة المتميزين ، رجالا أو نساء بحيث لا يزيد عددهم عن ثلث الأعضاء الأصليين .

وكلنا يعرف أن النقابات في وطننا العربي ربما هي الجهات الوحيدة التي تنتخب انتخابا ديمقراطيا حرا بدون تدخل السلطات الحاكمة فيها ، وأنها تضم بين أعضائها جميع الاتجاهات والمشارب ، من يسار ويمين ووسط ، وبالتالي فهي تمثل بحق وصدق هذه الأمة ، ومن ثم فإن توصيات مكاتبها الدائمة عندما تجتمع في شبه برلمان عربي لا بد أن تكون معبرة تعبيرا صادقا عما يعتمل في ضمير هذه الأمة .

إن الشعب العربي من أقصاه إلى أقصاه قد استبشر خيرا بتوليكم مهام الجامعة العربية ، فتاريخكم كله جهاد وعطاء لامتكم العربية من الخليج إلى المحيط ، وإننا لنأمل كل الأمل وكل الرجاء في أن تحققوا لها بعض آمالها ورجاءها فيكم .

أملنا كبير في أن نتلقى منكم ما يفيد تسلمكم هذه الرسالة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وهدانا المولى جميعا إلى التوفيق والسداد .

أخوكم

عبد الله شرف الدين القاهرة 28\11\2002

وثيقة رقم 7

INTERNATIONAL ORGANIZATION FOR THE
ELIMINATION OF ALL FORMS OF RACIAL
DISCRIMINATION (EAFORD)
5 route des Morillons , CP 2100. 1211 Geneva 2 , Switzerland
Tel: +41 22 788.62.33 Fax: +41 22 788.62.45

www.eaford.org



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السيد المحترم الفاضل الدكتور عمرو موسى
أمين عام جامعة الدول العربية

تحية الحق والعروبة وبعد ..

لقد سبق لنا أن كتبنا إليكم عدة مرات فيما نعتقد أنه يهم امتنا ، مشاركة منا في الدفاع عما يواجهه هذه الأمة من مآسي وأخطار ، ولكن مع الأسف الشديد لم نتلق أبدا أية إشارة تفيد أن هذه الرسائل قد وصلت إليكم ، ونحن نعتقد أنه حتى لو كانت اقتراحاتنا وآراؤنا ساذجة أو تافهة فان المنطق والأصول والمصلحة تقتضي من مؤسستكم أن ترد على هذه المبادرات ولو بكلمة واحدة تشجعا للشعب الاهتمام والمشاركة فيما يواجهه هذه الأمة من أخطار ، ومن يدري ربما تصادف مرة أن تكون إحدى هذه المبادرات ذات أهمية فائقة لسير الجامعة واقالتها من بعض عثراتها .

إننا نعلم كثرة مشاغلكم ، ومسئولياتكم الضخمة التي تنوء بها الجبال الرواسي والتي قد تحول بينكم وبين الاطلاع عما يرد إلى هذه الجامعة من رسائل واوراق ، ولكن لا بد أن يكون لكل مؤسسة مثل مؤسستكم سكرتارية تقوم بتلقي الوارد وتنسيقه والرد عليه وتوصيل ما يجب توصيله إليكم .

إن الذي دفعنا للكتابة مرة أخرى هو ما نشاهده ونسمعه ونقرأه في الإعلام العربي الذي كثيرا ما يقع في برائث تقليد الإعلام الغربي والصهيوني بالذات ، فمثلا إننا نردد عبارة "منطقة الشرق الأوسط" ، أليست هذه المنطقة هي المنطقة العربية بما في ذلك فلسطين المحتلة ، فلماذا نردد ما يقوله الإعلام المشبوه من تزوير لحقيقة هذه المنطقة ولا نقول "المنطقة العربية"؟؟ ولماذا نردد عبارة "الضفة الغربية" أليست هذه المنطقة هي الجزء الشرقي لفلسطين فلماذا لا نقول منطقة فلسطين الشرقية؟؟ وكذلك "قطاع غزة" فلماذا لا نقول الجزء الجنوبي لفلسطين الذي يضم غزة وما حولها . إن الصهيونية العالمية تحرص كل الحرص على أن تمحو كلمة فلسطين ونحن نتبعها في ذلك غير مدركين ما في هذا الاتجاه من خطورة على مستقبل امتنا. إننا نلجأ إلى جامعتنا العتيقة فيإمكانياتها ولجانها تستطيع أن تصحح هذه الاتجاهات بتوجيه الإعلام العربي والصديق إلى الطريق الصحيح .

وفقكم الله وهدانا جميعا إلى الخير والصواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم

عبد الله شرف الدين القاهرة 8\5\2003

وثيقة رقم 8

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صاحب الفضيلة الداعية الإسلامي وخطيب الجمعة
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد..

سيدي الفاضل المحترم

إن البحث الدقيق عن السبب الأساسي في هذه الانهيارات المتلاحقة التي أصابت وتصيب مجتمعاتنا وأمتنا ، هو الذي سوف يؤدي بنا إلى علاجها ، لا شك أننا نعاني أمراضا كثيرة ، ولكننا إذا تأملنا بعمق فإننا سنهتدي إلى أن هناك مرضا جوهريا حلّ بهذه الأمة كان السبب في كل هذه الأمراض ، هذا المرض الخطير ، في الرأي الراجح ، هو اختفاء الصدق في حياتنا ، وكاتب هذه الرسالة يعتقد اعتقادا جازما أن بداية النهضة والتقدم في عالم الغرب كانت يوم أن اكتشفوا أن الكذب هو أساس كل الأمراض التي كانت متفشية في مجتمعاتهم ، وبالتالي حاربوا هذه الآفة بكل القوة والشدة والحسم والتصميم . لقد تعرف صاحبنا على أوروبا ، ومن بعد ذلك على أمريكا منذ سنة 1964 وقد لفت نظره اهتمامهم بالصدق ، في حياتهم الاجتماعية ، وانهم يمكن أن يغفروا للإنسان جميع أخطائه ما عدا أن يثبت عليه الكذب ولو لمرة واحدة . وهو يذكر بهذا الخصوص أن الرئيس ريتشارد نيكسون عندما اجبر على الاستقالة من منصبه كرئيس لأمريكا ، حاول الرجوع إلى مهنته السابقة كمحام وطلب إعادة قيد اسمه في جدول المحامين ، ولكن نقابة المحامين الأمريكية قد رفضت طلبه ، لا بسبب تورطه في قضية "ووترجيت" ولكن بسبب كذبه عندما حقق معه بالخصوص .

والذي أذهل صاحبنا ما لاحظته في مجتمعاتنا العربية والإسلامية من استهانة بموضوع الكذب ، فالكل يكذب على الكل ، بدون حرج أو خجل ، ومن هذا الوضع استشرى النفاق والغش والتدليس والرشوة والنصب ... إلى

آخر القائمة المتوالدة من آفة الكذب ، وانك لترى الوالد لا ينجل من أن يكذب أمام ابنه بان يشير لابنه عندما يطلبه أحدهم في الهاتف ، بأنه غير موجود!! ومن هنا يتعلم الابن الكذب وألاً حرج في إظهار غير الحقيقة ، وهكذا يسري هذا الداء الخطير المدمر بجميع ملاحقه في جسم العائلة ثم المجتمع والأمة ، الأمر الذي يؤدي بها إلى الإحباط والتردي والهوان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إن هذه الأفكار جعلت صاحبنا يكتب ويتحدث أكثر من مرة ، أنه لا بد لعلاج هذه الآفة الخطيرة المدمرة ، من الرجوع إلى مبدأ اليوم الكامل ، من الصباح إلى المساء ، للتلاميذ في المدرسة ، بمعلمين أكفاء بمرتبات عالية تفوق كل مرتبات الدولة ، يهتمون بمعاني التربية ، فالتلميذ تكون كل مذكراته وهواياته وألعابه في المدرسة كل ساعات النهار ، ويكون رجوعه للبيت للنوم فقط ، وبذلك يمكن تخليص الجيل القادم من هذا المرض الخطير المستشري في آبائهم وأمهاتهم وفي هذه البيئة المريضة ، الكذب وملاحقه . هذا يمكن أن يكون علاجاً طويل المدى إذا آمنت به وطبقته وزارات التربية والتعليم في العالم العربي ، أما العلاج الذي يمكن أن نبدأ به من هذا اليوم فيمكن أن يكون في يدكم يا سيدي عن طريق خطبة الجمعة ، ففي العالم العربي والإسلامي هناك مسجد في كل حي من الأحياء في طول البلاد العربية والإسلامية وعرضها ، تلقى فيه خطبة الجمعة ، وهناك حوالي اثنين وخمسين جمعة في السنة ، فإذا استطاع رجال الفكر والساعون إلى الإصلاح أن يضعوا كتيباً به ثلاثون أو أربعون خطبة متعلقة بالصدق والأمانة وازدراء الكذب والكذابين ، أو على الأقل وضع الخطوط الرئيسية لهذه المواضيع في هذا الكتيب المنشود ، ثم بذل كل الوسائل والمؤثرات لإقناع خطباء الجمعة باتخاذ هذا النهج في خطبهم كل جمعة ، باعتباره العلاج الحقيقي لأدواء هذه الأمة من أمراضها المستعصية التي تكاد تفتك بها وتجعلها معرة بين شعوب الأرض . إن ما نسمعه من بعض خطباء الجمعة في هذه الأيام والأسابيع ، مع الأسف الشديد هو كلام مكرر ، أكثره من الإسرائيليات التي كتبت في وقت تدهور هذه الأمة والمنحطاتها بعد اجتياحات المغول والتاتار هذه المنطقة والانحدار بها في مستنقع الخمول والشروء والتردي والتمسك بتوافه

الأمر ، فصارت كل اهتماماتنا ذقونا طويلة ، ونقبا يلف جسم المرأة ويجعلها مثل الخيمة التي تمشي في الشوارع ، باعتبارها عورة ، يا للعجب العجاب!!! مع أن الذقون في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة الأبرار كان لأسباب معروفة غير قائمة في عهدنا الآن وأن أبا جهل أكبر عدو لصاحب الرسالة والإسلام كان بذقن طويلة ، ربما أطول من أصحاب ذقون اليوم!!! وإن النقاب لم يكن قائما في عهد الرسالة بهذه الطريقة التي أصبحت الوسيلة لبعض النساء المنحرفات لتغطية تصرفاتهن المنحرفة!!! ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الشيء العجيب في مجتمعنا العربي من أقصاه إلى أقصاه ترى الناس يتكلمون في جميع محاسن الأخلاق الحميدة وقليل ما يذكرون أهمية الصدق القصوى في حياتهم ومجتمعاتهم ، ويتكلمون في جميع المساوئ التي تصيب المجتمعات وتدمرها وقليل ما يذكرون ظاهرة الكذب وما يندرج تحته من المساوئ والآفات التي تسود المنطقة العربية والإسلامية في جميع أرجائها ، فأنت تسمع إلى خطباء المساجد وأحاديث الناس في جلساتهم كما تقرأ كتابات المفكرين والرواد فلا تجد في كل ذلك الأهمية التي يستحقها هذا الموضوع ، مع أن القرآن الذي هو دستورنا قد حثّ في أغلب سوره وآياته على الصدق وأدان الكذب والكذابين بكل شدة وجعل المنافقين في الدرك الأسفل من النار ، وإن الرسول ﷺ عندما سأله أصحابه عن المعاصي ، من سرقة وقتل وزنى وغير ذلك من المعاصي ، فأقر الرسول بتعرض المؤمن لها كبقية البشر ، ولكنه عندما سئل عن الكذب قام من مجلسه واقفا ، وقال إن المؤمن ومن هو مؤمن بحق لا يمكن أن يكذب ، لا يمكن أن يكذب ، وكررها مرتين . والرسول ﷺ محق في ذلك كل الحق ، إذ أن المنطق العقلي يقرر بوضوح كامل أن شبهة الكذب لا تتفق مع الإيمان من جميع الوجوه ، ذلك أن شبهة الكذب ستجعل جميع الرسائل السماوية وكل ما تضمنته من مبادئ خلقية محل نظر ، بل إن الأمر سوف يمتد إلى الشك في كل الأسس التي قامت عليها إنسانية الإنسان .

إن أملنا يا سيدي هو أن تجد هذه الرسالة قبولا لديكم فتحاولوا تطبيق مما جاء فيها ، وإن تكون خطبة الجمعة الوسيلة العظمى لهداية عباد الله إلى نبذ الكذب وملاحقه بصفة نهائية ، وتبني الصدق في حياتهم فهو الطريق الأساسي

لصلاح أحوالهم وصلاح أمتهم دنيا وآخره ، فالنجاة في الصدق النجاة في الصدق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم في الله

عبد الله شرف الدين القاهرة 18\6\2005

كل الرجاء وكل الأمل يا سيدي هو أن توزّعوا صوراً من هذه الرسالة على زملائكم أصحاب الفضيلة خطباء الجمعة إذا رأيتم أن في ذلك صلاحاً لهذه الأمة ولكم ثواب الساعين إلى الخير والصلاح .

وثيقة رقم 9

**INTERNATIONAL ORGANIZATION FOR THE
ELIMINATION OF ALL FORMS OF RACIAL
DISCRIMINATION (EAFORD)**

5 route des Morillons, CP 2100. 1211 Geneva 2, Switzerland

Tel: +41 22 788.62.33 Fax: +41 22 788.62.45

www.eaford.org



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سيدتي الرئيسة :

ليس جديدا القول أن ما تعانيه البشرية في أرجاء الأرض من ممارسات عنصرية مخجلة ، واعتداءات على حقوق الإنسان مذلة وقاهرة ، وصراعات دولية دموية قاتلة ومدمرة ، هي في الحقيقة والواقع النتيجة الحتمية لاختفاء ميزان العدالة ، الذي هو التعبير الصادق الصحيح المترجم للشعار الذي رفعناه باستمرار ورفع كل العقلاء في هذه الأرض بأنه لا سلام بدون عدالة .

اجل يا سيدتي الرئيسة ، لا سلام بدون عدالة ، إن ما يجري في الساحة الدولية هذه الأيام من دق طبول الحرب العنصرية الظالمة ، والتدمير والقهر والإذلال الذي يجتاح أرض فلسطين ، وهذه الغطرسة الظالمة المتسلطة على شعوب أواسط آسيا وأرض الخليج في العراق . كل هذه الحوادث والظروف والملابسات تنادي بل و تصرخ بأنه لا سلام بدون عدالة . ، وقد أثبتت تجارب

الإنسان على مدى التاريخ أن القوة والهيمنة مهما علت وارتفعت لا يمكن أن تحقق سلاماً وأماناً حتى بالنسبة للأقوياء المهيمنين طال الزمن أو قصر .

ولنا أن نتساءل حتى لو كان هذا التساؤل يبدو ساذجاً للبعض منا . إذا كان السلام والأمن لا يمكن الوصول إليه وتحقيقه عن طريق القوة والهيمنة ، وان البشرية قد استطاعت أن تقيم ميزان العدالة داخل المدينة والدولة بوجود المحكمة والقاضي ، وتوفير الوسائل للخضوع لقرارهما ، فلماذا أخفقت في إيجاد محكمة للفصل في هذه الصراعات والخلافات القائمة بين الدول والمجموعات حتى الآن !!؟؟ إن تجارب التاريخ تعلمنا أن البشرية لا بد أن تصل إلى هذا الهدف في يوم من الأيام إذا امتد بها الزمن ولم تحصل الكارثة النووية التي ستؤدي بهذا الكوكب إلى الغناء .

وبناء عليه يا سيدتي الرئيسة ، فانه يجب علينا جميعاً كمنظمات غير حكومية وبمساعدة خبراءنا الأمجاد في هذا الاجتماع ، الإسراع بالدعوة إلى إقامة محكمة العدل الدولية ، الفاعلة القوية ، وكرر الفاعلة القوية ، التي تستطيع إقامة ميزان العدالة بين الدول والمجموعات .

إن محكمة العدل الدولية القائمة الآن والمحكمة الجنائية الدولية التي أسست حديثاً في هذه الأشهر ، تعتبران خطوات رائعة في هذا السبيل ، ولكنهما بوضعهما الحاضر ، لا يحققان العدالة بمعناها الواسع التي نطمح إليها جميعاً والتي هي أساس السلام في هذه الأرض .

إن المحكمة الجنائية الدولية قد عطلت دورها وأساءت إلى وجودها الولايات المتحدة الأمريكية بإصرارها على استثناء الضباط والجنود الأمريكيين من الخضوع لأحكامها لمدة سنة متجددة !! يا للهول من هذه الغطرسة الأمريكية!!

أما محكمة العدل الدولية التابعة للأمم المتحدة القائمة الآن بلاهاي ، فقد قيد نشاطها وفعاليتها بقيدين جوهرين ، الأمر الذي جعلها عاجزة وشبه مشلولة .

القيد الأول أنها لا يمكن أن تنظر في أي نزاع دولي مهما كان خطيرا ومهلكا للبشرية جمعاء ، إلا إذا اتفق طرفا النزاع على اللجوء إلى هذه المحكمة . والقيد الثاني أنها تفتقد القوة التنفيذية لتنفيذ أحكامها ، بجيش دولي مخصص لهذا الغرض ، أو بمقاطعة دولية عامة تجبر المحكوم عليه على الإذعان لأحكامها .

إن مسئوليتنا يا سيدتي الرئيسة ومسؤولية خبرائنا في هذا الاجتماع ، أن نثير هذا الموضوع بكل القوة والحسم والمثابرة حتى نزيل هذه القيود والاستثناءات عن هذه المحاكم الشائخة التي يمكن أن تكون الأمل الوحيد لتحقيق العدالة وبالتالي تحقيق السلام . فهل لنا أن نفعل ذلك؟؟ فهل لنا أن نفعل ذلك؟؟؟
شكرا سيدتي الرئيسة

عبد الله شرف الدين

(ايضورد) جنيف ، أغسطس 2004

وثيقة رقم 10

**INTERNATIONAL ORGANIZATION FOR THE
ELIMINATION OF ALL FORMS OF RACIAL
DISCRIMINATION (EAFORD)**

5 route des Morillons, CP 2100. 1211 Geneva 2, Switzerland

Tel: +41 22 788.62.33 Fax: +41 22 788.62.45

www.eaford.org



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سيدي الرئيس

إن هذه المنظمة التي نتشرف بتمثيلها قد منحت شهادة من السيد أمين عام الأمم المتحدة باعتبارها رسول سلام ، وذلك تقديرا لمجهوداتها في هذا السبيل لمدة زادت عن الربع قرن من الزمان ، إننا نفتخر بهذه الشهادة القيمة ، وذلك يزيدنا حماسا وتصميما لتحقيق هذه الرسالة المقدسة النبيلة ، وإننا واثقون أن القيادات الحكومية والشعبية المشاركة في هذا الاجتماع تجيش في أعماق نفوسها نفس هذه الأهداف النبيلة لتحقيق السلام في هذا العالم المتوتر المضطرب الذي يعاني جموح بعض أبنائه باندفاعهم الجنوبي نحو الحرب والقتل والدمار وتوجيه أسلحتهم الفتاكة المدمرة إلى مهد الحضارات ومركز الرسالات السماوية في هذه المنطقة التي يسمونها ، زورا ، بالشرق الأوسط . إن الصدق والصراحة يا سيدي الرئيس تحتم علينا ذكر الحقيقة وانه مهما اتسع صدرنا نحن والكثير من إخواننا الحاضرين ، فإننا لن نستطيع أن نستوعب المبررات التي يقدمها هؤلاء الغزاة

القادمين من أقصى الأرض ، من مسافة حوالي عشرة آلاف ميل ، لضرب إخوانهم في البشرية بهذه الأسلحة الفتاكة بدون شفقة أو رحمة . إننا نشعر كأننا في غابة يفتك قوينا لمجرد أنه قوي بضعفنا لمجرد أنه ضعيف ، والبشرية بأجمعها في كل أقطار الأرض تتفرج على هذه المآسي المهولة ولا تفعل شيئا لردها أو إيقافها!!! ، كل المبررات التي قدمتها هذه الوحوش الضارية لهذا الغزو الإجرامي الأثيم قد تبين بالقطع كذبا وزيفها ، ولم يبق من هدف واضح لهذا الغزو الإجرامي إلا الهيمنة على البترول وفتح الطريق للصهيونية العالمية للعبث بهذه المنطقة المقدسة والتصرف في مقدراتها .

وهنا يبرز لنا ذلك السؤال كيف نواجه هذا التصرفات الإجرامية العابثة؟؟ كيف الوصول إلى تحقيق السلام في الأرض مع هذه الأجواء التي تتغلغل فيها تلك الروح الضارية المتوحشة التي ورثها بعضنا من عهود الغاب؟؟؟ إن أمل البشرية هو أن يدرك أبنائها الآن أن ذلك الجد البدائي قد استطاع أن يتغلب على وحشيته وأنانيته بتحكيم الشخص الثالث في إنهاء صراعاته واندفاعاته المجنونة ، وهكذا تطورت الجماعات إلى اسر ثم قبائل ثم تكونت الدول ، ونحن الآن بسبيل تكوين مجموعات الدول الذي أتت تباشيره في إقامة الاتحاد الأوروبي ، وإننا نطمح أن يقوم في المستقبل القريب الاتحاد الدولي العام تحت راية الأمم المتحدة ، حيث يعم السلام المنشود جميع أرجاء الأرض .

إن التاريخ يحدثنا أن نشأة الدول عندما قامت وتطورت إنما قامت أساسا على تحقيق العدالة بين أفراد الجماعات التي تكونت منه الدول ، وإن هذا العنصر الجوهري الضارب في أعماق التاريخ لازال حتى اليوم أحد الأعمدة الأساسية إن لم نقل أولها وأهمها في بقاء الدولة واستقرارها وتقدمها ، وهو يمكن أن يكون الأساس لقيام الاتحاد الدولي المنشود الذي عن طريقه يتحقق السلام .

إن الأمم المتحدة قد أقامت بين فروعها المتعددة محكمة العدل الدولية ، وهذه المؤسسة العظيمة هي الأمل الباقي للبشرية لتجنب الحروب والفصل بين صراعات الدول والوصول بها إلى التفاهم والتناغم وبالتالي إلى اتحادها ، ونحن نستغرب كيف أن الدول الكبرى التي تدعي السعي لصالح المجتمع البشري ، لم

تحاول الاهتمام وبذل الجهود لإعطاء القوة والصلاحية لهذه المؤسسة العظيمة التي هي الأمل في تحقيق سلام حقيقي يسود البشرية جمعاء . إننا نناشد الحاضرين وخصوصا المنظمات غير الحكومية أن تبذل الجهود كل الجهود لإعطاء محكمة العدل الدولية كل القوة والفاعلية لتفصل في المنازعات الدولية ، تلجأ إليها الدولة الضعيفة فتتصفها من غطرسة الدولة القوية . إنه حلم البشرية ولا بد أن تحققه في يوم من الأيام .

شكرا سيدي الرئيس

عبد الله شرف الدين

(ايضورد) جنيف

وثيقة رقم 11

(المحامي) مجلة نقابة المحامين الليبيين

افتتاحية العدد الثاني

المحامي

إن المحامي إنسان ، وأخطر ما في رسالته لهذا العالم أنها تضعه وجها لوجه أمام قضية الإنسان!!!!

ولعل هذا المأزق الحرج في قدره ، هو الذي جعل الناس يتطلبون فيه ما لا يطلبونه في بقية البشر . ولعله السبب في أن المحامي لا يكون محاميا إلا إذا اتسم بأدق وأشد وأمتن ما يتصف به مخلوق بشري من خلق صدق الأنبياء وإيمان الشهداء الأبرار ، ولعله السبب ثالثا ، أنه سواء في قضاياها التي يعيشها يوميا ، أو في قضية الإنسان الكبرى ، هو دائما في قلب المعركة الطاحنة المستعرة المستمرة التي أشفقت من حملها ومواجهتها الجبال الرواسي .

أنه إنسان قد حمله قدره ما لا يطيقه الإنسان ، فمما لا شك فيه - أو على أقل تقدير ، هذا اعتقادنا - أن قضية المحامي أو قضية الإنسان الأصلية والأساسية والجوهرية ، هو هذا الصراع الدائم والمستمر بين الخير والشر ، ذلك الإحساس الذي نحسه ونشعر به جليا واضحا في بعض الأحيان ، ويناديننا غامضا مبهما من أعماق نفوسنا في أغلب الأحيان .

ومما لا شك فيه أيضا - حسب ما وصل إلينا من مسموع ومقروء من يوم ما عرف المسموع والمقروء - أن قضية هذا الصراع في عالمنا هذا قديمة قدم الإنسان نفسه ، بل إن قدمها قد يرجع إلى قدم هذا الكون بما احتواه من سدم وكواكب وأفلاك ومخلوقات شتى لا تقع تحت عدّ أو حصر .

وبالرغم من قدم هذه القضية وتجرجرها في ساحة هذا الكوكب الأرضي كل هذه الأحقاب فإنها لم تحلّ بعد ، ولا يبدو أنها وشيكة الحسم ، ولعل ذلك

يرجع إلى أنها وإن كانت تبدو واضحة جلية لأول وهلة ، فإنها في واقع الأمر معقدة متشابكة ومتداخلة ، يصعب حل ألغازها وفض غموضها ومعمياتها على الكثير من البشر إن لم نقل كل البشر . ولقد تاه الكثير من الفلاسفة والعلماء الدارسين في متعرجاتها وسراييبها ، وفضل المتواضع منهم أن يرجع إلى فطرته ويترك ما عجز عنه عقله إلى قلبه ووجدانه .

هذا هو المحامي . وهذه هي قضيته . وما قضاياها التي يحملها كل يوم في أروقة المحاكم بما تحويه من أخطاء الناس الكبيرة والصغيرة ، وطموحاتهم الضيقة والواسعة إلا تمثيلا بسيطا لتلك القضية الكبرى التي يحملها المحامي في أعماق وجدانه باحثا عن الطريق .

ونحن نعتقد أن مأساة الإنسان ليست بالدرجة الأولى في قدم قضيته أو تعقيدها وصعوبة حلها ، وإنما مأساتنا الحقيقية الكبرى وآلامنا التي نعيشها كل يوم في هذا الوطن العربي العريض ، تتركز أساسا في من اغتصبوا رداء المحامي من حكام جهلة ومتغطرسين تائهيين بالقضية عن الطريق . ونحن لا ندعي إننا وجدنا الحل ، ولكننا نؤمن أن معالم الطريق إليه قد أصبحت لدينا واضحة ، والمحامي الإنسان يعد الإنسان بالطريق.... العدالة والصدق والحرية .

عبد الله شرف الدين

نقيب المحامين

1976

افتتاحية العدد الرابع

القاضي

إن البشرية قد أخطأت الطريق باعتقادها أن بالنار كانت البداية ، وأخطأت مرة أخرى حينما اعتقدت أن في العجلة ودوائرها المتعددة تكونت تبشير حضارة الإنسان . وأخطأت مرة ثالثة خطأها الفاحش المدمر الخطير عندما ربطت مصيرها بشيطان العصر الذي يسمونه الطاقة .

فالنار تنير وتحرق والعجلة وان حملت الأثقال فقد حملت المآسي أيضا وهذه الطاقة الرهيبة لا تنبئ مؤشراتنا إلا بدمار العقل الذي خلفها وآمن بها .

إن البداية في رأينا كانت قاضيا والقاضي في اعتقادنا هو الذي أتاح للإنسان أن يرى تبشير الحضارة ، ونحن نؤمن بأن مصير البشرية ومستقبلها هو رهن بمدى إيمانها بالقاضي .

إن النقلة العملاقة التي قفزت بهذا المخلوق العجيب المتحدي وأخرجته من أعماق اللجج ، وأركان الغابة ، وجوف الكهوف ، وجعلته يخطو خطواته الأولى في الطريق ، كانت قاضيا كانت إشعاعا سماويا هدى ذلكما الوحشين الدمويين المتصارعين أن يحكّما ثالثا ولم يصرع قاييل أخاه هذه المرة ونشأت الأسرة والأسر ... وتكونت القبيلة والقبائل ثم العشيرة والعشائر ... ومن ثم الدولة والدول .

ان المجموعات البشرية لا زالت مع الأسف المؤلم ترسفت في أغلال روااسب وحشية ذلكما الجدين الماجدين الدمويين ، فما تنفقه الدول اليوم على السلاح والتسلح ، هو أضعاف الأضعاف ما تنفقه على العلم والتعليم .

ان أدوات الحرب والدمار تستنزف من سكان هذا الكوكب ما لا يقل عن نصف دخلهم ومجهودهم وطاقاتهم ، ونحن نؤمن أنه لو حول هذا الدخل

والمجهود والطاقة إلى الجرار والمحراث والمعلم ، لأمكننا فعلا أن نطمح إلى إنقاذ نصف سكان العالم من الجهل الذي يسيطر عليهم ، والجوع الذي يفتك بهم ، وبالتالي إزالة الحقد والضغينة من أرضنا ، ومن ثم الاقتراب من الفردوس المنشود .

إن هذا الأمل الرائع الوضّاء هو رهن بأن نسلّم صراعاتنا وخلافاتنا شعوبا ودولا إلى القاضي ، كما سلمناها إليه أفرادا وجماعات . وهو أن نبعث الروح والقوة والفاعلية في محكمة عالمية مثل محكمة العدل الدولية هل ترانا نبسّط الأمور أكثر مما ينبغي ؟؟؟...

هل ترانا نخلّق في مثاليات لا وجود لها في هذه الأرض ؟؟؟...

قد يبدو ذلك كذلك ، ولكن الحقيقة أن كل الخطوات العملاقة التي قفزت بالإنسان نحو التقدم والرقي كانت نتيجة مثل هذه التحليلات .

إننا المحامين قوم مشاكسون ، شكاكون ، حذرون ، يصعب ترويضنا وإقناعنا ، ولكن إيماننا بالقاضي ليس له حدود ، ولعل هذا الإيمان هو الذي يجعل وقفة المحامي أمام القاضي ملتصقا بالحق والعدالة ، لا تقل خشوعا وتقديسا عن وقفته أمام الباري جلّ جلاله ملتصقا بالرضى والغفران .

وقد قالت السماء ، وما أروعها وما أصدقها من قول ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيْٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

عبد الله شرف الدين

نقيب المحامين

1976

افتتاحية العدد الخامس

الحقيقة

لقد ذهبوا شفيق الرشيدات مصطفى البرادعي أمين الشبلي عبد الكريم بن جلول .

لقد ذهبوا كامل الهوني مختار البكوش يوسف الرعوي سالم سليم شعبان عريبي .

وكان لا بد أن يذهبوا كما ذهب من قبلهم ، ابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، وسقراط ، وبوذا والنمرود ، وفرعون ، ونبيرون ، وهولاكو ، وهتلر ، ووايزمان إلى آخر السلسلة من الأسماء والأسماء ... البعض منهم قد تحلل تماما وصار ترابا كهذا التراب الذي تطأه أقدامنا في روحانا وغدواتنا ، والبعض الآخر في طريقه إلى أن يصير كذلك !!!

هذه هي الحقيقة التي لا استثناء فيها ، ولا يمكن تغليفها بالأهواء والأباطيل الحقيقة الدامغة ، القاطعة ، الحاسمة ، والقديمة قدم هذه الأرض بما فيها ومن فيها

الحقيقة التي لم يستطع أي مخلوق في هذا الكون ، من يوم أن وجد هذا الكون أن يدحضها ، أو يأتي بما يخالفها الحقيقة التي حطمت كبرياء المتكبرين ، وضحكت من طموحات الطامحين ، واستهزأت بغرور المغرورين .

الأخيار والأشرار يذهبون ... الملوك والأباطرة والعامّة يذهبون الأغنياء والفقراء العباقرّة والأغبياء ذاهبون ما غاص في البحر ، وما طار في الجوّ ، وما دبّ على الأرض فيإلى ذلك المصير المحتوم.... ألم تقل السماء بصفة القطع والحسم : (انك ميت وإنهم ميتون) ؟؟؟!.... إنها الحقيقة .

.... ومع ذلك فهذه الصيرورة من التراب والى التراب ، لم تذهب هباء ، أما الروح فقد استقل بعلمها الخالق ، ويبقى بعد ذلك لنا نحن بني البشر ذلك

المعنى السامي المشرق النبيل الذي نسميه الموعظة ، وإذا أغرقنا في تبسيطه ندعوه التأمل .

وللمتأمل أن يرى أن رحلة البشرية وإن كانت قاسية وأليمة ، وتجذبها عوامل المدّ والجزر ، فإن مؤشراتنا تدلّ على أنها في صعود مستمرّ ، فالماضي قد ترك للحاضر والمستقبل كتباً مقدسة ، وفلسفات قيّمة ، وتعاليم ومبادئ رائعة خطوطاً مستقيمة على الطريق تحنّ لها النفس ، ويهفو لها الوجدان ، ويحتضنها الفكر ، ولا يخطئها العقلاء . وقد بيّن لنا الماضي أيضاً أن الأصنام ستتحطم حتماً ، والطواغيت ستزول لا محالة ، والطغيان لا بد له من نهاية (فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) وهذه هي الحقيقة مرة أخرى .

الناس سيذكرون باستمرار ، وعلى مدى الأجيال أولئك الرجال الأفذاذ الذين استطاعوا أن يخطّوا للبشرية بدمائهم ، وآلامهم ، وأشجانهم ، خطأ ساطعاً ، مشيراً إلى الطريق . أولئك الرجال الذين رفضوا الحكم والجاه ، مؤثرين الكرامة والشرف ، وواجهوا العسف والطغيان ، في شجاعة واستبسال ، وتحملوا ويلات المرض والتشرد ، في سبيل الحق والحرية .

إننا عندما ننشر في هذا العدد البيان العالمي لحقوق الإنسان ، والاتفاقية الدولية لإزالة ومعاقبة جريمة التفرقة العنصرية ، نعتبر هذا الوهج الذي يلقي نوره وسناه على الطريق ، هو النتيجة الحتمية لما قاساه أولئك الرجال الأفذاذ من عذاب وآلام .

ومرة أخرى (فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) .

عبد الله شرف الدين

نقيب المحامين

1977

الوثيقة رقم 12

INTERNATIONAL ORGANIZATION FOR THE
ELIMINATION OF ALL FORMS OF RACIAL
DISCRIMINATION (EAFORD)

5 route des Morillons, CP 2100. 1211 Geneva 2, Switzerland

Tel: +41 22 788.62.33 Fax: +41 22 788.62.45

www.eaford.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السيدة الفاضلة المحترمة

تحية الحق والعروبة وبعد ...

يؤسفني ويؤلمني أن أزعجك مرة أخرى بموضوعي أو مأساتي الخاصة التي استطلت وحيرت الجميع ، ولكن ما باليد حيلة ، فأنا إنسان يشعر أنه قد ظلم ظلما فظيحا لا لسبب إلا صدقه وأمانته ، ولا ادري والله ما هو الخطأ الذي ارتكبته حتى تحل بي كل هذه المآسي التي يغرقني فيها بني وطني ، مع أني بذلت حياتي أكثر من مرة ودخلت السجون والمعتقلات في العهد الإيطالي وعهد الإدارة البريطانية وفي العهد الملكي في سبيل كرامة وشرف هذه الأمة ، ولو كنت منافقا أو متسلقا لكان وضعي غير الوضع الآن ، وعلى أي حال فالجميع يعرف مدى صدقي وصراحتي بما في ذلك كل شرفاء هذا العهد ، واني لست من النوع الذي يتآمر أو يخون .

لقد سبق أن تلقيت منك عهدا بان تتابعي قضيتي سواء بالصفة الإنسانية أو بصفتك رئيسة لجنة حقوق الإنسان التي تحملين أمانتها بنجدة المظلومين ، واني لفي انتظار أي بارقة نور تأتيني من طرفك للخروج من هذا النفق المظلم ، إن أي خبر له علاقة بهذا الأمر ربما فتح أمامي طرقا للسير تجاه العدل والإنصاف في قضيتي ، واني لأرجو أن أتلقى منك ما ينير طريقي في هذا الاتجاه ، انك لا شك تعلمين مدى نشاطي منذ أكثر من عشرين سنة في لجنة حقوق الإنسان واللجنة الفرعية في أروقة الأمم المتحدة واني قد دافعت دفاعا مجيدا عن حقوق الإنسان في أي مكان في العالم وخصوصا حقوق وطننا العربي وحقوق القطر الليبي بصفة أخص ، وانك لتجدين الكثير من ذلك في موقع الإنترنت : www.eaford.org

أملى ورجائي أن أتلقى على الأقل ما يفيد انك تسلمت هذه الرسالة ، واني لو اتق كل الثقة أن ابنة أستاذنا وابنة زاوية الدهماني وسيدي الشعاب ستكون أهلا للأمانة والمسئولية التي تولتها في أروقة الأمم المتحدة .

هدانا الله جميعا سواء السبيل ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

عبد الله شرف الدين

2003

وثيقة رقم 13

INTERNATIONAL ORGANIZATION FOR THE
ELIMINATION OF ALL FORMS OF RACIAL
DISCRIMINATION (EAFORD)

5 route des Morillons, CP 2100. 1211 Geneva 2, Switzerland

Tel: +41 22 788.62.33 Fax: +41 22 788.62.45

www.eaford.org

السيد رامس شندرا والسيدة إديث بلنتاين

رئيس وسكرتيرة اللجنة التحضيرية الخاصة بالعنصرية والتمييز العنصري

وإنهاء الاستعمار

هيئة الأمم المتحدة - جنيف

تحية ...

كان اجتماع أول ديسمبر ذو طابع خاص بحضور السيد احمد بن بلة ، حيث استفاد المجتمعون بأرائه وتجاربه الواسعة فيما يتعلق بالعنصرية والتمييز العنصري ومكافحة الاستعمار ، وإكراما لضيفنا الهام قرر المجتمعون التحدث باللغة الفرنسية الأمر الذي جعل متابعة بعضنا للنقاش صعبة وغير مثمرة ولعلي كنت من بينهم . وقد ساءني عدم تمكني من حضور الجلسة المقبلة المقررة في 16\12 لمتابعة هذا النقاش التحضيري الهام وذلك لتواجدي في هذا التاريخ بالولايات المتحدة ، لذا رأيت أن أرسل هذه الرسالة متضمنة بعض الآراء قد تجدون فيها ما يمكن عرضه على المجتمعين في اجتماعكم القادم . مما لا شك فيه إن العنصرية والتمييز العنصري في جميع تطوراتها كانت له دائما آثاره السلبية على

المجتمع البشري في جميع العصور والأحقاب الأمر الذي يتطلب من مجتمعنا الحديث ونحن في أواخر أيام القرن العشرين وقفة جادة ، مخلصه وصريحة نواجه فيها أنفسنا ونقاط ضعفنا حتى نستطيع ان نخلص العالم من هذه الآفة الخطيرة على مستقبل اجيالنا القادمة . إنه الامتحان الأكبر لمدى شعورنا بالمسئولية أفرادا وجماعات في ظل وتحت رعاية هذه المؤسسة الدولية العظيمة التي ارتضينا ان تكون وسيلتنا لسلامة ورفاهية هذا الكوكب ، ألا وهي هيئة الأمم المتحدة .

وإن أول ما يتبادر إلى الذهن فيما يتعلق بالعنصرية والتمييز العنصري هو أنها ظاهرة رافقت المجتمع البشري منذ فجر التاريخ وترتبت عنها كثيرا من المآسي والفواجع لعل أقربها إلى الذهن محاولة إفناء الهنود الحمر عندما اكتشف الأوروبيون البيض قارة أمريكا واستغلاهم الأفارقة السود واهدار آدميتهم بتلك الصورة القاسية المهينة التي يندى لها جبين الإنسانية . ويبدو أن هذه الظاهرة قديمة قدم الإنسان نفسه حتى أن بعض القصص الدينية الواردة في الكتب المقدسة تحدثت عنها وجعلتها أساس الشر في هذا الكون "فالشيطان" باعتباره رمزا للشرور في هذا الكون هو أول من قال لربه في تحديه للإنسان "أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين" وكانت نهاية الرواية هي خروج آدم من الجنة كما جاء في القصة الدينية المعروفة .

ومع ذلك فالذي يبدو الآن أن حركة التاريخ تحدثنا بوضوح أن هذه الظاهرة في اصلها العرقي أو الديني او اللوني قد بدأت تنحسر شيئا فشيئا من العالم وبدأ يحل محلها التمييز على أساس الغنى والفقير والشعوب المرفهة والشعوب المسحوقة ، المتقدمة والمتخلفة . فالشعوب الغنية المرفهة التي تقدمت حضاريا وسيطرت على مصيرها عن طريق العلم والمعرفة والتكنولوجيا الحديثة نراها بصفة عامة تنظر بازدراء أو على الأقل باستعلاء إلى الشعوب التي تعثرت خطواتها في هذا السبيل ، والذي زاد الأمر سوءا هو أن هذه الشعوب المتقدمة صارت تستغل الظروف السيئة التي تعانيها الشعوب الأقل تقدما ، وبطرق غامضة ومعقدة حالت وتحول بينها وبين فرص التقدم والحقا بركب الحضارة ، وقد أدى كل ذلك في النهاية إلى ظاهرة عدم التوازن في الأوضاع العالمية نشاهدها

بوضوح في المقارنة بين الغرب والشرق والشمال والجنوب ، حيث الظلم وعدم العدالة ظاهر واضح لا يحتاج إلى دليل ، فالإحصائيات تحدثنا أن ثلثي دخل العالم يذهب إلى ثلث سكان العالم الغربي بينما ثلث الدخل العالمي الباقي يذهب إلى ثلثي سكان العالم النامي . وحيث أن العالم قد أصبح صغيرا يمكن متابعة ما يجري في جميع أرجائه بسبب المواصلات الحديثة فإن الشعور بالظلم وعدم العدالة قد صار طاغيا وملحا لدى الشعوب النامية الأمر الذي ذهب ببعض جماعاتها إلى هجرة مجنونة إلى العالم المتقدم وقد ترتب عن ذلك آثارا سلبية سواء بالنسبة للمهاجرين أو بالنسبة للمهاجرين إليهم ، ودفع ببعض الجماعات الأخرى إلى ثورة نفسية عارمة قد ظهرت آثارها الخطيرة في العنف والإرهاب الذي كانت ضحاياه دائما من الأبرياء غير المسؤولين عن هذه الأوضاع الظالمة .

بعد هذه المقدمة القصيرة والتي اعترف أنها تحتاج إلى شروح مطولة فإن أغلب الظن عندي أن مكافحة التمييز يجب أن يتم عن طريق مكافحة أصوله الجوهرية في الفقر والغنى ، والجهل والمعرفة ، أي التخلف والتقدم .

وعليه فيجب علينا في المؤتمر القادم المزمع عقده في أواخر هذا القرن توجيه جميع الجهود في معالجة التمييز في أصوله الجوهرية وهي ظاهرة التقدم والتخلف ، بدلا من محاولة المعالجة على أساس ظواهره الجانبية في العرق أو الدين أو اللون ، ذلك أن المعالجة على الطريقة التقليدية سوف لا تخرج عن نصائح وإرشادات بعض المثاليين في المجتمع البشري سوف لن تؤثر بصفة حاسمة في الطبيعة البشرية وليس من السهل أن توضع له البرامج الفعالة المثمرة ، ولكن المعالجة عن طريق إزالة التخلف الذي بزواله يزول التعالي والتمييز فهذا من الممكن أن توضع له البرامج القصيرة والطويلة الأمد إذا أدركت قيادات العالم المتقدم مصلحة شعوبها الحقيقية وصدقت نيتها في خدمة هذه المصلحة في مداها الطويل .

إن الكبار الأقوياء الذين وصلوا إلى التقدم بالعلم والمعرفة يجب عليهم أن يساعدوا إخوانهم في الإنسانية في الوصول إلى نفس المستوى إذا أردنا حقا القضاء على التمييز وما يترتب عنه . إن فكرة حجب التكنولوجيا والعلوم الحديثة عن

الشعوب النامية هي اخطر دعوى تواجه العالم وتهدهد بأوخم العواقب وسيحصد أشواكها العالم الغربي نفسه في المدى الطويل .

إن إزالة التخلف وبالتالي التمييز لا يمكن أن يتم بالكلمات الطيبة أو بهذه المساعدات المظهرية الإعلامية ، إن ما يحتاجه العالم النامي ليس طعاما يأكله الأقوياء منهم او سلاحا يسلطه الطغاة على ضعفائهم . ان ما يحتاجه العالم النامي هو الوسيلة إلى النمو والتقدم وهذا لا يمكن الوصول إليه وتحقيقه إلا بالعلم ووسائل التعليم فقط .

وعليه فان المساعدات التي تقدمها الدول المتقدمة إلى الشعوب النامية والتي يجب أن تضاعف أضعافا مضاعفة يتحتم ألا تصرف بناء على قوانين دولية إلا في إنشاء المدارس والمؤسسات العلمية والجامعات ، وهذا هو الطريق لإزالة التخلف وبالتالي إزالة كل تمييز .

إن قيادات العالم المتقدم يجب أن تدرك أن ما تقوم به في سبيل إزالة التخلف في العالم وبالتالي إزالة التمييز علاوة على أنه في صالح شعوبها في المدى الطويل ، فانه ليس منة أو تفضلا ، بل في الواقع أداء دين سابق للشعوب النامية . ذلك ان ما تتمتع به الشعوب المتقدمة في العالم الغربي الآن هو نتيجة مجهودات جبارة وخطوات طويلة حثيثة رائعة قامت بها الشعوب النامية سابقا في الحضارات القديمة في الهند والصين وفارس وشمال أفريقيا وشمال الجزيرة العربية من كالدانيين وآشوريين وبابليين وفينيقيين وسوماريين وفراعنة ... وكما قال المؤرخ الأمريكي العظيم ويل ديورانت في كتابه القيم "قصة الحضارة" : - إن العالم الغربي يخطئ خطأ فاحشا إذا اعتقد أن ما يتمتع به اليوم من رفاهية هي نتيجة الحضارة اليونانية والرومانية ذلك إن هتين الحضارتين هما عبارة عن تلميذ بسيط لحضارة الشرق .

أرجو ألا أكون قد أطلت عليكم ، مع تمنياتي لاجتماعكم المقبل بالتوفيق والسداد .

عبد الله شرف الدين

رئيس المنظمة الدولية لمناهضة جميع أنواع التمييز العنصري

(إيفورد) 6-12-1997

المحتويات

5	مقدمة
9	الفصل الأول : مرحلة الطفولة
43	الفصل الثاني : مرحلة الصبا وبعض التقاليد والعادات في طرابلس
67	الفصل الثالث : بداية مرحلة الشباب ومحاولة الدخول معترك الحياة
81	الفصل الرابع : المرحلة الحاسمة ومعركته في سبيل العلم والمعرفة
97	الفصل الخامس : المغامرة الكبرى والسفر إلى مصر للدراسة
121	الفصل السادس : الدراسة الجامعية والمشاريع الإنسانية والاجتماعية التي قام بها والطلبة الليبيون في طرابلس وضواحيها في الإجازات الصيفية
131	الفصل السابع : بداية الحياة العملية واندفاعه في النضال الوطني والقومي وتجربة السجون والمعتقلات
149	الفصل الثامن : المحاماة وعضوية المجلس التشريعي لولاية طرابلس
161	الفصل التاسع : المزرعة والزواج والانغماس في العمل الحزبي والسجون مرة أخرى
173	الفصل العاشر : إصدار صحيفة الأيام ومجلة المحامي
181	الفصل الحادي عشر : اشتداد المعركة بين العروبة والصهيونية العالمية
189	الفصل الثاني عشر : نقياً للمحامين والخلاف مع قادة سبتمبر
215	الفصل الثالث عشر : قيام المنظمة الدولية لمناهضة العنصرية ورئاسته لها
	الفصل الرابع عشر : الهجرة المفروضة التي كانت الوسيلة المدبرة

229	لعناصر السوء للاستيلاء على أملاكه ومكتبه وحقوقه
253	الفصل الخامس عشر : أمراض المجتمع العربي وأسباب فشله في معاركه مع الأعداء
263	الفصل السادس عشر : الهجمة الصهيونية الإمبريالية على العراق
273	الفصل السابع عشر : هل لهذا الليل من آخر؟؟!!
281	الفصل الثامن عشر : لماذا تدوين هذه المغامرات أو الذكريات؟؟
287	الفصل التاسع عشر : السؤال المحير
293	الفصل العشرون : كلمة أخيرة
297	الوثائق :
287	وثيقة رقم 1
302	وثيقة رقم 2
304	وثيقة رقم 3
307	وثيقة رقم 4
310	وثيقة رقم 5
313	وثيقة رقم 6
315	وثيقة رقم 7
319	وثيقة رقم 8
322	وثيقة رقم 9
325	وثيقة رقم 10
331	وثيقة رقم 11
333	وثيقة رقم 12
	وثيقة رقم 13

هذا الكتاب

عبد الله مصطفى عبد الرحمن شرف الدين

- ولد في طرابلس ليبيا 18-05-1926
- الشهادة الابتدائية من المدرسة العربية الإيطالية الكائنة بالظهرة طرابلس مايو 1937
- شهادة الثقافة من مدرسة ساحل سليم الثانوية بمصر مايو 1951
- شهادة الثانوية من مدرسة اسيوط الثانوية بمصر مايو 1952
- شهادة في القانون والإقتصاد من كلية الحقوق بجامعة القاهرة بمصر يوليو 1956
- احد مؤسسي جمعية الإصلاح الإجتماعي بطرابلس ليبيا 1945
- أحد مؤسسي جمعية الفكر الليبية بطرابلس 1957
- رئيس قسم الشئون القنصلية والجنسية بوزارة الخارجية الليبية من يوليو 1956 إلى اغسطس 1957
- موظف بشركة البترول أسو من اغسطس إلى نوفمبر 1957
- احد مؤسسي نقابة عمال البترول بليبيا 1957
- محامي من نوفمبر 1957 إلى فبراير 1980
- عضو المجلس التشريعي لولاية طرابلس من 1957 إلى 1961
- نقيب المحامين من مايو 1968 إلى اكتوبر 1978
- صاحب صحيفة الأيام ورئيس تحريرها 1964
- رئيس تحرير مجلة المحامي من 1976 إلى أواخر 1979
- عضو المكتب الدائم لإتحاد المحامين من 1957 إلى 1980
- عضو مجلس اتحاد الحقوقيين العرب من 1957 إلى 1980
- عضو الهيئة الدائمة لحقوق الإنسان في العالم العربي
- عضو اللجنة الخاصة لتعديل ميثاق الجامعة العربية 1975
- رئيس المنظمة الدولية لمناهضة جميع أنواع التمييز العنصري EAFORD التي لها الصفة الاستشارية في الأمم المتحدة

- ممثل المركز العالمي لتحقيق السلام في العالم عن طريق القانون في شمال افريقيا
- رئيس اللجنة الخاصة لتحقيق العمل بالشرعية في الندوة التي اجريت بالكويت . 1980 .
- تكبّد السجون والمعتقلات في الأربعينات والخمسينات والستينات والسبعينات ، ونجا من القتل بأعجوبة في الثمانينات كما استولى أعوان النظام على جميع ممتلكاته .